

القضية الأولى مقدمة في تربية الأولاد

الحمد لله الذي شرع لنا ديناً قوياً وهدانا إليه صراطاً مستقيماً وجعلنا من أهله تعلماً وتعليماً حمد من عمته رحمته وأفضاله وغمرته أعطيته ونواله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أستزيد بها وفور نعمه وأسترفد بها وفور كرمه.

قال لنا: يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ وشداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي جمع بمبعثه شمل الحق بعد تفرقة، وقمع برسالته حزب الباطل بعد تطوقه.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا مولانا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه الذين سلكوا سُنن سننه وصوا به. وسلم تسليماً.

أما بعد: في أيها الإخوة الكرام:

أنهيت مع حضراتكم ملف العقيدة قبل شهر رمضان، وبعد أن بقينا معه حوالي خمس سنين وهو ملف هام يجب على كل مسلم ومسلمة أن يعلمه ويعتقده جازماً لتصح عبادته وأنكحته ويتقبل الله أعماله وأقواله وأحواله.

وعلى هذا الملف أقام الإسلام قواعد التربية الفاضلة على أصول نبيلة، إذ أن أُمير الأصول التربوية تكون من خلال عقيدة الإيمان والتقوى فهما المرادفان للتربية الإيمانية.

التربية: إنني وأنا أَلْفِظ هذه الكلمة لتجري على لساني كالهمل تشوي المجتمعات الفاسدة، في عصرنا، لقد ساء التعليم في بلادنا وساءت نظمته، وأصبح محيط أولادنا أداة هدم وتخريب ولا أبعد إذا قلت أداة إجرام في حق التربية وخاصة إذا شبَّ أولادنا على هذا الفساد الاختلاط، فلن ينفع بعد ذلك توجيه ولا تربية ولا إصلاح وستندم الأمة حيث لا ينفع الندم.

إن الغصون إذا قوتها اعتدلت ولا يلين إذا قومته الخشب

إذا تساهل الآباء في تربية أولادهم وتركوا تربيتهم إلى المذاهب الأرضية كالشارع والمفسدون وأولاد السوء فقد أخذوا بأيديهم إلى الخسران المبين، فسيؤدي بهم الأمر إلى الكفر والإلحاد، وإذا تحقق الفشل بتربية الأولاد تحقق الفشل بالأمة كلها، وعندها تحقق النصر لأعداء الله تعالى.

قوة الإيمان: وأرى لزماً علي اليوم من خلال عملي التربوي في إدارة معهد التهذيب والتعليم الشرعي ومن خلال وجودي في المجتمعات التي تنتمي إلى الإسلام، أرى لزماً علي أن أفتح مع حضراتكم ملفاً مهماً هو ملف التربية الإسلامية تربية الأولاد في الإسلام، لأنني أرى وبوضوح.

هذا الشرح العظيم بين تعاليم الإسلام وأهله فالإسلام في واد، وأهله في واد آخر كما قال أحد الدعاة في أوائل هذا القرن حينما زار بعض البلاد الأوروبية قال: رأيت إسلاماً بدون مسلمين، وحينما عاد إلى بلاده قال: رأيت مسلمين بلا إسلام.

هذا الشرح الكبير بين المبدأ والعمل يتلمسه كل واحد منا، ويتمنى لو يعود بأولاده إلى ما كان عليه الرعيل الأول في صدر الإسلام زمن المربي الأعظم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

شرح في البيت والأسرة، وشرح في العمل والمعمل، وثالث في المدرسة والمعهد، وآخر في الطريق والشارع، أقول هذا الكلام لأن مؤسسات التربية كلها فاسدة: البيت والشارع والمدرسة والمفسدون كلها فاسدة إلا ما رحم ربي عز وجل، ثم بعد ذلك نطلب النصر من الله، أصبح المفسدون أداة هدم للإنسان أكثر من الإصلاح، وجاءت الفضائيات لتوج هذا الفساد بمنتهى الرذالة والفاحشة وتعلنه علناً وبشكل فاضح.

ماذا نرجو من مجتمع فيه هذه الأخلاق المنحطة؟ ماذا نرجو من جيل يتبع شهوته وغريزته؟ وأعداء الله وأعداء الإسلام على أبواب المسجد الأقصى يدقون المساجد بقنابلهم ودباباتهم، لقد استطاع الاستعمار العسكري والفكري ولحقه الاستعمار الاقتصادي أن يعكر النبع الصافي، استطاع أن يبذل الفطرة السليمة، استطاع أن يطفئ في كيان أولادنا جذوة الإيمان والحماس للحق الذي أقام الله عليه الكون.

استطاع أن يوسوس للبننت المسلمة أن تنزع حجابها وخمارها، استطاع أن يصل إلى أم المستقبل يعتدي عليها لتعتدي على أولادها في المستقبل فتمنعهم من الحجاب الذي فرضه الله على كل مسلمة، ولكن الله جل جلاله يبدأ يعيد الحق إلى نصابه، بدأ الفجر ينبلع، إن أن السيد رئيس الجمهورية أصدر أوامره الشرعية الشفهية بألا يتعرض أحد لأي بنت مسلمة محجة ولو دخلت بمنديل إلى مقعد الدرس، فقولوا: الله أكبر.

بدأ الحق الأبلج يستعيد نوره على يد الأغر بشار فاستبشروا خيراً بولايته.

ونحن أيها المؤمنون علينا أن نصحح أخطاؤنا، فالعجيب فينا أننا نعرف حق المعرفة الخطأ الذي نحن فيه ثم لا نعزم على إصلاحه وتقويمه، هل هو يا ترى الجهل؟

تفاهم المشكلة يجعلنا عاجزين عن إصلاحها وكلنا نتساءل من هو المسؤول عن مشكلة قلة التربية وتفشي الرذيلة وضياع الفضيلة في مجتمعنا، مع أننا أمة مسلمة؟

إننا إذا عرضنا هذا السؤال على بساط البحث رأينا كل جهة من جهات المجتمع تلقي باللوم على الجهة الأخرى، فالأسرة تلقيه على المدرسة، المدرسة تلقيه على الأسرة، والأب يلقيه على المعلم، والمعلم يلقيه الأبوين، والكل يلقيه على الزمن ويقول لك: من لم يعلمه أبواه علمه الزمن، وهكذا ضاعت التربية بين من هو المفروض أن يكون هو المربي، لكن الحق كل الحق أن الخاسر في هذا الضياع هم أبناؤنا الذين تاهوا في خضم الحياة، وبدأت الفاحشة تنتشر هنا وهناك، وراحت رائحة الأمراض الفتاكة كمرض الزهري ينتشر وداء السيلان وغيرها من الأمراض الخطيرة التي كان آخرها مرض نقص المناعة بل قل ذهاب المناعة في الجسم وهو الإيدز وفي كل يوم ترى شباباً على الرصيف يجول بنظره يميناً وشمالاً لعله يصطاد جيفة قذرة، هو هنا يصطاد فتاة قذرة، وفي مكان آخر يصطاد غيره أخته أو أمه والعياذ بالله وهو لا يدري.

ها هو شاب تائه تأتي إليه فتاة متبرجة تسلم عليه فيقول لها إنني هنا انتظرك منذ ساعة.

فقلت: انتظرت أهلي حتى خرجوا من البيت ثم أتيت إليك، ثم يأخذ بيدها ويسيران وبكل تأكيد أقول يسيران لا إلى المسجد ولكن إلى الهاوية.

وانظروا معي إلى آخر اشتد عوده وظهرت رجولته وخط شاربه، ها هو يعلو صوته على صوت أبيه وينظر إليه نظرات الغضب.

وها هو آخر يدخل عليه أحد أبويه فيتعاضم أن يقوم له أو أن يسرع فيقبل يده.

وكم تأثرت حينما دخل عليّ رجلان شاب وكهل الكهل أكلت السنين من شعره ولحيته فتحول شعره من السواد إلى البياض، وخاطبني والشباب طويلاً دون أن يعرّفني على الرجل الكهل.

فقلت له: إنك لم تعرفني بالأخ الذي معك؟ فقال: إنه أبي، لقد استحوذ الغرور على نفس الولد فبلغت به الوقاحة ألا يعرفني بأبيه، أتعرفون لماذا؟

لأن الأب كان يرتدي ملابس بسيطة بينما كان الولد يرتدي أوفر الثياب لأنه ذو مكانة مرموقة.

ولا أنسى إن نسيت قاضياً أخبرني أنه بلغ العقوق بأحد ذوي السمعة الطيبة أمام الناس، وهو من أصحاب الثروة والمال، بلغ به العقوق أن لا يقوم بحق النفقة على أبويه الفقيرين اللذين

أفنيا عمرهما بتربيته وتعليمه حتى صار رجلاً، فماذا فعل الوالدين؟ لقد اضطرا أن يرفعا قضية (دعوى) أمام القاضي ليلزم الولد بالنفقة على والديه!!.

واسمعوا إلى الأعجب إلى رجل يقف في بيوت الله ساجداً راکعاً خمس مرات يناجي ربه ويسأله (اهدنا الصراط المستقيم) يفعل ذلك كل يوم في الفريضة سبع عشرة مرة، ثم بعد ذلك يصل إلى بيته فيعق والديه ويعصيهما، شيء تقشعر منه الأبدان، ألا فليعلم هذا المصلي العاق لوالديه أن الله سيهديه ولكن سيهديه طريق جهنم وساءت مصيراً.

نعم طريق جهنم، هذه حقيقة وليست ادعاءً، الحقيقة أنقلها لكم من الروضة المحمدية من المربي الأعظم صلوا عليه يقول:

"ثلاثة حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة: مدمن الخمر - والعاق لوالديه - والديوث" هذا في الآخرة، أما في الدنيا فسيكون له معيشة ضنك، وسيذوق مرارة الحياة يتجرعها ولا يكاد يسيغها، ولهذا يقول المربي الأعظم (كل الذنوب يؤخر الله ما شاء منها إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإن الله يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات).

فيا معشر الإخوة: علينا أن نبدأ من الصغر في تربية أولادنا، علينا أن ننقذ أولادنا من وهدة الضياع منذ الصغر، أن نسلحه بالأخلاق الفاضلة بحيث يشب عن الطوق سوي الخلق مستقل الشخصية حتى إذا تخطى عتبة البيت، وبدأ يتعامل مع المجتمع كان مزوداً بهذه الفضائل، علينا أن نربي روحه ونصقل قلبه بالآداب العالية والمبادئ السامية يقول المربي الأعظم صلى الله عليه وسلم: (ت) "مانحل والد ولده من نحلة أفضل من أدب حسن".

ويقول: "علموا أولادكم وأهليكم الخير وأدبوهم".

إنها مسؤولية ستسأل عنها يوم القيامة ﴿فو ربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقفوههم إنهم مسؤولون﴾

ولا تخافوا على أولادكم ما دتم ترتادون جميعاً بيوت الله تعالى، ما دمنا ندخل هذا المسجد بيوت الله تعالى، ما دمنا ندخل هذا المسجد فلن تستطيع المذاهب الأرضية مهما حاولت أن تقضي على الإسلام، ما دمنا هنا نرفع رأسنا عالياً بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ما دمنا نعتزف بالولاء المطلق لله ورسوله، فلنستعد جميعاً بإعداد أنفسنا للدخول إلى مدرسة التربية من مدرسة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ورسم الانتساب أن نرفع التحية للقوة العظمى والأسوة العليا للمربي الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتحيتنا إليك يا رسول الله

الصلاة والسلام عليك.

القضية الثانية

انتقاء الزوجة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم القرآن من حضره اسمه الرحمن وخلق الإنسان علمه البيان، وأبان ما في محكم تنزيله وشرّف العلماء بمكنون تأويله فأعربوا عنه بأفصح لسان لكل قاص ودان. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكريم المنان.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله كريم الخصال كان خلقه القرآن.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم والسيد لسند العظيم سيدنا ومولانا محمد صاحب الخلق العظيم والنور المبين والركن الركين، بحر المعاني وصاحب السبع المثاني، الذي أوتي علم الأولين والآخرين، وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى لمن اقتدى، وعلى تابعيهم بإحسان من الورثة الكرام العلماء الأعلام وسلم تسليمًا.

أما بعد: في معشر السادة

قبل أن أفتح معكم ملف التربية الإسلامية أريد أن ألفت أنظار حضراتكم إلى أنني لن أرجع بحضراتكم إلى النظريات المثالية الخيالية، أو إلى نظريات التربية الحديثة التي ألفها الغرب الكافر، لا حاجة للمسلمين أن يستوردوا النظريات التربوية من رجالات الإلحاد أو من غير المسلمين، أتعرفون لماذا؟

لأنه يوجد منهج تربوي متكامل لتربية الطفل وضعه لنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، منهج تربوي وضعه لنا من لا ينطق عن الهوى، فنحن في هذا الملف سنأخذ كيفية التربية من النبع الصافي الذي يتصف بالصحة والثبات والاستقرار، ذلك أن عالم الطفل فيه كثير من الأمور المغيبة عنا، فهو عالم مجهول يحتاج إلى شخص كامل وعالم بخفايا الأمور، وما ذاك إلا شخص سيدنا رسول الله، فهو الذي يكشف لنا هذا العالم الطفولي المجهول لنا فملف التربية الذي سأفتحه معكم الأستاذ فيه هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ويحق لنا أن نقول نحن ندرس

تربية الأولاد وفق المنهج التربوي مقتدين بسيدنا رسول الله، وفي ذلك عبادة لله تعالى، لأنه جل جلاله دعانا لتنفيذ أمر بقوله (وإن تطيعون تهتدوا) النور ٥٤.

وأوجب علينا اتباعه والافتداء به فهو القائل لنا.

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ الأحزاب ٢١.

وقال لنا ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفياً﴾ النساء ٨٠.

فما هو معنى التربية؟

سؤال أطرقه واستمد العون من مولانا عز وجل في الإجابة عنه، ونستفتح جميعنا بالصلاة على سيدنا رسول الله.

إخوة الإيمان: التربية تعني عملية تعاهد الطفل شيئاً فشيئاً بشكل تدريجي إلى أن يصل إلى حد يستطيع فيه الطفل التمسك بشرع الله من ذاته ويحاسب نفسه بنفسه ويراقبها ويتابع تربية نفسه بالآداب والأخلاق والعبادات والمعاملات الإسلامية.

فالإنسان جنين ما دام في بطن أمه، فإذا انفصل ذكراً فصبي، وهو غلام حتى يصل إلى البلوغ.

وبعدها شاب، وهو فتى حتى يصل إلى سن الثلاثين، ثم كهل حتى يصل إلى الخمسين، ثم وبعدها مرحلة الشيخوخة.

والسؤال المطروح اليوم:

من هو الذي تقع على كاهله مسؤولية التربية؟

معشر الإخوة الكرام:

الحقيقة أنّ أول ما يرى الطفل من الوجود يرى أهله ومنزله، أول صورة ترتسم في ذهن الطفل ما يراه حوله في بيئته: وهما الوالدان.

فالوالدان هما المسؤولان عن تربيته، وقلبه الطاهر جوهرة خالية من كل نقش أو صورة، فإن ارتسم في قلبه الخير نشأ عليه، وإن عودَ الشر وأهمّل إهمال البهائم ثم سقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه.

وقد بين لنا هذه القاعدة التربوية الهامة المربي الأعظم صلى الله عليه وسلم فهو القائل:
(كل مولود يولد على الفطرة (أي فطرة الإسلام). وإنما أبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه).

وقد أخذ أبو العلاء المعريّ هذا المعنى في الحديث فنظمه في بيتين من الشعر فقال:

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عودَه أبوه

وما دان الفتى بحجى ولكن يعودُه التدين أقربوه.

لذا - إخوتي في الله - أهم صفة يجب أن تتوفر في الوالد والمربي صفة الدين، فلينتبه كل إنسان يريد أن يتزوج عند اختيار شريك حياته أن يختاره مسلماً متديناً، ضعوا هذا نصب أعينكم: على رأس الاختيارات التي يجب أن تهتم بها: الاختيار على أساس الدين.

وأقصد بالدين الفهم الحقيقي للإسلام والتطبيق العملي لكل فضائله وأدابه وكذلك الالتزام بمنهج الشريعة.

وانتبهوا يا سادة:

الاختيار على أساس الدين ليس معناه أن يكون صاحبه يصلي ويصوم ويعفي لحيته ويمسك سبخته، أو أن تضع المرأة منديلها وتطيل ثوبها ثم بعد ذلك لا تعمل بمنهج الإسلام، لا، ولكن المحك على العمل: صدق وأمانة ومحبة وطاعة وشرف وعفة وتقوى، أخلاق المسلم الواجب عليه أن يتمسك بها، وقد وضع لنا سيدنا عمر بن الخطاب ميزاناً دقيقاً لمعرفة الرجال حينما جاءه رجل يشهد لآخر فقال له سيدنا عمر: أتعرف هذا الرجل؟ قال: نعم، قال: أنت جاره الذي يعرف مدخله ومخرجه؟ قال: لا.

قال سيدنا عمر: هل صاحبتك في السفر الذي تعرف به مكارم الأخلاق؟ فأجاب الرجل: لا، قال سيدنا عمر: هل عاملته بالدينار والدرهم الذي يعرف به ورع الرجل؟ فأجاب الرجل: لا. فصاح به سيدنا عمر: لعلك رأيته قائماً يصلي في المسجد يرفع رأسه تارة ويخفضه أخرى، فرد الرجل: نعم. فقال له سيدنا عمر: اذهب فإنك لا تعرفه. والتفت إلى الرجل وقال له: ائتني بمن يعرفك.

فأنت يا أخي عندما تخطب لابنتك لا تتخذ شكل الإنسان ولا بمظهره، وحقيقة هذه القاعدة التربوية موجودة عنده سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أليس قد قال لنا (م):

"إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"، وكذا عندما تختار الأم التقية النقية تختارها على أساس الدين لأنها إن كانت ضعيفة الدين في صيانة نفسها وعرضها أزلت بزوجها وسودت وجهه بين الناس.

لو تزوجتها بلا حجاب ثم حجبته سيؤثر ذلك على بناتك ولن تضع لهم الحجاب حتى يتزوجن، وربما لا تضعه لها أبداً.

وسيشند الخلاف بينهما لأجل ذلك، أقول هذا الكلام من واقع التجربة الخيانية، وإذا كانت الزوجة جميلة مع الفساد كان بلاؤها أشد إذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها، ولا يصير عليها ويكون كالذي جاء إلى سيدنا رسول الله يشكو زوجته (مرسل).

قال: طلقها.

قال: إني أحبها. قال أمسكها.

فكان أمره صلى الله عليه وسلم بإمساكها خوفاً عليه أن يتبعها نفسه إن هو طلقها.

فرأى أن دوام نكاحها مع ضيق صدره خير من أن يطلقها فيدفعه ذلك إلى الفساد.

فاختيار الزوجة على أساس الجمال وحده فيه خطر على الأسرة، وفيه ضياع لها، لأنها ستهتم بزينتها أكثر مما تمكث في تربية أولادها، ولعلها أن تختال بجمالها أمام الرجال فتضيع بيتها ودينها.

ولهذا حذرنا المربي الأعظم صلى الله عليه وسلم فيما ورد عنه فقال:

"لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يريدها، ولا لمالها فلعل مالها يطغيها".

وكذا لا تنكح المرأة على أساس الجاه والسلطان ومكانة أبيها وأسرته، فاختيار الزوجة لعزها ونسبها لأبيها مدعاة لأن يكون الزوج مطواع زوجته (أطوع لها من ثواب).

وهذا فيه فساد كبير لرجولة الرجل وشهامته وكرامته، ولذلك اسمعوا ماذا يقول المربي الأعظم صلى الله عليه وسلم (طس) من تزوج امرأة لعزها لم يزد الله إلا ذلاً، ومن تزوجها لمالها لم يزد الله إلا فقراً، ومن تزوجها لحسبها لم يزد الله إلا دناءة.

وقد يكون الخاطب هو الغني وذو الجاه وصاحب التجارة الواسعة أو من أهل البترول، فترى أهل المخطوبة لا يسألون عن دينه وأخلاقه وسمعته بل يدفعون إليه ابنتهم دفعا، كما يحدث من بعضهم اليوم، وهذه فتنة عظيمة في الدين، وأية فتنة أعظم على التربية من أن ترتفع الفتاة المؤمنة بين براثن خاطب متحلل أو زوج ملحد لا يرقب فيها إلا ولا ذمة، ولا يقيم للشرف والغيرة والعرض وزناً ولا اعتباراً؟!، أية فتنة أعظم على بناتنا الصالحات من أن يقعن في عصمة زوج إباحي فاجر؟، يرى رفاق السوء يأخذون زوجاتهم إلى السنيما والملاهي والمساح العائلية فإذا به يكره زوجته العفيفة على السفر والاختلاط، ويجبرها على احتساء الخمرة ومراقبة الرجال، ويقسرها على التقلت من رقة الدين والأخلاق، فكم من فتاة - ويا للأسف - كانت في

بيت أهلها مثلاً للعفة والطهر، فلما انتقلت إلى بيت إباحي وزوج متحلل فاجر انقلبت إلى امرأة متهتكة مستهترة لا تقيم لمبادئ الفضيلة أية قيمة ولا لمفاهيم العفة والشرف أي اعتبار.

فالمطلوب منك - أيها المعلم - أن تعتني أشد الاعتناء باختيار الشريك الصالح والزوجة الصالحة، فلا تزوج ابنك من مسيحية ولا يهودية ولا مرتدة ولا مجوسية ولا وثنية ولا زنديقية ولا إباحية.

ولا تظنوا أنني أحرم الزواج من أهل الكتاب (المسيحية)، لكن العوامل المرافقة للزواج من النصرانية هي التي تقرر هل هو حرام أم حلال، والمُشاهد اليوم من ضعيفي الإيمان أنه حينما يتزوج من نصرانية ويكون أحوال الأولاد مسيحيين، ويكون الأب محباً لزوجته مع ضعف دينه يجعلانه يغض النظر عن ذهابهم إلى الكنيسة مع أهمهم.

وإن الأب عندما يموت يتحول الأولاد من المسيحية سبباً في نوع الأبناء في الردة والكفر والعياذ بالله تعالى، وأسألوا أستاذاً في كلية طب الأسنان في دمشق ماذا فعلت زوجته المسيحية بعد إنجاب ثلاثة من الولد، لقد حملت الأولاد إلى بلدها ومنعت الزوج من الدخول إلى بلدها، وتتصر الأولاد وتركوا دين الإسلام، وأسألوا في مصر عن الأديب طه حسين الذي تزوج من مسيحية فرنسية وزوج ابنه من مسيحية، وحين مات طه حسين قام ابنه لا رحمه الله تعالى بالذهاب إلى الكنيسة في فرنسة وأعلن رדתه عن الإسلام وأنه اعتنق المسيحية، هذا حصاد الهشيم!!.

وأمثال هذه القصص لا تحصى، والذي يندى له الجبين ما حدث لأحدهم في لبنان وأنا أعرفه حق المعرفة تزوج من مسيحية أحبها فكان أول عمل قام به لأجلها أنه ترك الصلاة والصوم، ثم زوج أخته المسلمة من أخي زوجته المسيحية، زوج مسلمة من مسيحي.

هذا من نتائج زواجنا من غير المسلمات، لذا كان جدي سيدنا ابن عباس رضي الله عنه: يحرم الزواج من النصرانية ولأن ما أدى إلى محرم فهو محرم.

فالمرأة عندما تكون نظيفة شريفة لا ترضى لنفسها الانحطاط عن مستواها الأخلاقي وقديماً
قالت العرب: الحرة تموت ولا تأكل بثدييها.

تموت ولا تفرط بعرضها وشرفها.

لذلك - يا أخي المسلم - عندما تختار لولدك أو لابنتك اسأل عن البنت أولاً ثم اسأل عن
أقاربها، عن اخوتها، عن أخواتها، عن أبيها وأمها (طب الجرة على تمها بتطلع البنت لأمها).

اسأل عن أحوالها وخالاتها (الولد إذا مال تلتنيه للخال)، اسأل عن أعمامها وعماتها (خذوا
البنات من صدور العمات).

وقد وردت الأحاديث النبوية بذلك كله، وهي إن كانت ضعيفة الإسناد ولكنها إذا طبقت
على الواقع الحياتي رأيتها صحيحة مثل ضوء الشمس، من هذه الأحاديث: (إياكم وخضراء
الدمن). قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء (أهلها
سيئون).

ومنها: تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس أو نزاع (ترجع البنت أو الولد لأصله).

ومنها: تخيروا لنطفكم فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن.

وفي رواية: فإن الرجل (يعني المولود الذي سيصبح رجلاً) ربما أشبه أحواله.

والله -أيها الإخوة - إنني وأنا أتكلم هذا الكلام لأشعر بفخر وعزة لانتمائي لسيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم، النبي يقول لك: فاضفر بذات الدين تربت يداك.

لقد أثبتت الحقائق العلمية والنظريات التربوية في العصر الحديث وعلم الوراثة أن الطفل
يكتسب صفات أبويه الخلقية والجسمية والعقلية منذ الولادة فعندما يكون الانتقاء سليماً تكون
النتيجة سليمة بإذن الله تعالى، فمن أشرقت بدايته أشرقت نهايته.

كان هذا هو موجز الأنباء التربوية النبوية وإليكم موجزها بأبلغ بيان ببلاغة القرآن، لا تأخذوا قواعد التربية من الغربيين الكفرة وخذوها من القرآن والسنة يقول رب العز والجلال .

﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا﴾.

هنا مدرسة التربية من مدرسة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى الحبيب الأعظم وتحيتنا إليك يا رسول الله: الصلاة والسلام عليك.

القضية الثالثة

حقوق الزوجة (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وشرح صدورنا لاقتفاء سلف المؤمنين وشرع لنا الشرائع والأحكام لنميز بها الحلال من الحرام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أحاط بكل شيء علماً ووسع كل شيء رحمة وحنماً وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم الأنبياء وإمام الأصفياء وسيد العلماء وأكرم من مشى تحت أديم السماء.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأشياعه وأحزابه ما جرى براع وطابت بذكره الأسماع. وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر السادة الكرام:

البيت الإسلامي قلعة من قلاع العقيدة والدين، ولا بد أن تكون قلعته متماسكة من داخلها حصينة في ذاتها وعماد هذا البيت الزوجان والأولاد، ولكي ينشأ الأولاد على تربية إسلامية رصينة، يجب على الوالدين معرفة حقوق كل منهما، على كل من الزوجين معرفة الواجبات والحقوق ليلزم كل منهما حدّ الشرعي، فرحم الله امرأً عرف قدره فوقف عنده، وهذه الحقوق وتلك الواجبات التي شرعها الإسلام، إنما شرعها ليتماسك البيت المسلم لينشأ الأولاد ضمن بوتقة الإسلام، لا ضمن بوتقة الفساد والانحراف، ذلك أن أكثر الأولاد إنما جاءهم الفساد من قبل الآباء، أضاعوهم صغاراً فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كباراً، عاتب مرة بعضهم ولده على العقوق فقال الولد:

"يا أبت إنك عققنتي صغيراً فعققتك كبيراً، وأضعتني وليداً فأضعتك شيخاً".

التربية . يا أخوتي . حق الابن على والديه، وليست هبة أو هدية، هذا ما أكده لنا المربي الأعظم في الحديث الضعيف: إنما سمّاهم الله أبراراً لأنهم بروا الآباء والأبناء، كما أن لوالدك عليك حقاً كذلك لولدك عليك حق (خ في الأدب).

ولكي يكون البيت المسلم متماسكاً علينا أن نعرّف بحقوق الزوجين وبواجبات كل منهما
لأخر إننا معشر الإخوة مع الحلقة الثالثة من تربية الأولاد في الإسلام، وفي بداية هذه الحلقة
أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم صلى الله عليه وسلم.

اخوتي في الله وضع لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم القاعدة الأساسية لحفظ حقوق
الزوجة فقال: إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد
عرض.

فلماذا قال لنا ذلك؟

ذكر لنا ذلك ليبين لنا أن جماع الزوج الصالح أن يكون ذا دين قويم وخلق كريم، وهذا
يتمثل في رعايته لحقوق الزوجية، إذا كان ذا دين وخلق رأى حقوق الزوجية كلها فرض عليه فلم
يظلمها أو يتعدى على حقوقها.

وقد رأيت استقامة للبيت المسلم أن أخصص وقتي اليوم لمعرفة جزء من هذه الحقوق
فأعينوني على أنفسكم بالإصغاء والانتباه، فلا لمن لا انتباه له.

أيها السادة: أولى حقوق الزوجة أن يؤدي الزوج لزوجته صداقها (مهرها) كاملاً غير
منقوص لا يأكل منه شيئاً وإلا أكل حراماً وسحتاً إلا ما تنازلت عنه بطيب نفسها كما قال مولانا
عز وجل ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً، فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً
مَرِيئاً﴾.

إذا طابت نفس الزوجة بإسقاط جزء من المهر أو بإسقاطه كله فهذا حقها، إذا تنازلت عنه
طيبة النفس ليس بضغط من الزوج عليها فله أن يأكله هنيئاً مريئاً.

المهر حق خالص للزوجة، يدفع المعجل منه أما المؤخر فيدفعه كما يقره العرف أي عند
الطلاق أو الوفاة، لكن لو طالبت المرأة حقها كاملاً في المهر فيجب أن يدفعه لها فهو خالص
حقها.

ثاني الحقوق الزوجة: النفقة عليها بالمعروف، لا يقتر عليها ولا يسرف في إعطائها كل ما تطلب فهذا قد يفسدها، وقد بينت الآيات قضية الإنفاق فقال تعالى ﴿لِيَنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ، وَمَنْ قَدَرُ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيَنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكُلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾.

إذا كان الزوج موسراً فينبغي أن يظهر أثر يساره على أهله وأولاده وعلى بيته ﴿على الموسع قدره وعلى المقتر قدره﴾ النفقة بالمعروف ﴿وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف﴾ المعروف ما تعرفه الفطر السليمة والعقول الرشيدة ويعرفه أهل الفضل والخير من الناس.

فلا ينبغي أن يكون الرجل موسر الحال، كثير المال ومع ذلك يقتر على زوجته يعطيها من ثقب الإبرة، هذا هو البخل المذموم والشح المطاع المهلك، (إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده).

وأول ما يظهر ذلك يظهر في بيته، أن ينفق النفقة المعتدلة التي يرى الناس أنها لائقة به ولائقة بأهله، والمسلم مطالب أن ينفق على بيته ولو كانت زوجته تملك مال قارون، النفقة على الزوج ﴿الرجال قوامون على النساء في فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾.

في عنق الرجل، مهما كانت امرأته ذات ثروة، لكن إذا ساعدته من مالها فهذا من مكارم أخلاقها، وإذا كانت تعمل وتأخذ راتباً، وكان عملها يوجب عليها نفقات زائدة فمن واجبها أن تساعد زوجها فيما يزيد على النفقة العادية.

بحيث لا تكلف زوجها شططاً، فهذا من التعاون والبر والتقوى ومن المعاشرة بالمعروف، وهو ثالث الحقوق الزوجية.

ثالث الحقوق على الزوج: أن يكون حسن الخلق معها فهذا أمر من مولانا عز وجل ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾.

المعاشرة بالمعروف هي التي يتجلى فيها حسن الخلق كما قال صلى الله عليه وسلم ﴿أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وأطفهم بأهله﴾ وقال: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي".

الرفق بالزوجة (ق) "إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله" هذا ما وردت به التوجيهات النبوية فعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه" (م).

وخاطب سيدنا رسول الله السيدة عائشة فقال (أحمد) "يا عائشة ارفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيراً دلهم على الرفق" وقال: "من لا يرحم لا يرحم".

هذه هي أوامر القدوة الحسنة المربي الأعظم: عدم التشديد على الزوجة وعدم التعسير عليها، فها هي السيدة أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها تقول: ما خير رسول الله بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه من شيء قط! الآن تنتهك حرمة الله فينتقم الله تعالى (ق).

فالنبي كان هنياً ليناً ينظر بمنظار متكامل للأسرة لا بمنظار ضيق اسمعوه وهو يقول لنا (ت حسن):

"ألا أخبركم بمن يحرم على النار، أو بمن تحرم عليه النار تحرم على كل قريب هين لين سهل".

لذا قال في حديث آخر "لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظري" (غليظ الطبع سيء الملكة). لذا من يستعرض حياته صلى الله عليه وسلم يجده أحسن الناس عشرة مع نسائه، كان يستمع إلى حكاياتهن ويطيب خواطرن، مكث له السيدة عائشة حكاية اثنتي عشرة امرأة وحديثهن عن أزواجهن وكيف أن رجلاً اسمه أبو زرع أحب زوجته حباً جماً ثم طلقها (يعرف هذا بحديث أبي زرع) وهو حديث طويل رواه البخاري بطوله وفي نهايته يقول لها صلى الله عليه وسلم: "كنت لك كأبي زرع لأم زرع غير أني لا أطلقك".

وكان صلى الله عليه وسلم يمازحهن حتى إنه مرة خرج هو والسيدة عائشة كل منهما يريد أن يخرج قبل الآخر فتزاحما على الباب من باب الممازحة والمفاكهة وتسابق مع أم المؤمنين السيدة عائشة مرتين خلف الجيش، وكان يتحلى بالخلق الحسن معهن في حياته كلها وفي سيرته مع نسائه، ومرة كان عند بعض نسائه في بيت السيدة صفية فأتي بطعام بصحفة فيها طعام إلى النبي صلى الله عليه وسلم من بعض زوجاته الأخريات عملت طعاماً طيباً فأرسلت إليه صحن طعام ليتذوقه فأمسكت السيدة صفية الصحن ورمته من يد الخادم فانكسرت وانكسر ما فيها فقال صلى الله عليه وسلم: (غاريت أمكم) وأمسك سيدنا رسول الله بالصحفة وأخذ يجمع الطعام ثم أرسل إلى زوجته الأخرى بصحفة جديدة.

وكان صلى الله عليه وسلم يشاركهن في هموم الأمة، حين عاد من لقيا سيدنا جبريل عاد وهو يقول: زملوني زملوني وتلقاه أم المؤمنين السيدة خديجة لتلقي عليه ثوب الأمان والطمأنينة وأنه خير البرية فنقول له: كلا والله لا يخزنك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الدهر.

وفي صلح الحديبية تقوم أم المؤمنين السيدة أم سلمة فتتخذ المسلمين من شر مستطير كادوا يقعون فيه لمخالفتهم أمر النبي الكريم فلم يحلقوا رؤوسهم عندما أمرهم فشاورها رسول الله

فاقتدرحت عليه أن يأمر الحلاق فيخلق رأسه الشريف فإذا رآه الصحابة حلقوا رؤوسهم فننفذ رسول الله مشورتها فقام الصحابة جميعاً يحلقون رؤوسهم.

فالنبي كان يشاور نساءه، وبعض الناس يظنون أن المرأة في البيت كالأثاث الجميل إن كان له حاجة إليها أتاها وبعض يقولون لكن شاوروهن وخالفوهن، هذا غلط. مشاوره النساء وبروت في القرآن والسنة الصحيحة لله تعالى يقول فإن أراداً فصلاً عن تشاور منهما وتراض فلا جناح عليهما.

الآية تعني المشاورة بين الزوجين، إذا كانت الأم مطلقة فلا ينبغي أن تكايد الزوج وتقطم الولد باكراً، ولا ينبغي للرجل أن يكايدها لأن فيه ضرراً على الولد **«لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده»**.

والمربي الأعظم يقول: "آمروا النساء في بناتهن" عندما تريد البنت أن تتزوج اسألوا رأي الأم، واطلبوا المشورة من الأم.

الإسلام دعا إلى ملاطفة الزوجة، وحسن العشرة معها من الإيمان. هذا هو الإسلام وهذه هي تربية سيدنا محمد لجيل الإسلام ولا أريد أن أطيل عليكم. فللحديث شجون، وما زلنا وسنبقى تلاميذ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هنا في مدرسة سيدنا محمد، الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إليه. وتحيتنا إليك يا رسول الله: الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله.

القضية الرابعة

حقوق الزوجة (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل من بدائع أنطافه أن خلق من الماء بشراً، فجعله نسباً وصهراً، وسلط على الخلق شهوة اضطرهم بها إلى الحرثة جبراً، ثم عظم أمر الأنساب وجعل لها قدراً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له حث على النكاح وندب إليه استجاباً وأمرأ، فقال جل وعلا: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِيمَانِكُمْ أَنْ يَكُونُوا فَقَرَاءَ يَغْنَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خرج من نكاح ولم يخرج من سفاح.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد المبعوث بالإنذار والبشرى، وعلى آله وصحبه صلاة لا يستطيع لها الحساب عدأً ولا حصراً، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام

نعمة الزواج رابانية للإنسان، وهي سنة الرسل أجمعين، جعله الله سنة لاستمرار الحياة البشرية، بالتزاوج بين الذكر والأنثى، وهذا والاتصال يتجلى فيه قدر الله أن جمع بين الزوجين (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة، ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون) (النحل ٧٢).

هذه المصاهرة العجيبة التي قدرها الله بين البشر ووجهها بعنايته ورعاها برعايته يغذيها بالموددة والرحمة والسكن (وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قدير) (الفرقان ٥٤).

ولكي تستمر هذه المودة وتلك الرحمة، على كل تمن الزوجين معرفة حقوق كل منهما وواجباته إننا مع الحلقة الرابعة المتممة لحقوق الزوجة أو واجبات الزوج ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم لترفعوا التحية إلى المربي الأعظم.

الصلاة والسلام عليك يا سيدي رسول الله وخير ما نسهل به خلقنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات سورة.

﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن نفس أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾.

إخوة هذه الآية الكريمة توجيه للزوج بحسن معاشرة الزوجة واحتمال أذاها والصبر عليها، إذ ربما تكون بعض الزوجات شديدة الانفعال، شديدة الغيرة، تتصرف بسرعة، فلا ينبغي أن يكون هذا سبباً في الانفصال عنها، قد يكون فيها أشياء أو طباع لا يحبها الزوج فيكرهها، والله ينبه ويرشد ﴿فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾.

لعل المرأة التي تكرهها هذه يرزقك الله منها ذرية صالحة، أولاداً نابهين، لعلها هي التي تكون عوناً لك عند الشيخوخة، عندما يهيض جناحك ويهن عظمك، وعندما تبلغ من الكبر عتياً، لعلها هي التي تمرضك وتقف إلى جنبك حينما يبتعد نمسك الأقربون من هنا وهناك.

وحبيبك المربي الأعظم يربيك في هذه القضية تربية إيمانية عظيمة فيقول لنا: لا يفرك مؤمن مؤمنة "لا يكره ولا يبغض" إن سخط منها خلقاً رضي منها آخر) يجب أن تكون عادلاً ومنصفاً في تقويم زوجتك، لا تنتظر إلى الجوانب الرديئة منها وتتسى الجوانب الطيبة، ولا تنتظر إلى عيوبها وتتسى مزاياها، لا تركز على مساوئها وتتسى محاسنها، كل إنسان فيه مزايا وفيه عيوب، فيه نقاط ضعف وفيه نقاط قوة، فلماذا تركز على نقاط الضعف، لماذا لا تذكر الجوانب الحسنة.

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

لذا قال لنا صلى الله عليه وسلم: إن سخط منها خلقاً رضي منها آخر.

المربي الأعظم يعلمنا أن نصبر على النساء بصفة عامة حين قال لنا: خلقت المرأة من ضلع وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، شبهها بالضلع الذي فيه اعوجاج، ما هو هذا العوج؟

الغالب أن يقصد به الجانب العاطفي والجانب الانفعالي في المرأة، لأن المرأة أقوى عاطفة وأشد انفعالاً من الرجل، والله تعالى جهزها بهذا الجانب استعداداً للأمانة لهذه الوظيفة التي تحتاج إلى صبر طويل، لولا هذا الجانب ما استطاعت أن تصبر على متاعب الحمل والوحم والطلق، ومتاعب الإرضاع والتربية، وإزالة الأذى عن أولادها.

لابد أن تصبر عليها وعلى لسانها، فإذا بدرت منها كلمة فينبغي ألا تؤاخذها على كل كلمة وكل حرف وكل تصرف، لابد أن تغض الطرف كما قال تعالى عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حينما كان يواجه بعض نساءه ببعض عيوبهن قال: ﴿فَعَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ هذا نوع من التسامح والإنسان الكريم ذو الدين والخلق يجب أن يغض الطرف عن بعض أفعال الزوجة فإنك إن لم تصبر على هذا الضلع كسرتة، والمرأة إن لم تصبر عليها كسرتها، وكسرهما طلاقها فلا ينبغي للإنسان كلما حدث شيء أن يبادر إلى الطلاق، لا، لابد أن يصبر على العشرة العشرة لها حقوقها، وكل من الزوجين يجب أن يصبر على صاحبه ﴿وَأَخْذَنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾.

وإن مما يسهل على العبد بزوجه السيئة أن يعلم أن النساء الصالحات نادر في النساء فسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين لنا أن المرأة الصالحة في النساء كالغراب الأعصم بين الغربان كالغراب الذي فيه بعض البياض وهو نادر في الغربان.

ومما يسهل عليه المصيبة أن يذكر قول السيد الأعظم «رأيت النار، فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن. قيل: أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير (الزوج المعاشرة) ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً. قالت: ما رأيت منك خيراً قط (خ).

فكأن تمرّد المرأة على زوجها وإنكار فضله في إساءة واحدة لا شك أن ذلك يرجع إلى أصل فطرتها وإلى ضعفها الذي جبلت عليه ورحم الله من قال في المرأة:

هي الضلع العوجاء لست تقيمها ألا إنّ تقويم الضلوع انكسارها

أتجمع ضعفاً واقتداراً على الفتى أليس عجيباً ضعفها واقتدارها.

إخوتي بالله: ومن حقوق المرأة وواجب الزوج المعاشرة الجنسية، والله تعالى عرض لنا هذا بكتابه بأدب عالٍ، وبعبارة كنانة، كما قال جدي سيدنا ابن عباس (إن الله حيي كريم يكني عما شاء بما شاء) اسمعوا كيف عبر القرآن عن المعاشرة الجنسية، قال تعالى ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾.

لباس الإنسان أقرب شيء إليه، والصق شيء به فتوحى كلمة اللباس بالقرب واللصوق والدفء والزينة والستر والوقاية.

وفي آية أخرى ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لَأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.

أباح الله تعالى المعاشرة والمباشرة وهذا من حقوق الزوجية، ولا يجوز للمرء أن يهمل زوجته ولا للزوجة أن تتمرد على زوجها، وحينما عَرَّفَ المربي الأعظم أن بعض الصحابة أهمل ذلك كسيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص، حينما زوّجه أبوه امرأة، وكان يتعهد سيدنا عمرو بن العاص كنته سألها مرة عن ولده عبد الله فقالت: نعم الرجل هو، لم يطأ لنا فراشاً منذ أتينا، ولم يفتش لنا كنفاً، فشكاه إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه مشغول بالعبادة. فأرسل إليه الحبيب الأعظم وقال له: ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل قال: بلى، وما أردت بذلك إلا الخير فقال له رسول الله ﷺ: صم وأفطر، وقم ونم، فإن لأهلك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لجسدك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً. (أي فأعط كل ذي حق حقه).

معشر الإخوة: من حق المرأة أن تطلب الولد، ومن واجب الرجل أن يجيئها إلى ذلك هذا هو البيان القرآني يوضح ذلك ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾ أولاداً وأولاداً وأولاداً، هذا حق، وهذه فطرة الله التي فطر الناس عليها، بنين وحفدة إن من الأغراض الأساسية للزواج أن يستمر هذا النوع الإنساني إلى ما شاء الله ليعمر الأرض ويقوم بخلافة الله، وتستمر هذه الحياة البشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أيها الإخوة المؤمنون: ومن الحقوق الزوجية أن يتجمل الرجل لزوجته، ليس كل همه أن يقضي وطره منها ورائحته كريهة، وثيابه غير نظيفة وغير متجمل وغير متزين، هذا ليس من خلق المسلم.

الإسلام يأمر المسلم أن يكون نظيفاً جميلاً، والله تعالى يقول ﴿يا بني آدم خذوا زينتكُمْ عند كل مسجد﴾ ونبينا الأعظم يعصمنا فيقول: "إنَّ الله جميل يحب الجمال" والنبى صلى الله عليه وسلم أمر الناس يوم الجمعة أن يغتسلوا خصوصاً إذا كانوا في عمل وعرق، أن يزيلوا رائحة العرق، وأمر الإنسان إذا أكل ثوماً أو بصلاً أن يعتزل المسجد حتى لا يؤذي الناس.

فكيف يؤذي صاحبه بالجنب، (المرأة هي صاحب بالجنب) يؤذيها برائحته الكريهة وبثيابه القذرة، يجب أن يتجمل الزوج لمرأته كما هي تتجمل له، فقد وقف جدي سيدنا ابن عباس أمام المرأة وهو يتجمل ويتزين ويأخذ من لحيته ويرجل من شعره، فدخل عليه سيدنا نافع تلميذه

الخاص وقال له: ما هذا يا ابن عم رسول الله أتفعل هذا والناس يضربون إليك أكباد الإبل من شرق وغرب يستفتونك في دين الله؟ فقال له سيدنا ابن عباس: وماذا في هذا يا نافع، إني أتزين لأمرأتي كما تنزين لي امرأتي، وهذا في كتاب الله.

قال: أين. قال في قوله تعالى (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) لهن من الحقوق مثل الذي عليهن من الواجبات بالمعروف، فكما أن على المرأة أن تتجمل لزوجها فعلى الرجل أن يتجمل لامرأته، الحقوق متبادلة، كل حق يقابله واجب، على الزوجين أن يراعى كل منهما حق صاحبه، والزوج عليه العبء الأكبر ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة﴾ والدرجة هي أن يتنازل عن بعض حقوقه للمرأة، ويعطيها أكثر مما يجب عليه، هذه هي الدرجة، درجة المسؤولية، أنت أيها الرجل مطلوب منك أكثر مما هو مطلوب من المرأة.

فإذا هبت رياح الخلاف فلا يجوز للرجل أن يسارع بفصل هذا الأمر، وفك هذه العقدة، ونقض هذا الميثاق الغليظ، بل لابد أن يعالج الأمر بحكمة وروية يصبر أقصى ما يمكنه الصبر، ولا يجوز أن يسارع بالطلاق فإنه أبغض الحلال إلى الله، وكما قال مولانا الإمام الغزالي: "لا يجوز هذا الأمر إلا بجناية من جانب المرأة أو بضرورة من جانب الرجل، هو أشبه بالعملية الجراحية. إذا لم تفد الأدوية الأخرى، وليحذر منه فإنه قد يدمر الأولاد، ويكون أثره سيئاً على الأسرة.

وبعد أيها الإخوة: فليس عجباً أن تكون آخر كلمات سيدنا رسول الله قبل أن يتلجج لسانه عند الاحتضار هي الوصية بالنساء فقال: "الله الله في النساء (أي اتقوا الله بهن) فإنهن عوان في أيديكم" (أي أسيرات) فلينظر أحدنا أيها السادة - كيف يعامل أسيرته.

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها:

"إن المرأة خلقت من ضلع، لن تستقيم لك على طريقة فدعها تستمتع بها على عوج."

هنا مدرسة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

القضية الخامسة

الأولاد نعمة عظيمة

الحمد لله الصبور الشكور، العلي الكبير، السميع البصير، ١ العليم القدير. شملت قدرته كل مخلوق، وجرت مشيئته في خلقه بتصاريف الأمور، قدّر مقادير الخلائق وآجالهم، وكتب آثارهم وأعمالهم وقسم بينهم معاشهم وأحوالهم، «وخلق الموت والحياة ليبلوهم أيهم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور».

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله جلّ عن الشبيه والنظير، وتعالى عن الشريك والنظير فـ «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير».

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وخيرته من بريته، وصفوته من خليقته، وأمينه على وحيه. أعرف الخلق به، وأعلاهم عنده منزلة، وأوسعهم عنده شفاعة، بعثه إلى الإيمان منادياً، وإلى الجنة داعياً وفي مرضاته ساعياً، بالمعروف أمراً، وعن المنكر ناهياً، فبلغ رسالات ربه، وصدع بأمره، وقام لله بالصبر والشكر حق القيام حتى بلغ رضاه.

عذراً رسول الله إن قصرت في مدحي فإنّ جمالكم لن يوصفا

جلّلت قدماً ذرةً من نوركم
والله لو ماء البحار بجمعها
قد جمل الرحمن منها يوسف
كان المداد لمدح أحمد ما وفا

يكفيه لقيا في السموات العلا
يكفيه أنّ البدر يكسف نوره
وبحضرة المولى الكريم تشرفا
لكنّ نور محمد لن يكسفا

اللهم صلّ وسلم وبارك وعظم على سيدنا محمد صلاة ملؤها السموات والأرض بعدد من وحد الله وعرفه ودعا إليه، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

الأولاد نعمة عظيمة من نعم الله تعالى في حياة البشرية. جعله الله ليتمتد النوع البشري على ظهر البسيطة، فهم زهرة الحياة الدنيا. «الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا». لذلك يرغبهم الصالحون ليتوصلوا بهم إلى رضا مولانا عز وجل، ولتبقى كلمة التوحيد يحملها كلّ خلف عن سلفه، وفي الحديث النبوي (طب): «لَا يَدْعُ أَحَدُكُمْ طَلَبَ الْوَلَدِ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا مَاتَ وَلَيْسَ لَهُ وَلَدٌ انْقَطَعَ اسْمُهُ».

ومن الملاحظ في هذا العصر التعيس أن الكفار من غرب وشرق وأذنابهم في بلاد المسلمين يروجون فكرة تحديد النسل بين المسلمين، وفي الوقت نفسه يشجعون

الكفار على الإنجاب، وذلك لكي يقل عدد المسلمين ويزداد عدد الكفار، ولهذا حضنا رسول الله على الإنجاب ليكون الولد عزاً للمسلمين وقوة لهم، ففي الحديث (طس): «مَا وَلَدَ فِي أَهْلِ بَيْتِ غُلَامٍ إِلَّا أَصْبَحَ فِيهِمْ عِزٌّ لَمْ يَكُنْ». وقال: «تزوجوا الودود الولود فإني مباح بكم الأمم يوم القيامة».

والأولاد بركة على الآباء، يرزقون بهم ويرفعون عند الله درجاتهم، فهاهو السيد الأعظم يقول لنا: « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ أَوْ عِلْمٌ يَنْتَفِعُ بِهِ أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ » (م).

وفي الحديث (خ في الأدب) أيضاً « تُرْفَعُ لِلْمَيِّتِ بَعْدَ مَوْتِهِ دَرَجَتُهُ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّي أَيْ شَيْءٌ هَذَا؟ فَيَقُولُ لَهُ: وَلَدُكَ اسْتَغْفَرَ لَكَ ».

فالعبد يشتهي الولد ليكون له هذه النعم التي منها الله على عباده بوجود الأولاد والذرية. ولذلك سأل الأنبياء والصالحون رب العزة والجلال أن يكون لهم ذرية صالحة، فعلى موجات سورة الفرقان (٧٤): «وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا». وهاهو سيدنا إبراهيم الخليل وقد عمّر فوق الثمانين ليسأل مولانا ذرية صالحة، فعلى موجات الصافات (١٠٠-١٠١): «رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ. فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ».

وهذا هو سيدنا زكريا وقد بلغ من الكبر عتياً يسأل الله تعالى الولد فيقول: «رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا. رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ». ويشد به الشوق، ويدخل على سيدتنا مريم فيرى عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء فيرفع كفيه وينادي: يا من يرزق مريم الفاكهة في غير أوانها هب لي ولداً بغير أوانه. «رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ»، فَيَأْتِيهِ نِدَاءُ الْإِجَابَةِ لِذُعَائِهِ: «يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى».

إنه الله في قدرته لا يعجزه شيء، رزقه الولد بعد الكبر مع أن زوجته عقيم لا تلد.

معشر الإخوة الكرام:

إننا مع الحلقة الخامسة من سلسلة تربية الأولاد في الإسلام، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم فقولوا: الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله.

إخوة الإيمان:

أمام ظاهرة الأولاد نلاحظ صنفاً من الناس قد امتحنهم الله بفقدان هذه النعمة واختبرهم بحرمانها لحكمة يقتضيها سبحانه فهو القائل:

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ. أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنِثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾.
(الشورى ٤٩ - ٥٠)

أتعرفون لماذا؟

لكي تبقى القلوب متوجهة إلى الله تجار إليه بالدعاء في طلب الولد، فאלله تعالى إن جعل أحداً عقيماً لكن لا يحرمه الأمل في طلب الولد، وقد دلنا على السبيل للإنجاب، دل العقيم (محروم الولد) على كيفية حصوله للولد بكثرة الاستغفار والإنابة والتوبة، يقول تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾.

إنه دواء ناجع مجرب، ولكي نحقق اليوم في قضية العقم اسمحوا لي أن أنتقل بحضراتكم إلى مبعوث العناية الإلهية وشمس الهداية الربانية، إلى المربي الأعظم سيدنا محمد ﷺ. هاهو رجل يقدم عليه يرفع إليه عريضة فيها كلمات قليلة اسمعوها. قال: يا رسول الله ما رزقت ولداً قط ولا ولد لي. فقال ﷺ: «فأين أنت من كثرة الاستغفار وكثرة الصدقة ترزق بها».

يقول الراوي يا سادة ياكرام: فكان الرجل يكثر الصدقة ويكثر الاستغفار، يقول سيدنا جابر: فولد له تسعة ذكور (مسند الإمام أبي حنيفة شر ملا علي القاري ٥٨٧).

أيها السادة: وأحياناً تكون المرأة ولوداً، ولكن يتولد العقم معها من المعاشرة الزوجية وسببه يكون جماع الزوجة وهي في الحيض.

انتبهوا- يا إخوتي- الإسلام ركز عنايته بالجنين وهو في بطن أمه ليخرج إلى الحياة سليماً معافى ومن توجيهاته في هذا الباب نهيه عن إتيان المرأة في المحيض وقاية للذرية من أضراره، وقيل ذلك صيانة للزوج والزوجة معاً. ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ (ينتهين من حيضهن) فَإِذَا تَطَهَّرْنَ (أي اغتسلن) فَاتَّوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾. الزوج مأمور شرعاً باعتزال زوجته أيام المحيض، بل ومكلف بعدم الاقتراب لما بين السرة والركبة ولو بوضع يده على فخذ

زوجته بدون حائل، فهو حرام عند الشافعية لأن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه.

والحقيقة أن المرأة تتحمل الخطر الأكبر في غشيان الرجل لها أثناء الحيض، لأن الطب أثبت أن أعضاءها التناسلية تكون في احتقان، والأوعية الدموية تكون فيها متمددة فيسهل حصول نزيف، كما يسهل دخول الجراثيم فتحدث التهابات موضعية قد تذهب بحياة المرأة، فإن لم تمت أورثتها العقم الدائم. بل قد يصاب الرجل بما يسمى بداء السيلان أو التهاب الأعضاء التناسلية. ولهذا نبهنا الله تعالى لذلك بكلمة واحدة فقال: ﴿هو أذى فاعزلوا النساء في الحيض﴾.

إخوتي في الله: قمة الحياة الزوجية تتبدى في ليلة الزفاف، هذه الليلة الحافلة بالذكريات التي لا تنسى بالنسبة للزوجين، وهي الليلة التي سمح بها السيد الأعظم بنقر الدف فقط والغناء دون أن يسمع للنساء صوت في الحي. فقد أصبح مجتمعنا اليوم بحاجة إلى التوعية في هذه المسألة توعية إسلامية، إذ أن بعض الأزواج يصرفون ما غلا ثمنه ليكون زفافهم في معصية الله عز وجل فيجعلون زفافهم معلناً على الملأ في الشيراتون أو المريديان أو صالات الرقص، ويرافق هذا الزفاف حفلة صاحبة لإحدى المتهتكات من المغنيات أو الراقصات تصحبها فرقة الروك أند رول .

هذا لا يرضى عنه الله ولا رسوله وحرام، ولكي تتم المعصية ويزداد الأمر سوءاً أن الحفلة تكون مختلطة بين الرجال والنساء، ولا يكتفون بهذه المعاصي، بل يخرجون بالسيارات يدورون في البلدة يشهرون بالزوجة على الملأ، فيهتكون قدسية الزوجة الطاهرة المسلمة.

لكن سيدنا رسول الله لا يرضى بقلة الأدب هذه، المربي الأعظم أعطى تعليماته لكل مسلم ومسلمة فلا ينبغي أن نستبدل بأوامره ﷺ كلام أحد. اسمعوا كلام النبي فقط، اسمعوه يقول لنا: **« أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد »**. في المساجد، في بيوت الله، في مكان تنزل فيه رحمة الله، لا في أماكن يتنزل فيه سخط الله وغضبه. وأذكر أن خلافاً نشب بين زوجين، أراد الزوج أن يربي زوجته ويمنعها من الاختلاط مع صحبه. فقالت له الزوجة: -أنت في ليلة الزفاف يوم كنت في قمة زينتي ما منعني أتريد اليوم أن تمنعني؟

أيها الإخوة الكرام: فإذا دخل العبد مخدعه في ليلة الزفاف فعليه أن يصلي بالزوجة ركعتين سنة الزفاف إماماً بها. ثم يتوجهان إلى الله العلي القدير أن يبارك لهما في حياتهما، ويضع كل منهما يده على ناصية صاحبه ويقول الزوج وتردد خلفه الزوجة: اللهم إني أسألك من خيرها وخير ما فيها وخير ما هي له، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما هي له، اللهم إني أسألك من فجأة الخير وأعوذ بك

من فجأة الشر. ويدعوان معاً اللهم اجعل أول هذا الزواج صلاحاً وأوسطه نجاحاً
وأخره فلاحاً.

ولا يَعْجَلْ على زوجته لقضاء وطره، وسيدنا رسول الله يقول: «وليكن بينهما
رسول: القبلة والمداعبة».

وينوي كل منهما قبل الوطء حصول الولد ليجاهد في سبيل الله ليحصل لهما
الأجر والمثوبة. ويدعوان «اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا». فهذا
الدعاء له سر عظيم في التربية الإسلامية للولد. علمنا إياه سيدنا رسول الله فقال: «
لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا فإن
كان بينهما ولد لم يضره الشيطان أبداً».

كذا عليهما أن يستترا ليبقى الجو إنسانياً إسلامياً وتنزل رائحة الشهوة الحيوانية، ولهذا يقول المربي
الأعظم: «إذا أتى أحدكم أهله فإنه إذا لم يستتر استحييت الملائكة فخرجت، فإن كان بينهما ولد
كان للشيطان فيه نصيب»، ولكي لا يراهما إبليس العين فإن من السنة أن يدعو الزوجان ويقولان قبل
التكشف: (بسم الله الذي لا إله إلا هو).

هذه هي التوجيهات النبوية في صدد الليلة الأولى من عمر الحياة الزوجية.
فمن أراد أن تتبدى ثمار الزوجية الإسلامية على صفحات حياته الإيمانية فليبق
معنا هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ. الجالس فيها عليه أن يرفع
التحية للحبيب الأعظم وتحيتنا إليك يا رسول الله:

الصلاة والسلام عليك

القضية السادسة

الأجنة في الأرحام

الحمد لله رب العالمين، موجد الأشياء بلا معين، مالك يوم الدين، الذي أظهر الإنسان من سلالة من طين، ثم جعله نطفة في قرار مكين، ثم خلق النطفة علقة سوداء للناظرين، ثم خلق العلقة مضغة وهي قطعة لحم بقدر أكلة الماضغين، ثم خلق المضغة عظاماً مختلفة المقادير أساساً يقوم عليه هذا البناء المبين، ثم كسا العظام لحماً هو لها كالثوب للابسين، ثم أنشأ خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واحد أحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه، وأمينه على وحيه، وحجته على عباده، أرسله رحمة إلى العالمين، وقدوة للعاملين، فهدى به من الضلالة، وعلم به من الجهالة، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة سيدي أبا القاسم يا رسول الله

يا من له الأخلاق ما تهوى العلا فيها وما يتعشق الكبراء
زانتك بالخلق العظيم شمائل يغرى بهن ويولع الكرماء
صلّى عليك يا علم الهدى صلى عليك الله ربّي وسلما
اللهم صل وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم، والسيد السند الرؤوف العظيم
سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وأصحابه وعترته وأنصاره وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد فيا معشر الإخوة الكرام:

الثمرة الأولى التي تظهر من ثمار الحياة الزوجية: الولد، يخلقه الله تعالى بقدرة قادرة، فانه تعالى كما خلق سيدنا آدم من ماء وتراب وخلق سيدنا عيسى من غير أب، وخلق ناقة صالح من الصخر الأشم يخلق الولد من صلب الرجل وترائب المرأة ليعلمنا أنه القادر المقتدر (جلّ جلاله).

وهنا تتبدى عظمة الخلق الإلهية بعملية تشكيل الجنين الأولى، وتبدأ معها عملية التصوير الإلهية ﴿يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك. في أي صورة ما شاء ربك﴾ إنّنا مع تشكيل الجنين في الحلقة السادسة من ملف تربية الأولاد في الإسلام، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم للمربي الأعظم

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله.

وخير ما نستهل به درسنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورتي آل عمران ولقمان:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ (آل عمران ٦).

﴿إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، إن الله عليم خبير﴾ (لقمان ٣٤).

إخوة الإيمان:

هذه الآية تبين أن الله تعالى اختص بعلمه أشياء لم يُطلع عليها أحداً من خلقه، من ضمنها (ما في الأرحام) أرحام النساء والحيوان وبقية المخلوقات، فهذه الآية نص صريح ينفي أي علم للبشر في هذا الموضوع ﴿وما تحمل كل أنثى ولا تضع إلا بعلمه﴾ (فاطر ١١).

ومن هذا القبيل جاءت الأحاديث النبوية الشريفة لتوضح وتبين اختصاص هذا العلم بالباري عز وجل، فعن ابن عمر رضي الله عنه (خ) يقول صلى الله عليه وسلم: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله». (٧٣٧٩ التوحيد)

هذه المفاتيح لا يعلمها إلا الله، سواء كان علماً شاملاً أم علماً جزئياً، كله منفي عن غير الله تعالى.

والقضية المراد بحثها اليوم هي الأجنة في الأرحام، فالبيان النبوي وضّح لنا ما هو مفتاح الغيب فيها فقال: مفتاح الغيب هو ما تغيض الأرحام.

فإذا استعرضنا الآية القرآنية على موجات سورة الرعد ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار﴾.

هذه الآية تخبرنا أن تعلق الجنين بالرحم على نوعي تعلق: غيض وازدياد ﴿ما تغيض الأرحام وما تزداد﴾، والحديث الشريف حدّد أن مفتاح الغيب هو الغيض، ولم يذكر الازدياد فدلّ على أن الرحم في مراحل الازدياد يمكن أن يكشف عن الجنين.

وأريدكم - أيها السادة - أن تنتبهوا إلى هذه القضية اليوم، للرد على من يقول: إنه يمكن معرفة الجنين قبل التكوين، وللردّ على علماء الأجنة الذين يدّعون أنهم يستطيعون أن يشكّلوا جنيناً ويعيّنه ذكراً أو أنثى.

إن الله تعالى يتحدّى البشر وغيرهم أن يعرفوا نوع الجنين، كما تحداهم من قبل أن يأتوا بسورة من القرآن، يتحدّى علماء القرن العشرين ومن بعدهم أن يكتشفوا في مرحلة الغيض: هل الجنين ذكر أو أنثى، فما هو الغيض؟

الغيض يأتي بمعنيين: النقص أو الغور كما عبّر به القرآن في ماء الطوفان زمن سيدنا نوح فقد قال عز وجل في كتابه الكريم:

﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك، ويا سماء أقلعي، وغيض الماء﴾: أي غار ونقص، نقص حتى بقي هذه البحار، وغار في أعماق الأرض (أي ابتلعه) فالغيض إما نقص أو غور، أو هما معاً وهو الأتم والأفضل، فهل في مراحل المرأة غور ونقص؟

الجواب: نعم، هي في العشر الأيام الأولى من الحمل، فالمياه المنوية كلها تغور في جسم المرأة، ويحدث لها نقص أثناء سيرها وغورها، فيقع الغيض، وفي هذه المرحلة من مراحل الحمل الأولى لا أحد يستطيع أن يعرف ما هو حمل المرأة إلا الله تعالى، بل لا تعرف المرأة نفسها هل هي حامل أم لا، وتكون النطفة في الأيام العشرة تجري في جسمها وتغور في الرحم وتأتيها المدد من الدماء، وترتبط بجسم المرأة، عندئذ فيحدث لها أشياء تنعكس على جسم المرأة فيمكن معرفته بعد الأيام العشرة الأولى، أما في خلال الأيام العشرة فلا يستطيع أي باحث اليوم أن يقول لنا هل المرأة حامل أم لا؟ فضلاً عن معرفة صفة الحمل وحقيقته.

إذاً يمكن لنا أن نقول: إن مرحلة الغيب هي مرحلة الغيض.

ويبدأ في اليوم الثاني عشر ما يسمى بالازدياد، ويبدأ الجنين يظهر بشكل ندبة في جدار الرحم ثم يزداد، وفي الأسبوع السابع يعرف الأطباء الجنين عند تكوين الخصيتين ببعض الإفرازات، وعند تكوين الأعضاء التناسلية في الأسبوع الحادي عشر والنصف أو الأسبوع الثاني عشر، ثم يعرفون بعد ذلك أو عفواً يكتشفون عن طريق الأجهزة المرئية ذلك في الشهر السادس.

وفرق كبير بين العلم وبين الاكتشاف، يكتشفون بعض النواحي لا جميعها، وفي أثناء هذا الاكتشاف تحدث الأخطاء، فما دام يحتمل عملهم الخطأ فلا يسمى علماً.

عرضت امرأة على الجهاز المرئي للأجنة فقال لها الطبيب: ولدك ليس فيه رأس (جنين بدون رأس)، وكادت المرأة أن تفقد صوابها وخاصة بعد أن أمرها الطبيب بعملية الإجهاض.

وذهبت تسأل شيخنا الشيخ الصادق حنكة شيخ الميدان وسيد علمائه فأمرها بالصبر وعدم الإجهاض وخاصة أنها لا تجد ألماً، والآن هذا الولد الذي بلا رأس يقوم بالدوام بالمدرسة مع الطلاب معافى سليماً بلا أذى، وكذب جهاز الأجنة وكذب الطبيب، وصدق الله العظيم.

إخوتي في الله: لا تصدقوا الذين يقولون: إنهم يستطيعون أن يتحكموا بالحيوانات المنوية ويستطيعون اختيار الذكر والأنثى. الذي قالوا هذا الكلام قالوه بشكل نظري، أما بشكل عملي فلم يستطيعوا، لأنهم عملوا محاولات كثيرة ليفصلوا الحامل الوراثي، وهذا لا يتم إلا عند الفحص الدائب لبيحثوا عن المنوي، ثم يدخلوه تحت الميكروسكوب ويعرفوا أنه يحمل واي ٧ (لا إكس X) أي ذكراً أو أنثى، ولكن يكون عندئذ قد مات ولا يصلح للإنجاب والنماء.

فالنتيجة: لا يعلم ما في الأرحام أحد إلا الله تعالى.

وهنا أثناء تقريرتي لهذه الحقيقة يقوم طالب من الطلاب فيسأل بهدوء ويقول: إن الملائكة تعرف عن الجنين إن كان ذكراً أو أنثى؟ فقلت له: وكيف؟ فقال: إن سيدنا رسول الله أخبرنا عن ذلك فقال: «إنَّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد». فهذا الحديث يبين أن الملك يعرف ذلك.

فقلت له: استنباط جميل، لكنه في غير محله لأنه يمكن الجمع بين هذا الحديث والآية
الكريمة فنقول:

قبل علم الملائكة لا يعلم أحد إلا الله، أما بعد علم الملائكة يكون قد خرج ذلك من
الاختصاص بعلم الله تعالى، فكما أن الملائكة علمت يمكن لغيرهم من البشر أن يعلموا ذلك.

معشر الإخوة الكرام:

كانت هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها:

«مفاتيح الغيب خمس! لا يعلمهن إلا الله منها: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله تعالى»

فما هي الخطوات الأولى لاستقبال المولود؟

أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الحلقة القادمة بإذن الله تعالى، هنا مدرسة سيدنا محمد
ﷺ، الجالس فيها عليه أن يرفع التحية للحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا رسول الله:

الصلاة والسلام عليك.

القضية السابعة

أحكام المولود ١ - ٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ابتدأ الإنسان بنعمته وصوره في الأرحام كيف يشاء بحكمته وجعل له السمع والأبصار وأخرجه من ظلمة الأحشاء إلى سعة الأرض والفضاء ورياه بإحسانه وغذاه بنعمة وأجرى له رزقه إلى أن صيره إلى ما إليه صار أحمد سبحانه وتعالى وأشكره شكراً كثيراً يوجب المزيد بالنعم والحق بالأبرار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا وزير له ولا قرين له وهو الواحد القهار وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله شهادة تحيا عليها وتموت عليها ونبعث عليها يوم البعث والانتشار.

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه بعدد ما أظلم عليه الليل وأضاء عليه النهار وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر السادة الكرام:

تبدأ عملية الحمل ورعاية الله للجنين وهو في بطن أمه ينقله من حال إلى حال، وتبين لنا الآيات القرآنية نفسية الأم الحامل، وتأثرها من آلام ومتاعب جسدية ونفسية لم تجدها من قبل، وإن لحظة خروج المولود من اللحظات الحرجة لكلا الزوجين، و(أذكر أن رجلاً حمل أمه على ظهره حاجاً بها من اليمن وراح يطوف بها فرأى سيدنا عبد الله بن عمر فقال له: حملتُ أمي حاجاً بها من اليمن أتراني وفيتها حقها، فقال ابن عمر: لا ولا بطلقة واحدة منها أثناء الوضع، شتان بين حملها بك وحملك لها).

إن الآيات القرآنية صورت لنا هذه اللحظات في صورة السيدة مريم رضي الله عنها الولية الصالحة المبرأة من كل إثم فعلى الموجات العاملة من سورة السيدة مريم:

﴿فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت: يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً﴾ إن الله جلت قدرته يأمر السيدة مريم أن تأكل البلح لا لغذائها فقط بل لمساعدتها في ولادة سهلة في وحدتها، فوصف لها الرطب لتأكل منه لتقوم هذه الرطب بدور الدواء الذي غالباً ما يصفه الأطباء في العصر الحديث للحامل قبل الولادة.

إنها معاناة صعبة تلك التي تعاينها المرأة الحامل لذا أعفاها الإسلام من الصوم إذا كان فيه خطر على حياتها وصحة جنينها.

والحقيقة أن من طامات العصر الحديث أن عرّض المرأة للعمل ناسياً أن حواء ما زالت وستظل دائماً المنبع الوحيد للأجيال وأنه يجب علينا حماية المرأة من العمل في المعامل والوظائف ليظل هذا المنبع هادئاً سليماً صافياً حتى تخرج الذرية سليمة من العيوب والعاهات، لئلا يخرج الولد أبلهاً، لأن العلم الحديث أثبت أن الأم العاملة تبقى مرهقة الأعصاب ممزقة القلب حزينة النفس تعالج إرهاقها بالمهدئات التي تسبب تشوه الأجنة التي قد تستمر حتى الشهر السادس.

أيها الإخوة: إن المرأة في الساعات الأخيرة للوضع تكون شديدة العصبية مرهقة الحس، هي بحاجة إلى التوجه بالدعاء إلى الله تعالى، وبقدر تضرعها إليه بصدق وإخلاص وتجديد التوبة النصوح بقدر الذي ييسر الله تعالى عليها ولادتها ويهيء لها أسباب تحمل آلام المخاض ومشاقه ويكفي أن مولانا في كتابه بين آلام الحمل والمخاض فقال جل وعلا: ووصينا الإنسان بوالدين حملته أمه وهنا على وهن.

وعلى موجات سورة الأحقاف ١٥: ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً.

لكن مما يسهل الوضع ما أجازته مشايخنا لنا أن يكتب العبد آيات من القرآن من سورة الانشقاق على ورقة وهي قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ. وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ وَأَلْقَتْ﴾ تكتب وتوضع تحت ظهر المرأة فإن الله ببركتها ييسر لها الوضع.

وعليها أن تتوجه بالدعاء إلى الله تعالى، فقد ورد أن أبا السري منصور بن عمار أصاب أمه وجع الولادة، وعندها قابلتها، وهو صبي بين يديها.

فقالت له: يا منصور بادر إلى أبيك فادعه، فقال لها: أتستعين في حال الشدة بمخلوق، ولا يضر ولا ينفع، وأكون أنا رسولك إليه. فقالت أمه: الساعة أموت.

قال لها: قولي يا الله أغثني. فقالت الأم بصدق: يا الله أغثني، فوضعت جنينها بإذن الله تعالى. أحكام المولود.

إننا معشر السادة مع الحلقة السابعة من سلسلة تربية الأولاد في الإسلام. ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم فقولوا الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله.

أيها الأحبة والصحب: أول حكم يتعلق بالمولود أن يخرج زكاة فطر إذا ولد قبل غروب شمس اليوم والأخير من شهر رمضان.

وثانية: استحقاق الميراث إذا مات مورثه هكذا قضى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الصبي لا يرث حتى يستهل صارخاً واستهلاله أن يصيح أو يبكي (حب - أحمد).

شكر الله تعالى على هذه النعمة الجديدة.

واسمع معي إلى حبيبك الأعظم كيف يكون شكر الله تعالى يقول صلى الله عليه وسلم (أبو يعلى في مسنده): ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أو ولد فيقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، فيرى فيه آفة دون الموت.

فعلى العبد أن يشكر على هذه النعمة العظيمة التي حرم الله منها غيره، يقول جدي سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله يقول (طب): إذا ولدت الجارية (البنات) بعث الله عز وجل إليها ملكاً يزف البركة زفاً يقول: ضعيفة خرجت من ضعيفة، القيم عليها معان إلى يوم القيامة وإذا ولد الغلام بعث الله إليه ملكاً من السماء فقبل بين عينيه وقال: الله يقرئك السلام.

ورابع ملك الأحكام: الأذان في أذنه اليمنى والإقامة في أذنه اليسرى، فإن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن في أذن جدي سيدنا الحسن بن علي حين ولدته جدتي السيدة فاطمة، أي أذن بأذن الصلاة (أحمد - ت) ونبهنا في حديث آخر من فعل ذلك لم تقتله أم الصبيان، أي التابعة من الجن.

والأذان شعار الإسلام وإعلام بأن الوليد محمدي سني، فيكون أول ما يقرع سمعه كلمات الشهادتين والصلاة والتكبير ليكون تلقيناً له عند خروجه من بطن أمه كما يلقي التوحيد عند خروجه من الدنيا، والحقيقة أننا فائدة الأذان في أذن المولود فائدة جلية منها هروب الشيطان من كلمات الأذان لئلا يقرب المولود، ألم تسمع قول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم (قال): ما من بني آدم مولود إلا ينخسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخاً من نخسه إياه إلا مريم وابنها لقول جدته حنه: وإني أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم.

إخوتي في الله إنها نعمة عظيمة نعمة الولد لذلك ندبنا الإسلام إلى تهنئة الوالدين رزق البشري إليهما كما فعلت الملائكة حين بشرت الأنبياء والرسل الكرام فهذا سيدنا زكريا تبشره الملائكة بسيدنا يحيى الحصور فعلى موجات سورة آل عمران (٣٩):

﴿هناك دعا زكريا ربه رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء، فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصداقاً بكلمة من الله وسيداً وحسوراً ونبياً من الصالحين﴾.

وعلى موجات سورة مريم (٧): ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً﴾.

إن المسارعة في التهئة وزف البشر تزيد من دخول السرور على قلبي الوالدين، وفي الحديث من أدخل السرور على قلب مسلم خلق الله من ذلك السرور ملكاً يؤنسه في قبره.

وتكون التهئة بصيغة إسلامية بحثة بدون مبالغات وتنبؤات بعلم الغيب، فقد ولد لرجل ولد فهناه صديقه وقال: ليهنك الفارس. فقال له سيدنا الحسن البصري وما يدريك أنه فارس، قل جعله الله مباركاً عليك وعلى أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. ثم قال له: بورك لك في الموهوب وشكرت الواهب ورزقت برّه وبلغ أشده.

أيها السادة: ومن أحكام المولود تحنيكه بشيء حلو والأفضل بثمرة، لأن المربي الأعظم (م) كان يؤتى بالصبيان فيبزيك عليهم (يدعو لهم ويمسح عليهم) ويحنكهم أي يخضع الثمرة بطريقة الشريف ثم يدلّك به حنك الصغير.

إنني أدعوكم اليوم جميعاً لأزور معكم سيد العالمين قاطبة سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم، لكن ونحن في طريقنا لزيارته علينا أن نكثر من الصلاة عليه.

ها هو سيدنا أنس خادم سيدنا رسول الله يحكي لنا قصة غريبة عجيبة عن أمه التي تزوجت من صحابي بعد وفاة أبيه (خ) وأحب اليوم معكم أن أستعيض بشرح قضية يمر عليها الناس مرور الكرام، وإن كان في ثناياها استطراد لكنها لها صلة بموضوعنا، سيدنا أنس تزوجت والدته السيدة أم سليم سيدنا أبا طلحة، وسيدنا أنس يحكي لنا بعض ذكرياته مع أخيه لأن بلا غضاضة أو تبرم من زواج أمه بغير أبيه، مع أن الكثير من الناس يرفضون بشدة أن تتزوج أمهم من غير أبيهم أو يتزوج أبوهم من غير أمهم، فيثور الأبناء حفاظاً على الثروة وضناً بنصيب الزوجة المرتقة ليبقى حال أبيهم لهم كاملاً، هم يحافظون على الثروة ولا يحافظون على كرامة أبيهم، إنه رجل يبحث عن نصفه الآخر فراراً من الوحدة القاتلة، وليجد من يعتني به عند هرمه وشيخوخته، صحيح ربما يظهر أن زواجه غير ضروري ولكن ما رأيكم دام فضلكم - أيها الأبناء الأوفياء - لو منعتموه فوضع شهوته الباقية هذه... في الحرام.

ماذا يبقى من كرامتكم جميعاً، حتى لو كان هو الخطأ الأخير في حياته، هذا جانب، انظروا إلى الجانب الآخر، ماذا يكون موقف الأولاد عندما تكون الأم هي التي تضعها في حرام ستندمون أشد الندم.

أيها الأولاد الأوفياء: أيهما أكرم أن يضعها في حلال أم يضعها في حرام؟ وماذا يكون نصيب الزوجة من القلة والضالة إلى جانب الخسارة الفادحة لو انحرفت بالوالد أو بالوالدة شهوة جامحة.

إنني أتحدث هذا الكلام عن خبرة وعلم وتجربة في حل مشاكل الزوجات أو الآباء مع الأبناء.

ومن يدري فلعلّ الذين يمنعون الأم أو الأب من الزواج حماية للميراث يموتون هم ويرثهم آباؤهم.

معشر الإخوة الكرام: إذا كنت معكم اليوم نحاول أن نؤسس قواعد الأسرة في الإسلام فلا يفوتنا أن نقف وقفة متأملة أمام سيدنا أنس يعطينا مثلاً للولد الطاهر البار، أن أقف معكم مع السيدة الطاهرة العاقلة أم سليم فيما فعله مع زوجها أبي طلحة.

أبو طلحة الذي خرج مسافراً وقد ولده مريضاً وهو يدعو له بالشفاء العاجل، فإذا بالصبي يموت في غيبة أبيه. ويرجع أبو طلحة ليلاً وأول سؤال سألته: ما فعل ولدي؟. قالت أم سليم: هو أمكن ما كان.

(صدقت ولم تكذب، لأن ولدها هاهنا هدوءاً أبدياً).

وانظروا كيف تحتفظ المرأة الرضيعة بأعصابها كالحديد، رغم أن قلبها يتقطر حزناً على فراق ولدها اسمعوا الأعجب: إنها الآن تعدّ نفسها لقضاء زوجها ليوافقها زوجها حتى إذا نقلت إليه النبا المفجع لا تتأثر صحته، وتزينت له فأصاب منها، ثم جلست إليه تعرض عليه قضية قالت له: ما رأيك بفعل جيران لنا عندهم وديعة لآخرين (أمانة) ويرفضون في غيبتك أن يردوا الأمانة لأهلها، فأنكر أبو طلحة أن يرفض الجيران ردّ الوديعة لأهلها وهنا قالت الزوجة الوفية: إن ولدك فلان كان وديعة عندنا وقد استرد الله وديعته، فإياك أن تتكلم ببنت شفة.

فقام أبو طلحة وهو يسترجع في ألم يوارى ولده وهو مذهول مما فعلته زوجته في هذه الليلة، وكيف عرّس معها في ليلة وفاة الصبي، فلما أصبح ذهب إلى طبيب القلوب وحكى له ما فعلته زوجته فقال له سيدنا النبي: اللهم بارك لهما في ليلتهما.

يقول الراوي . يا سادة يا كرام . فولدت أم سليم ولداً وقبل أن ترضعه قالت لزوجها أذهب به إلى رسول الله فأخذ الحبيب الأعظم الغلام بين يديه وحنكه بتمره فكان أول شيء دخل الطفل ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان في الأنصار شاب أفضل منه (أحمد / ٨٨ - ق).

وهكذا معشر العبادة كنت مع حضراتكم مع بعض أحكام المولود، فما هي بقية الأحكام؟
أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذنه تعالى وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحيتنا إليك يا رسول الله الصلاة والسلام عليك.



القضية الثامنة

اختيار اسم المولود

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلية ذاته، المجيدة صفاته القديمة أسماؤه وآياته، الظاهرة أفعاله الباهرة أنواره، المتصرفة أقداره فسبحان من لا أرض تسعه ولا سماء تكتنفه وتحويه.

أحمد سبحانه وتعالى حمداً منه بدأ وإلى صفة الشكر يعود، وأثنى عليه ثناء لا يحصى متعلقاً بصفة الشكر غير معدود.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مالها من حدود، متعلقة بذاته العلية مشتملة على ذرات الوجود.

قال لنا: ﴿الله الأسماء الحسنی فادعوه بها﴾ وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أشرف ما في الوجود حدثنا عن أسمائه فقال:

﴿أنا أحمد وأنا محمد وأنا الحاشر وأنا العاقب﴾ حتى جمع صلى الله عليه وسلم أكثر من ألفين اسم وصفة.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا محمد صلاة متصلة الوصل ما لها حدود، متألئة الأنوار في كل الأقطار، وعلى آله وصحبه ما أشرق قمر التوحيد، وتلألأت كواكب السعود وسلم تسليماً.

أما بعد فيا معشر الإخوة الكرام

أدخل اليوم مع حضراتكم إلى حياة الطفل في يومه السابع، ذلك اليوم الذي فيه يسمى المولود باسم حسن ويكنى كنية شريفة ويطلق فيه شعره وينسك عنه نسيكة ويختن.

إننا باختصار مع الحكم الأول من الإطعام الأربعة للمولود في اليوم السابع مع الحلقة الثامنة.

من سلسلة تربية الأولاد في الإسلام، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم تقولوا: الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله معشر الإخوة الكرام إن للاحسن موقعا في النفوس عند أول سماعه وله أهمية كبرى في حياة الإنسان هو ثلث الشخصية ذلك إن للإنسان اسماً وصفة وفعلاً.

فالاسم ثلث شخصيته ينادى به في الدنيا كما ينادي به على الملائكة يوم القيامة ففي الحديث (د).

﴿إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم﴾.

وقد وضع لنا المربي الأعظم صلى الله عليه وسلم القواعد العظمى في كيفية اختيار اسم المولود أولاها أن يكون حسناً وثانيها أن يكون صادقاً.

لم يترك الأمة تلعب الأهواء برؤوسها تختار من الأسماء ما يرضي الغرور ويثير الشهوات أو يميت النخوة.

إن الإسلام عندما يختار اسماً شريفاً لأتباعه إنما يريد منهم أن ينشئوا رجالاً يزود بهم عن حياض الوطن، يشرفون بهذا الاسم الذي يحملونه ويكتبونه على كتبهم ويصفونه على أبواب بيوتهم يعلنون من خلال ذلك أنهم أمة مسلمة الإسلام لا يريد شباباً يتسكعون في الطرقات يحملون الأسماء المدلعة يميلون شعورهم ذات اليمين وذات الشمال ويقفون على أطراف الأزقة ي مضغون العلك الإسلام لا يريد علاكين.

يغيرون الألفاظ العربية بأخرى أجنبية يستكفون أن ينطقوا باسم العم والخال فيقولون: (أونكل)، الإسلام لا يحب لأتباعه أن تؤثروا الأسماء الأجنبية على العربية.

هؤلاء مخطئون في حق دينهم أولاً، ثم في حق أنفسهم وأولادهم ثانياً، لأنهم يتطلعون إلى الغرب الكافر ويتخذونه قدوة فخطوة فخطوة (حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوه).

يسعون إلى حل عري الشخصية الإسلامية عروة عروة، قد يبدو هذا أنه مخالفة صغيره لكنها ستخلف آثاراً سيئة في عالم الواقع ومعظم النار من مستصغر الشرر.

قد كان الجهل من بعض الناس وقد سمى ولده مصطفى أن يغير اسم ولده إلى (خالد - لا سيد: لا).

لقد سماه ميمي تدليلاً له، بالله عليكم كيف سيشب هذا الطفل على هذه المناداة، كيف سيبنى أبوه شخصيته الإسلامية.

الإسلام يريد أمة مجاهدة قوية الشخصية (فالمؤمن القوي عنده خير من المؤمن الضعيف) يريد شجاعة لا مياعة، يريد رجالاً لا أولاداً، يريد حياة كريمة للشعوب لا إماتة لمبادئه وخصائصه.

أيها السادة - أيها العرب - أيها المسلمون.

كان العرب في الجاهلية يسمون أبناءهم بشر الأسماء نحو كلب وذئب وفهد لتقع الهيبة في قلوب أعدائهم، يذكر أن امرأة تحرش بها رجل في الجاهلية وأولادها بعيدون عنها، فقالت: لئن لم تنته لاستصرخن عليك سباعي، فقال لها: ما أرى بالوادي أحداً منهم، أو تفهم السباع عنك. فقالت: نعم، ثم نادت: يا كلب يا ذئب يا فهد يا دب يا سرحان يا أسد. فجاء أولادها يتعادون جميعاً ويقولون: ما خبرك يا أمه، فقالت: أضيفوا هذا الرجل وأحسنوا ضيافته.

فماذا فعل الإسلام بأبنائه؟

عندما جاء الإسلام أراد أن يدخل الحق كل بيت، وأن يكون تسمية الأولاد مقرونة بالتوحيد وبأسماء الله تعالى وأسماء الأنبياء والصحابه والصالحين تيمناً أن يكتسب المولود من اسمه نصيباً من الصلاح والتقوى.

اسمحو لي أن أنقل لكم اليوم أول التوجيهات النبوية في تعيين اسم المولود بعد أن ترفعوا تحيتكم إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنا (م).

((أحب الأسماء إلى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن)).

و ((أصدقها حارث وهمام، وأقبحها حرب ومرة)).

ثم اسمحو لي الآن أن أنقل بحضراتكم إلى هناك إلى العصر الذهبي للإسلام حيث القائد الأعلى للأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ها هو بجوار الكعبة يجلس في حجر إسماعيل فيرى زوجة عمه العباس فيناديها يا أم الفضل. قالت: لبيك يا رسول الله.

قال: أبشرك بأنك حامل بسلام.

قالت: كيف؟ قال هو ما أقول لك فإذا وضعته فأتيني به. وتمضي الأيام والشهور فتضع أم الفضل ولدها وتأتي به إلى سيدنا رسول الله فيسميه اسماً شريفاً عظيماً فيه معنى العبودية لله يسميه: عبد الله.

ثم بشرها فقال لها: اذهبي به فلتجده كيساً (عاقلاً رزيناً)

تقول أم الفضل فأتيت العباس فبشرته ببشارة رسول الله، فأتى جدي العباس إلى رسول الله وكان رجلاً جميلاً مديد القامة فلما رآه رسول الله قام إليه فقبل ما بين عينيه وأفدده عن يمينه ثم قال: هذا عمي فمن شاء فليباه بعمه، فاستحيا سيدنا العباس فقال له سيدنا النبي ولم لا أقول! وأنت عمي وبقية آبائي والعم والد)) هذه هي مبادئ رسول الله وهذه هي أخلاقه، لقد غدا هذا الغلام الذي سمّاه عبد الله أعلم أهل عصره في مكة المكرمة، ومن منا لا يعرف سيدنا عبد الله بن العباس حبر الأمة وعالمها، أتدرون لماذا؟ لأنه اختار رسول الله.

وقد ولد لأحد الصحابة مرة غلام (م) فسمّاه محمداً، فقال له قومه: لا ندعك تسمي باسم رسول الله.

قال: فانطلق الصحابي بابنه حامله على ظهره فأتى به سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ولد لي غلام فسميته محمداً فقال لي قومي: لا ندعك تسمي باسم رسول الله. فقال عليه الصلاة والسلام: تسموا باسمي ولا تكونوا بكينيتي.

وقال (حسن): من ولد مولود فسمّاه محمداً محبة بي كان هو ومولوده في الجنة)).

أيها الإخوة: وإذا سمّاه باسم سيدنا محمد فعليه أن يحترمه فلا يقبحه ولا يسبه إكراماً لسيدنا رسول الله، ومن عظيم فعل أهل المغرب أن من سمّوه محمداً ينادونه سيدي محمد. تعظيماً وتوقيراً لصاحب الاسم الأول.

فإذا سمّاه فلا بأس أيضاً أبو فلان - فقد كان صلى الله عليه وسلم يفعل مع بعض الأطفال مازح مرة غلاماً اسمه عامر طار طيره من قفصه، فجلس حزينا فلقبه رسول الله فقال: يا أبا عمير ما فعل النفير، ما فعل العصفور...

علينا أيها المسلمون أن نراجع حساباتنا علينا أن نعود إلى تباھينا بأسماء الأنبياء والصحابة وخاصة إذا سمينا أولادنا بأسماء قبيحة سمّي أحدهم ولده باسم (ناره) أتدرون ناره هذا ما اسم أبيه، اسم أبيه جمرة.

لقد كان من هديه صلى الله عليه وسلم أنه كان يغير الأسماء القبيحة (ت) جميلة (م-د) ذلك إن الاسم له أثر على صاحبه أليس أبو لهب اصلاه الله ناراً ذات لهب.

إنني أذكر أن سيدنا سعيداً بن الحسيب حدثنا عن أبيه أن أباه (أي جد سعيد) جاء إلى النبي فقال: ما اسمك؟ قال: حزن. قال: إنما سهل قال غلا غير اسماً سمانيه أبي قال ابن المسيب: فما زالت الحزونة فينا بعد (أي صارت الخشونة سمة الأسرة المسيب لأنها خالفت توجيه رسول الله تمسكاً بتقليد الآباء...

إنه قدم على رسول الله عبد بن عوف بن أحزم (مسند أحمد ٨/٢) وكان كافراً قال: له رسول الله من أنت؟ فقال: عبد بن عوف قال: بل أنت عبد الله. فأسلم الرجل الساعة ببركة تسمية النبي له عبد الله.

فانظر كيف تغير الاسم فبدأ التغيير الكبير في حياته بالإسلام.

بل كان من هديه صلى الله عليه وسلم أنه إذا أراد استعمال رجل من أصحابه كلف صاحب الاسم الحسن الخير ليقوم بالمهمة، نرى ذلك حين رأى مرة مع أصحابه حلوباً (عنزة) فقال: من يحلب لنا هذه الحلوب؟ فقام رجل فقال له: ما اسمك. فقال: مرة.

فقال له اجلس. ثم سأل ثانية من يقوم بحلبها فقام رجل اسمه حرب، فأجلسه، ثم قام رجل يقال له: يعيش. فقال له: رسول الله: أُحلب.

يعيش اسم يدل على الخصب والحياة.

إخوتي في الله: فهل طبق الصحابة اختيار الأسماء لأولادهم والتزموا هذا المنهج الإسلامي؟

أدعوكم الآن لنزور أحد العشرة المبشرين بالجنة هو سيدنا الزبير بن العوام يقول:

إن طلحة بن عبيد الله التميمي يسمى بنيه بأسماء الأنبياء وقد علم أن لا نبي بعد محمد، وإني اسمي بني بأسماء الشهداء لعلهم أن يستشهدوا. اسمعوا إلى أسماء أولاده عبد الله (شهيد

أحد) حمزة (شهيد أحد)، جعفر (شهيد غزوة مؤته) مصعب (شهيد أحد)، عبيدة (شهيد غزوة بدر) خالد وعمر وعروة والمنذر.

وهكذا **معشر السادة** يضع الوالد المسلم قدم ولده على طريق الجهاد والإسلام منذ اللحظة الأولى يسميه باسم بطل مجاهد واسم نبي رسول لينطلق من وراء الاسم يحمل روحه كما يحمل اسمه ويبني شخصيته على غرار الشخصيات الفذة الإسلامية.

إن منهج الإسلام في التسمية ما زال حياً يأمرنا أن نظهر فيه شعاراتنا ورجالاتنا وأبطالنا، لنكون من بعد كما من كنا قبل خير أمة أخرجت للناس.

هنا مدرسة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إليه، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله الصلاة والسلام عليك

القضية التاسعة

أحكام المولود في يومه السابع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي غرس في قلوب الصالحين معرفته، وأقام على الفطرة السليمة دينه، وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليفة قال له مولانا عز وجل.

﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾.

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين قاموا بشريعته وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا معشر الإخوة الكرام:

لا تنتهي مسؤولية الوالد إزاء الولد باختيار أمه الصالحة، بل إن ميلاد الطفل يكون بداية لمرحلة طويلة تبدو مسؤولية الوالدين فيها خطيرة، ومن أهم هذه الخطوات كما ذكرته لكم في الجمعة الماضية التسمية والعقيقة وحلق شعر المولود والاختتان.

يتم هذا كله ضمن الصبغة الإسلامية (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة)، لا أحد.

لا ينبغي تجاهل هذه الصيغة، لا يجوز العدول عنها إلى صور أخرى مستوردة، توزع فيها الكاتو والشموع والورود بذكرى ميلاد المولود.

الإسلام جعل ولادة المولود طاعة له سبحانه تنعكس بركتها على الوليد لتحفظ الأسرة بشخصيتها الإسلامية.

وإن الإسلام: إذ يكلف الوالد بهذه الأحكام لم يأمره أن يفعلها مباشرة عقب الولادة. لأنه يكون مشغولاً بالولادة وإصلاحها والاطمئنان على صحتها، فكلفه بها بعد سبعة أيام، وهي معرق صالحة لتفريع الشواغل لأداء هذه الأحكام.

إننا - معشر السادة - مع الحلقة المتممة لأحكام المولود الأربعة في يومه السابع، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم للمربي الأعظم فقولوا: الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله.

إخوتي في الله: تبدأ هذه المناسك الولادية بحلق شعر المولود الذي كان على رأسه تشبيهاً بالحاج لينبت هذا الشعر قوياً طاهراً بعيداً عن مياه البطن والرحم، فإذا حلق شعره سن أن يتصدق بوزنه فضة، شكراً لله تعالى على سلامة المولود ثم يدفن ذلك الشعر تكملة له.

إنني أنقل لكم هذه الإذاعة الإيمانية من أمام حجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم فهو الذي قال لجدي السيدة فاطمة عند ولادة جدي الحسن: أحلقي رأسه، تصدقي بزنه شعره فضة.

ويروي لنا الإمام العلم الإمام مالك سيده أنها وزنت شعر سيدنا الحسن وشعر جدي الحسين وشعر السيدة أم كلثوم كوكب الإسلام وتصدقت بزنه ذلك تنفيذاً لتوجيهات المربي الأعظم.

أيها الإخوة: إن القائد الأعلى للأمة يُحبُّ منا أن تكون شخصيتنا متميزة عن غيرنا، كان يَنْهَانَا عن التشبه بأهل الكتاب وكان يردد (من تشبه بقوم فهو منهم) فأهل الكتاب لهم تعبيرهم الخاص عن الفرحة باستقبال المولود تراهم يصبغونه بماء أصفر يسمونه المعمودية.

وكان أهل الجاهلية الأولى إذا ولد لهم غلام ذبحوا عنه شاة ولطخوا رأسه بدمها.

فكيف فعل الإسلام بأتباعه؟ كيف طهر الإسلام المسلمين؟

لقد أقامهم على الملة الحنيفة، أي تابعين لملة سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل عليهما السلام وعلى نبينا الصلاة والسلام.

أنتقل بكم الآن إلى ثلاثة الأحكام المولودية: فإن سيدنا الخليل إبراهيم علمنا سنة الإختتان فهو أول من اختتن وكان ابن ثمانين سنة.

واستمر الختان بعده في الرسل وأتباعهم، لذا يقول لنا المربي الأعظم (أحمد - ت): "أربع من سنن المرسلين: الختان والتعطر والسواك والنكاح" ما زلت أنقل لكم هذه الأنباء من أمام حجرة السيد الأعظم.

يقول لنا: "من الفطرة (من سنن الفطرة) المضمضة والاستنشاق وقص الشارب والسواك وتقليم الأظافر ونتف الإبط والاستحداد والاختتان".

هذه هي سنن الفطرة فأنت مأمور أن تختن ولدك ليلحق بركب أهل الملة الحنيفية، وحتى لو كبر وبلغ من السن الغاية عليه أن يختن لإتمام طهارته واستنجائه، لأن البول تمكث بقاياهُ تحت القلفة فلا تصح صلاته.

يقول جدي سيدنا ابن عباس رضي الله عنه: الأقف (الذي لم يختن) لا تقبل له صلاة)).

ولم يكن مختوناً يقول له: (أحمد - د): (لق عنك شعر الكفر واختن).

(من أسلم فليختن وإن كان كبيراً (الزهري) فالكفرة لا يختنن)، بالختان يعرف المسلم من الكافر، ولهذا أوجبه كثير من العلماء، بل اسمعوا ماذا يقول الفقهاء، يقولون:

(إذا وجد المختون بين جماعة قتلى غير مختونين صلي عليه ودفن في مقابر المسلمين).

فالختان سنة وطهارة وإعلام بالتميز عن غيرنا من الأمم، ولهذا وتعبيراً عن فرحة الاختتان شرع لنا الإسلام أن نقيم وليمة لأجل ذلك تسمى وليمة الاختتان أو الإعذار.

إخوة الإيمان: أنتقل بكم الآن إلى جدي سيدنا إسماعيل ابن خليل الرحمن، فقد كانت نعمة الله عليه كبيرة أن فداه بذبح عظيم، فلما بعث سيدنا رسول الله أمرنا بالتنشبه به بذبح شاة أو شاتين للمولود قربان يتقرب به الوالد إلى الله تعالى يفك به رقبة الوليد من الأمراض والأسقام ويكون فداء له وشفاعة لئلا تتسلط عليه شياطين الإنس والجن، إنه فداء بالمعنى الكامل ولهذا اسمع إلى سيد الخلق وحبيب الحق صلى الله عليه وسلم وهو يقول (أصحاب السنن):

((كل غلام رهن عقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويسمى فيه ويحلق رأسه)).

هل سمعت يا أخي المسلم؟ عندما تذبح شاة أو اثنتين كأنك فديت ولدك فإن لم تفعل بقي ولدك مرتهاً بهذا الذبح، فكيف تكون العقيقة؟

الحقيقة أن سيدنا رسول الله لا يحب منا أن نسميها عقيقة إلا بالمعنى اللغوي، أما من الناحية الشرعية فالأفضل أن نسميها نسيكة، لأن نبينا الأعظم لا يحب العقوق، فقد سئل عن العقيقة فقال: إن الله لا يحب العقوق (كأنه كره الاسم). قالوا: يا رسول الله إنما نسألك عن أحدنا يولد له.

قال له: من أحب منكم أن ينسك عن ولده فليفعل عن الغلام شاتان مكافئتان وعن الجارية شاة".

إنها لفئة كريمة من صاحب الخلق العظيم، إن استقبال المولود أمر مشروع شكراً للنعمة لكن ذلك يكره أن يذكر تحت اسم العقوق الذي يحب ألا يتردد في رحاب البيت تطهيراً له من كل معنى غير كريم.

أما من الناحية اللغوية فالحقيقة هي شعر المولود الذي نبت وهو في بطن أمه، فسمي الذبح باسمها لأنه يخلق له شعره ويذبح عنه في يوم واحد وقد بين التوجيه النبوي أن للغلام شاتين وللأنثى شاة واحدة، ذلك أن الله تعالى شرع لنا الميراث (للذكر مثل حظ الأنثيين) كما أنه تعبير عن الفرح بالذكر لأن العرب كانت تحب أن يلد لها الذكور للحرب والعمل والدفاع عن القبيلة، ولأن الذكر تحمل أولاده اسم الأب، فتعبيراً عن هذه الفرح الغامرة التي تحتاج قلب الوالدين سن مضاعفة الذبح للذكر.

هذه هي واقعية الإسلام واعترافه بهذه الفرح وإفراغ لشحناتها بمظاهر شرعية طاعة لله ورسوله.

فإذا أراد تطبيق هذه السنة فلا يجرى فيها عوراء وهزيلة ولا مكسورة ولا مريضة، ولا يباع من لحمها شيء ولا جلدها، والأفضل أن لا يكسر عظمها تيمناً بسلامة أعضاء المولود. ويكره أن يلطخ رأس المولود بدمها لأنه من فعل الجاهلية (ففي المحتاج ٢٩٤/٤).

وهكذا **معشر السادة** تكتمل فرحة الوالدين بدعوة الأقرباء لهاتين الوليمتين النسيكة والإعذار لتأتلف الأسرة وتقع المحبة بين أفرادها من جديد وكأن اليوم يوم عيد، إنه عيد لأننا أطعنا الله فيه، وكل طاعة نفعلها هي عيد لنا ولمن حولنا.

فما هو غذاء الطفل الأول؟

أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله، وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا.. هنا مدرسة سيدنا محمد الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إليه، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله الصلاة والسلام عليك.

القضية العاشرة

رضاع الطفل من أمه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنتصف بصفات الكمال المنعوت بنعوت الجلال والجمال المنفرد بالإنعام والأفضال، والعطاء والنوال المحسن الحمل على ممر الأيام والليال أحده حمداً لا تغير له ولا زوال، وأشكره شكراً لا تحول له ولا انفصال. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ند ولا مثال، شهادة أوفرها ليوم لا بيع فيه ولا خلال.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى أصح الأقوال وأشد الأفعال، المنعوت بالخلق العظيم وشرف الخلال.

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه خير صحب وخير آل صلاة دائمة بالغدو والآصال وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام

إن الغذاء الأول للجنين هو الرضاعة، لأنه حينما يكون في بطن أمه ليس له باب للرزق إلا باب واحد هو عن طريق سرتة، يتغذى بواسطتها دماً أحمر قانياً أما حينما يخرج من بطن أمه، وحين يسدّ عليه ذلك الرزق يتعالى صراخه ويكاؤه، يظن أن الله قد قطع عنه سبب رزقه، ولكن الله عندما يقطع عنه ذلك الطريق يعوض بطريقتين وببابين للرزق، وليعلمك الله - ابن آدم - أنه إذا انسدّ أمامك باب فإني أنا الله أفتح أمامك بابين أحسن من الباب الأول وأظهر، أعوضك مصدرين للرزق هما ثديا أمك يخرج منهما غذاؤه «من بين فرث ودم» لبناً خالصاً سائغاً حاراً في الشتاء بارداً في الصيف.

إننا - معشر السادة - مع الحلقة العاشرة من سلسلة تربية الأولاد في الإسلام، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله.

وخير ما نستهلّ به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات سورة البقرة (٢٣٣).

و﴿الوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف، لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده، وعلى الوارث مثل ذلك، فإن أراد فصلاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما، وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير﴾.

إخوتي في الله: هذه الآية تقرر أن الأم أحق برضاع ولدها، وأن يتكفل الوالد بالرزق والكسوة في حدود طاقته، وجواز رفع الوليد إلى مرضعته غير أمه لترعاه.

فالأم أحق برضاعه، لأنها أحنى وأرق، وانتزاع الصغير إضرار به وبها.

إن من المهم جداً أن تعرف الأم أن اليوم الأول الذي تضم فيه طفلها إلى صدرها هو أهم يوم في حياة الطفل، فعلى الأم أن تسارع إلى وضعه إلى الجانب الأيسر من صدرها، أتدرون لماذا؟

لأنه اعتاد أن يسمع الموسيقى الداخلية للأم ألا وهي دقات القلب، فإذا خرج من البطن فإنه يشعر بالوحشة، وهذه الموسيقى تردّ إليه الأمان وتبقيه في جو أليف من قبل، فإن قيامها برضاعه أيضاً له الأهمية نفسها من حيث كان غذاؤه وهو في بطنها من كيانها، ومن المفيد أن يظل غذاؤه بعد الميلاد من لبنها لتمضي حياته على نسق واحد، بلا اضطراب أيها السادة إن لبن الأم نعمة كبرى تنال الأم والولد معاً، والرضاعة مسؤولية الأم، وخصوصاً اللبن الموجود في الأسبوع الأول قبل أن تغتسل وهو ما يسمى عندنا بالصمغة، وعند الفقهاء باللّبأ، لأنه لا يعيش بدونه غالباً، يقول الأطباء:

«إن لبن الصمغة يلين أمعاء الوليد، ويحتوي على نسبة لا بأس بها من الأجسام المضادة للميكروبات، وأن فيه قيمة غذائية كبيرة إذ يحوي على نسب متوازنة من غذاء الرضيع تتلاءم مع احتياجاته، وخصوصاً المواد البروتينية التي تكسب الرضيع قوةً ومناعة، وأن هذا اللبن آمن من التلوث حيث يخرج من الأم إلى الطفل مباشرة، أن اللبن الذي ترضعه الأم لطفلها ترسخ به عاطفة الأمومة والبنوة بالرباط المتين الصادق، واسمعوا إلى الأمر الهام المتعلق بالمرأة: إن عملية الرضاع تعجّل وتستكمل عملية عودة الرحم إلى حجمه وحالته الطبيعية. هذا كله صنع الله الذي أتقن كل شيء».

معشر الإخوة: إن التربية الإسلامية للطفل توجهنا اليوم إلى مسؤولية الأب لتوفير الجو المناسب للرضاعة أن تبقى الأم في فترة الرضاعة بعيدة عن القلق والخوف والانفعال والاضطراب النفسي لأن ذلك يؤثر على كمية اللبن أولاً، وعلى الاتزان العاطفي للطفل، ولينشأ الطفل سليم الجسم معتدل المزاج.

إن الأم التي تحرق نفسها بالعمل في دوائر الدولة والمعامل، وتنام وتقوم ضمن متاعب العمل والوظيفة إن الأم التي تفعل ذلك تهدد طفلها، لأن ذلك الأمر ينتهي بها إلى جفاف اللبن نهائياً، والضحية طبعاً هو الطفل، وستلجأ الأم إلى المهدئات والأدوية المنومة، واسمعوا ماذا يقول الأطباء، يقولون: كثير من الأدوية المنومة تفرز في لبن الأم مما يؤدي إلى خمول الطفل، وبالتالي لا يستطيع امتصاص اللبن من ثدي الأم طبيعياً مما ينقص كمية اللبن حتى يجف تماماً، وحق لنا أن نقول: إن عمل المرأة كارثة وطامة من طامات العصر، لأن المرأة ترضع طفلها من ثديها من خلال عقلها من خلال أعصابها، من خلال صفائها وكدرها فليهنأ الذي يدعون إلى تحرير المرأة، هم بهذا النداء دمروا الأسرة، نعم لقد كسبت المرأة بعملها ثروتها ولكنها خسرت نفسها، وكان مثلها كمثّل التاجر الذي يملك ثروة تقدّر بالألوف لكنه مدين للآخرين بالملايين.

إخوة الإيمان: والرضاعة المفيدة للطفل تكون ضمن الحولين الأوليين، هذا القرار اتخذه من لا يغفل ولا ينام، اتخذه الحكيم الخبير قال لنا أمراً بصيغة خبرية: **«والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين»**، وإذا ثبت لدينا بدليل قطعي هذه القاعدة التربوية من أن لبن الأم أنفع للطفل، فإن نزعه من ثدي أمه في وقت مبكر حفاظاً على نضارة الأم مثلاً، واستغناءً بغذاء مجلوب تقصير في حقه، وعزل له عن مصدر قوته ومنعته في وقت تنمو فيه أعضاؤه وتتشكل طباعه.

علينا أن نفهم هذه الحقيقة اليوم، إن لبن الأم في هذه الفترة من أهم العوامل في تكوين الطفل لطباعه لمزاجه فهو الآن يأخذ من الأم ليكون تحت رايته مستقبلاً، أما عندما نسلّمه لمرضعة أخرى فسيأخذ طباعها هي وسنخسر الولد، إن الأم عندما تسلم وليدها إلى مرضعة أخرى دون سبب أو كلفة أو معاناة تعرّضه إلى عوامل وتجربة مرّة، منها التعود على نمط حياة أخرى غير حياته، وعادات غير عادات أمه، وأحضان امرأة أخرى غير أمه، وربما تكون المرضعة لا تتحرى الحلال في طعامها، واللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، فإذا وقع عليه

الصبي إن عجنت طينته من الخبث فيميل طبعه إلى مايناسب الخبائث، ولهذا اسمعوا إلى القواعد التربوية من خبر الأمة جدي سيدنا ابن عباس يقول (الرضاع يغير الطباع)، يغير طباع الصبي عن لحوقه بطبع والديه إلى طبع مرضعته، ولهذا نهانا المربي الأعظم، أن ((تسترضع الحمقى، فإن اللبن يشبه (يورث) شبهاً بين الرضيع والمرضعة)).

فاللبن الذي يخرج من دم المرضعة ويمتصه الولد فيكون دماً له ينمو به اللحم وينشر العظم، فهو يشرب منها كل شيء من حسن وقبيح.

ولهذا جاء الأمر الإلهي أن الأم هي التي ترضع على مقتضى الفطرة، فأفضل اللبن للولد لبن أمه، إنني - أيها الإخوة - لا أحرم أن ترضع غير الأم الطفل الوليد، ولكنني أقرر قاعدة تربوية قررها علماء التربية.

أفبعد هذا يلجأ الناس إلى اللبن الصناعي ليكون بديلاً للبن الأم؟

إنني أنقل تحذيراً للأمهات من التغذية الصناعية للأطفال، لا يوجد بديل كامل يعوض عن لبن الأم.

وهكذا - معشر السادة - تعلن المدنية الحديثة إفلاسها لتكون شاهد صدق على سلامة المنهج الإسلامي في إعداد البيت المسلم، وعلينا أن نعترف أن الإسلام نجح في وضع الأساس المتين للطفل هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الجدالس فيها عليه أن يرفع التحية إليه، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله الصلاة والسلام عليك.

القضية الحادية عشر الحضانة والكفالة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل سيدنا محمداً رحمة للعالمين. وقدوة للعاملين، ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون. وجعله هادياً ورسولاً وبشيراً ونذيراً، وكتب السعادة لمن كان من أتباعه واتباع هديه إلى يوم الدين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خير نبيين اجتياه ورحمة للعالمين أرسله اللهم صلى وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته وأحسن الله ختامي وختامكم وختام المسلمين أجمعين.

أما بعد: أيها الإخوة الكرام

يحتاج الطفل قبل سن السابعة إلى العناية والرعاية، وهو يعرف في الفقه بالحضانة فإذا بلغها وصار في سن التمييز وحتى يبلغ سن البلوغ رأيناه يحتاج إلى التعليم والصيانة والتأديب والحماية وهو ما يعرف بالفقه: بالولاية على النفس، وإذا كان للصبي مال احتاج معه إلى من يقوم بإدارة ماله بما يسمى: بالولاية على المال.

كان هذا هو موجز الأنباء التربوية، وإليك تفصيلها مع الحلقة الحادية عشرة من سلسلة تربية الأولاد في الإسلام، وفي بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم.

(الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله).

معشر الإخوة الكرام:

الحضانة في رعاية الطفل من اختصاص النساء، فمن أقدر عليها من الرجال لما فطرن عليه من مزية العطف والحنان والصبر، لذلك كانت الأم مقدمة فيه على الأب.

هذا القرار اتخذته المربي الأعظم حين جاءته امرأة ومعها طفلها تشكو إليه زوجها، اسمعوا نص الشكوى قالت (د - ح):

((إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وثديي له سقاء، وحجري له حواء، وإن أباه طلقني وأراد أن ينزعه مني)) هذا هو نص الشكوى بحرفيته فماذا أجابها صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم قال لها:

أنت أحق به ما لم تتكحي.

أي إذا لم تتزوجي من غير أبيه، لأنها إذا فعلت تعرضت تربية الطفل للإهمال من جراء واجبات الزوج الجديد، وسواء كان الزوج الجديد شديداً على الولد أو مهماً له فإن الشرع المطهر أمر بالولد في هذه الحالة أن تحضنه امرأة غير أمه كإحدى جداته، امرأة متدينة عاقلة قادرة على شؤون الطفل، خالية من الأمراض الخلقية والبدنية والمعدية. لينشأ الطفل بحالة سليمة وأخلاق حميدة ولهذا لم يمنع الإسلام المرأة من إدخال رضيعها إلى المسجد تصلي في جماعة إذا رغبت وأذن لها زوجها.

إنني أقرر لكم اليوم مدى اعتناء الإسلام بالطفل ولو كان رضيعاً، ومدى رحمة الإسلام بالأمهات، ولتقرير هذه الحقائق اسمحوا لي أن أنتقل بحضراتكم الآن لنزور معاً مدرسة الحبيب الأعظم، وأرى مكتوباً على باب المدرسة (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين): ها هي جموع الصحابة تصلي خلف الإمام الأعظم، وإذا بصوت طفل يسمع في جنبات المسجد وهو يبكي، فما كان من سيدنا النبي إلا خفف صلاته وقرأ بقصار السور ويسلم سريعاً ويسأل الصحابة عن هذا الأمر الذي سببه خفف النبي صلاته، فأجابهم: إني لأدخل في الصلاة فأريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجاوز في صلاتي مما أعلم من وجد أمه من بكائه)).

لكن الأم إن علمت نجاسة الطفل يمنع عليها حمله في الصلاة فإن فعلت بطلت صلاتها، ولهذا كره العلماء إدخال الطفل الذي لا يستطيع قضاء حاجته بنفسه خوفاً من أن يبول على أرض المسجد.

لكن منظراً بديعاً أراه الآن أمامي، مشهد تربوي عملي يدلنا على رحمة سيدنا رسول الله
إنني أرى الحبيب الأعظم يدخل مسجده الآن وهو يحمل حفيده أمامه بنت سيدتنا زينب، وتقام
الصلاة وهو يحملها ويقف ويصلي وهو يحملها.

فإذا ركع وسجد وضعها، وهكذا حتى انتهت صلاته، إنها عملية تربوية بحتة، وتعليم
للآباء ليرحموا أبناءهم الصغار.

بل إنَّ مشهداً أعظم بطله سيدنا رسول الله وحفيده سيدنا الحسين، وذلك أن النبي الكريم
يصلي بالصحابة يأتي سيدنا الحسين فيركب على ظهره وهو ساجد، فإذا بالنبي الكريم يطيل
السجود، ويطيل السجود حتى إذا انتهت صلاته التفت إلى صحابه ليقول إن ابني هذا ارتحلني
وأنا ساجد.

أرأيتم عظمة رسول الله؟ أرأيتم رحمة الإسلام بالأولاد الصغار؟

لقد لبث علماء التربية وفلاسفة الأخلاق نحواً من ثلاثين قرناً ينفقون جهدهم ليرسموا خطة
ناجحة في تربية النشء وتكوينهم ليكونوا صالحين للمستقبل الذي ينتظرهم، ولكننا نحن - معشر
المسلمين - لنا الفخر عالياً أن الذي ربانا هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

لقد علم هذا النبي الحبيب أن الأطفال في بدء ترعرعهم يميلون إلى اللهو ويرتاحون لنوع
من اللعب، فلم يمنعهم مما يحبون بل سائرهم في ذلك وربما أغراهم به وأظهر لهم رغبته فيه.
اخوتي الكرام ما زلت أتلقي دروس التربية من أمام باب حجرة المصطفى صلى الله عليه
وسلم.

وأرى الآن سيدي رسول الله يصف أولاد عمه العباس ويقول لهم: من سبق إلي فله كذا،
فيستبقون على ظهره وصدرة فيقبلهم اللهم صلي عليه.

بل إن جدي سيدنا علي ينقل لنا أن المربي الأعظم كان قاعداً في موضع فطلع سيدنا
الحسن والحسين فاعتزكا، فقال رسول الله ويهاً حسين خذ حسناً، فقال سيدنا علي: تؤلب علي
حسن وهو أكبرهما يا رسول الله. فقال: هذا جبريل قائم وهو يقول: ويهاً حسن خذ حسيناً.

وإليكم هذا النبأ الذي نقلته لنا الإذاعة التربوية يذيعه على حضراتكم سيدنا جابر يقول:
دخلت على النبي وهو يمشي على يديه ورجليه وعلى ظهره سيدنا الحسن والحسين وهو يقول:
نعم الجمل جملكما ونعم العِذْلان أنتما.

يا معشر المسلمين، يا أحباب رسول الله

إذا دققنا النظر ملياً رأينا عمق التربية الإسلامية الذي يهدينا إليه الرؤوف الرحيم، وإذا دققنا أكثر رأينا عطفه هذا ليس مقصوراً على أبنائه وأحفاده صلى الله عليه وسلم بل كان يمشي برعايته وعنايته البعيد كالقريب، وإليكم الدليل.

عثر سيدنا أسامة بن زيد بعثية الباب فشجَّ في وجهه فقال سيدنا رسول الله للسيدة عائشة أميطي عنه الأذى، تقول السيدة عائشة: فقدرت.

وإنما يؤديه إصلاحاً له، بمنزلة الطبيب الذي يسقي المريض الدواء الكريه.

إنني لأعرف أناساً تركوا تربية أولادهم للنساء فنشأ الأولاد مخثنين مائعين.

وأعرف أناساً تركوا تربية بناتهم لزوجاتهم فكان كلما أراد الزوج أن يربي ابنته على الحجاب تبرمت البنت ومن ورائها الأم وبقيت تتبرم حتى كبرت وبقيت بلا حجاب.

إن الآباء الذين يتركون القيادة للأمهات في تربية البنات بعد سن السابعة ويطلقون لهن الحرية بادئ ذي بدء لتمضي على هواها سيؤدي بهم ذلك إلى عواقب وخيمة، عندما نعطي التربية للأمم سيحدث ما نراه اليوم من الكشف عن ساق، والتشمير عن ذراع في ازدحام الشباب وصخب الحياة.

ولو أن الأب أصغى إلى تعاليم الإسلام وأصول التربية الإسلامية لحسم كثيراً من المشكلات والمهانات التي تتعرض لها الأسرة.

أيها المؤمنون إن الإسلام يغار على البنت والولد، الإسلام يغار عليه، هناك في صدر الإسلام حينما كان الناس أيقاظاً أحياءً والحرمان مَرَعِيَّةً والأخلاق مصونة، فكيف بنا اليوم وقد ظهر الفساد في البر والبحر، لذا علينا أن نتبع قواعد التربية هنا، المستمدة من هناك، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إليه، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله الصلاة والسلام عليك.

القضية الثانية عشرة

حقوق الطفل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يعبد بحق في الوجود إلا إياه. الكريم الذي من توكل عليه كفاه، ومن آمن به هداه، ومن سأله أعطاه ما تمناه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ضد لله ولا ولد لله ولا والد لله ولا صاحبة لله سيدنا عيسى عبد الله (فقولوا لا إله إلا الله).

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد خلقه وخاتم أنبياءه، المخصوص بالمقام المحمود الذي لم يقم فيه سواه اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وزواجه وذريته صلاة وسلاماً ودائمين متلازمين إلى يوم نلقاه.

أما بعد:

فيا معشر الإخوة الكرام

أدخل اليوم مع حضراتكم إلى سرادق جديد من سرادقات التربية ألا وهو حقوق الطفل حديثي اليوم إلى الرجال ومن ورائهم الأمهات.

فعلى الوالدين حقوق ينبغي مراعاتها منذ اليوم الأول للقاء الصغير بصدر أمه.

أولى هذه الحقوق أن يربي الطفل بين والديه ليتعلم الحب والعاطفة، والطفل الذي يعزل عن أمه وأبيه بعد ولادته يعيش حياته كلها غير قادر على إقامة علامة حب طبيعية.

والحق الثاني: أن نجعله يتغلب على الخوف من الآخرين باختلاطه بأفراد الأسرة الجد والجدة، والأعمام والأخوال وأبنائهم وأصدقاء أبيه وإخوته.

والحق الثالث: أن نعلمه السيطرة على نزعة العدوان وتهديها، وألا يتعدى على حقوق إخوته أو الآخرين وأغراضهم.

وكل هذه المراحل تتم خلال سنوات العمر الأولى، وإذا لم يمنح الطفل هذه الفرصة في وقتها فقدنا إلى الأبد، وهذا هو سر شقاء العالم.

إننا مع الحلقة الثانية عشر من سلسلة تربية الأولاد في الإسلام، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي العظيم.

((الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله)).

معشر الإخوة الكرام: إن تربية الطفل في كنف غير والديه إخراج للطفل من جنة البيت، وهذا يصّر بالطفل نفسياً ويجعله يشعر بأن الحياة ليست دافئة بل يتولد لديه شعور بأن البيئة التي مولد بيئة عدائية.

فالحريم البيتي هو أحكم وأمنع قلعة للتربية الإسلامية ويجب على الوالدين الانتباه إلى تربية الطفل بعد مرحلة الوعي وإني ذاكركم بعض التوجيهات التي فيها الخير إن شاء الله في حقوق الطفل.

أولاًها: أن تحاول ألا تواجه طفلك توجيهاً مباشراً أي لا تقتصر على قولك لطفلك يجب ألا تفعل هذا بل قل له: يمكن أن نفعل كذا، تستطيع أن تقوم بكذا لتقوي عنده قوة الإرادة على فعل الأشياء الصحيحة.

٢- لا تكتفي بتقريبه على الأمور الغلط، وإنما قدم له التشجيع والمكافآت على الأمور الجيدة. والعلامات المشجعة التي ينالها في المدرسة.

٣- ولا تشعره بأنه لا يسمع ولا يلاحظ ولا يفهم لئلا يتشكل عنده مركب نقص أو عقدة عدم الفهم.

٤- لا تقطع على الطفل عملاً يواصله دون أن تنذره إنذاراً عادلاً، أي إذا كنت لا تحب عملاً من أعماله فقم بتنبيهه عليه قبل أن تمنعه منه.

٥- لا تظهر حبك للطفل عن طريق التدليل، وليعرف بأنك تحبه، لأن رسول الله ﷺ قال: إذا أحب المرء أحداً فليعلمه أن يحبه.

٦- لا تنفقه بالكلام البذيء أمامه لئلا يحفظ هذه الألفاظ ويكررها، فإن الصبي والفتاة يتمثلان الوالد كقدوة حسنة في حياتهما والعرب تقول: كل فتاة بأبيها معجبة. والشاعر يقول:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا على ما كان عودّه أبوه

٧- لا تتردد في إعفاء الطفل من اتباع القوانين في بعض الأحيان. وخاصة أثناء العطل المدرسية لأن فيها راحة له، وليكن يوم الجمعة مثلاً راحة وعيداً، فيعفى الأولاد من حفظ المواد الدراسية.

يقول ﷺ : "روحوا القلوب ساعة فإنها إذا أكرهت عميت".

٨. وكبيرة، وحاول أن تضحك معدولاً تضحك عليه، بمعنى ما قيل: لا تكن يابساً فتكسر ولا رطباً فتعصر.

٩. لا تعط لولدك لساعات محاضرة في الأخلاق ولكن تَحَيَّنْ له الفرص لأداء نصائحك له، فإن الصحابة يحدثوننا عن الحبيب الأعظم يقولون.

(كان ﷺ يتخولنا بالموعظة خشية السامة).

١٠. وإياك أن تتكث عهذك معه، فلا تعده بشيء لا تستطيع إيفاءه، لا تكذب ولا توارب ولا تنهزب فإنك إن فعلت كنت أسوة سيئة لولدك.

١١. إذا أردت أن تهدي ولدك هدية فاشتر لكل واحد من احوته مثلها لئلا يقع الحسد بين الأولاد ويشعروا بالغيرة فيما بينهم، وليكن رائدك قول الحبيب الأعظم: "ساووا بين أولادكم في العطية ألا تحبون أن يكونوا لكم في البر سواء".

١٢- إياك أن تترك تربية ولدك إلى الخادمة أو المربية لأن أمة تعمل خارج البيت، لأن المربية مهما بلغت من الحب والذكاء والعطاء فلا توازي حب الوالد وعطاءه وحنانه.

معشر السادة:

لقد كان الناس ينادون من نصف قرن بتعليمهم المرأة لتقوى على تربية أولادها فما الذي حدث؟ الذي صار أن المرأة تعلمت واشتغلت وصار لها حقوقاً.

- لكن أتدرون ماذا فعلت هذه الحقوق بالمرأة؟

هذه الحقوق التي تمتعت بها المرأة اليوم منعته من تربية أولادها التربية الصحيحة، صار التعليم اليوم هو الذي يحول الآن بينها وبين تربية أولادها، أتعرفون لماذا؟

لأن التعليم يقود المرأة إلى العمل، والعمل لا يترك للمرأة فراغاً كافياً تربي فيه أولادها، لذلك هي تعتمد على المربية أو الخادمة أو على الجدة، وهذا كله ينعكس سلبياً على تربية الأولاد.

الناس ينظرون عادة إلى التفريغ للحياة الزوجية على أنه ليس عملاً، مع أنه في الحقيقة عمل، عمل اجتماعي وتربوي ونفسي للأسرة، المرأة التي تعمل بتربية أولادها تصنع الرجال، فوراء كل رجل عظيم امرأة، هي الأم المربية.

إذا كان على المرأة أن تعمل فإن من صميم عملها أن تعتني بولدها من داخله، أن تعنى بأدبه وخصاله أن تكون حريصة على زيادة أدب الأولاد أكثر من حرصها على زيادة أموالها ودخلها.

إنني لم آت بهذا الحديث من جعبتني ولكنني أتيت به لكم من السفر العظيم، من التعليمات الألهية الخالدة من القرآن العظيم فماذا يقول رب العزة في ذلك لتسمع الأمهات الأوامر العليا من صاحب الأمر لا تسمعوا إلى دعايات تحرير المرأة فإنها تدعو إلى هدم الأسرة واسمعوا إلى مولانا عز وجل يوجه الأمهات (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهر كم تطهيراً).
إنني أستطيع أن أقول اليوم جازماً، إن اقتحام المرأة كل ميدان دون رعاية لطبيعتها كأني غير مسلم شرعياً ولا عقلياً ولا عملياً.

إخوتي في الله

إن الدين والعقل والعرف يقول إن مصلحة الأسرة مقدم على مصلحة الأم، وإن تضحية الأم تلك في سبيل مصلحة الأسرة ثمنه الجنة، فها هو السيد الأعظم يحدثنا عن امرأة من أهل الجنة فقال: إنها امرأة حبست نفسها على أولادها بعد موت أبيهم فأدبتهم وعلمتهم فهي مع نبينا في الجنة.

أما عندما تعمل المرأة فإن ذلك يسبب المرارة والضياع للأولاد، وإليك إحدى صور الضياع: نشرت إحدى الجرائد مقالاً تحدثت عن مربية تعمل في إحدى البيوت منذ ثلاث سنوات لأن الوالدين يعملان خارج البيت، أتدرون ما فعلت هذه المربية (عفواً قليلة التربية): لقد استغلت الأطفال في غياب الوالدين فكانت تلبسهم الملابس الرثة وتأخذهم إلى محطة القطار ليقوموا بالتسول مقابل بعض قطع البسكويت أو الشوكولا تقدمها لهم، مقابل ألا يخبروا أمهم أو أباهم بشيء

وتأتي الأم مبكرة فتري أولادها على قارعة الطريق، وكم كانت الحقيقة والمصيبة مؤلمة.
إن الأم تريد رفاهية الأولاد وزيادة الدخل، وسوف يزداد الدخل فعلاً ولكن بعد أن تضيع مواهب الأولاد في بؤرة الانحراف.

الأب والأم مطالبان بتشغيل فح الطفل وهو صغير ليحسن التعامل مع الحياة.

الوالدان مأموران بتهيئة الجو المناسب للطفل لتلقي توجيهات الإسلام وتدريبه عليها.

عظمة المرأة أن تكون أمّاً لا امرأة عاملة مهمومة ولا رئيسة وزارة، إن الإسلام لا يصفق لأعظم طبيبة ولا أعظم مهندسة في الوقت الذي تخلف من ورائها ذرية ضعافاً تصوغهم انحرافات البيئة.

وإنما يقف الإسلام إجلالاً لتلك المرأة التي أعدت أولادها بأدب جم وعلم نافع ليحمل الراية من بعدها، أم تتفجر من قلبها الرؤوم عاطفة تصلح ما أفسدته الأيام في أولادها.

والأم مدرسة إذا أعدتها أعدت شعباً طيب الأعراق.

لقد هالني منظر رأيته في أحد الباصات، منظر رهيب لا أنساه، مشهد أم تقبل ابنتها النائمة بلهفة وشوق شديد، وتحاول إيقاظها بطريقة غريبة، وعندما أحست بنظرات الدهشة حولها قالت: إنها لا ترى ابنتها سوى يومي الخميس والجمعة كل أسبوع، لأنها تعمل في معمل خارج بلدتها.

لا تكثرثوا بدعايات تحرير المرأة، فإنها تدمر المرأة وتهدم الأسرة، هي إن لم تكن خطراً على المرأة فإنها خطر على الأسرة، تدمر الأسرة.

كتبت إحدى الجرائد تقريراً عن عدداً المنتحرين فكان ٨٨ امرأة مقابل ٢٨ رجلاً تخلصوا من حياتهم في إحدى الأعوام.

اسمعوا حصاد الهشيم امرأة بلغت في الذروة من الغنى والذروة من الشهرة في الوسط الغني بعد كل ما أمريت من كل شيء قامت بالانتحار وحين دخلوا عليها وحبروا معها رسالة تقول: لقد انتحرت لأنني لم أستطع أن أكون أمّاً مثالية. وهكذا انتحرت لا ردها الله.

وليت المرأة العربية المسلمة تفتح عينيها جيداً لتقرأ ذلك في الصحف.

إن من أهم حقوق الطفل أن يتربى في حضن أمه، وإن التماذي في مشكلة عمل المرأة وترك بيتها مع وضوح فشلها هو من عمى الألوان، ومهما حاولنا أن نقلد الغرب فهو تقليد أعمى: سيصيب الأولاد بالعمى.

فلنبداً معاً بمراعاة حقوق الأولاد استعداداً لنشأة البيت المسلم، تعالوا لنمد أيدينا لنصافح سيدنا محمداً ﷺ نتلمس من خلال توجيهاته كيفية تربية الأولاد.

فما هي أولى الوسائل التربوية لتنقيف الطفل، أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة إن شاء الله وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى الحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا رسول الله، الصلاة والسلام عليك.

القضية الثالثة عشرة التربية بالحال والمقال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي المجيد، الولي الحميد المتوحد في كبريائه من غير تكيف ولا تحديد خلق الخلائق وصورهم فأحسن صورهم وبشرهم في الجنة بالنعيم والتخليد، وهداهم إلى معالم دينه ومدّ لهم موائد كرمه في دار لا تبلى ولا تبيد.

أحمدته سبحانه وتعالى وأشكره وأسأله من فضله المزيد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة صادرة عن خالص التوحيد وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أدلّ الله به كل جبار عنيد، وخلص في النار من أنكر أن سيدنا عيسى من العبيد اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أئمة العدل والتوحيد. وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر السادة الكرام:

إن الحياة الأولى للطفل هي الأساس في تكوين شخصيته الإسلامية

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت وليس ينفع إن قومته الخشب

والوالدان مطالبان بتوجيه هذه الشخصية في هذه السن بالذات، لأنها السن التي يقدر بها الطفل على الالتقاط الواعي وغير الواعي فالوالدان يستطيعان أن يوجها الطفل في هذه السن بسهولة، وقد صرّح لنا السيد الأعظم بذلك فقال لنا: "كل مولود يولد على الفطرة (على فطرة الإسلام فمن هو ذلك الذي يغير له هذه الفطرة قال) فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه".

فالوالدان أقوى عناصر البيئة تأثيراً في الطفل لهذا من يحملها أولاده من بعده، ولذا نجد المربي الأعظم يعتني بتربية الوالدين حفظاً على أخلاق الأولاد، يروي لنا أحد الصحابة الكرام فيقول: دعنتي أُمي يوماً ورسول الله قاعد في بيتنا فقالت: تعال أعطك؟ فقال لها: ما أردت أن تعطيه؟ قالت: أردت أن أعطيه تمرّاً فقال لها: أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة.

أرأيتم - أيها الإخوة - كيف يربي رسول الله الأطفال لمرحلة الصدق من خلال سلوك الوالد فالولد يفعل ما يرى والده يفعله ويقلده شعر بذلك أم لم يشعر، ويعجبه سلوكه أدرك ذلك ألم

لم يدرك، فالتربية بالحال أعظم من التربية بالمقال التربية العلمية خير من التربية بالقول المباشر فإذا أردت لولدك أن يتصرف بالشكل الصحيح فعليك أنت أولاً أن تتصرف أمامه بشكل صحيح.

كنت كلما أركب سيارتي ومعى أفراد الأسرة أدعو بدعاء الركوب ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾، كنت أكرر ذلك ولا أشعر بالأولاد يراقبونني بإمعان فإذا بهم وبعد مدة صار الأولاد يقرؤونها معى إذا رددتها، هذه هي التربية بالحال والسلوك.

وهكذا روى رسول الله صحابته الكرام، يقول سيدنا عبد الله بن أبي بكره لأبيه: يا أبت أسمعك تكرر كل غداة: اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري لا إله إلا أنت تكررها ثلاثاً صباحاً وثلاثاً حين تمسي.

أتدرون ماذا قال الوالد؟ الوالد كان يكررها وولده يحفظها عنه قال الوالد: يا بني إني سمعت رسول الله يدعو بهن، فأنا أحب أن أستن بسنته.

إننا معشر السادة مع الحلقة الثالثة عشرة من تربية الأولاد في الإسلام ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم للمربي الأعظم.

(الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله).

إخوتي في الله: يقرر علماء التربية أن على الوالدين أن يختار الوقت المناسب لتوجيه الطفل وهو الوقت الذي يؤثر فيه ويسهل ويقبل من جهد العملية التربوية، فإن القلوب تقبل وتدبر، فإذا استطاع الوالد تحين الفرص المناسبة، فإنه سيحقق فوزاً كبيراً بعمله التربوي.

وقد قدم لنا المربي الأعظم ثلاثة أوقات أساسية في توجيه الطفل، فما هي هذه الأوقات؟

أولها أثناء النزهة والطريق والسيارة، وتطبيقاً للقاعدة الأولى اسمحو لي أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك إلى أرض المدينة المنورة.

خذوني إلى أرض المدينة إنني جعلت إليها غدوتي ورواحي

وقف بي أمام الروض عند جنابه وقل سيدي ذي حلة الأشباح

فعسى تزول همومنا وكروبنا وتبدل الأتراح بالأفراح

وعساي أشفى في رحاب محمد ويقال لي ها قد شفيت صلاح

ها نحن على أرض المدينة المنورة، وأرى بعين الإيمان واليقين المربي الأعظم يهذى إليه بغلة فيركبها ثم أردف خلفه سيدنا عبد الله بن عباس، فما أن سارا ملياً حتى وجد رسول الله الفرصة مواتية للتوجيه التربوي، فالتفت إلى جدي ابن عباس وقال: يا غلام! قال: لبيك يا رسول الله.

لاحظتم الكلمة هو الآن في أتم حالات استقبال التوجيه النبوي.

ولهذا أجابه الرسول الكريم قائلاً: **احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك.**

وإذا سألته سأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله.

وهكذا يتابع رسول الله توجيهاته التربوية لابن عمه لتلاقي بعد ذلك ثمرتها المرجوة لها، والمهم أن هذا التوجيه كان في الطريق وعلى الدابة وفي فرصة نادرة، الذهن فيها خال من التأثيرات الجانبية.

وقد يكون التوجيه التربوي بطريقة سر من الأسرار تشويقاً للطفل، كما فعل حبيبنا النبي صلى الله عليه وسلم مع طفل من الصحابة هو سيدنا عبد الله بن جعفر الطيار المدفون قريباً من سيدنا بلال الحبشي (م) أردفني رسول الله ذات يوم خلفه فأسرّ إلي حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس...)).

ثاني الأوقات المهمة في التوجيه التربوي: **أثناء الطعام**، ففي هذا الوقت يحاول الطفل أن ينطلق على سجيته ويضعف أمام شهوة الطعام فيتصرف بشكل غير لائق، فإذا لم يقم الوالدان بتصحيح أخطاء الطفل فسيقع الطفل في برائن العادات السيئة، وسيفقد المربي وقتاً مناسباً لتلقي الطفل وتعليمه واسمحوا لي أنا أنقل لكم هذا المشهد لربيب رسول الله، فقد تزوج رسول الله السيدة أم سلمة وكان لديها طفل اسمه عمر يحدثنا فيقول (ق) كنت غلاماً في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فكانت يدي تطيش في الصحف فقال لي رسول الله: يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك).

الوقت الثالث المناسب للتوجيه التربوي: **وقت مرض الطفل**، فعندما يمرض الطفل يجمع بين سجتين في تصحيح أخطائه وسلوكه: سجية فطرية الطفولة، وسجية رقة القلب أثناء المرض، والمربي الأعظم يعلمنا أن نغتتم هذه الفرصة.

فها هو طفل يهودي كان جاراً للنبي صلى الله عليه وسلم فمرض فقدم رسول الله ليعوده ففقد عند رأسه فقال له: أسلم. فنظر الولد إلى أبيه فوق رأسه، فإذا بوالده اليهودي يقول له: أطع أبا القاسم.

فأسلم الولد مباشرة فخرج رسول الله وهو يقول الحمد الذي أنقذه بي من النار، رأيتم كيف وجد رسول الله فرصة مرض الطفل لإلقاء بذرة الإيمان التي نبتت مباشرة في سويداء قلب الولد.

معشر الإخوة الكرام

وتتم طريقة التوجيه التربوي للأولاد بتعليمهم الخضوع للحق، أن يُعوّد الوالد ولده العدل وقبُول الحق لتنتفتح مدارك الولد وطاقاته الفكرية فالولد عندما يعلم أن يحافظ على حقوقه يستطيع أن يعطي للآخرين حقوقهم، بتعبير آخر، لا تكتب عند الطفل خصلة المطالبة بالحق والاعتراض على الباطل، فأنت مطالب لأن تسمع من ولدك كما تسمع من الكبار وأن تتقبل ذلك منه بدون عضاضة.

من أين استقينا هذه القواعد التربوية؟

استقيناها من المربي الأعظم، لم يأمر بها أحداً بل قام بها سلوكاً وتربية عملية.

إخوة الإيمان: ما زلت معكم عند الحبيب الأعظم (ق) ها هو يجلس بين صحابته الكرام وعن يمينه سيدنا الفضل بن العباس، وعن يساره صحابة أشياخ، ويقدم لرسول الله شراب، فيشرب منه ويبقى في الإناء فضله فقال للغلام عن يمينه، اسمعوا ماذا قال سيد العالمين للغلام، لسمع هذا الكلام من يجعل من نفسه فرعون أمام أولاده، قال المربي الأعظم للغلام: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء (الذين عن يساره باعتبارهم أكبر منه سناً) فقال الغلام: لا والله يا رسول الله لا أؤثر بنصيبي منك أحداً، فقدمه رسول الله له.

ولكنني أرى أمامي مشهداً آخر أبدع وأروع مشهداً يعترض فيه غلام على سيد الكائنات غلام يعترض على المربي الأعظم ورسول الله يقبل اعتراضه بدون إهانته وبدون غضاظة ليعلمك أيها الأب أن تقبل اعتراض أولادك وتسمع لهم وتصحح خطأك، ولو كنت والداً ودكتوراً وشيخاً ومليونيراً ووزيراً وأميراً وملكاً، فمن هو أعظم من رسول الله، ومن هو أسمى منزلة من رسول الله ومن هو أرفع جاهاً من رسول الله، ومن هو أعلى مكانة من رسول الله، تحية لحبيبتك رسول الله.

اسمعوا كيف يقبل رسول الله اعتراض الغلام وسلم له وسمع منه وأقره في مشهد لم تعرف الإنسانية له مثيلاً:

ها هو جيش المسلمين في غزوة أحد ينوي الخروج، فإذا بفتى يتقدم إلى رسول الله معترضاً يقول: يا رسول الله قبلت ابن عمي في دخول المعركة وأنا إن صارحته صرخته، فيأذن رسول الله لهما بالمصارعة أمامه، وإذا به يفوز على ابن عمه ويصرعه، فما كان من رسول الله إلا أن أذن له ليكون جندياً مسلماً في قتال المشركين.

هذا هو رسول الإنسانية الأعظم يقبل الحق من الصغير، ويعلمنا ويوجهنا أن نقبل الحق من الصغير دون تكبر أو استعلاء أو تعجرف على أطفالنا.

هذا الأسلوب في التربية سار عليه علماء الأمة واقتدوا بالمربي الأعظم.

أنتقل بكم الآن إلى العراق (فك الله أسرها) فهذا سيدنا الإمام أبو حنيفة النعمان يتعظ بمقالة طفل صغير حينما رأى الإمام الطفل يلعب بالطين فقال للطفل: إياك والسقوط في الطين. فقال الغلام الصغير للإمام الكبير: إياك أنت من السقوط، لأن سقوط العالم سقوط العالم.

وارتعش الإمام لقول الصبي الممتلئ حكمة وقوة.

وإن ظاهرة إبداء الرأي عند أولادنا وقول الحق منهم من الأمور الهامة في تكوين شخصيته الطفل حتى لا يكبر وهو عديم الرأي (أجذب) مكبوت مقهور، يخاف أن يتكلم في المجتمعات خوفاً من أن يقهره أبوه أو يضره إذا خالفه الرأي.

وليس هذا مقصوداً على الوالد بل أيضاً المؤدب والمربي والمدرس لا ينبغي أن يمنع طلابه من ذلك ليحيا الولد صافي الذهن قوي القريحة عظيم الفكر .

وأنقل بكم الآن:

. أيها الأحبة والصحب . إلى عصر العالم الرباني السري السقطي عندما كان صغيراً قرأ على مؤدبه القرآن، قرأ قوله تعالى (ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً) (مريم ٨٦) فسأل مؤدبه يا أستاذ ما الورد؟ [مشاة مهانين كأنهم غنم عطاش تساق إلى الماء] قال: لا أدري نقرأ ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشِّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (مريم ٨٧) فسأل يا أستاذ ما العهد [التوحيد] فقال: لا أدري فقطع السري القراءة وقال: إذا كنت لا تدري فلم غررت بالناس [وعملت حالك أستاذ وشيخ] فضربه المؤدب فقال السري: ألم يكفك الجهل والغرور حتى أضفت إليها الظلم والأذى، وهنا صحا المؤدب وتاب إلى الله واستسمح من السري وأقبل بعدها على العلم، وكان يكرر: إنما أعنتني من رق الجهل السري السقطي.

وهكذا أصبح الإمام السري السقطي عظيماً بمقدار الحجة والبرهان التي أوتيها في إبداء الرأي.

وهكذا عليك أيها الوالد أن تفعل إذا أردت لولدك أن يصبح عظيماً، اسمع إليه بتواضع، وصحح أخطاءك أمامه، علمه بحالك، ومقالك وابق معنا هنا، وما أدرك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى الحبيب المصطفى، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله الصلاة والسلام عليك.

القضية الرابعة عشرة

اختيار ألعاب الطفل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكرم أمة حبيب المصطفى بجزيل النعم - وفضلهم وشرفهم باتباعهم لسيد العرب والعجم. تجلى على قلوب أحبابه بالأنس والرضوان. وأسبع عليهم نعم الوافرة الجزيلة بمحض الفضل والإحسان فسبحانه من إله محسن متفضل منان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك الملك المنان. شهادة من شهد بها فهي له نجاة وأمان. وكلمة لا يسبقها عمل ولا تترك ذنباً على الإنسان.

واشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بالحنيفية السمحة إلى الأحمر والأسود من إنس وجان. الذي أعطى نواتج الكلمة وجوامعه واختار الله له خير الكلام والقرآن أول الناس خروجاً إذا بعثوا وخطيبهم إذا وفدوا إلى الملك الديان.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذي هم لأهل الأرض أمان. وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر السادة الكرام:

ها قد أتى الصيف بحره وثقله، بفراغه ولعبه ولهوه، يخضع فيه الطفل إلى راحة نفسية كبيرة من عناء الدراسة ويمضي من عمره وقتاً ضائعاً بلا فائدة، وأرى لزماً عليّ أن أنبه الأهل أن يغتنموا هذه الفرصة الذهبية بعيداً عن ضغط الدروس الشتوية، فكيف عالج الإسلام هذه القضية التربوية، كيف منح للطفل وسائل الراحة دون أن يضيع عمره الصيفي هباءً.

هذا هو السؤال الهام الذي أطرحه على حضراتكم اليوم، ومع الدرس الرابع عشر من دروس تربية الأولاد في الإسلام ومع بداية هذا الدرس أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم

(الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله).

معشر الإخوة الكرام

وقبل أن أُلج مع حضراتكم عتبة هذا الدرس، اسمحوا لي أن أنقل لكم هذا المشهد التربوي الذي بطله سيد الخلق وحبیب الحق ومعه الصديقان الصديق الأكبر وابنته السيدة عائشة رضي الله عنهما.

وعلى جناح السرعة أطيّر بكم إلى هناك إلى أرض المدينة المنورة لأرى بعين الإيمان واليقين الحبيب الأعظم يدخل حجرته الشريفة فيرى زوجته التي لم تبلغ الثانية عشرة بعد تغطي سريرها محاولة أن تخفي شيئاً عن رسول الله، وسألها: ما هذا يا عائشة؟! قالت: بناتي يا رسول الله، فرفع غطاء السرير فوجد لعباً صغيرة من قماش تلعب بها السيدة الجليلة تستعيض بها عن تربية الأولاد لتتعلم حنان الأمومة ورعاية الأولاد بها، ووجد رسول الله حصاناً له أجنحة فقال لها: وما هذا حصان له أجنحة؟! فقالت السيدة الجليلة: أما سمعت أن سليمان بن داود كان عنده بساط الريح يطير به؟ وهنا ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم مسروراً من كلامها وتركها تمارس مهنة الأمومة مع ألعابها ولم ينهها عن ذلك.

إخوتي في الله: إن إقرار رسول الله للعب السيدة عائشة يدلنا على حاجة الطفل للألعاب وحبّه للمجسمات الصغيرة، والنبي الكريم لم يكبت هذه الحاجة وذاك الحب، بل إنه لما رأى مرة أحد الصحابة يلعب بعصفور له لم ينهه لعلمه أن الطفل في هذه السن بحاجة إلى إِملاء فراغه بما يناسبه.

ولأجل ذلك ورد في الحديث (أبو يعلى ٤٤٥/١)

أن جدي سيدنا الحسين كان عنده جرو يتسلى به يتركه عند أم المؤمنين السيدة أم سلمة، فدخل رسول الله إلى بيتها ونزل سيدنا جبريل لكنه رفض أن يدخل الحجرة فلماذا يا ترى؟ يقول جدي سيدنا علي رضي الله عنه: كانت لي من رسول ساعة من السحر آتية فيها، فكنت إذا أتيت استأذنت فإن وجدته يصلي سبح فدخلت.

وإن وجدته فارغاً أذن لي، فأتيته ليلة فأذن لي فقال: أتاني جبريل فقلت أدخل.

فقال: إن في البيت ما لا أستطيع أن أدخل فانظر. يقول صلى الله عليه وسلم: فنظرت فإذا جرو للحسين بن علي مربوطاً بقائم السرير في بيت أم سلمة. وهنا قال سيدنا جبريل: إنا معشر الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تمثال أو كلب أو جنب.

تمثال يعظم أو طير مصير أو حيوان منحط أو لوحة مجسمة فهذا فلينتبه الآباء من ذلك، المسموح به لعب أطفال ممتحنة تلقى هنا وهناك لا تماثيل معظمة فإن ملائكة الرحمة لا تدخل بيتاً فيه تمثال يعظم.

فعليك أيها الوالد أن تنتقي الألعاب الحلال لأطفالك، فلا تدع ولدك يقتني مثلاً: الشدة، أو آلات اللهو المحرمة كالعود والطاولة (النرد) ولا التي تؤدي إلى محرم كالألعاب اليانصيب الورقية، فما هي الوسائل الترفيهية المسموح بها؟ هذه نقطة هامة، المطلوب من الوالد أن يضع في يد الطفل لعبة تنمي عقله وحواسه وتكون مفيدة وجيدة، ضمن القواعد الآتية:

١. إما أن تستشير نشاطاً جسدياً صحيحاً مفيداً كالدراجة العادية والمرجوحة وألعاب الأثقال الخفيفة والرياضة والسباحة.

٢. وإما أن تكون فكرية تدعو إلى الاكتشاف والتخطيط كلعبة الشطرنج.

٣. وإما أن تتيح له التركيب والتفكير كالألعاب التركيبية.

لكن الوالد وهو في خضم الاختيار الصحيح للولد عليه أن يلزمه بوظيفة يومية في هذا الفراغ الطويل الذي يمر فيه الطفل في شهور الصيف وهو أن يكلفه كل يوم بحفظ نصف صفحة من القرآن الكريم على أقل تقدير، وإذا كان الطفل قد حفظ شيئاً من السور فعليه أيضاً أن يقوم بتسميع سورة سابقة كل يوم.

أو يضع ولده ضمن الدورات التعليمية وعليه في أثناء ذلك أن يخفف من كثرة اللوم والعتاب على تصرفات الولد، فإن الوقت وقت راحة وتسلية، وأذكر أن سيدنا الصديق الأكبر دخل مرة على ابنته في يوم عيد وعندها جارتان تغنيان معها فقال: أمزمار في بيت رسول الله، فإذا بالنبي الكريم مستلق وقد غطى وجهه الشريف فرفع الغطاء عن وجهه وقال دعهما يا أبا بكر فإن اليوم يوم عيد.

إن نبينا صلى الله عليه وسلم سمح لصديقات زوجته الصغيرات أن يغنين الغناء المباح، أما ذلك الغناء الذي يدعو إلى العشق والحب يهيج النفس الأمارة بالسوء أو الغناء الذي يصف محاسن ومواطن الجمال فهذا محرّم لا شك في تحريمه، وكذا كل غناء يرافقه الآلات الموسيقية فهذا محرّم على المذاهب الأربعة.

إنني أوجه هذه الدعوة اليوم (أي تخفيف التوبيخ والتأنيب في أوقات الراحة واللعب) باسم المربي الأعظم، فهذا سيدنا أنس رضي الله عنه يخبرنا عن تربية رسول الله له وكان حديث السن صغيراً يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمعوا ماذا يقول سيدنا أنس عن أسلوب التربية النبوي يقول (أحمد) خدمت النبي عشر سنين فما أمرني بأمر فتوانيت عنه أو صنعته فلامني، فإن لامني أحد من أهل بيته قال: دعوه فلو قدر أو قضي أن يكون كان).

إن سيدنا رسول الله زرع في نفس الطفل سيدنا أنس دقة الملاحظة وروح الحياء وصدق التوكل: (دعوه لو قدر أن يكون كان).

سيدي أبا القاسم يا رسول الله:

روحي بحبك في الضيا تهيم والشوق مني في هواك عظيم

والقلب مسرور بذكر محمد في ذكره نور وفيه نعيم

صلى عليك الله يا علم الهدى صلى عليك الله ربي وسلما

أنتقل بكم الآن - معشر الإخوة - إلى عملاق الإسلام سيدنا عمر، ماذا عندك من أسهم التربية لأولادنا يا فاروق الأمة، إن سيدنا عمر وجد رجلاً سيعيب على ابنه شيئاً صنعه، أتدرون ماذا قال له؟ قال: إنما ابنك سهم من كنانتك)

عندما تعيب على ولدك فإنما تعيب على نفسك لأنك أنت الذي خرّجت هذا الولد، وكان حرياً بك أن تسارع إلى تربيته، لقد حاول مرة أحد الآباء أن يقسو بتربيته على ولده فالتفت إليه عملاق الإسلام قائلاً (اسمعوا هذا القاعدة التربوية التي تكتب بماء الذهب، سيدنا عمر رأى الوالد يوجه ولده إلى ما تعود من أخلاق آبائه، ويقسو عليه ليكون نسخة طبق الأصل عن أبيه،

والناس تتطور، والزمان لا يبقى كما هو، فماذا قال سيدنا عمر للرجل؟ قال له) لا تكرهوا أولادكم على أخلاقكم فقد خلقوا لزمانٍ غير زمانكم).

الله أكبر يا عمر، يا أستاذ التربية، يا محدث يا ملهم، أعد علينا هذه القاعدة تتلذذ بها: اسمعوا: "لا تكرهوا أولادكم على أخلاقكم فقد خلقوا لزمانٍ غير زمانكم".

هكذا علينا أن نرفع رؤوسنا عالياً بسيدنا عمر، بهذه القواعد التربوية يستطيع الوالد أن يعين ولده على بره، إن باستطاعتك يا أخي أن تستخرج العقوق من ولدك بتهئية أساليب اللهو المباحة وتوجيهه التوجيه الصحيح ولتسمعو معي إلى قول حبيبك وهو يقول (حب) رحم الله والداً أعان ولده على بره)).

وإن مما يعينك على بره أن تدعو له دائماً بالهداية والسداد وألا يراك غاضباً عابساً كلما دخل عليك أو خرج فيكتسب طبعك وشراستك فيكون شديداً عليك وعلى إخوته ورحم الله من قال (الولد سر أبيه).

وكم كان حرص الصحابة الكرام على أن ينالوا بركة دعاء رسول الله فدعأوه مستجاب وبركته لا ترد، واسمحو لي أن أنقل لكم هذا المشهد من أمام باب حجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، فإن والده سيدنا أنس بن مالك (أم سليم) لما وضعت ولدها خادماً عند النبي ليربيه التربية العالية، جاءت إليه تطلب أجرتها، أتدرون ما أجرتها؟.

إنني أذيع عليكم هذه الأنباء التربوية من مدرستي البخاري ومسلم (ت) قالت السيدة أم سليم: يا رسول الله خادمك أنس أدع الله له (عشر سنوات وهو يخدم رسول الله) قال فرفع رسول الله يديه وقال: اللهم أكثر ماله وولده وبارك فيما أعطيته.

اسمعوا كيف استجاب الله لنبيه الكريم يقول سيدنا أنس: (خ) فو الله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المئة بل ورد عند (ت) أن له بستاناً يثمر في السنة الفاكهة مرتين، وكان فيها ريحان يجيء منه ريح المسك)).

هذه بركة رسول الله رأيتم ماذا يفعل الدعاء للأولاد. وأنا أنقل لكم مشهداً آخر يربينا فيه المربي الأعظم تربية عملية (فأرسل تحيتك إلى رسول الله).

ها هو الآن يضم سيدنا عبد الله بن عباس إلى صدره (حبيبك، تعلم من حبيبك) يضم جدي العباس إلى صدره ويقول: اللهم علمه الحكمة) ويضمه إلى صدره ثانية ويقول (اللهم فقهه في الدين (ق) و(أحمد): علمه التأويل ولقد غدا جدي ابن عباس في كبره ببركة هذا الدعاء غير حبر الأمة وترجمان القرآن، رضي الله عنه.

لا تدعُ على أولادك وادع لهم، لا تدع على ولدك ولو عاقاً كافراً ليبقى باراً بك، إنك إن فعلت كنت سبباً في عقوق إياك. جاء رجل إلى سيدنا عبد الله بن المبارك يشكو له عقوق ولده فسأله: هل دعوت عليه؟ قال: بلى. فقال له أنت أفسدته) أنت أفسدته بالدعاء عليه.

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها:

رحم الله والداً أعان ولده على بره ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعو على خدمكم ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة فيتزل فيها إعطاء فيستجاب لكم.

وهكذا . **معشر الإخوة** . قضيت مع حضراتكم اليوم درساً هاماً في كيفية اغتنام الفرص في هذا الصيف وأعود بكم من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى الحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله الصلاة والسلام عليك.

القضية الخامسة عشرة

مرحلة الولاية على النفس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم القرآن من حضرة اسمه الرحمن وخلق الإنسان علمه البيان وأبان ما في محكم تنزيله وشرف العلماء بمكنون تأويله، فأعربوا عنه بأفصح لسان لكل قاص ودان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكريم المنان.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله بحر المعاني وصاحب السبع المثاني، كان خلقه القرآن.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعترته وأزواجه سادات أهل الإيمان. وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

من كان له قلب فليُنظر اليوم أسفاً على الحياء، من كانت له عين فلتبكِ اليوم دماً على الأخلاق، من كان له عقل فليَتفكر بعقله، فما بالفجور يكون عز الوطن وضمان الاستقلال ولكن بالأخلاق تحفظ الأمجاد وتسمو الأوطان.

إنني في عجب تام من انطلاق غرائز الشباب في هذا الصيف وانتشارهم على الأزقة والطرقات وفي الملاهي والمقاهي وفي شوارع جهنم الحمرا وأخيها أبي رمانة وغيرها من مناطق التي انطلقت فيها تلك الشهوات من عقالها، فإذا كان أولئك يحسبون أن إطلاق الغرائز من قيد الدين والخلق والعورات من أسر الحجاب والستر، إذا ظننا ذلك من دواعي التقدم ولوازم الحضارة وتركنا كل إنسان وشهوته وهواه، فإننا لا نحمد مغبة ما نفعل وسندم ولا نسلمة مندم.

إذا ادلهمت المصائب غداً وتتالت الأحداث سننتلفت جميعاً بعدها عن حماة الوطن فلن نجد إلا شباباً رخواً ضعيفاً لا يصلح إلا للرقص والغناء والحب.

فالله الله للأمة والمستقبل، إنني أتحدث إليكم اليوم عن مسألة يتعلق بها مستقبل الأمة أخلاقها، دينها، مبادئها.

فاسمحوا لي أن أبدأ مرحلة جديدة في التربية هي مرحلة التوعية الفكرية ما يسمى عند علماء التربية بالتربية العقلية، ومع الحلقة الخامسة عشر من سلسلة تربية الأولاد في الإسلام، وفي بداية هذه الحلقة أدعوكم لترفعوا تحيتكم للمربي الأعظم.

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله.

إخوتي في الله: وصلت معكم اليوم إلى مرحلة جديدة من مراحل الطفل وهي مرحلة التعليم والتثقيف والتربية بما يسمى عند العلماء بمرحلة الولاية على النفس والتي تَعُقِب فترة الحضانة أي بعد سن السابعة تقريباً فمن هو المسؤول عن هذه المرحلة هل هو المسجد أم المدرسة أم البيت.

الحقيقة التربوية تقول: إن مراحل النمو الاجتماعي للطفل لا يمكن تقسيمها إلى فترات يستقل كل جهاز بدوره استقلالاً تاماً، ومعنى هذا الكلام أن دور المدرسة لا ينهي دور الأسرة في التربية، وأن دور المسجد لا ينهي دور المدرسة، بل جميع ذلك هو المسؤول عن تربية الطفل في هذه المرحلة.

معشر السادة:

إن مسؤولية التربية العقلية تعني تكوين فكر الطفل بكل ما هو نافع من العلوم الشرعية والثقافية والعلمية والتوعية الفكرية حتى ينضج الولد فكراً وعلمياً وثقافياً.

هذه المسؤولية لا تقل خطورة وأهمية عن المسؤوليات التي سبقها الإيمانية والخلقية والجسمية، فالتربية الإيمانية تأسيس والتربية الجسمية إعداد وتكوين، والتربية الخلقية تخليق وتعويد، وأما التربية العقلية فإنها توعية وتثقيف وتعليم.

وهذا حق من حقوق الولد على الآباء والمربين، لتفتح مواهبهم ويبرز النبوغ نستدل على صدق هذا التصور بأن أول ما نزل من القرآن الكريم قوله عز وجل: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

وما ذاك إلا تمجيذاً للحقيقة العلم والقراءة ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

ولذا جعل النبي الكريم صلوات الله والسلام عليه:

(طلب العلم فريضة على كل مسلم).

فإذا كان المربي ليس عنده أهلية التعليم كبعض الوالدين فالواجب دفع الولد إلى العلماء وخاصة علماء الحي الذي يقطنه الولد، وعلى علماء الحي الاعتناء به كيلا ينطبق عليهم الحديث الذي رواه الطبراني في الكبير:

(... خطب رسول الله ذات يوم فأتى على طوائف من المسلمين خيراً ثم قال ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم، وما بال المسلمين من جيرانهم ولا يتفقهون.

والله ليتعلمن قوم من جيرانهم يتفقهون ويتفطنون أو لأعاجلنهم العقوبة)

هذا ما عبر عنه العصريون بـ التعليم الإلزامي وعبر عنه السلف بـ فرض العين لكل ما يلزم العبد معرفته من العلوم.

فرض عين على كل من البيت والمدرسة والمسجد تثقيف الطفل وتعليمه الأخلاق الحميدة، أما أن أقضي سنوات عدة في المحافظة على تربية الولد تربية إسلامية صحيحة ثم أدفع به في سن السابعة إلى مدرسة ملحدة أو كافرة أو تتبنى مبادئ مخالفة للإسلام.

أو يكون الطلاب فيها أراذل لا يجدون حرجاً في أي لحظة أن يتفوهوا بالكلام البذيء فإنني أن فعلت ذلك أكون في كل لحظة وفي كل ساعة وفي كل يوم أعرضه لهدم ما تعلمه طيلة فترة حياته النظيفة، ولن يمكنك بعد ذلك أن تبني لولدك شخصية الإسلامية لأن غيرك هدم ما تبنيه من قبل.

متى يبلغ البنيان يوماً تماماً إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

المطلوب إذاً أن تترابط المصادر الثلاث التعليمية معاً لينشأ الطفل سوي الخلق كريم النفس.

إن انتقاء المعلم لولدك يعني إكمال تربية الطفل تتبلور حياته التي هي الأساس لرجولته.

انتبهوا يا إخوتي:

الولد قبل سن البلوغ يكون طاهراً مطهراً وقلبه يكون خالياً من الشواغل فمهما شغلته به يتمكن منه ولا يعود بعد ذلك متسع لقبول غيره كالأناء إذا ملئ بشيء لا يعود لشيء آخر مما فيه وهو كمرأة تتراءى فيها صورة معلمه ومربيه.

فإن كان معلمه من أهل الدين والاستقامة نشأ الولد ديناً مستقيماً، أما إن سلمنا أولادنا المسلمين إلى معلمين غير متّقين أو مؤدّبين من غير أبناء دينهم ليكتسبوا في مدارسهم ما يخالف الآداب الإسلامية.

إن من يفعل ذلك بولده يكون مسيئاً آثماً ناشأ لولده ولنفسه وليبنته وأبناء جنسه.

واسمعوا إلى حصاد الهشيم، اسمعوا إلى نتيجة من يعلل ذلك بولده، إن رجلاً من المسلمين تعلم في مدارس غير المسلمين في بلده فلما شب ودرس في فرنسا عاد إلى بلاده وألف كتاباً، أتعرفون ما هذا الكتاب سمّى كتابه تحرير المرأة، دعا فيه المرأة إلى رفع حجابها عن رأسها وأن تختلط المرأة المسلمة بالرجال، لأن حجابها وعدم اختلاطها بهم كما يزعم ويدعي هذا المأفون مما يؤخرها ويمنعها من القيام بالأعمال المطلوبة منها، وأخذ يلبس خريج الأزهر هذا على الناس ويؤول النصوص الشرعية برأيه وهواه كما يفعل الوطواط عندنا اليوم.

ولما نبهه على خطئه علماء عصره وردوا عليه ألف كتاباً آخر سماه المرأة الجديدة، وزاد في طنبوره نغمات، وقرر فيه تقريرات، ودلّت على انحرافه عن جادة الحق عمداً. فهذا الذي نخافه على أولادنا أن ينشؤوا مثل هذا الرجل ويكونوا سبباً في محو الإسلام من قلوبهم.

لكن الأنكى والأقبح أن بعضهم من بني جلدتنا وديننا يعلم ابنته؟ احذروا ماذا يعلمها؟ يعلم بنته الرقص على الطريقة الأجنبية والضرب بآلات الملاهي وتراه كلما رآها على ذلك يضحك إليها لو أنصفها لبكى عليها، هكذا تتعلم المرأة أن تنتهك حرمت الدين وتتجاسر أكثر النساء بالخروج إلى الأسواق متبرجات بزینتهن تبرج الجاهلية بدون حياء ولا حشمة، فكيف يكون تعليم الولد وكيف يتم تعليم البنت، ما هي الضوابط لذلك.

أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة، وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى الحبيب المصطفى، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله الصلاة والسلام عليك.

القضية السادسة عشرة

ماذا يريد الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده كتاباً مفصلاً للأحكام. مبيناً لإجمالها الذي يقع فيه الإيهام
أمراً فيه بإقامة الصلاة، مردفاً لها بإيتاء الزكاة تكميلاً لشعائر الإسلام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله اصطفاه
من بين الأنام وأيده بالمعجزات الباهرة الأعلام، وزكاه وطهره وقدسّه وجعله لنبتة التمام ووصف
دينه بالإكمال ونعمته عليه بالإتمام فهو السيد المرتضى المجتبى، والإمام السند المنقّى. قائد
الغزّ المحجلين في يوم الزحام.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ولا يعصمهم بإحسان إلى يوم
القيامة ما دارت الليالي والأيام وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا معشر الإخوة الكرام:

أن أفتح معكم ملف التعليم أريد أن أطرح سؤالاً لأجيب عنه اليوم إن شاء الله تعالى، ماذا
يريد الإسلام من أتباعه أن يتعلموا وكيف؟

هل يريد منا الإسلام أن نستورد المبادئ التربوية لإعداد جيل صالح؟

الحقيقة: أنه لم يكن مقصود التربية في الإسلام، حشو أدمغه الصبيان بمختلف العلوم من
أجل الحصول على شهادة، ولا أن نستورد مبادئ من الغرب، لأن مبادئهم أصبحت مشكلة لهم
يحاولون إيجاد حل لها.

والذي يريد الإسلام من الصبي أن يكون قوياً في دينه، قوياً في عقيدته، أما إذا ربينا
الصبي اليوم فقيراً في إيمانه، جاهلاً في منطق الإسلام، غنياً بالعلوم الكونية فلا يمكن بحال أن
توصله إلى الآخرة، فالجهل في منطق الإسلام ليس هو فقدان المعارف الدنيوية ولكن على
التحقيق ترك ما أمر الله وارتكاب ما نهى عنه.

إنني أضع اليوم الوالد أمام مسؤولية عن التوعية الفكرية للولد ومع الحلقة السادسة عشرة
من سلسلة تربية الأولاد في الإسلام، وفي بداية هذه الحلقة أدعوكم لترفعوا تحيتكم إلى المربي
الأعظم.

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات القرآن الكريم:

﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة﴾ (التحريم ٦).

﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات ٥٦).

﴿يعبدونني لا يشركون بي شيئا﴾ (النور ٥٥).

هذه الآيات توضح بلا ريب مهمة المربي والأولياء المطلوب عبادة الله، ولا يمكن عبادته إلا بعد معرفته ويعني ذلك تمتين جانب العقيدة من نفس الطفل ويعني ذلك أيضاً تمتين الجانب الفقهي عنده ليؤدي عباداته على شكلها الصحيح، إنه يعني بشكل أو بآخر الاهتمام بفروض العين عن فروض الكفاية، من هنا تعلقنا في عنق الآباء مسؤولية توعية الولد فكرياً منذ حداثة سنه ونعممة أظفاره إلى أن يصل إلى سن الرشد.

وأقصد بالتوعية الفكرية ارتباط الولد:

بالإسلام ديناً ودولة، وبالقرآن العظيم نظاماً وتشريعاً، وبالتاريخ الإسلامي عزاً ومجداً، وبالتقافة الإسلامية العامة روحاً وفكراً، وبالجهاد في سبيل الله اندفاعاً وحماسة.

لأن من المؤسف اليوم أن يصل شبابنا إلى سن التكليف ولم يعلموا أن الإسلام دين يشمل كل نواحي الحياة.

أليس من المؤسف المؤلم أن يتعلم أولادنا في المدارس كل شيء عن رجالات الغرب وفلاسفة الشرق وأقطارهم وأدائهم، ولم يعرفوا عن حياة أبطالنا وعظمائنا في التاريخ سوى النذر القليل ثم أليس من العار والشنار أن يتخرج أولادنا من المدارس وقد مسختهم الثقافات والمبادئ الغربية والشرقية حتى أصبح الكثير منهم أعداء لدينهم وتاريخهم وحضارتهم.

لذلك أيها الإخوة علينا واجب ديني تجاه الحركة اللادينية واللاأخلاقية أن نعرف أولادنا أن الإسلام خالد وتشريع لكل الأزمنة.

وصدق الله العظيم ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾.

علينا أن نفهم أولادنا: بأن أبائنا ما وصلوا إليه من عز والخلود إلا حين اعتزوا بهذا الإسلام وتطبيقهم للقرآن ومجاهدتهم لأعداء الإسلام وإلى أننا لم ندخل التاريخ بأبي جهل وأبي لهب وأبي بن خلف، ولكننا دخلناه بالرسول العربي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، ولم نفتح الفتوح بحرب البسوس وداحس والغبراء ولكننا فتحناها ببدر والقادسية واليرموك

ولم نحكم الدنيا بالمعلقات السبع ولكن حكمناها بالقرآن المجيد، ولم نحمل إلى الناس رسالة اللات والعزى ولكن حملنا إليهم الإسلام ومبادئ القرآن.

إخوتي الأكارم:

قد لا يستطيع المربي أن ينقل لولده هذه المعلومات فعليه أن يعوض عنه بأحد أمرين:

بدفع ولده إلى مرشد عالم مخلص داعٍ فاهم للإسلام ككل لا يتجزأ، لا يكتفي بتزكية النفس أو بحملها على اتخاذ مظهر المسلم الخارجي بلحيته وسبحته وعمامته، ولا بحملها على العبادات فقط، بل بحملها على الإسلام جملة واحدة لا يفرق بين صلاة وجهاد وتزكية نفس أعني به جميع أركان الدين.

يسلمه إلى مرشد مندفع للإسلام مجاهد في سبيله مطبق لحدوده لا تأخذه في الله لومة لائم.

فإذا فقد هذا المرشد بهذه الصفات فعليه أن يسلمه إلى معهد شرعي يقوم على تربيته.

الأمر الثاني: اتحاف الوالد بمكتبة صغيرة وتشتمل على:

- ١- القصص الإسلامية: تتكلم عن سيرة الأبطال وحكايات الأبرار وأخبار الصالحين.
 - ٢- فإذا عقل ووعى أتخفه بمجموعة تتحدث عن كل ما يتعلق بالنظم الإسلامية سواء من ناحية العقيدة أو الأخلاق أو الاقتصاد أو السياسة.
 - ٣- فإذا قال: ها أنا ذا واستوى وفهم حال الأمة وتفككها، وما يريد أعداء الأمة منها زوده بالكتب التي توضح المؤامرات التي تحيكها الصهيونية والشيوعية والماسونية والصليبية والمذاهب الأخرى التي تعمل ضد الإسلام.
- فكلما اجتاز مرحلة قدم له ما يناسبه مع سنّه وثقافته حتى تكون الفائدة أنفع والثمرة التي يجنيها أجدى، امتثالاً لأمر المربي الأعظم (خ): "حدثوا الناس بما يعرفون".

وكما قال ابن عباس: أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم.

فإذا نهجنا هذا المنهج وسلكننا هذا السبيل اعتز أبناءنا بدينهم وافتخروا بأمجادهم وتاريخهم وتركوا الأباطيل، واتجهوا نحو الإسلام فاتخذوه سبيلاً ومنهجاً، عقيدة وشرعة، مصحفاً وسيفاً، ديناً ودولة، عبادة وسياسة وكانوا من الجيل الأول الذي قال عنهم الشاعر:

خلقت جيلاً من الصحاب سيرتهم تضوغ بين الورى روحاً وريحاناً

كانت فتوحهم براً ومرحمة كانت سياستهم عدلاً وإحساناً

لم يعرفوا الدين أوراداً ومسيحة بل أشبعوا الدين محراباً وميداناً

معشر السادة:

هذه هي أبرز المسؤوليات في تربية الأولاد العقلية، بعد الاعتناء بصحتهم العقلية بعدم التدخين وشرب المسكرات والمخدرات وما يذهب ويزري بعقولهم.

فإن قصّر الآباء والمربون والمعلمون في القيام بهذه الواجبات وفرطوا في هاتيك المسؤوليات فإن الله سبحانه وتعالى سيحاسبهم على تعقيدهم ويسألهم عن نتائج إهمالهم، فيا خجلتهم من الله إذا وقع عليهم الحق وكانوا من المفرطين، ويا ويلهم من مشهد يوم عظيم إذا كان جوابهم أمام رب العالمين: ﴿ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلاً﴾.

﴿ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً﴾.

وسيجيبهم مولانا عز وجل: ﴿لكل ضعف﴾.

كانت هذه الأنبياء بالتفصيل وإليكم موجزها (إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع) ابن حبان.

هنا مدرسة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى الحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله الصلاة والسلام عليك.

القضية السابعة عشرة

تعليم البنات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وعد من أطاعه بنعيم جناته، وتوعد من جحده بجحيم نيرانه، وقهر من كفر بقوي سلطانه، وستر من فجر، بجميل إحسانه، وعذر من اعتذر من قبيح عصيانه، وغفر لمن عبر إلى حرم غفرانه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خلق الجنة من نور رحمته لأقوام سقاهم من الرحيق المختوم، وخلق النار من سطوة غضبه لأقوام كتب لهم بالشقاء المرسوم.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، رفيع الرتبة والمقدار وصاحب الفضل والفخر، الذي يقف بين يدي العزيز الغفار، فيقول له اطلب تعطه وأشفع تشفع أيها المختار.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين الأبرار ما أشرقت شمس كلما كان رابعة أنهار وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

كنت معكم في الأسبوع الماضي عند قضية التعليم، واليوم سيكون حديثنا عن تعليم البنات بين القديم والحديث. فهل حارب الإسلام تعليم المرأة؟ كما يدعيه الحاقدون على الإسلام، يجيبنا عن هذا السؤال الإمام البخاري أن امرأة جاءت إلى المربي الأعظم فقالت:

يا رسول الله! ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوماً نأت إليك فيه، تعلمنا مما علمك الله. فقال عليه الصلاة والسلام:

اجتمعن يوم كذا وكذا. فاجتمعن، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمهن مما علمه

الله.

أيها السادة: إن الإسلام ولا ريب لا يحارب تعليم البنات، لأن بعض العلم فرض على الرجال والنساء لا فرق بينهما في شيء من الواجبات والمحرمات ولا في شيء من الثواب والعقاب.

وصحيح أن الإسلام أذن للمرأة أن تتعلم ما ينفعها في أمر دينها ودنياها، لكن يجب أن يكون هذا التعليم بمعزل عن الذكور وبمنأى عنهم، حتى يسلم للبنات عرضها وشرفها، وحتى تكون دائماً حسنة السمعة كريمة الخلق كثيرة الاحترام.

والحديث الذي صدرته لكم يدل على هذا فإن النبي الكريم لم يجمع النساء مع الرجال ليفتتح درسه كما يفعل الفساق في الجامعات، ولكن عين لهن يوماً معيناً ((اجتمعن يوم كذا وكذا)) فعلمهن مما علمه الله تعالى.

فكيف كان التعليم في دمشق الشام؟

وأجيب عن هذا السؤال مع الحلقة السابعة عشرة من سلسلة تربية الأولاد في السلام، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم لترفعوا تحيتكم للمربي الأعظم: (الصلاة والسلام عليك يا رسول الله).

إخوتي في الله: مدارس البنات في الشام قديمة.

فأول فتاة تخرجت كانت من مئة وعشرين سنة، أتدرون كيف كان الامتحان؟

كان الفاحصون من الرجال إذ لم يكن في الشام يومئذ من المتعلمات من يمتحن الطالبات، نصبوا ستارة تعقد وراءها الطالبة وأمامها لجنة الامتحان. وكان رئيسها مربي الشام الشيخ طاهر الجزائري الذي كان له العمل الأكبر في افتتاح مدارس البنين والبنات والمكتبة الظاهرية.

ثم أخذ الطريق ينحدر والمصائب تتوالى، والمدارس التي أنشئت لحفظ البنات وتثقيفهن وتكوينهن، وكانت عنايتها برؤوسهن تملؤها بحقائق العلم، وتعلوبهن تملؤها بالإيمان وبالفضائل.

وكان لا يدخل مدرسة البنات معلم ولا آذن إلا إن كان شيخاً كبيراً.

فخلف من بعدهم خلف صارت عنايتهم بأحسن الطالبات، وصار معلموها من الشباب والعزابات المتأنقين الحاسرين أصحاب الشعور المرجلة والوجوه المحفوفة وصارت تقام حفلات

للرجال تمثل فيها البنات ويرقصن بالثياب القصيرة الرقصة الرياضية ويدبكن الدبكة الوطنية، ثم اخترعوا شر اختراع وهو هذه الرحلات المدرسية التي يشترك فيها الجنسان، ثم كان سهلاً عليهم إثارة الشبان الفاسقين على الشر والحجاب باسم الحرية الشخصية التي تمتعوا بها بما وراء حدود الفضيلة من لذائذ محرمة أليست المرأة حرة ولو خرجت عارية.

أليس الناس أحراراً ولو فسقوا وفجروا، أليس كل امرئ حراً ولو ثقب في السفينة، مكانه فيها، وادخل إليها والماء فأغرقها وأهلها.

وإنني أسأل والله سيسألهم عما كانوا يفعلون.

هل هذا الذي وصلنا إلينا يحفظ علينا عفافنا أم هو يضيعه علينا، هل يعمر بيوتنا أم يخربها على رؤوسنا، هل يرضي ربنا أم يسخطه علينا، هل هذا يجعلنا أمة قوية أم هو يذهب بقوتها؟

وأنا أسأل الدول الإسلامية التي تقيم مدارس مختلطة بين الشباب والفتيات، والتي تقيم حفلات مشتركة بينهم، هل هذا الاختلاط ينفعنا أم لا؟ وإذا سلمنا جدلاً بأن من الخير مشاركة الطالبات في الحفلات المشتركة هل يشترط في هذه المشاركة أن يكشفن السيقان والأفخاذ، بل أن ينتخب لذلك الجميلات منهن لا النابغات ولا الذكيات كما تفعل إحدى الدول العربية في أفريقيا.

وإذا لبسن الجوارب الساترة والثياب الطويلة أبيض رواء الاحتفاء وتذهب بهجة الاحتفال. أم أننا نريد أن ننظر إلى أفخاذ بناتنا ومحارمنا، بل بنات الناس بحجة المشاركة في الاحتفالات؟

وإذا كان حسناً أن نقوي بالرياضة أجساد الطالبات، فهل يشترط لهذه التقوية أن يختلطن بالرجال؟ هل الرياضة وتقوية جسم البنت لا يكون إلا في كشف عورتها؟.

ألا يقوى جسمها إن لبست ما يستر عورتها كبنطال الرياضة، هل الكرة الرياضية لا تدخل الشباك إذا نحن كنا مستوري العورة؟

لا والله، إنهم لا يريدون الصحة ولا الرياضة ولا المشاركة بالاحتفالات، بل إنهم يريدون التلذذ بمرأى أجساد بنات المسلمين باسم الرياضة والصحة والاحتفال.

إنني أتوجه بهذا الكلام إلى وزراء التربية العرب وإلى مدراء ومديرات مدارس البنات لا خير في علم تكشف فيه عورة المسلمات إننا إذا فعلنا كنا لصوص أعراض.

ولكن الحق ليس على علماء التربية والتخطيط ولكن الحق على آباء الطالبات هم عميان لا يبصرون.

خرس لا ينطقون، حمير لا يغارون، وهكذا ما يكون النصر على أعداء الإسلام، إن هذه الهزيمة الذي يشهدها العالم الإسلامي اليوم في الجزائر وتونس السودان وتركيا وكشمير وفلسطين سببه مخالفة أمر الله تعالى، هذا تأديب لهم أن لا يعودوا لمثله، إنني أدعو حكام العرب باسم سوريا الثورة المسلمة سوريا بشار الأسد فأقول لهم: إن معركة بدون اعتماد على الله وطاعة له لن تنتصر، وإننا بين أمرين إما أن ننصر الله فينصرنا، ويكون لنا بذلك عز الدنيا وسعادة الآخرة، وإما أن نقعد عن نصره ديننا ونهمل شريعتنا فيستبدل الله بنا غيرنا، فيدخل في الإسلام شعب في مسلم كالإيبان والصين فيحملوهم لواءه ويصيروا هم أوليائه، ونرجع لا دنيا ولا دين.

معشر الإخوة: العالم كله اليوم يتجه نحو الإسلام شرقاً وغرباً، في كل يوم يدخل في الإسلام من العالم الغربي ألف إنسان، النهاية لنا الإسلام، العز للمسلمين، فهل يعني هذا من كان له عقل أو ألقى السمع وهو شهيد اللهم قد بلغت اللهم فاشهد.

هنا مدرسة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، الجالس فيه عليه أن يرفع التحية إلى الحبيب المصطفى، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله الصلاة والسلام عليك.

القضية الثامنة عشرة

تحريم الاختلاط ونتائجه

الحمد لله سهّل ما صعب من الأمور الكائنات فاتح فاتحة الفتوح الميسرات، المتقدس عن الحدث والنقصان والآفات، المستحق لكمال النعوت والصفات، المسبّح بصنوف اللغات، المحمود على جميع الأفعال والحالات أحمدته سبحانه وتعالى على ترادف نعمه السابغات حمداً دائماً على ممر الأوقات والساعات وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة منزّهة عن الشك والشبهات وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله استخرجه من أشرف الآباء والأمهات وابتعثه بالمعجزات البالغات، والآيات والحجج الواضحات، وختم به النبوة والرسالات، وخصّه بأفضل النساء والزوجات، وشرفه بتحريمهن على المؤمنين بعد الوفاة اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد أفضل الصلوات وعلى أزواجه الطيبات الطاهرات المنزهات عن قول أهل الإفك المبرأت، وسلم تسليمًا كثيراً إلى يوم الدين ونشر العظام الباليات

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

وقفت معكم في الجمعة الماضية عند جواز تعليم المرأة ووجوب تعليمها أمر دينها، وهذا إذا كان لا يعتري مجلس التعليم محرم، كأن تختلط النساء بالرجال، فكم من البدع الكثيرة المحرمة التي استحدثت بعد وفاة السيد الأعظم، وكم من الأحكام حُرِّفت وبُدِّلَت على أيدي الضالين المضلين وأيدي الجهلة من أبناء القرن العشرين، ومن هذه البدع والتحريفات: التعليم المختلط بين الجنسين فعليه من الله ما يستحق ذلك الذي أمر به.

إنني أعلنها عاليةً من على منبر سيدنا رسول الله ﷺ: إن الاختلاط في الإسلام حرام بين الذكور والإناث غير المحارم، إن الاختلاط حرام ولو كان بحجة التعليم، إن الاختلاط حرام ولو كان أثناء الخروج من الصلاة، بل عند الحنفية لو صلت المرأة بين رجلين أبطلت صلاتهما ومن خلفهما إلى نهاية صفوف الرجال.

إنني أدعوكم اليوم لأزور معكم المربي الأعظم ﷺ، ها هو يعطينا درساً هاماً في قضية تحريم الاختلاط، ها هم الصحب الكرام يخرجون بعد إحدى الصلوات فيختلط الرجال مع النساء في الطريق، خرجوا من الصلاة لامن المعسكرات، خرجوا من الصلاة لا من الحفلات، خرج النساء وهن محجبات لا يرى منهن شيء، يختلطن في الطريق بعد الصلاة، فنظر رسول الله إلى

هذا المشهد فنأدى في النساء: أيا معشر النساء! تأخرن، فإنه ليس لكن أن تحقن الطريق (يعني ليس لكن أن تسرن وسط الطريق) عليكن بحافات الطريق.

يقول الراوي يا سادة يا كرام: فكانت المرأة تلتصق بالجدران حتى إن ثوبها يتعلق بالجدار من لصوقها به.

هذا هو الأمر النبوي الشريف: الاختلاط حرام حتى وإن كان بعد الخروج من أداء العبادة، فمن دعا إلى الاختلاط أو عمل به فقد خالف الأمر النبوي، ومن خالف أوامر النبي خيف عليه أن ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت وسلموا تسليماً﴾.

إننا معشر الإخوة مع الحلقة الثامنة عشرة من سلسلة تربية الأولاد في الإسلام، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم.

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله.

إخوة الإيمان: أليس عجباً كيف يضل المصلون الناس في عصرنا الفاسد حين يدعون إلى الاختلاط ويقولون: أن الحجاب فرض في العصر العباسي؟!

إن القرآن الكريم الذي نزل في عصر النبوة يرد عليهم ضلالتهم ويكذبهم، إن الله عز وجل أمر أمهات المؤمنين بالحجاب وهن أمهاتنا، أي رغم أنه يحرم علينا التزوج بهن، أمرهن بعدم الاختلاط مع المؤمنين، عفواً بل مع أتقياء الأمة فقال تعالى مخاطباً الأولياء المجتهدين: **﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾**، إذا كانت هذه الآية نزلت في حق أمهات المؤمنين الطاهرات الزاكيات المقطوع لهن بعقتهن، إذا كنّ مأمورات بالحجاب وعدم الظهور أمام الصحابة، فما بال النساء المسلمات؟! إنهن مأمورات من باب أولى بعدم الاختلاط والحجاب والعبرة - كما يقول الأصوليون -: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ألا فليعلم أهل الإيمان والتقوى أن سيدنا رسول الله ﷺ لا يرضى لأمته الاختلاط مع رجل أعمى بحضرة النساء، فقد دخل مرة ابن أم مكتوم (وهو ضريح) فبقيت سيدتان من بيت النبوة جالستين، فأمرهما بالانصراف فقالت: يا رسول الله إنه أعمى. فقال السيد الأعظم: أفعمياوان أنتما؟!.

عليه ما يستحق من الله ذاك الذي أمر بالاختلاط، إن مبنى أمر المرأة على الستر والحشمة «إن المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان» نطق بهذا السيد الأعظم، إن المرأة مأمورة بالستر سترة، تستر الرأس وفتحة الصدر، وعليها ألا تبدي الزينة والمفاتن للأجانب، هذا هو القرآن يقرر هذه الحقيقة على البنت التي تخرج للتعليم أن تستر جسمها ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن...﴾.

إن هذه الآية حجة قطعية تدل على أن المرأة المسلمة مأمورة بالستر والحشمة والعفة وعدم الاختلاط بالأجانب حتى لا تتعرض لكشف زينتها.

وإن كان سبحانه يقرر قرار الحجاب في القرآن فيقول: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين...﴾. فكيف نتصور اختلاط المرأة بالرجال الأجانب عنها، والمرأة المسلمة مأمورة بالحجاب وارتداء الجلباب والمري الأعظم يقول: "إياكم والدخول على النساء فقال رجل: يا رسول الله أفرايت الحمى (أقارب الزوجة) فقال: الحمى الموت".

أيها الإخوة.. يا أهل الدين والنخوة والشرف:

إن الناس يبيحون الاختلاط ويتجاهلون الفطرة الغريزية، ويتجاهلون الواقع المرير الذي آلت إليه المجتمعات الإنسانية قاطبة.

غريب وعجيب! هل يريد دعاة الاختلاط والسفور أن يغيروا نوااميس الكون وأن يبدلوا فطرة الإنسان، وأن يحولوا سنن الحياة وطبيعة الإنسان وشهوته ولا سيما إذا كان كل من الرجل والمرأة في حال اختلاطهما مائعين جنسياً ومائعين خلقياً، فلا شك أن الانجذاب إلى الفاحشة أبلغ وأقوى، ولو كان الاختلاط منذ الصغر، وفي مراحل العمر الأولى.

هذا المجتمع الغربي فيه الاختلاط في جميع مراحل العمر، فما هي نتائج الاختلاط؟ تحلل وفساد وإباحية وفجور، هاهي صحفهم ونشرااتهم تصدر عن علمائهم واحداً تلو الآخر، كتب أحدهم يقول:

"إن نسبة الحبالى من تلميذات المدارس الثانوية في أمريكا بلغت في إحدى المدن ٤٨%، والفضائح الجنسية في الجامعات والكليات الأمريكية تزداد وتتجدد كل عام".

وذكرت جريدة الأحد اللبنانية في العدد (٦٥٠) أن الإحصائيات دلت على أن (١٢٠) ألف طفل أنجبتهم فتيات بصورة غير شرعية لا تزيد أعمارهن عن العشرين، أكثرهن من طالبات الجامعات.

أضيفوا إلى ذلك ما يحدث على مقعد الدرس من غمز ولمس، وما يحدث خلف الكواليس. هذا ما يريده دعاة الاختلاط: هتك أعراضنا وشرفنا.

سيظهر أثر ذلك واضحاً، تصبح وتمسي البنت مع جارها ويبدأ الأمر بالصدقة البريئة المحرمة إسلامياً وستتحول بمعية إبليس وجنوده والمدرسة إلى علاقة محرمة أو إلى حبيبة وخليفة، لأن هذا ما حدث في العالم عند من يبيحون الاختلاط، نشرت جريدة الشرق الأوسط اللندنية في عددها ١٩٧٩/٧/١٥ أن (٨٠-٨٥%) من الرجال البالغين لهم خليلات يعني زانيات ويا ترى بعد أن تتزوج الطالبة ماذا سيحل بهذه الصداقة الوسخة، وهل ستتخلى عن مصاحبتها وصداقتها لمن جلست معه طويلاً في شبابها، أم سيصدق عليها ما نشرته الصحيفة نفسها من أن (٧٥%) من الأزواج يخونون زوجاتهم في أوروبا.

وهذا الطالب الذي جالس الفتيات بعد أن يكبر ويتزوج، هل سيكتفي بقضاء شهوته مع زوجته فقط، أم سيفعلون كما فعل لو تروكيه، وما أدراك ما لو تروكيه؟

هل أتاكم حديث لو تروكيه رئيس جمعية في فرنسا الرجل الذي اقتحم الرابعة والسبعين من عمره، فلم يمنعه وقار الشيخوخة أن يغوص إلى أدنيه في مستنقعات الزنى والعهر، وما نبأ الفنانين والفنانات لكن شاشتتا ببعيد.

وأنا أسأل يا ترى لو أن طلابنا وطالباتنا اللواتي يجلسون في مكان واحد كل صباح حتى الظهر، وربما بعد الظهر، وتتأجج نار الشهوة فيهما، ماذا سيفعلان عندما يصلان إلى البيت، ترى هل يقترفن الفاحشة مع ذوات المحارم، مع أخته مثلاً أو مع أخيها كما ثبت اليوم عند الغرب مما نشرته جريدة البرالدتريون الأمريكية في عددها ١٩٧٩/٦/٢٩ أن المجتمع الأمريكي بصورة خاصة يعاني من اقتراف الفاحشة مع المحرمات كالبنات والأخت، وأن هناك عائلة من كل عشر عائلات يمارس فيها هذا الشذوذ.

معشر السادة الكرام:

هذا غيظ من فيض مما سيحدث من جراء الاختلاط مما حدث في المجتمعات الغربية، فهل يصدق عاقل ذو بصيرة أن الاختلاط كما يدعي دعاة اليوم يحدث من ثورة الغريزة ويخفف من هياج الشهوة، ويجعل اجتماع الرجال مع النساء أمراً مألوفاً وعادياً. وقف سفير الدولة العثمانية في بلاد إنكلترا مع كبار سفراء الدولة البريطانية فقال له أحد السفراء لماذا تصرّون أن تبقى المرأة المسلمة في الشرق متخلفة ومعزولة عن الرجال، محجوبة عن النور، فقال له السفير العثماني: لأن نساءنا في الشرق لا يرغبن أن يلدن من غير أزواجهن. فكأنما ألقمه حجراً.

أيها الإخوة:

اختاروا تعليماً مع تربية ودين، أو تعليماً مع قلة تربية ودين الموت أشرف منه، وتذكروا قوله تعالى لنبيه: ﴿فلا وربك لا تؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يرفع التحية للحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله: الصلاة والسلام عليك.

القضية التاسعة عشرة

التعليم بالترغيب والترهيب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي منَّ علينا بالإيمان والإسلام وتفضل علينا ببيان الشرائع والأحكام وأحلَّ الحلال وحظَّر الحرام، ووعد من أطاعه الثواب في دار السلام، وأوعد من عصاه بالعقاب في دار الهون والانتقام.

أحمده سبحانه وتعالى على ما أفاض علينا من الإنعام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك العلام.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد الأنام.

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه السادة الأعلام.

أما بعد: فيا معشر السادة الكرام:

استعرض مع حضراتكم اليوم أحدث النظريات التربوية التي توصل إليها شرعنا الإسلامي في أسلوب التعليم التربوي، منهج إلهي قام بتنشيعه رب العالمين، ونفَّذه وحدَّ حدوده سيدنا رسول الله.

معشر الإخوة: المدارس في العالم اليوم تتبع في تقويم الطفل عنصراً واحداً في التربية، هو عنصر الثواب وحده واستبعدت العقوبة من عملية التربية فراراً بالصبي من العقد النفسية، وأنا أسأل: هل حققت هذه النظريات أغراضها أم لا؟

اسمحوا لي **معشر السادة** أن استعرض لكم هذا الفشل الذريع الذي منى به العالم الغربي في إعداد الأجيال نشرت صحيفة أخبار اليوم تقريراً لمكتب التحقيقات الفيدرالي في أمريكا، يقول التقرير: أن جرائم العنف زادت في عام ١٩٨٠م بنسبة ١١% عن العام الذي قبله وتضاعفت نسبة الجرائم أربع مرات في السنوات العشر الخوالي، وأنه

لقي في العام الماضي ٢٣ ألف شخص مصرعهم على أيدي المجرمين القتلة بالقياس إلى ٩٠٠٠ شخص منذ عشرين عاماً.

وأنه تم اغتصاب ٨٣ ألف سيدة وفتاة.

وأنه تعرض أكثر من نصف مليون شخص لحوادث السطو المسلح. وأن الجرائم كل يوم بازدياد حتى قدر عدد الجرائم التي تقع سنوياً في مدينة نيويورك وحدها بمليون جريمة. أتعرفون لماذا؟

لأن التربية المعاصرة هناك تعتمد على عنصر الترغيب والترهيب، أعني به الثواب والعقاب.

إنني ومن هنا أرفع رأسي عالياً بالإسلام الذي جعل العقوبة الشرعية مقابل الدرجة الثوابية.

هذا هو القرآن الكريم في أسلوبه الفريد تراه ما يذكر الجنة إلا ويذكر النار، ولا يذكر النار إلا ويذكر الجنة، ذلك أن النفس البشرية تميل إلى حب الترغيب وتخاف من التحذير ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾، إن العقوبة تمنع الجرائم وتردع العصاة وتحقق الأمن لكل فرد، إنها بمنزلة الكي بالنسبة للمريض المحتاج إليه، وبمنزلة قطع العضو المتآكل ليسلم الجسم كله.

العقوبة في الإسلام لا تفريط فيها ولا إفراط، هي على قدر الذنب. هذا هو الحق الذي فهمه الصحابة الكرام وعمل به المربون من بعدهم.

إننا مع قضية الترغيب والترهيب ضمن وسائل التعليم التربوية ومع الحلقة التاسعة عشرة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم (الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات القرآن الكريم:

﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنْ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ (الحجر ٤٩-٥٠).

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾. (الإسراء ٧).

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة ٧-٨).

إخوة الإيمان

الخطأ قدر ابن آدم في هذه الحياة، والصبي إنسان يخطئ ويصيب وموقفنا منه في حالتي الخطأ والصواب محكوم بروح الإسلام وأحكامه، لذا علينا أن نحسن أخذه بالعدل والحكمة وإلا جنينا عليه وألقينا به في مهاوي الفساد.

والحقيقة التي يجب أن يقال: أن الخطأ الذي يرتكبه الصبي يكون مستمداً من بيئته التي يعيش فيها لأننا يجب أن لا ننسى أن المربي مع أفراد المجتمع كانوا قدوة للطفل الذي امتص عاداته منها، فهو صورة عن بيئته شئنا أم أبينا، وعلى رأس هؤلاء جميعاً يقف الوالدان، فهما الوسطة التي يعبرها الطفل إلى العالم الخارجي، لذلك التحذير القرآني جاء مبيناً هذه الحقيقة:

﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾ لذا على الوالدين في الدرجة الأولى أن يكونا سالمين من العيوب حتى تنعكس أخلاقهما على أخلاق الولد وذكروا أن البيئة الصالحة لا تخرج إلا صالحاً ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا﴾ (الأعراف: ٥٨).

وينشأ ناشئ الفتيان فينا على ما كان عودّه أبوه.

وعندما جاءت السيدة مريم بسيدنا عيسى تحمله قال: قومها لها: ﴿يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً﴾ أي أنت من بيت طيب طاهر معروف بالصلاح والعبادة والزهارة فكيف صدر هذا منك.

إنهم يستتكرون أن تجيء مريم على غير الصورة التي كانت عليها أسرتها الصالحة، فلم يكن الأب سيء الخلق ولم تكن الأم بغياً تتاجر في عرضها، فلا بد أن تجيء البنت على هذه السنن عفة وطهارة.

مثال عكسي:

لما دعا سيدنا نوح طالباً هلاك قومه، جعل من مبررات ذلك قطع هذه السلسلة النكدة من الآباء الضالين حتى لا يمتد منهم عرق أو جيل يعكر صفو حياة الأجيال المقبلة ﴿إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً﴾.

فعلى المربي أن يعرف أنه السبب الأول في الخطأ الذي يرتكبه الصبي. ومع ذلك فقد اتبع الإسلام في منهجه العظيم سنة التدرج في معالجة أخطاء الصبي، فهل في القرآن هذا التدرج في

العقوبة؟ نعم! وإليكم الدليل قال تعالى: ﴿وَاللّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَقُطُوهُنَّ لَعَلَّهِنَّ يَاسِيْنَ﴾ (النساء ٣٣)

وفي السنة أيضاً هذا التدرج ولكن مع الطفل، يقول المربي الأعظم صلى الله عليه وسلم:

(مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين).

فإذا حدّد القرآن والسنة وسائل التربية هكذا، فإنه يرتبها على هذا النسق المحقق للغاية، وإلا فاستعمال الضرب ابتداءً فيه من الفساد ما الله به عليم، وخاصة في مجال الطفولة، وذلك أن الطفل سيخطئ كثيراً وسيحتاج إلى العقوبة في الغالب مرات كثيرة، فمن المصلحة إذاً: أن يكون خط العقوبة طويلاً كذلك، كي لا تنتفد الوسائل سريعاً، لأن ذلك يفقدها كثيراً من تأثيرها فتصبح بعد قليل عديمة الجدوى، فلو بدأ المربي بالضرب (سواء كان خفيفاً أم موجعاً) ستبدّد حس الولد، ولا يزرجه ولا يؤثر فيه وجهه عابس ولا صوت غاضب ولا حرمان ولا تهديد بحرمان، وسيصل الولد إلى قمة المأساة، وقد نشكوا إلى الله عقوق الأولاد ثم نندم ولات ساعة مندم، ونصير كما قال الشاعر:

أتبكي على لبني وأنت قتلتها لقد ذهبت لبني فما أنت صانع؟

فكيف تكون سنة التدرج في عقوبة الطفل؟

إخوتي في الله:

تبدأ هذه السلسلة بالتخويف بالله تعالى فهو خط أصيل في المنهج الإسلامي ردعاً للطفل عن الخطأ، ثم تكراره إذا ما تورط فيه، وفي هذا يقول المربي الأعظم صلى الله عليه وسلم (طس): (لا ترفع العصا على أهلك وأخفهم في الله عز وجل).

وعلماء التربية الإسلامية يقولون: إن الأطفال على أنواع: طفل لا يحتاج أن تعاقبه في حياته. فلم تعاقبه؟.

وهناك طفل يرى في إعراضك عنه لحظة عقوبة قاسية لا يتحملها وجدانه.

وطفل يبكي ألماً إذا عبست في وجهه. ومن هؤلاء جميعاً طفل لا يرعوي أبداً حتى يذوق مرارة طعم العقوبة الحسية الموجهة، فهذا لا يكفيه الإعراض ولا يكفيه الإغراء.

والمربي الحكيم يدرس حالة الطفل الذي بين يديه. فإذا ظهر منه خلق جميل وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه ويجازى بما يفرح به، ويمدح أمام الناس، فإن خالف ذلك في بعض الأحوال فينبغي أن يتعافل عنه، ولا يهتك ستره، فإن عاد عاتبه سرّاً وعظم فيه الأمر ويقول له: إياك أن تعود لمثله أو يطلع عليك الناس فتسقط من أعينهم، والسقوط من أعالي الجبال ولا السقوط من أعين الرجال.

ولا يكثر المربي العقاب في كل حين، فإنه يهون على الصبي سماع الملامة وركوب القبائح، وعلى الأم أن تخوف بالأب وترجعه عن القبائح به.

فمتى يكون الضرب إذا؟ وفي أي حال؟ وما هي شروطه؟.

أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى، وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى الحبيب المصطفى، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله الصلاة والسلام عليك.

القضية العشرون:

استخدام العصا في التربية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أوضح الطريق للطالبين وسهّل منهج السعادة للمتقين، وبصّر بصائر المصدقين بسائر الحكم والأحكام في الدين، ومنحهم أسرار الإيمان وأنوار الإحسان واليقين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك الملك الحق المبين القائل: ﴿وَيُؤْتِ الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: ٢٦٩).

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة:

من هو، ومتى، وكيف، وكم؟.

هو منهج الإسلام في مسألة الضرب في التربية ومتى يتعين الضرب، وما هو مكانه في جسم الإنسان وكم تكون عدد الضربات وما هي الآلة المستعملة هذه الأسئلة تعترض المربي عندما يقرر استخدام وسيلة الضرب.

فبعد استنفاد كل الوسائل السلمية من الموعظة الرقيقة البليغة، والتي تبلغ بها الرقة أعماق القلوب، وبعد التلطف ومزج الرغبة بالرهبة بما يسمى عند علماء النفس بالحرب النفسية التي لا تسيل فيها الدماء، أي بالتهديد والأمر والإشارة والعبوس والتقطيب وحرمان اللذائذ التي يرغبها الطفل ويميل إليها وحرمانه من الخروج من البيت ومن الالتقاء بأصدقائه وأقاربه، كل ذلك يحدث والصبي يرى والديه يكرمان اخوته المطيعين فهذا كله من أساليب معالجة الاعوجاج عند الصبي حتى إذا لم تتجح هذه السلسلة الطويلة والصبر الطويل في تقويم اعوجاجه لجأ المربي إلى مرحلة

أخرى من مراحل التربية هي مرحلة التهديد بالعصا ثم استخدامها، فالعبد يقرع بالعصا... والحر تكفيه الإشارة.

كان هذا موجز الأنباء التربوية وإليك تفصيلها مع الحلقة العشرين من سلسلة القضايا التربوية في الإسلام ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم:

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

معشر الإخوة الكرام:

علينا أن نعرف حقيقة هامة قبل الدخول في تفاصيل هذه القضايا ألا وهي: أن الضرب ليس قاعدة من قواعد التربية، ولكنه استثناء فرضته ظروف استثنائية، إن ضرورة والضرورة تقدر بقدرها، وهذا معناه:

أن الضرب ليس تعذيباً للطفل، ليس للانتقام والتشفي، ويمنع أن يكون إهانة للإذلال والتحقير ويمنع أن يكون وسيلة للقسر والإرغام على معيشة لا ترضاها.

الضرب لا يكون إلا عند الانحراف حين لا تجدي موعظة ولا تهديد هو كما يقولون آخر الطب الكي.

فمهما حصل الغرض بالطريق الأخف وجب الاكتفاء به ولم يجز الإقدام على الطريق الأشق.

لكن علينا أن نعلم قبل ذلك أنه:

يجب أن تكون وسيلة التفاهم حتى قبيل سن العاشرة هي الكلمة الطيبة والتوجيه السديد في ضوء آية هي أعظم أسلوب من أساليب التربية الإيمانية إنها قوله تعالى: (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها).

مع قول المربي الأعظم صلى الله عليه وسلم (مروا أولادكم بالصلاة لسبع سنين).

إن الطفل حينئذ ك يكون كالبراعم تنفتح رويداً رويداً فلا يجوز كبتها بالضرب فإذا استوت البراعم على سوقها عند العاشرة ولم يشأ الصبي أن يأخذ دوره الاجتماعي مع اخوته المسلمين في المسجد فإن الضرب هنا يكون هو الحل الأخير.

الأمر الثاني الذي علينا الانتباه إليه: أن الضرب لا يكون إلا لترك واجب مثل الضرب على ترك الصلاة أو ترك الحقوق الواجبة أو لترك الطاعة الوالدين.

وأن الضرب ليس هو الحاكم للموقف، بل هو وسيلة للعلاج، فعلى المربي أن يعلم أن سوء استغلال القوة العصبية لدى الطفل يتجه به إلى الجبن والحقد والنفاق، ويقدر ما يؤدي حسن رعايتها إلى الجرأة والشهامة والعفو.

وإذا كانت القسوة تؤدي إلى نتيجة عكسية ستمرئ الصبي بعدها الخطأ والعقاب معاً، فإن التماذي في التأنيب واللوم أيضاً قد يؤدي إلى عقد نفسية تفوق أخطارها الذنب المعاقب عليه.

على الأب الذي يستخدم العصا على أولاده بالتسلط أن يعرف أن أولاده سيتحولون إلى صورة باهتة هو يحركها وهو يرسم حياتهم بيده ولا نتيجة لهذا الموقف الشاذ إلا وحد من أمرين أحلاهما مرّ: الكبت أو الانفجار.

هذا الأمر هو الذي دعا أسلافنا إلى تقادي المبالغة في التأنيب اكتفاءً بالنصيحة المثمرة، وطرائق رشيدة في معالجتها، مرّ سيدنا رسول الله برجل قد أصاب ذنباً وكانوا يسبّونه فقال لهم: أرأيتم لو جدموه في بئر ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلى. قال: فلا تسبوا أخاكم واحمدوا الله الذي عافاكم. قالوا: أفلا نبغضه قال: إنما أبغض عمله فإذا تركه فهو أخي.

أيها الإخوة علينا أن نرفع رؤوسنا عالياً بالإسلام فهذه القضية هي أصل من أصول القرآن، فمولانا عز وجل يقول: ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فإن عصوك فقل إني بريء مما يعملون﴾.

فالرسول المربي مأمور أن يقول لمن عصوه (إني بريء من عملكم: لا من ذواتكم) فنحن في التربية نكره معصية العاصي لا كراهية شخصه، إن كراهية الشخص من حيث ذاته يأبأها الإسلام.

وقد كرر القرآن هذه اللفظة الكريمة على لسان سيدنا لوط حين قال لقومهم: ﴿إني لعملكم من القالين﴾.

لعملكم من القالين أي من المبغضين. لا لذاتكم.

إخوة الإيمان: هذه القضايا يجب أن تكون في ذهن المربي كما عليه أن ينتبه على ذهن ولده، فإن هناك صنفاً من الأولاد آتاهم الله إدراكات جزئية، قد يكون الولد ذهنه بليد خامل فاستعدادات الصبيان مختلفة، فليس كل الناس قابلين للتعلم وليس كل الناس قابلين للعمل، هذا رزق معنوي يؤتيه الله الولد، لذلك هذا الصنف من الأولاد لا يضربون، لأن منطق العقل يقضي علينا في مثل هذه الحال ألا تكلفه فوق طاقته، فماذا يجدي الضرب والتأديب في مثل هذا الضيف، وربما ممارسة ضغوط الآباء على أمثال هؤلاء الأولاد يجعلهم مصابين بالأرق، ولا ينامون إلا إذا تناولوا أقراصاً منومة أو مهدئة. ويكون المربي بذلك كالذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

وربما تحول ذلك العقاب إلى قسوة تعكر على الصبي صفو حياته ويصبح ذلك المربي كالمنبت لأرضاً قطع ولا ظهراً أبقى، وصار حصاد التربية هشيماً تذروه الرياح.

إخوتي في الله: وهذا الدور ليس مقصوداً على الأب ولكن الأم أيضاً مطالبة أن تساعد الوالد في هذه المرحلة فتتوسط بين الأب والابن وتشفع له لإحداث الأثر المطلوب في نفس الصبي.

أيها السادة:

ويبدأ المربي بالتهديد بالضرب قبل استخدامه فيضع العصا معلقة أمام أعين الأولاد فهذه مرحلة أولى في علم التربية تسمى: التهديد بالعصا قبل استخدامها ففي الحديث طب (علقوا السوط حيث يراه أهل البيت فإنه أدب لهم).

فما هو مكان الضرب في جسم الإنسان؟

أيها الإخوة

إذا تعين الضرب اشترط فيه أن يتحاشى المربي الوجه، وكلّ موضع يكون حساساً في بدنه، وكذا كل موضع يكون فيه مهلكه للطفل لأن الوجه مجمع الحواس وعنوان كرامة الإنسان لذا: قال علماء التربية: إن المربي يضرب بعصا خفيفة.

وأن يكون الضرب غير مبرح، وغير كاسر للعظم، أو يسبب عاهة تؤثر ولا شك على حياته مستقبلاً. لذا: قلت لكم يجتنب الوجه، وقد رأى المربي الأعظم صلى الله عليه وسلم رجلاً يضرب عبده على وجهه فنهاه عن ذلك وقال: ﴿إن الله خلق آدم على صورته﴾ لحسم الموقف والاستخفاف.

وأيضاً لا يزيد الضرب عن ثلاثة أسواط أخذاً من موقف عظيم وقفة سيدنا جبريل أمام الحبيب الأعظم حين نزل عليه أول مرة وغطه ثلاث غطات وهو يقول له اقرأ.

لكن الظروف الاستثنائية قد تفرض زيادة الضربات وفق ما يراه المربي. واسمحوا لي أن أنتقل إلى رأس المئة الهجرية إلى عصر عمر بن عبد العزيز عندما كان أميراً على مدينة الحبيب الأعظم وجاء الحجاج سفاح العراق يسأل أهل المدينة من إمارته فقال لهم كيف هيئته فيكم قالوا: هو أحب البنيان أهلنا.

قال: فكيف أدبه فيكم قالوا: ما بين الثلاثة أسواط إلى العشرة.

فقال: هذه هيئته وهذه محبته هذا أدبه هذا أمر من السماء. هداية الله، هذا هو محط قضية الضرب أن تكون بهداية من الله تعالى لا بتسلط ولا بعداوة ولا بظلم، فكيف يمكننا تحلية الولد بالأخلاق الحسنة؟

أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى، وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى الحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا رسول الله، الصلاة والسلام عليك.

القضية الحادية والعشرون

بناء شخصية الطفل العقائدية

الحمد لله الذي ابتدأ الإنسان بنعمته وصورة في الأرحام كيف يشاء بحكمته، وجعل له السمع والأبصار وأخرجه من ظلمة الأحشاء إلى سعة الأرض والفضاء، ورباه بإحسانه وغذاه بنعمة وأجرى له رزقه إلى أن صيره إلى من إليه صار، ونقله من حال إلى حال من الجهل إلى العقل ومن الصغر إلى الكبر وحفظ بالليل والنهار حتى إذا بلغ حدّ التكليف فحينئذ طلب منهم العباداة عبيداً وأحراراً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا وزير ولا قرين له وهو الواحد القهار شهادة تحيا عليها ونموت عليها ونبعث عليها يوم البعث والانتشار.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله واضع دين الإيمان وماحق دين الكفار.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه بعد وما أظلم عليه الليل وأضاء عليه النهار وسلم تسليماً.

أما بعد فيا معشر السادة الكرام:

اليوم معكم بناء شامخاً تعتزون به على مدى الدهور، هذا البناء هو بناء شخصية الطفل بناء كاملاً يصمد في وجه تيارات الإلحاد التي تملأ مجتمعات المسلمين في العالم اليوم.

ويبدأ هذا البناء في سن العاشرة عن طريق التوجيه والإرشاد والأمر والنهي والترغيب والترهيب والتحبيب والتقبيح ضمن أسس خمسة أبدأ اليوم بالأول منها وهو البناء العقائدي ومع الدرس الواحد والعشرين من سلسلة القضايا التربوية الإسلامية من جامع الدرويشية وفي بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم للحبيب المصطفى الأعظم (الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله).

إخوة الإيمان بناء العقيدة في شخصية الطفل أول شيء ينبغي الاهتمام به، أتدرون لماذا؟
لأن الله تعالى عندما أراد أن يبني شخصية عباده بدأه بالتوحيد نستدل على ذلك بقول مولانا عز
وجل على موجات سورة الأعراف ١٧٢:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟
قَالُوا بَلَى، شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾.

فقضية الاعتراف بالربوبية لله تعالى والألوهية له هي أول ما يجب أن يطرق سمع الولد
لذلك جاء الأمر من المربي الأعظم لنا معشر المسلمين فقال (حا):

افتحوا على صبيانكم أول كلمة لا إله إلا الله.

فإن وعى الولد أكثر كان علينا أن نغذيه بمفاتيح الإيمان، وهذا ما فعله المربي الأعظم مع
أولاد الصحابة ومنهم جدي ابن عباس رضي الله عنهما فإن نبيّنا الأعظم وجدّه في فراغ من وقته
فوجهه توجيهاً عظيماً فيه القضايا الإيمانية الإعتقادية.

فاسمحو لي معشر السادة أن أنتقل بحضراتكم إلى أستاذ الإنسانية الأعظم وسيد المرين
الأكبر سيدنا ومولانا محمد ها هو على دابته يواجه ابن عمه ويعطيه القواعد الكلية في العقيدة
فيقول له:

يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك (راقب الله في كل تصرفاتك يحفظك من كل
سوء) احفظ الله تجده تجاهك وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله وأعلم أن الأمة
لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن
يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف.

(يجب أن تحفظوا هذا الحديث لأولادكم لأهميته).

فهذا تلقين لقضايا بالإيمان ولحب الله والاستعانة به فإذا ما حفظ الولد هذا الحديث وفهمه جيداً لم تقف أمامه عثرة، فأى تربية أعظم من تربية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عظمة التربية الإسلامية أن الذي أشرف شيئاً فشيئاً ليتقوا بالله ويؤمنوا به:

أسر مرة أحد أبناء الصحابة من بني عوف فأرسل إليه سيدنا رسول الله أن يكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

فجعلها الصحابي الغلام ورده، وكانوا قد شدوه بالوثاق، فإذا بالوثاق يسقط عنه وينطلق هارباً ليجد ناقة فيركبها ثم يخرج فيجد قطيعاً لأعدائه فيسوقه كله، فما هي إلا ساعات حتى وقف على باب أبيه يناديه ومعه الإبل قد ملأ بها فناء الدار، ووصل الخبر إلى سيدنا رسول الله فقال له: اصنع بالإبل ما أحببت وأنزل مولانا قوله تعالى: (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه).

معشر السادة:

على المربي أيضاً أن يفهم ولده معنى الشهادتين وتعني الكلمة الأولى منها:

لا معبود بحق إلا الله، وتعني الكلمة الثانية إثبات الرسالة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالتالي ترسيخ حب النبي وآل بيته وأصحابه في قلب الولد ومما يحب تعليمه له أن سيدنا رسول الله اسمه سيدنا محمد بن عبد الله ووالدته السيدة آمنة.

وأنه من قريش وأنه ولد بمكة وبعث بها وهاجر منها إلى المدينة ودفن بها، وأنه في الله ورسوله إلى الخلق كافة، وأن لونه أبيض مشرب بجمرة وأن له أولاد فهذه العقائد وغيرها مما يعد مشقاً تجب على الولي تجاه الولد.

وإن يجزم بها أكيداً قبل الصلاة أداء العبادات فلا يصح الحكم بصحة وضوء شخص إلا إذا كان عالماً بالعقائد جازماً بها.

ولهذا يقول سيدنا الإمام الغزالي (لا تصح العبادة إلا بعد معرفة المعبود).

فعلى المربي أن يزرع في قلب الصبي حب سيدنا رسول الله وحب أحاديثه ويعلمه تلاوة القرآن ويحببه به، كأن يقول له أن جدي ابن عباس رضي الله عنهما قال لرجل: ألا أتحنك بحديث تفرح به قال: بلى.

قال: اقرأ تبارك الذي بيده الملك وعلمها أهلك وجميع ولدك وجيرانك فإنها المنجية والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند بارئها وتطلب له أن ينجيه من عذاب النار، وينجو بها صاحبها من عذاب القبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لوددت أنها في قلب كل إنسان).

والمربي يرغب والدي الطفل يتعليمه القرآن ويقول لهما: إن رسول الله يقول: من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به ألبس والداه يوم القيامة تاجاً من نور ضوءه مثل الشمس، ويكسئ والداه حلتين أو حليتين لا تقوم لهما الدنيا فيقولان: بم كسبنا هذا فيقال: بأخذ ولدكما القرآن (حا).

ولهذا نسمع عن الصحابة والأئمة أنهم اعتنوا كثيراً بحفظ القرآن فهذا الإمام الشافعي يحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ويحفظ الموطأ في الحديث وهو ابن عشر.

بل اسمعوا العجب: كانت لسيدنا الإمام مالك ابنته تحفظ علمه (يعني الموطأ) وكانت تقف أثناء درس أبيها خلف الباب فإذا أخطأ التلميذ الذي يقرأ نقرت الباب فيفطن الإمام مالك فيرد عليه خطأه. فهل عندكم يا سادة من بناتكم من تطرق الباب على أبيها؟!.

لقد بلغ أولاد السلف بحبهم لنبينا صلى الله عليه وسلم الغاية ودافعوا عنه بكل ما يملكون من قوة، وإليك الدليل: عمير بن سعد فتى من فتيان سيدنا محمد مات أبوه فرباه عمه الجلاس بن سويد، وكان عمير بن سعد الغلام لا يترك صلاة خلف رسول الله، فلما كانت غزوة تبوك رأى رسول الله بحث الصحابة على الإنفاق فسارع إلى عمه زوج أمه ينقل له رغبة رسول الله بتجهيز الجيش لكن الجلاس انطلقت من فمه كلمة أطارت صواب الفتى المؤمن إذ سمعه يقول: إن كان محمد صادقاً فيما يقول وفيما يدعيه من النبوة نحن شر من الحمير، صعق عمير بما سمع من عمه فراح يفكر فيما يجب عليه أن يفعل ورأى في السكوت عن الجلاس، والتستر عليه فإنه لله ورسوله فقال لعمه: والله يا جلاس ما كان على ظهر الأرض أحد بعد محمد أحب إلي

منك ولكنك قلت مقالة إن ذكرتها فضحتك وإن أخفيتها خنت أمانتي وأملت نفسي. وقد عزمت على أن أمضي إلى رسول الله وأخبره بما قلت فكن على بينة من أمرك.

مضى الفتى وأخبر القائد الأعلى للأمة بما سمع من الجلاس فاستبقاه رسول الله عنده وأرسل يستدعي الجلاس.

فحضر وسأله النبي ما مقالة سمعتها عنك فقال الجلاس كذب يا رسول الله وافترى فما تقوهت بشيء من ذلك.

ونظر الصحابة إلى الفتى فصاروا يقول: فتى عامد أبي أن يسيء لمن أحسن إليه، وقال آخرون بل غلام صادق.

والتفت رسول الله إلى الفتى فوجده قد احتقن وجهه بالدم والدموع تتحدر من عينيه فتنساقط على خديه وقال: اللهم أنزل على نبيك بيان ما تكلمت به وراح يدعو.

وما هي إلا لحظات حتى نزل أمين وحي السماء على أمين أهل الأرض وغشيتة السكينة وسكت الصحابة، وظهر الخوف على الجلاس، وبدا التلهف على وجه الصبي عمير، فلما سرى عن رسول الله نظر إلى الفتى وقال: أما أنت فقد وفّت إذك ما سمعت وصدقك ربك وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«يخلفون بالله ما قالوا، ولقد قالوا كلمة الكفر، وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا بك خيراً لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير».

وارتعد الجلاس وراح يقول: بل أتوب يا رسول الله بل أتوب.

وهكذا أيها السادة راحت دموع الفرح تبلل وجه عمير الفتى بنور الإيمان.

وكان هذا الموقف ثمرة من ثمرات تربية سيدنا محمد للصحابة وأولادهم رباهم هنا في المسجد، وما أدراك ما هنا.

هنا مدرسة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى النبي المصطفى، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله الصلاة والسلام عليك.

القضية الثانية والعشرون

تأثير العقيدة في شخصية الطفل

الحمد لله الذي وفق لنشر المحاسن وطبها في أحسن كتاب، وجعل ذلك قرّة لأعين الأحاب وذخيرة ليوم
المآب.

أحمده سبحانه وتعالى فبحمده فاتحة كل كتاب وخاتمة كل خطاب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة جالبة كل ثواب ودافعة كل عقاب،
وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله بذكره ينقشع ظلام كل سحاب وينكشف بعلمه غمام كل
حجاب، ويمحي بنوره كدر كل ارتياب.

سيدي أبا القاسم يا رسول الله:

يا خير مبعوث وأكرم مرسل	وشفيع قوم أذنبوا وأساءوا
أنوارك العظمى إذا ما أشرقت	يوم القيامة فالورى سعداء
صلى عليك الله يا علم الهدى	

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وجميع الأصحاب،
وسلم تسليماً.

وقفت معكم في الجمعة المنصرمة أستعرض مع حضراتكم بناء شخصية الطفل من
الناحية الاعتقادية، ورأيت أن أعرض عليكم اليوم التطبيق العملي والثمرة التطبيقية في نفوس
الأولاد، كيف أثّرت العقيدة في شخصية الولد، كيف أتت كلها تربية رسول الله مراراً، كيف أصبح
الأولاد قادة وسادة وأسسوا المجتمع الإسلامي، وأعطوا لمن بعدهم درساً في الثبات على العقيدة.

هذه هي قضيتنا اليوم، ومع الدرس الثاني والعشرين من سلسلة القضايا التربوية من جامع
الدرويشية وفي بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم للمربي الأعظم: الصلاة والسلام
عليك يا سيدي يا رسول الله.

إخوة الإيمان: الثبات على المبدأ ركن من أركان الشخصية الإسلامية، فالإسلام حرم أن يكون العبد مذبذباً، حرم أن لا يكون له رأي ولا شخصية، فها هو المربي الأعظم يقول: "لا يكن أحدكم إمعة (أي لا رأي له) يقول: إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت" والولد اليوم في مواجهته للتحديات المعاصرة الكثيرة وللخطط والمؤامرات التي تدبر ضده لكي تحرفه عن دين الله ومنهجه أو الفتاة حين تؤمر بكشف حجابها وخلع جلبابها والخروج متهتكة غير متسترة، هؤلاء اليوم يحتاجون في مواجهة ذلك إلى الثبات على منهج العقيدة والتضحية في سبيل الله، فعند ذلك يتذوق حلاوة الإيمان، وترتفع قوّته في نفوسهم نرى ذلك كله من خلال القرآن وسيرة سيدنا رسول الله ﷺ.

معشر السادة الكرام:

اسمحوا لي أن أنتقل بحضراتكم إلى عصر النبوة، إلى العصر الذهبي للإسلام لأشهد معكم من كان يُسلم من قريش كيف تنهال عليه أنواع العذاب فكان يتحمل ذلك في ثبات وصبر، بل ولذة وسرور، أن يُضرب أحدهم وهو على الحق، ويُضطهد في عقيدته ويهان في سبيل الدعوة، لذة لا تعدلها لذة القوة والظفر، وأغرب منها قصة أحد، قصة لم يعرف التاريخ أعظم منها، ترى فيها الإخلاص والبطولة أو الإيمان واليقين، لقد هزّ الأبطال في العالم أنس بن النضر حين قال للذين يصعدون الجبل هارين من أرض المعركة قائلين: قتل رسول الله، قال لهم: فماذا تصنعون بالحياة بعده، موتوا على ما مات عليه رسول الله. ثم قاتل حتى قتل فلم يعرفه أحد لشدة الضربات والطعنات التي أصابته.

هزّ العالم الإسلامي قول المقاتل يوم أحد: إني لأجد ريح الجنة من دون أحد، وكانت أمنيته أن يصل بين قدمي رسول الله.

هذا المشهد، ومعه مشهد أبي دجانة وهو يتّرس بنفسه دون رسول الله ليقع النبل في ظهره وهو منحن عليه ليدلّ أن على الحب والنضال من أصحاب العقيدة، امتزجت في قلوبهم ودمائهم، وغذيت بالعمل الصالح، ونمّيت بالبر والتقوى.

إخوتي في الله:

أنتقل بكم الآن إلى مشهد آخر من الموقعة بطله الصحابي الجليل الفتى مصعب بن عمير، ها هو يحمل لواء سيدنا رسول الله يوم أحد حين اختلّ الموقف في ميدان القتال، واشتدت صدمة قريش على المسلمين فانكشفوا بسبب مخالفتهم أمر القائد العظيم، وتفرقوا عن اللواء، ولكن مصعباً أثبت قدمه في الأرض محتفظاً بلواء سيدنا رسول الله جهد الاستطاعة، ويقبل عليه فارس من قريش فيضرب يده بالسيف فيقطعها، ويسقط اللواء فيسرع مصعب ويتناول اللواء بيده الأخرى ويرفعه عالياً، ويغيط ذلك قريشاً التي رأت الدم ينزل من يد مصعب، واللواء ما زال مرفوعاً فينكاثرون عليه ويضربه أحدهم على يده الأخرى فيقطعها ولكن مصعباً بقيت قدمه ثابتة لا يزول ولا يميل، وما زال اللواء مرفوعاً إذ أن مصعباً ضم اللواء بعضديه والدم يسقط منهما ولشد ما أفاض كفار قريش فكروا عليه وأنفذوا رماحهم في صدره فسقط ويسقط معه اللواء فينتلّقى اللواء أخوه أبو الروم ويرفعه عالياً، ويبقى اللواء مرفوعاً حتى يبلغ المدينة.

فلم هذه التضحية ولما هذا الإقدام وهذه البسالة، أليست هي العقيدة، أليس هو الثبات على المبدأ الذي جعله لقاء الله في سبيل شريعته أحب إليهم من لقاء أهلهم وعشيرتهم؟

إن عمرو بن الجموح يوم أن قدم على رسول الله ليجاهد وكان عمرو أعرج فقال له النبي إن الله قد وضع عنك الجهاد فقال عمرو ولكنني أريد يا رسول الله أن أطأ بعرجتي هذه الجنة فلا تمنعني.

وينزل عمرو أرض المعركة فيقاتل حتى يستشهد فيقول: إن صاحبكم الآن يرتع في رياض الجنة بعرجته.

معشر المسلمين:

أنتقل بكم الآن إلى عهد الصديق، حيث أضرب مثلاً على قوة العقيدة بصحابي جليل لما أراد بسيدنا خالد بن الوليد افتتاح فارس، نظر فرأى أن عدد العدو مئة وعشرون ألفاً، فأرسل إلى الخليفة الصديق أن يمدّه بجيوش جرارة، فكم جيشاً أرسل الصديق؟ كم كتبية؟ كم سرية؟ كم دبابة؟ كم صاروخاً؟ كم لواء؟ كم طائرة؟ إن الصديق أرسل إليه رجلاً واحداً وهو القعقاع بن عمرو، ونظر سيدنا خالد عبر الصحراء ليرى الجيش الجرار الذي بعثه الصديق، فإذا يرى القعقاع على جواده يغز في الصحراء المقفرة قال: ألم يرسل الخليفة سواك؟ قال: بل أرسل معي رسالة لك، ونظر سيف الله المسلول فقرأ في الرسالة:

أما بعد: فإني أرسلت لك القعقاع بن عمرو، وإني أقسم بالله أن جيشاً فيه القعقاع ابن عمرو لا يهزمه أحد.

هؤلاء هم فتیان سيدنا محمد ﷺ، إنهم لا يؤمنون بالكثرة، إنما يؤمنون بالواحد. كانوا رجالاً، «رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه». هذه شهادة الله رب العالمين، كانت تربية سيدنا محمد ﷺ صادقة لهم فأصبحوا صادقين، الله شهد لهم بالصدق.

إخوتي في الله:

أنتقل بكم الآن إلى فتى آخر من أبطال سيدنا محمد ﷺ إنه الفتى حبيب بن زيد، حبيب هذا أرسله رسول الله إلى مسيلمة الكذاب يدعوه للتخلي عن دعواه في النبوة، فقدم حبيب وبلغ الرسالة على أكمل وجه، لكن مسيلمة رفض الرسالة وأخذ الفتى حبيباً وربطه إلى سارية، وراح يوجه له سؤالاً تلو السؤال، وينزل به العذاب تلو العذاب، سأله: يا حبيب ماذا تقول في محمد؟ فقال حبيب: هو رسول الله، قال له: ماذا تقول في؟ فقال حبيب: لا أسمعك، فقال مسيلمة: ماذا تقول في محمد؟ فقال حبيب: هو رسول الله. وماذا تقول في؟ فيقول: ها، لا أسمعك، وهنا أمر مسيلمة بقلع عيني الفتى: أسملوا عيني، ويقول: ماذا تقول في محمد؟ فيقول: هو رسول الله، وماذا تقول في؟ فيقول: ها لا أسمعك، فيقول مسيلمة: اقطعوا يديه، اقطعوا رجليه وهو ثابت لا يتنازل عن موقفه: سيدنا محمد رسول الله ولا نبي بعده.

ويضحى الفتى بحياته من أجل عقيدته والثبات على المبدأ، فأين هم فتیان سيدنا محمد؟ أين هم أتباع سيدنا محمد ﷺ أين أصحاب المبادئ؟ أين أصحاب المواقف؟

إن القرآن حدثنا عن أحد هؤلاء الأبطال صراحة، وشرحت السنة في صحيح مسلم أن ملكاً كان ممن قبلنا كان له ساحر كبير وهرم وطلب من الملك غلاماً يعلمه السحر فبعث إليه بسلام كان يمر في طريقه على راهب، يقف عنده ليسمع منه التوحيد ثم يتابع مسيره إلى الساحر، وهكذا كل يوم، حتى اعترضه يوماً ثعبان كبير قطع الطريق على الناس، فقال الغلام: إني أعرف من هو على الحق: الراهب أم الساحر، فقال: اللهم إني كان الراهب على حق فاقتل بهذا الحجر الثعبان، فرماه وتدحرج حتى قتل الثعبان. وهنا قدم على الراهب يخبره الخبر، فقال الراهب: يا بني إنك وصلت إلى الله، فإذا امتحنت فلا تدل علي.

وذاع صيت الفتى أمام الناس وأنه يشفي كثيراً من الناس، فقدم جليس للملك أعمى على الفتى يطلب منه أن يشفيه، فقال أنا لا أشفي ولكن إن آمنت بالله ربي وربك وربي الملك أدعوه فيشفيك، فأمن جليس الملك، فدعا له الغلام فشفاه الله تعالى. وقدم صباحاً على الملك ففوجيء فيه مبصراً. من شفاك؟ قال ربي الله، فقال: أولك رب غيري؟ قال نعم ربي وربك، فعذب الجليس حتى دلّ على الغلام، وجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرِكَ ما تبرئ به الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله تعالى، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الراهب، فجيء به فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه بها نصفين، ثم جيء بالغلام فقال الملك لنفر من أتباعه: خذوه فارموا من رأس الجبل، فصعدوا به الجبل فقال: اللهم أكفنيهم بما شئت وكيف شئت، إنك على كل شيء قدير، فرجف الجبل بهم فسقطوا في الوادي ونجا الغلام، وجاء يمشي إلى الملك فقال: له ما فعل أصحابك؟ قال الغلام: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: احملوه في زورق وتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقتلوه، فذهبوا به فقال: اللهم أكفنيهم بما شئت وكيف شئت إنك على كل شيء قدير، فانكفوا الزورق فغرقوا، وركب على خشبة وجاء إلى الملك فقال: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على مذبح، ثم تأخذ سهماً من كنانتني، ثم تضع السهم في كبد القوس ثم تقول: بسم الله رب هذا الغلام، ثم ارمني فإذا فعلت ذلك قتلتني.

فجمع الناس وصلبه، وأخذ سهماً ثم نادى: بسم الله رب الغلام ثم رماه فوق السهم في صدغه فمات، فقال الناس جميعاً: آمنا بربّ الغلام. فقيل للملك: رأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك ماتحذر، قد آمن الناس، فأمر الملك بالأخدود في الطرقات فشقت وأضرم في النار وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها، حتى جاءت امرأة ومعها طفل فخافت على وليدها فأنطق الله الغلام وقال: يا أمه اصبري فإنك على الحق.

وأنزل الله تعالى على نبيه ومصطفاه: ﴿قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود﴾ (البروج

(٢٤)

وهكذا معشر السادة:

رأينا كيف الثبات على العقيدة والمبدأ، كيف هي ثمار الإيمان والتوحيد قديماً وحديثاً، شيباً وشباناً، هنا وهناك، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يرفع التحية للحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله: الصلاة والسلام عليك.

القضية الثالثة والعشرون

شخصية الطفل العبادية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي به بداية الخلق ونهايته، ومنه هدايته واجتبايته، وبه سيره وثباته وصيانته، وبه سبب نيله للعلی ومكانته، أحمده حمداً تقتضيه قدرته، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا لعل أن تعلمنا رحمته.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وكيف يشاركه شيء وكل الأشياء خليقته، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أفضل من أنيلت هدايته، محمد الذي به أبصر من أعمته عمايته، وبه أهدى من أضلته غوايته، بشر بطاعته المتقين، وأنذر بمعصيته المجرمين، حتى قامت على الخلائق حجته، اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وأصحابه وعترته، وأزواجه، وآدم بذلك بمدد لا تتقضي حدته، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

إن الطفولة ليست مرحلة تكليف وإنما هي مرحلة إعداد وتدريب، وتعويد للوصول إلى مرحلة التكليف عند البلوغ، ولهذه شرع الإسلام مراحل العبادة في هذه الفترة ليسهل على الطفل أداء الواجبات والفرائض: كالصلاة والصوم، عبادات روحية جسدية يتعلم الطفل من خلالها الإخلاص الحقيقي لله تعالى، ومراقبته في السر، وتربى إرادة الطفل بالبعد عن الطعام رغم الجوع، والبعد عن الماء رغم العطش، إن العبادة لله تعالى تفعل في نفس الطفل فعلاً عجباً فهي تشعر بالاتصال بالله جل جلاله وعلا مما يجعل روحه نتجاوب أكثر فأكثر بمناجاة الله وترتقي بأخلاقه إلى المستوى الإسلامي المطلوب.

وإن المربي الأعظم صلى الله عليه وسلم ليبشر الأطفال الذين نشؤوا على عبادة الله عز وجل بشارة عظيمة فما هو يقول (طب): ما من ناشئ ينشأ في العبادة حتى يدركه الموت إلا أعطاه الله أجر تسعة وتسعين صديقاً، وكما أخبرنا أن «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: عدّ منهم شاباً نشأ في طاعة الله تعالى».

فكيف علمنا المربي الأعظم كيفية بناء شخصية الولد من ناحية العبادة؟ هذه هي قضيتنا اليوم ومع الدرس الثالث والعشرين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، وفي بداية هذا الدرس أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم:

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله.

إخوتي في الله: يبدأ الوالدان بتوجيه الطفل نحو الصلاة خاصة في بداية وعيه، وإدراكه، بحيث يأكل وحده، ويشرب وحده، ويستتجي وحده، فهذا مايجب على أصوله بين أب أو جد أو أم أو أخ كبير عند فقد الأب، ثم إذا دخل في السنة العاشرة أو كملها ولم يصل وجب عليهم ضربه ضرب تأديب وتهذيب لا ضرب عقوبة وتعذيب ليتمرن على العبادة فلا يتركها، فيضرب ضرباً غير مبرح بقدر الحاجة المبرح ما عظم ضرره وتأخير الضرب إلى هذه السن العاشرة لأنه عقوبة وسن العاشر زمن احتمال البلوغ بالاحتلام وخاصة في البلاد الحارة.

كذلك للمعلم الأمر لا الضرب إلا بإذن الولي، فإذا بلغ رشيداً أنتفى ذلك عن الولي، فإن بلغ سفيهاً استمرت ولاية الأب فيكون الكبير التارك للصلاة كالصبي.

وهذه القضايا التربوية مستمدة من تعليمات المربي الأعظم صلى الله عليه وسلم فما هو يقول (طب): «إذا عرف الغلام يمينه من شماله فمروه بالصلاة»، أي إذا أصبح في سن التمييز يوقفه الوالدان في الصلاة معهما ليتعلم حركات الصلاة وبعض أقوالها وهيئتها العامة.

كما يعلمانه كيفية الوضوء والطهارة، وهذه المرحلة دلنا عليها السيد الأعظم فقال (د): «مروا الصبي بالصلاة، إذا بلغ سبع سنين، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها».

هذه التوجيهات النبوية نراها في طور التنفيذ من صاحب الشريعة يعلم الأولاد ما يحتاجونه من أحكام الصلاة وغيرها، فاسمحوا لي معشر الإخوة أن أنتقل بكم إلى أمام المرسلين وسيد العالمين وقائد الغر المحجلين سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ها هو يعلم فتى من فتیان الأذان يعلم الفتى أبا محذورة شعيرة الأذان ويمسح على ناصيته ويرسل مؤذناً لأهل مكة، وحين كان يقف إماماً في الصلوات يصف الأطفال في الصف الأخير اسمعوا إلى سيدنا أبي مسعود يقول (م): كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: استوتوا

ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، ليلني منكم أول الأحلام والنهي (يعني الرجال البالغين) ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.

ويوجه نداء للأطفال بعدم الالتفات يمناً وبسرة.

أثناء الصلاة، وما هذا إلا دليل الاهتمام بتعليم الطفل كيفية الصلاة فعن سيدنا أنس (بز) قال صلى الله عليه وسلم: يا بني إياك والالتفات في الصلاة فإن الالتفات في الصلاة هلكة، فإن كان ولا بد ففي التطوع لا في الفريضة).

معشر السادة: إن ميزة التربية الإسلامية تتجلى بإشراف الأمة عليها شخصياً، ولقد سعد أبناء الصحابة بحضور الصلوات والجمع في المسجد النبوي وليشهدوا تجمعات المسلمين ويسمعوا بالعطف والحنان وذلك ليعيد الطفل زيارته للمسجد والصلاة فيه، إن محبة المسجد ومحبة العلماء ليفعلان في نفس الطفل أعظم مما يفعله توجيه الأبوين إن العطف الذي يوليه المربي في المسجد أعظم بكثير لبعث الطمأنينة في قلبه وملائته بقضايا الإيمان والإسلام فلا تمنع ولدك من المسجد لأنه مدرسة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

أيها الأحبة والصحب: اسمحوا لي الآن أن أنقل لكم هذا المشهد الختامي اليوم للإمام العلم سيدنا أبي يزيد البسطامي (واسمه طيفور بن عيسى) رضي الله عنه:

لما كان غلاماً حديث السن حفظ ﴿يا أيها المزمّل قم الليل إلا قليلاً﴾ (المزمّل) فقال لأبيه: يا أبت من الذي يقول الله تعالى له هذا.

قال يا بني: ذلك النبي محمد قال يا أبت مالك لا تصنع كما صنع صلى الله عليه وسلم. قال: يا بني إن قيام الليل خصص به صلى الله عليه وسلم وباقتراضه دون أمته، فسكت الغلام عن أبيه، فلما حفظ قوله تعالى: ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وطائفة من الذين معك﴾ (المزمّل ٢٠). قال: يا أبت إنني أسمع أن طائفة كانوا يقومون الليل، فمن هذه الطائفة قال: يا بني أولئك الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

قال: يا أبت! فإني خير في ترك ما عمله النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. قال: صدقت يا بني! خطان أبوه بعد ذلك يقوم من الليل ويصلي، فاستيقظ أبو يزيد ليلة فإذا أبوه

يُصلي، فقال: يا أبت! علمني كيف أتطهر وأُصلي معك، فقال أبوه: يا بني أُرقد. فإنك صغير بعد قال: يا أبت إذا كان يوم يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم أقول لربي: إني قلت لأبي أتطهر لأُصلي معك فأبى وقال لي: أُرقد فإنك صغير بعد، أتحب هذا؟

فقال له أبوه: لا والله يا بني ما أحب هذا، وقام الأب فعلم ولده ذلك ووفقا يصليان معاً.

هذه هي رسالتنا إلى المربين اليوم.

سيقف الوالد والمربي أمام الله، وسيُسأل عما فرط في حق تربيته لأولاده ﴿أوقفوهم إنهم مسؤولون﴾ هذا هو النداء الذي ستسمعونه، فلنبادر إلى العمل قبل أن لا نجد العذر يوم القيامة لننق معاً هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى الحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا رسول الله،

الصلاة والسلام عليك.

القضية الرابعة والعشرين

حق الوالدين

الحمد لله الذي وصّى بالوالدين قضاءً مبرماً إلى يوم المصير، وقضى ببرهما وأمر به، فمن خالف ذلك هوى في نار السعير.

أحمدته سبحانه وتعالى وأشكره فهو أهل الثناء والتقدير.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة عبد لا يخالف والديه إلا إذا أمره بمعصية مولاه القدير.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أخبرنا أن الصدقة للوالدين وزيارة قبرهما بعد موتهما برٌّ لهما كبير.

اللهم صلّ وسلّم وبارك وعظّم على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه المبرّئين من الخلل والنقصير، وسلّم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

سأحاول اليوم معكم إن شاء الله تعالى أن أبني مع حضراتكم شخصية الطفل من الناحية الاجتماعية، وأعني بها التزام الآداب الاجتماعية العامة ومراعاة حقوق الآخرين.

وأولى الحقوق التي يجب أن يغرسها المربي في الولد: حق الوالدين: ببرهما وطاعتهما والإحسان إليهما والقيام بخدمتهما ورعاية شيخوختهما وعدم رفع الصوت فوق صوتهما والدعاء لهما بعد مماتهما.

كان هذا هو موجز الأنباء التربوية واليكم تفصيلها مع الحلقة الرابعة والعشرين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم.

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله .

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات سورتي لقمان والإسراء (٢٣-٢٤) ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾ ، ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير﴾.

إخوتي في الله

يستعين المربي بالآيات والأحاديث لتعريف الولد بحق الوالدين، فيغرس في نفس الولد:

١- أن رضا الله في رضا الوالدين: يوجهنا إلى هذه القضية المربية الأعظم صلى الله عليه وسلم فيقول (خ الأدب المفرد) «ما من مسلم له والدان مسلمان يصبح إليهما محسناً إلا فتح له بابين (أي إلى الجنة) وإن كان واحداً فواحد، وإن غضب أحدهما لم يرض الله عنه حتى يرضى عنه قيل: وإن ظلماه؟ قال: وإن ظلماه».

٢- الغرس الثاني الذي يجب أن يغرسه المربي في نفس الطفل: أن برّ الوالدين مقدّم على كل شيء حتى الجهاد في سبيل الله يقرّر لنا هذا الغرس السيد الأعظم صلى الله عليه وسلم حين أقبل عليه رجل فقال: أبايك على الهجرة والجهاد وأبتغي الأجر من الله. قال: فهل من والديك أحد هي؟ قال: بل كلاهما.

قال: فتبتغي الأجر من الله.

قال: نعم.

قال: فارجع إلى والديك فأحسن صحبتتهما (م).

وجاءه آخر (أحمد - ن) فقال: يا رسول الله أردت الغزو وجئت أستشيرك.

فقال: هل لك أم؟

قال: نعم

قال: فالزمها فإن الجنة عند رجليها».

١- الغرس الثالث: الذي يغرسه المربي في الولد: تقديم الأم بالبر على الأب لما تعانيه من حمل الولد وولادته وإرضاعه والقيام على أمره وتربيته أكثر مما يعانيه الأب أقول هذا لأن كثيراً من الأولاد يحترمون الأب ويتركون احترام الأم لما يرون من شدة عاطفتها. ويستطيع الوالد أن يزرع هذا الغرس في نفس ولده عندما يقوم باحترام الأم أمام الأولاد خاصة، أما إذا صرخ الوالد وزعق وسحق كرامة الأم أمام الأولاد فلعمري كيف سيحترم الولد أمه: فعلينا أن نعلم أن أثر الوالد كبير رفي احترام الأولاد لوالدتهم.

ويظهر هذا الاحترام في تقبيل يد الوالدين عند الخروج صباحاً والعودة مساءً.

كما أن عملية البر تظهر في تلبية رغبات الوالدين ولو بالأمور البسيطة كإحضار كأس

الماء.

أيها الأحبة والصحب: على المربي أن يعلم الأولاد عدم المشي أمام والديه، وألا ينادي والديه بأسمائهما، وألا يجلس الولد قبلهما، وألا يتضجر من نصائحهما، وألا يبدأ بالطعام قبلهما، أو يجلس ويمدّ رجله تجاههما، وإذا دخل الوالدان إلى غرفة الولد أن يقف احتراماً لهما كما يفعل الطلاب مع مدرّسيهم، هذا مع المدرس فكيف مع الوالدين.

صدّقوني - أيها الإخوة - إنّ هذه القضايا كلّها تعلّناها من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فاسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى من وصفه ربه عز وجل **«وَأَنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ»** ها هو رجل يمشي ومعه شيخ فرأهما من تحبون أن تصلوا عليه ويسأل الفتى: يا هذا من هذا الذي معك؟

فقال: أبي: قال: فلا تمش أمامه، ولا تجلس قبله ولا تستسب له، (مجمع الزوائد) لا تسمح بسبّهما ولو بالمزاح لأنّ المزاح غير المؤدب يرفع حجاب الأدب بين الوالدين والأولاد، وهذا من العقوق (أي لم يؤد حق أبيه).

إن من العقوق أن ينظر الولد إلى أبيه نظر شزر عند الغضب، لذا اسمع إلى حبيبك وأنت تصلي عليه يقول: **«ما برّ أباه من سدد إليه الطرف بالغضب»** (مجمع).

إن من العقوق أي يرى الولد نفسه مساوياً لأبيه. وأن يتعاضم عن تقبيل يده، أو يستحوذ الغرور على الولد فيستحي أن يعرف بأبيه يمشي معه، ولا سيما إذا كان الأب بسيطاً والولد في مركز اجتماعي مرموق.

إن من العقوق ألا يقوم الولد بحقوق النفقة على أبويه الفقيرين فيضطرهما إلى إقامة دعوى عليه ليلزمه القاضي بالنفقة عليهما.

ألا فليعلم هذا العاق أن الجنة عليه حرام ما لم يبرّ والديه، فهذا هو الصادق الصدوق يقول: (أحمد - ن - يز - جه).

«ثلاثة حرّم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق لوالديه والديوث الذي يقرّ الخبث في أهله».

ثم ليعلم هذا العاق أن الله سينتقم منه هنا في الدنيا قبل الآخرة، هذا ما حدّثنا عنه صاحب الشريعة (الأصبهاني): **«كلّ الذنوب يؤخّر الله ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإن الله يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات».**

إن عاق الوالدين يخشى عليه سوء الخاتمة (الذهبي في الكبائر ن والترغيب والترهيب طب - أحمد):

يذكر أن شاباً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم يدعى علقمة كان شديد الاجتهاد في العبادة وطاعة الله تعالى، فمرض واشتدّ مرضه فكانوا يلقتونه الشهادة فلا ينطق بها لسانه، فأخبر بذلك رسول الله فسأل: هل له أبوان؟ فقيل: أما أبوه فقد مات، وله أم كبيرة، فأرسل إليها وسألها عن حالها فقالت: يا رسول الله كان يصلي كذا وكذا، وكان يصوم كذا وكذا، وكان يتصدق بجملة دراهم ما ندري وزنها وما عددها.

قال: كيف حالك وحاله؟ قالت: يا رسول الله إني عليه ساخطة واجدة.

قال لها: ولم ذلك؟ قالت: كان يؤثر عليّ امرأته ويطيعها في الأشياء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«سخط أمه حجب لسانه عن شهادة أن لا إله إلا الله».

قم يا بلال فانطلق واجمع حطباً كثيراً حتى أحرقه بالنار.

فقالت: يا رسول الله ابني وثمره فؤادي تحرقه بالنار بين يدي؟ وكيف يحتمل قلبي ذلك؟

فقال رسول الله: إن كان يسرك أن يغفر الله له فارضي عنه، فو الذي نفسي بيده لا ينتفع بصلاته ولا بصدقته ما دمت عليه ساخطة. فرفعت يدها وقالت:

أشهد الله تعالى في سمائه وأنت يا رسول الله ومن حضراني قد رضيت عنه.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا بلال انطلق فانظر هل يستطيع علقمة أن يقول: لا إله إلا الله فلعلّ أمه قد تكلمت بما ليس في قلبها حياء من رسول الله.

فانطلق سيدنا بلال فلما انتهى إلى الباب سمعه يقول: لا إله إلا الله. ومات من يومه وغُسل وكفن وصلى عليه سيدنا النبي ثم قام على شفير القبر فقال: يا معشر المهاجرين والأنصار: من فضّل زوجته على أمه لعنه الله ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً (أي نافلة ولا فريضة).

ألا فليعلم الأولاد وليعلم المربون هذه القضية لا تغني عنك صلاتك وصدقتك وصيامك إذا عقلت والدك.

ليسمع هذا الكلام الأولاد كباراً أم صغراً إنّ رجلاً جاء إلى السيد الأعظم فقال: يا رسول الله شهدت أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله وصليت الخمس وأديت زكاة مالي وصمت رمضان. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا (ونصب أصبعيه) ما لم يعق والديه (أحمد - طب - خزيمه - حب) إنه تحذير

من العقوق وعصيان الوالدين، بل إن المربي الأعظم شدّد أيما تشديد على ذلك، فكان مما أوصى به سيدنا معاذاً بن جبل قوله: لا تشرك بالله شيئاً وإن قتلت وحرّقت، (ولا تقعن والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك...).

إخوة الإيمان: ما زلت معكم عند المربي الأعظم، هاهو رجل من بني سلمة يدخل عليه فيقول: يا رسول الله هل بقي علي من بر أبوي شيء أبرهما بعد وفاتهما؟ قال: نعم: الصلاة عليهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقيهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما».

ولهذا ورد عند (خ في الأدب المفرد) عن سيدنا أبي هريرة أنه قال: ترفع للميت بعد موته درجته فيقول: أي ربي بأي شيء هذا؟ فيقول: ولدك استغفر لك).

فاللهم بجاه حبيبك المصطفى ارحم آباءنا وأجدادنا وارض عنا وعنهم رضى لا سخط بعده.

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ، الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى سيدنا محمد وتحيتها إليك يا سيدي يا رسول الله:

الصلاة والسلام عليك

القضية الخامسة والعشرين

حق الرحم وحق الجار

الحمد لله الذي أمر ببرّ الأقربين، وقَدَّمهم على اليتامى والمساكين في آيات الكتاب المبين، «وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ».

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنزل الناس منازلهم في البرّ والإحسان، فبدأ بالأقرباء أحقّهم بالرحمة والحنان وأولاهم بخير المال.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيّه وخليله، لم يسأل قومه على التبليغ أجراً إلا المودة في القربى.

اللهم صلّ وسلّم وبارك وعظّم على سيدنا محمد عبدك المصطفى ورسولك المجتبي، وصفيك المرتضى، وعلى آله مصابيح الدجى، وصحبة نجوم الهدى، وسلّم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

قلت لكم فيما مضى إنّ على المرتبين مهمّةً كبرى تقع على عاتقهم، وهي تلقين الولد مما يتعلق بحقوق الآخرين ضمن بناء شخصية الطفل من الجانب الاجتماعي، وتناولت معكم تلقين الولد حقيقة البرّ والعطف على الوالدين والأم خاصة.

واليوم أقف معكم لتلقين الولد حق الأرحام وحق الجار.

وأقصد بحق الأرحام حق القرابة والنسب، فنسب الإنسان: الآباء والأمهات، والأجداد والجندات، والإخوة والأخوات، والأعمام والعَمَّات وأولادهم، وسُمّوا أرحاماً لسببين:

الأول: لاشتقاق الرحم من اسم الرحمن جلّ جلاله، حيث ورد في الحديث (د-ت) عنه ﷺ يرفعه إلى الله تعالى (حديث قدسي): «أنا الله، وأنا الرحمن، خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته».

السبب الثاني للتسمية: هو انحدار القرابة من الأصل الذي ينتمي إليه الإنسان، فتتحرك لديه هذه العاطفة، وتتدفق إلى العطف والحنان على أقاربه.

والمربي -أيها الإخوة- بعد أن يغرس في قلب الولد هذه الحقائق في بداية حياته عليه أن يرعى ذلك فينميّه في نفسية الولد، ويربطه في رَحِمِهِ بالمحبة

والاحترام، ويجعلها أصلاً في ذاتيته حتى إذا بلغ سن الرشد والنضج العقلي قام بواجب العطف والإحسان لهم، حيث يكفكف الولد دموع الحزن عن أقاربه، ويمد يد العون والإحسان لمكروبهم وفقيرهم.

أما إذا لم يبصّر الولد بهذه الحقائق، ويعتاد هاتيك الفضائل، فإننا لن نرجو منه خيراً تجاههم.

إننا - معشر الإخوة - مع الحلقة الخامسة والعشرين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم.

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

وخير ما نستهلّ به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عزّ وجلّ على الموجات العاملة من سورتي النساء وسيدنا محمد ﷺ:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء ١).

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ (النساء ٣٦).

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾ (سيدنا محمد ٢٣).

إخوتي في الله: هذه الآيات تضع نهايةً لقاطع الرحم بالطرد من رحمة الله تعالى، وكفى به زجراً، فإذا سمع الولد هذا الكلام الحق عاد إلى صوابه إن أخطأ معهم.

إنني وأنا أتكلّم هذا الكلام لأرفع رأسي عالياً حين أقف أمام أمير الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وهو يعلمنا ويوصينا بصلة الرحم، فتعالوا معي يا أهل التربية والتعليم لأطير بكم إلى هناك، إلى أمام حجرة المصطفى، وأرى مكتوباً على باب الحجرة:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، هاهو (حب-حأ) رجل يدخل عليه وهو يقول: يا رسول الله إنني أذنبت ذنباً عظيماً، فهل لي من توبة، فنظر إليه الحبيب الأعظم وقال: «هل لك من أم؟ قال: لا، قال: فهل لك من خالة، قال: نعم، قال: فبرّها».

إنّ البرّ بالقربة يغفر الذنب العظيم، بل ورد في حديث آخر: «أن الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما في العمر ويدفع بهما ميتة السوء، ويدفع بهما المكروه والمحذور» (أبو يعلى).

إن المربي عندما يغرس في قلب الولد هذه المعاني وهذه البركات سيرقى في نفسه إلى الشفافية التي يريدها رسول الله من التربية الإسلامية ، عندما يربط رسول الله بين الإيمان وبين صلة الرحم فيقول (ق): «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه» ، بله وعندما يربط رسول الله بين صلة الرحم وتيسير الحساب يوم القيامة، بل ودخول الجنة.

يا ناس يا عالم: رسول الله يبشّر واصل الرحم بالجنة، ليسمع المربون كيف يرغبون الولد بالإحسان إلى العم والخال والعمة والخالة وأولادهم يقول من تحبون أن تصلوا عليه (بز-طب-حا): «ثلاث من كنّ فيه حاسبه الله حساباً يسيراً وأدخله الجنة برحمته، قالوا: وما هي يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ قال: تعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عن ظلمك، فإذا فعلت ذلك يدخلك الله الجنة».

أما قاطع الرحم فاسمعوا ماذا يقول فيه السيد الأعظم! يقول: «لا تنزل الرحمة على قوم فيه قاطع رحم»، و (ق): «ولا يدخل الجنة قاطع رحم»، هذا تهديد ووعد شديد، مثل التهديد الذي أعلنه رسول الله ﷺ عن أذى الجار عندما قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قالوا: مَنْ؟ خاب وخسر يا رسول الله، قال: مَنْ لا يأمن جاره بوائقه (شرّه وأذاه)».

على المربي وهو يقدّم للولد هدايا احترام الوالدين والإحسان إلى القرابة وإلى الجار أن يلقيه بعد ذلك أربعة أمور:

ألا يلحق الأذى بهم – وأن يحميه ممن يريد به سوءاً – وأن يعامله بإحسان – وأن يقابل جفاءه بالحلم والصفح.

ومرة سأل نبينا ﷺ الصحابة سؤالاً قال: «ما تقولون في الزنا؟ قالوا: حرام، حرّمه الله ورسوله، فهو حرام إلى يوم القيامة، وهنا قال رسول الله ﷺ: لأن يزني الرجل بعشرة نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره، ثم سألهم: ما تقولون في السرقة؟ قالوا: حرّمها الله ورسوله فهي حرام، قال: لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره».

ترهيب من إلحاق الأذى بجاره خاصة، وقد يعظم خطر أذية الجار إذا كان مسلماً، بل وتشتد الأذية أكبر إذا كان الجار من الأقارب، فنحن أمام ثلاثة أصناف من الجيران:

جار له حق واحد : وهو المشرك، وله حق الجوار.

وجار له حقان: وهو المسلم، وله حق الجوار وحق الإسلام.

وجار له ثلاثة حقوق: وهو مسلم، ذو رحم، فهذا له حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم.

هذه الحقوق كلها أثر من آثار طهارة النفس، ومكرمة من أنبل مكارم الأخلاق في نظر الإسلام، بل كان العربي يفخر بحمايته لجاره وكف الأذى عنه، كان العربي ينشد قبل الإسلام ويقول: وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل

أيها الأحبة والصحب: تعالوا بنا ننزل ضيوفاً على الحبيب الأعظم لأسمع معكم تلك الدرر التي يحدد فيها حقوق الجار، فاستقبلوا كلام النبوة بالتحية العطرة، يقول ﷺ (طب-خرائطي): «من أغلق بابه دون جاره مخافة على أهله وماله فليس ذلك بمؤمن، وليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه، أتدري ما حق الجار؟ :

إذا استعانك أعنته، وإذا استقرضك أقرضته، وإذا افتقر غدت عليه، وإذا مرضت عدته، وإذا أصابه خير هنأته، وإذا أصابته مصيبة عزيتته، وإذا مات اتبعت جنازته، ولا تستطل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذ به بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها، وإن اشتريت فاكهة فاهد له، فإن لم تفعل فأدخلها سرّاً، ولا يخرج ولدك ليغيظ بها ولده».

هذه الحقوق للجار مما ينبغي غرسه في نفس الصبي لأنها من خصال الإيمان، يقول طه صاحب الشريعة ﷺ (ق):

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره» .

تطبيقاً لهذه الأحاديث النبوية كان سيدنا عبد الله بن عمر إذا سلخ شاة يبدأ بجاره اليهودي فيهدي له منها ويقول (ق): إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».

أيها السادة: هذه من أهم الأصول في حقوق الجوار فعلى المربين أن يسعوا
جهدهم في تخليق الولد على فضيلة حسن الجوار وهذا لا يتم إلا بشيئين:

- ١- تلقينها شفويًا في المناسبات وغير المناسبات.
 - ٢- تطبيقها عمليًا مع من كان في سنّه من أبناء الجيران.
- كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها أوردها على حضراتكم على لسان المربي الأعظم
(بز-طب): «ألا أدلكم على ما يرفع الله به الدرجات؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: تحلم على من
جهل عليك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك».
- هنا مدرسة سيدنا محمد ، الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى المربي الأعظم،
وتحيتنا إليك ياسيدي يا رسول الله :

الصلاة والسلام عليك

القضية السادسة والعشرين

حق المعلم

الحمد لله الذي نشر للعلماء أعلاماً، وثبت لهم على الصراط المستقيم أقداماً، وجعل مقام العلم أعلى مقام، وفضل العلماء بإقامة الحجج الدينية ومعرفة الأحكام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك العلام.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله إمام كل إمام.

اللهم صلّ وسلم وبارك وعظم على سيدنا محمد وأصحابه وأزواجه وذريته سادة الأقطار في كل زمان ومكان. وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

استعرضت مع حضراتكم بناء شخصية الطفل الاجتماعية ضمن مراعاة حقوق الآخرين، وذكرت لكم كيف أن المربي يغرس في نفس الطفل حق الوالدين وحق صلة الرحم وحق الجار، واليوم وبمناسبة افتتاح المدارس أبوابها لاستقبال الطلاب اسمحوا لي أن أتحدث اليوم عن غرس حق المعلم في نفس الولد، فيأتي حقه بعد حق الأبوين في التوقير والاحترام وإنني:

أقدمُ فضلُ أستاذي على فضل والدي وإن كان لي في خدمة الوالد الشرفُ
فهذا مربي الروح والروح جوهرٌ وذاك مربي الجسم والجسم من صَدَف

إننا معشر السادة:

مع الحلقة السادسة والعشرين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم:

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله.

وخير مانستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات سور القرآن الكريم: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾. ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾.

إخوتي في الله: إننا ونحن نستعرض آيات القرآن الكريم نرى أن رب العزة والجلال قسّم الخلائق فوضع في المرتبة الأولى: الرسل والأنبياء ثم الصديقين ثم الشهداء، ثم الصالحين. هذه الطبقات عظيمة معظمة عند الله تعالى، ولكن السيد الأعظم رغم ذلك وضع طبقة بين هذه الطبقات لها أجر عظيم، بيّنها بقوله: **"العلماء ورثة الأنبياء"**.

فطبقة العلماء أو المعلمين هي التي ترث النبوة، إنّ الشهداء لا يرثون النبوة، وإن الصالحين لا يرثون النبوة بل الذي يرثها فئة واحدة من بين هؤلاء جميعاً ألا وهي العلماء:

أرأيت أعظم أو أجل من الذي يبني وينشئ أنفساً وعقولا.

فهو:

يبني الرجال وغيره يبني القرى شتان بين قرى وبين رجال

على الوالد وهو يدفع بولده إلى المعلمين وأهل التربية أن يغرس في قلب الولد احترام وحب المعلم، هذا الاحترام الذي تجلّى بأقوال وأفعال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

إن المربي الأعظم يقف ليعلن على الملأ من الناس:

"ليس منا من لم يجلّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه" (أحمد طب)

أيها الناس: "تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والوقار، وتواضعوا لمن تعلمون منه" (طب).

ثلاث لا يستخف بهم إلا منافق: ذو الشبهة في الإسلام، وذو العلم، وإمام مقسط (طب).

إنها توجيهات سامية في إكرام العلماء وإجلال المعلمين، إنه تعليم للناس ليقوموا بشرف التلمذة والأدب أمام أهل العلم.

فعلى الولد أن يتواضع لمعلمه، ولا يخرج عن رأيه وتوجيهاته، ولا يقول له: قال فلان خلاف قولك، بل يكون معه كالمریض بين يدي الطبيب الماهر، وعليه أن يعلم أنّ ذلك لمعلمه عزّ، وخضوعه له فخر، وتواضعه له رفعة.

عوتب مولانا، الإمام الشافعي رضي الله عنه مرة على تواضعه للعلماء فقال معاتباً لمن استعنته:

أهين لهم نفسي فهم يكرمونها ولن تكرم النفس التي لاتهينها

من تكبر على العلماء حُرِم من بركة العلم، من لم يُذَلَّ نفسه في التعلم بقي جاهلاً ميتاً بين الأحياء.

هاهو جدي ابن عباس حبر هذه الأمة يرى الصحابي الجليل زيد بن ثابت يريد أن يعلو دابته فوضع يديه تحت قدم سيدنا زيد ليركب، فقال سيدنا زيد: مه يا بن عم رسول الله؟ فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا. فأخذ سيدنا زيد يد ابن عباس فقبلها وقال: هكذا، أمرنا أن نفعل بآل بيت رسول الله.

ينبغي أن يعلم الولد أية مكانة أحلها الله للمعلمين، وأيّ منزلة رفعهم الله إليها على المربي أن يغرس في قلب الولد كيف ينظر إلى المعلم بعين الإجلال ويعتقد فيه درجة الكمال، فإن ذلك أقرب إلى الاستفادة منه والنفع به لذلك يقول مولانا الإمام الشافعي رضي الله عنه: كنت أتصفح الورقة من بين يدي أستاذي مالك صفحاً رقيقاً هيئته له لئلا يسمع وقعها".

وكان السلف الصالح لا يخاطبون معلمهم بتاء الخطاب أو كافه، بل يناديه بقوله: ياسيدي يا أستاذي، وعليه ألا يذكر اسم معلمه في غيبته إلا مقروناً بما يشعر السامع بإجلاله وتوقيره.

لقد أصبحنا في حالة تشعر بالتقصير مع المعلم، فأكاد أقول إننا ننسى فضله علينا، ولا ينسى فضل معلمه إلا جاحد، بينما كان عصر التقدم الإسلامي لسان حاله يقول كما قال سيدنا شعبه: "كنت إذا سمعت من الرجل الحديث كنت له عبداً مايحيا". وأهل الشام أهل وفاء عندما قالوا: "من علّمني حرفاً كنت له عبداً".

أيها الإخوة:

إن العلماء قمة لا يرتقي إليها إلا أهل الهمم، فإذا وجد الولد قساوة من معلمه وجفاء منه فلا يصدّه ذلك عن الاستفادة منه، لأن العلماء عادة لا يغضبون إلا لله، ولا يشدّون إلا إذا انتهكت محارم الله، اسمعوا معي مايقوله بعض السلف الصالح: "من لم يصبر على التعليم بقي عمره في عماية الجهالة، ومن صبر عليه آل أمره إلى عز الدنيا والآخرة".

قيل لسيدنا سفيان بن عيينه: إن قوماً يأتونك من أقطار الأرض تغضب عليهم، يوشك أن يذهبوا أو يتركوك، فقال للقائل: هم حمقى إذا هم تركوا ما ينفعهم لسوء خلقي.

فما هي القضايا التي ينبغي على المربي أن ينقلها للولد ليقوم بها أمام معلمه وشيخه؟.

أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى.

وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها
عليه أن يرفع التحية إلى سيدنا محمد رسول الله، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله:
الصلاة والسلام عليك.

القضية السابعة والعشرين

حق المعلم

الحمد لله الأكرم «الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم».

سبحانه ألهم الألسن أن تفصح عما تكن الضمائر من الحكم، ونشكره أن لطف بنا وعمنا بمزيد النعم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الإله المتفضل الحنان الذي يغمر عباده وإن عصوه بالإحسان.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله المبعوث رحمة للعالمين سيد الخطباء وأمير الفصحاء والبلغاء. من أوتي جوامع الكلم، من أطاعه واقتدى به فقد نجا وسلم الذي قال لنا "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم".

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

كنت قد علّقت معكم سؤالاً هاماً عن حق المعلم ضمن قضية بناء شخصية الطفل الاجتماعية، وهذا السؤال هو ما هي القضايا التي ينبغي على المربي أن ينقلها للولد لينفذها مع معلمه وشيخه؟

وقبل أن أجيب عن هذا السؤال اسمحوا لي أن أنقل لكم هذا المشهد من الروضة المطهرة من المسجد النبوي الشريف الذي تتور بحضور المربي الأعظم سيدنا محمد ﷺ، إنه الآن يعطينا الصورة الحقيقية لقيمة المعلم المسلم، ها هو يخرج فيجد في المسجد مجلسين مجلساً يتفقهون فيه، ومجلساً يدعون الله تعالى ويسألونه فقال: كلا المجلسين إلى خير: أما هؤلاء فيدعون الله تعالى، وأما هؤلاء فيتعلمون ويفقهون الجاهل، هؤلاء أفضل، بالتعليم أرسلت، ثم جلس معهم.

أيها السادة: اسمعوا معي ماذا يقول مولانا الإمام الشافعي في العلم والمعلم يقول: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة وليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم، إن لم يكن الفقهاء العاملون أولياء فليس لله ولي.

هذا هو قدر العلماء عند الله تعالى، فليعلم الولد أي مكانة أحلّ الله فيها المعلمين، وإلى

أي منزلة رفعهم إليها، إن المعلم المسلم وهو على منبر العلم يمثل دين الله، يمثل قال الله، ويمثل قال رسول الله، فإذا كان عالماً لم يتكلم إلا باسم الله ولم يتكلم إلا بحديث رسول الله.

من هناك نعطيه قيمته، ومن هنا نرفعه ونجله ونعده أسوة وقدوة، ولهذا كان العلماء والمعلمون متبوعين لأن المعلم يأبى أن يكون تابعاً، إن المعلمين قادة لأنهم يقتدون برسول الله ﷺ، ومن كان يقتدي برسول الله ﷺ لا ينبغي أن يكون مقوداً، إن المعلم أعظم وأعز من أن يميل مع الريح حيث مالت، إن المعلم أرفع من المادة، أرفع من كل شيء إن أرزقنا على الله، وما أحد يزرق أحداً من المخلوقين هذه عقيدتنا فعلى المعلم أن يبقى في أوج عزه، يبقى في المكانة العالية التي وضعه الله تعالى فيها.

معشر الإخوة الكرام: ولتطبيق هذه القضايا كلها على الواقع اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك.

ولا أبعد بكم المزار، فالمكان قريب من هنا إنه الجامع الأموي، فإني أسمع جلبة وضجة عظيمة فلم يا ثرى؟ إنه قدوم إبراهيم باشا دمشق ابن محمد علي باشا المصري كان قاد جيشاً عرمرماً للقضاء على الفتنة التي أثارها محمد بن عبد الوهاب في منطقة الرياض اليوم، ثم توجه بعدها إلى دمشق فاستقبله أهلها، ودخلوا يسلمون عليه أفواجاً إلا واحداً، فقد وجّه سؤالاً إلى مرافقه: هل أحد من العلماء لم يقدم علينا، لم يسلم علينا.

قال: نعم، الشيخ سعيد الحلبي مدرس ومتولي الجامع الأموي.

فقال إبراهيم باشا نحن نأتيه ونزوره.

فخرج يزور الجامع الأموي حتى وصل إلى حلقة العلم التي كان يدرس فيها هذا الشيخ الجليل، وكان ماداً رجله، فلما رآه الشيخ سعيد لم يطو رجله، وانتهى الدرس وخرج إبراهيم باشا وأرسل له مئة ليرة ذهبية عثمانية يعني حوالي (٤٠٠.٠٠٠ ل.س) اليوم، أتدرون ماذا فعل المدرس الشيخ سعيد.

ردها إليه وقال لرسول الوالي: قل لسيدك إن الرجل الذي يمد رجله لا يمد يده، ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾.

أيها الإخوة: إنّ أمة فيها أمثال هؤلاء المعلمين والعلماء ما تزال عزيزة، إنّ أمة فيها من المعلمين من يشمخ حتى يبلغ الجوزاء لأمة عزيزة، ولكنها تذلل وتضعف وتهوي إذا ضعف المعلمون وذلوا واستجابوا لدواعي الدنيا.

إن من يحترم المعلم ويوقره فإنما هو يحترم رسول الله ويوقره، وإن احترام النبي وتوقيره من إجلال مولانا عزوجل، فعلى المربي أن يعلم الولد حب المعلم واحترامه، وإياكم أن تكونوا مع جهل أولادكم على المعلمين وقديماً قالوا:

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء

وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء

علينا أن نحترم المعلمين ونتأدب معهم لكي ننتفع بالعلم، يقول مولانا الإمام الشافعي: لا يطلب أحد هذا العلم بالملك وعزة النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذل النفس وخدمة العلماء أفلح".

إننا مع قضيتنا اليوم في الحلقة السابعة والعشرين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم:

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله.

إخوتي في الله: وأرى لزماً علينا اليوم أن نزور علمين من أعلام الأمة وسيدين من ساداتها، فهينوا أنفسكم لننزل ضيوفاً أولاً على أمير المؤمنين جدي سيدنا علي رضي الله عنه، يوجهنا اليوم في الآداب التي ينبغي أن نتحقق بها مع أساتذتنا ومشايخنا فيقول: من حق العالم عليك أن تسلّم على القوم عامة وتخصّه بالتحية (يعني عندما يدخل الولد على مجلس فيلقي عليهم السلام عامة، فإذا رأى أستاذه فيقبل عليه ويسلم عليه تحية خاصة، هذا أول توجيه).
اسمعوا بقية الوصايا:

الثاني: أن لا تجلس أمامه، **الثالث:** ولا تشيرنّ عنده بيدك، **الرابع:** ولا تغمز بعينيك غيره، **الخامس:** ولا تقولن قال فلان خلاف قولك، **السادس:** ولا تغتابن عنده أحداً، **السابع:** ولا تطلبين عثرته، **الثامن:** وإن زل قبلت ومعذرتة، **التاسع:** وعليك أن توقره الله تعالى، **العاشر:** ولا تسارر أحداً في مجلسه، **الحادي عشر:** ولا تأخذ بثوبه، **الثاني عشر:** ولا تلح عليه إذا كسل، **الثالث**

عشر: ولا تشبع من طول صحبته، فإنما هو كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيء.

إنها توجيهات غالية ومُثُل قيمة نبعت على لسان باب مدينة العلم.

الآن - إخواني، نودّع سيدنا علياً لننزل ضيوفاً على سيدنا ابن عساكر المحدث والمؤرخ، وقبره يزار في باب الصغير ويتبرك به، نسمع معاً تلك الدرر يقول: أعلم يا أخي وفقني الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته: (أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، وأنه متى أطلق لسانه في العلماء بالسبّ ابتلاه الله قبل موته بموت القلب، ﴿فليحذر الذين يخالفون من أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾).

أيها الأحبة والصحب: هذا الاحترام وهذا التقدير للمعلم الذي يتصف بالإسلام والوفاء لدينه، للذي يؤمن بكتاب الله ويتخذه منهجاً ودستوراً، أما المعلمون الملحدون، والمربون اللا دينيون فهؤلاء ليس لهم في القلوب إجلال، ولا في النفوس احترام، لأنهم أهدروا إنسانيتهم بالإلحاد، وأسقطوا اعتبارهم ومهابتهم بالكفر والضلال، وواجب على الأب أن يغضب الله حين يعلم أن معلماً ملحداً يلقن ولده مبادئ الكفر ومفاهيم الزيغ والإلحاد، بل عليه أن يقيم الدنيا ويقعدها على رأس هذا الكافر الملحد، وأن تغلي في عروقه حمية الإسلام تجاه هذه الشرذم الباغية والحناثات العميلة الخائنة للإسلام.

وقف أحد المدرسين للتربية الإسلامية في إحدى المدارس التي كنت أدرس فيها في شبابي فقال: وهو يضع لفافة التبغ في فمه ويشعلها أمام الطلاب قال لهم بكل صفاقة: من قال لكم إن الدخان حرام فلا تردوها عليه، من قال لكم إن الخمرة حرام لا تسمعوا لقوله، من قال لكم إن الاختلاط حرام كذبوا قوله.. وقامت قائمة المدرسة وقعدت، ورفع الأمر إلى إدارة المدرسة فاتخذ المدير الحكيم قراراً بفصل المعلم عن المدرسة.

على أمثال هذه الحشرات البشرية أن تقبع في جحورها وتتوارى في أوكارها، وصدق الله العظيم: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون﴾.

فيا معشر المسلمين: حينما يقف المسلم الغيور على إسلامه صغيراً أو كبيراً غاضباً على أعداء الإسلام، غاضباً على كل معلم ضال خائن باع نفسه للشيطان، عندما نفعل ذلك ونرفع أمره إلى الجهات المختصة لتوقفه عند حدّه عندها لن يتجرأ أحد منهم على أن يجهر بالإلحاد، لن يستطيع أي مجرم من هؤلاء أن يتهم على الإسلام، ولن نرى عدواً يتناول على ذات الله أو يطعن بشخصية رسول الله ﷺ.

فرحم الله امرئ أراهم من نفسه قوة، ومن جهاده عزّه، ومن جرأته قولة حق. .

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ يقول فيها الحبيب الأعظم: "يقال للعابد يوم القيام أُدخل الجنة،
ويقال للعالم قف حتى تشفع للناس".

"فصلُّوا عليه وسلموا تسليماً".

القضية الثامنة والعشرون

حق الصديق والكبير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي غمر صفوة عباده بلطائف رحمته دوماً وامتناناً.

وألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخواناً ونزع من صدورهم الغل والحسد فبقوا في الدنيا أصدقاء وندمانا في الآخرة رفقاء وخلانا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أنزل عليه ربه جل جلاله ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا ومولانا محمد وعفلى آله وأصحابه الذين اتبعوه قولاً وفعلاً وعدلاً وإحساناً، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

بدأت الحياة بفرد، ثم خلق الله له من نفسه زوجاً وجعل بينهما مودة ورحمة نتج منهما عمران هذه الأرض بتلك الأعداد الهائلة من البشر ذوي الألوان والأجناس والعقائد المختلفة. ومع ذلك فهم نتاج هذا الاجتماع بين ذكر وأنثى على أساس من المودة والرحمة فنحن على هذا أبناء المودة والرحمة التي بنى الله عز وجل عليها الجماعة الإنسانية.

وحين شاء الله تعالى أن يبلغ الإنسان كماله وأن يصل إلى نضجه المقدور وأهبط عليه وحيه بوساطة أنبيائه فحملوا إليه من التعاليم ما أكدت عليها الأديان جميعاً وهي الإخوة والصداقة بين بني الإنسان ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾.

ولهذا رأينا المربي الأعظم بوجه الناس إلى اختبار الصاحب والصديق المناسب والجليس الصالح لما له من تأثير من استقامة الولد وصلاح أمره وتقويم أخلاقه.

معشر السادة الكرام: إننا مع الحلقة الثامنة العشرين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم:

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله.

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقول (ق) لنا: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل حامل المسك ونافخ الكير: فحامل المسك إما أن يخلدك (يعطيك) أو تشتري منه أو تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك أو تجد منه ريحاً منتنة».

إن المربي الأعظم بين لنا في هذا الحديث دور الصديق أو صاحب في حياة الفرد، فإن الجليس الصالح والجليس السوء من أهم عوامل التأثير على أخلاق وعادات الناس، لا سيما في حياة الناشئين الذين ليست لهم خبرة أو تجارب في الحياة، والذين يجتمعون عادة إلى محاكاة وتقليد كل ما يسمعون أو يرون من أقوال وأفعال حسنة وقبيحة، وقد صدق أهل الشام عندما قالوا: صاحب صاحب، وصدق من مثل: لا تقل لي من أنا؟ بل قل لي من تصاحب تعرفني من أنا. ونصح من قال: من جالس جالس.

أندرون . أيها الإخوة . هذه الأمثال التي يرددها أهل الشام، إنها والله مستمدة من الحديث من توجيهات المربي الأعظم صلى الله عليه وسلم، اسمعوه وهو يقول لنا: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل".

إن تربية الأولاد وفق المنهج الإسلامي أمانة من أعلى وأعظم الأمانات في أعناق الآباء والأمهات، فانتق يا أخي في صديق ولدك انتقاء، واحرص أن يكون من بيئته وعلى شاكلته، عليك أن توجه ولدك التوجيه الصحيح لعلاقاته بجلسائه وأصدقائه، تعرّف إليهم بحكمة ولباقة، وعلى أحوال أخلاقهم وألفاظهم لئلا ينحرف عن جادة الشريعة.

ثم إذا اختار صديقه ووافقت عليك فعليك أن تعلمه حقوق الصداقة فهي من الحقوق الاجتماعية التي يجب على الولد تعلمها. فإلى ماذا يوجهنا المربي الأعظم؟

أيها السادة: لنستقبل معاً التوجيهات النبوية بالصلاة والسلام على رسول الله يقول لنا (خ):

حق المسلم على المسلم خمس:

١. رد السلام. ٢. وعيادة المريض.

٣. وإتباع الجنائز. ٤. وإجابة الدعوة. ٥. وتشميت العاطس.

وكذا وردت الأحاديث أن يزوره في الله، دعاه وأن يهنئه بالمناسبات التي يفرح لها أن يهدي له إذا كان موسراً ما ينبت المودة ويبعد الضغائن ويرحم الله من قال:

إن صديقَ الصدق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ريب الزمان صدعك شئت فيك شمله ليجمعك

معشر الإخوة الكرام:

هذه بعض حقوق الصداقة، لكنَّ وذلك لا يعني (أن لصديقي حقوقاً علي) أن أسلب ماله، ولا يعني أن لصديقي حقوقاً علي أن أتحدث معه بلسان سيء، إذا استخدم اسمه بدون إذن منه في شؤون التجارة أو غيرها، ولا يعني هذا أن يسدي إلى خدمة بدون أن أدفع له ما قام بصرفه من جيبه الخاص على هذه الخدمة.

إنما أقول هذا لأن بعض الأصدقاء ينحطون إلى درك السباب والشتائم بحيلة الصداقة، وأن بعضهم يسلب مال بعض الآخر بحيلة الاقتراض، وهذه الصداقة التي يسميها الناس صحبة مصلحة شخصية، وهذه الصداقة (صداقة المصلحة) خيرٌ منها صداقة الكلب التي حدثنا عنها السيد الأعظم صلى الله عليه وسلم (كتاب فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب لمحمد بن خلف المزريان):

فقد رأى رسول الله رجلاً قتيلاً فقال ما شأنه قالوا: (إنه وثب على غنم بني زهرة فأخذ منها شاة فوثب عليه كلب الماشية فقتله. فقال صلى الله عليه وسلم: قتل نفسه وأضاع دينه وعصى ربه وخان أخاه وكان الكلب خيراً منه).

أيها الإخوة والصحب: ويتفرغ عن حق الرفيق الاحترام له إذا كان كبير السن والقيام له، لأن من إجلال الكبير وإنزاله منزلة جلاله في مكانه صدر المجلس وهذه القضية صرح بها المربي الأعظم صلى الله عليه وسلم فقال (د) أنزلوا الناس منازلهم، حتى في الصلاة كان صلى الله عليه وسلم يجعل الكبار خلفه مباشرة ففي الحديث (م) "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمح مناكبنا في الصلاة ويقول: استوتوا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، ليلني أولو الأحلام والنهي (الكبار) ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" ولا بأس بالقيام له أبداً، لأنه خلق نبيل وأدب اجتماعي عالي، حتى إن المربي الأعظم كان يصنعه مع ابنته جدتي السيدة فاطمة، اسمعوا ماذا تقول أم المؤمنين السيدة عائشة (خ - د - تان): "ما رأيت أحداً أشبه دلاً وهدياً برسول الله من فاطمة بنت رسول الله. قالت: وكانت إذا دخلت على النبي

قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل عليها قامت من مجلسها وقبلته وأجلسته في مجلسها".

بل اسمعوا ماذا كان يصنع الصحابة مع سيدنا رسول الله (ن - د) كانوا يقولون: كان النبي صلى الله عليه وسلم يحدثنا فإذا قام قمنا قياماً حتى نراه دخل إلى بعض أزواجه".

إخوتي في الله: لعلكم لاحظتم حديث تقبيل جدتي السيدة فاطمة ليد جدي رسول الله إنه تعليم لنا لكي نتواضع لأصدقائنا الكبار ونحترمهم وهذا التقبيل لليد سنة من السنن التي تركها لنا رسول الله، لما قدم المدينة وفد عبد القيس وجعلوا يتبادرون من رواحلهم لما رأوا رسول الله فراحوا يقبلون يد النبي ورجله (أحمد - خ في الأدب) د.

بل ورد في الأدب المفرد عند البخاري عن صهيب أنه رأى سيدنا علياً يقبل يد العباس ورجله، ولكن علينا أن ننتبه إلى أمرين في مسألة القيام والتقبيل، الأول: عدم الإفراط في القيام والتقبيل من الحد المعتاد، لأنه يؤدي إلى تغاض عن المساوئ ومجافاة للحق وانتكاس لحقيقة الاحترام.

الثاني: ألا يزيد عن الحد الذي أمر به الشرع كالإنحناء أثناء القيام أو الركوع أثناء التقبيل.

إن الأمة اليوم بحاجة إلى إعادة نظر في تكوينها الأخلاقي كي تكون أمة بالمستوى الإسلامي الذي يريده منا رسول الله، إن رسول الله لا يحب التكبر يحب التواضع ويحبه الصحابة، ولذلك لما دخل عليهم وقفوا قياماً فنهاهم عن ذلك (نهاهم لأن بعض الناس يتطلع إلى أن يقوم الناس له بل ربما امتعض من عدم قيام الناس له لهذا نهاهم، أما الصحابة فعلموا أن رسول الله بريء من التكبر والرياء، ولهذا وقف سيدنا حسان بعد خروج رسول الله إلى حجرته الشريفة فقال لهم: لئن لم تقوموا إلى رسول الله عند دخوله علينا لأعلنكم بسيوفي هذا فقالوا: أما سمعت نهى رسول الله؟ فقال: دعوا رسول الله لي، فلما دخل رسول الله قام الصحب الكرام، فقال: لهم ألم أنهكم عن القيام. فنظر الصحابة إلى حسان بن ثابت وقالوا: أجب عنا رسول الله فقال حسان:

قيامى للحبيب علي فرض وترك الفرض أنى يستقيم

عجبت لمن له عقل ولب يرى هذا الجمال ولا يقوم

هنا مدرسة سيدنا محمد يقول فيها: ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقّر كبيرنا ويعرف
لعالمنا حقه.

القضية التاسعة والعشرين

أدب الطعام والشراب

الحمد لله الذي تفرد بالعزّ والجلال، وتوحد بالكبرياء والكمال، وجلّ عن الأشباه والأشكال، خلق الإنسان من صلصال، وأتقن تركيب العروق والعظام والأوصال، وخلق الجانّ من مارج من نار فتكبر وصال، فطرده وأبعده وحرمه الوصال، وهو الذي يُطعم ولا يطعم، لارادّ لأمره ولا معقّب لحكمه وهو الخالق الفعال.

أحمده سبحانه وتعالى على ما أولى من الأفضال وأشكره مزيد شكر فهو الكبير المتعال.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. استوى على العرش من غير تكيف ولا تشبيه ولا صعود ولا انتقال، لا يحويه الفكر ولا يحده الحصر، ولا يدركه الوهم والخيال.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أيدّه بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة، وزيّنه بأشرف الخصال، ورفع المقام الأسنى فكان قاب قوسين أو أدنى وآتاه الجمال.

اللهم صلّ وسلم وبارك وعظم وأنعم وتفضل على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه وعترته وأنصاره صلاة دائمة بالغدو والآصال، وسلم تسليماً.

أما بعد: فإنني وقفت معكم قبل جمعيتين أتحدث عن المسؤولية الاجتماعية التي تقع على عاتق المربي نحو الولد، وكنت أتحدث عن واجب الولد نحو الآخرين، وأرى لزماً عليّ أن أتابع الكلام عن الآداب الاجتماعية العامة للتربية، وأثناء تلك المتابعة أدع قلبي ينبض ولساني يلهج بالدعاء لإخواننا في أفغانستان، وكنت مازلت في حيرة أتساءل لماذا لم يستجب مولانا دعائنا في كفّ أمريكا عن ضرب أفغانستان فإذا بي أسمع وكالات الأنباء تذيع بياناً خماسياً يبين لنا سبب ضرب أفغانستان، فرأيت من المناسب أن أذيعه على حضراتكم قبل الخطبة اليوم، هذا البيان أذاعه علينا السيد الجليل سيدنا محمد ﷺ البيان خطير، وكلما ذكرت هذا البيان شعرت كأن سيدنا رسول الله بيننا، فأعبروني آذاناً صاغية وقلوباً واعية نستمتع إلى البيان من فم رسول الله شخصياً، (السلام عليك يا سيدي يا رسول الله) نحن الآن ننزل ضيوفاً على حبيب الله ومعه المهاجرون، وهو أهل الكرم والوفاء، فما ضيافتك لنا يا رسول الله أسمعنا البيان يا أبا الزهراء، يقول:

يا معشر المهاجرين: خصال خمس إن ابتليتم بهن ونزلن بكم، وأعوذ بالله أن تتركوهن؟

(ماهي هذه الخصال يا صاحب الرسالة العصماء، وماهي هذه الخصال يا قائد المسلمين الأعظم، ماهي هذه الخصال يا أستاذ الإنسانية الأكبر، اسمعوا إليها ثم طبقوها على ما يحدث اليوم في العالم):

الخصلة الأولى: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها (أي بالملاهي وما يحدث في المطاعم الفاسدة) إلا فشى فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم (الإيدز . الجمرة الخبيثة).

الخصلة الثانية: ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين ونقص المؤنة وجور السلطان.

الخصلة الثالثة: ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا.

الخصلة الرابعة: ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب عليهم عدو من غيرهم فيأخذ بعض ما في أيديهم.

الخصلة الخامسة: مالم تحكم أنمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم.

صدقت وبررت وبلغت وأديت، هذا هو البيان أسوقه إليكم هذه الأيام دون تعليق على الأنباء لأن افغانستان جاء نتيجة لأعمالنا، لاتلوموا أحداً ولوموا انفسكم وعودوا إلى الله، فهو القائل: ﴿وإن عدتم عدنا﴾.

إننا مع الحلقة التاسعة والعشرين وتعالوا بعد ذلك نعود إلى سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، وفي بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم:

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

إخوة الإيمان:

حرص الإسلام على وضع المناهج التربوية لتكوين الولد خلقياً وإعداده سلوكياً واجتماعياً، فإن تربية الولد الاجتماعية تبلغ مراتبها العالية وغاياتها المثلى، بل يظهر الولد في سلوكه وأخلاقه وتعامله في المجتمع على أحسن ما يظهر به إنسان سوي، وعامل ذكي، وامرؤ حكيم

ورجل متوازن.

إنني . والله . لأرفع رأسي عالياً بسيدنا محمد ﷺ . لقد أمرنا بكل خير وأرشد الناس إلى أبوابه، ووجهنا إلى مافيه صلاح دنيانا وآخرتنا، ووضع لنا حدوداً وأداباً أمرنا أن نتمثلها في سلوكنا وأعمالنا، من هذه الآداب أدب الطعام والشراب، فنحن اليوم سوف نتعرف على جانب من جوانب التربية هام جداً، جانب نكرره كل يوم ثلاث مرات أو أكثر، فكيف تعلم ولدك الآداب الاجتماعية؟

إن الأطباء نصحوا بغسل اليدين قبل الطعام إزالة للجراثيم العالقة عليها حتى لا تتأذى بها أثناء الطعام، ولكن نبينا سبق الأطباء بأربعة عشر قرناً من الزمان لينبّه على هذه القاعدة، ينبّه على هذه القاعدة الطبية فيقول لنا: (د . ت) "بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده".

وقال: من احب أن يكثر الله خير بيته فليتوضأ إذا حضر غذاؤه وإذا رفع.

وأمرنا بالتسمية في أول الطعام والشراب ففي الحديث (ت . د): "إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل باسم الله أوله وآخره".

وتطبيقاً لهذه القضية التربوية اسمحو لي معشر السادة الكرام أن انتقل بحضراتكم إلى هناك، لأنقل لكم هذا المشهد الفريد، هذا المشهد بطله صحابي وصحابية، وسيد المشهد سيدنا رسول الله، (م ٢٠١٧) "فقد حضر وليمة عند صحابي فلما وضع الطعام جاءت جارية كأنها تُدفع، فذهبت لتضع يدها في الطعام فأخذ رسول الله بيدها، ثم جاء أعرابي كأنه يُدفع فأخذ بيده، ثم قال (حبيبك النبي): إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها فأخذت بيدها فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به فأخذت بيدها، والذي نفسي بيده إن يده في يدي مع يديهما، ثم ذكر اسم الله تعالى وأكل".

هذه المواقف ينبغي على المربي نقلها إلى الولد عندما يجده على مائدة الطعام، لتكون زاداً له ونوراً لحياته الاجتماعية، وإذا كان التوجيه بشكل قصة أو حدث كان موقعه في نفس الصبي أقوى، ولتكن الموعظة والحدث من مواقف النبوة الشريفة، وذلك أن رجلاً راح يأكل زمن نبينا فلم يسم الله حتى لم يبق من طعامه إلا لقمة، فلما رفعها إلى فمه (تذكر) فقال: بسم الله أوله وآخره. وهنا ضحك رسول الله ثم قال: مازال الشيطان يأكل معه، فلما ذَكَرَ اسم الله استقاء (الشيطان

من في بطنه) (د ٣٧٦٨ .ن).

فالشيطان يأكل مع من لم يسم الله تعالى، ومرة كان رسول الله يأكل طعاماً في ستة من أصحابه فجاء أعرابي فأكل الطعام كله بلقمتين فقال رسول الله: إما إنه لو سمى لكفاكم (الطعام جميعاً) (ت ١٨٥٩).

لذلك احرص تمام الحرص أنك إذا جلست إلى مائدة ألا تدع للشيطان عليك سبيلاً، وقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن الرجل إذا دخل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لأصحابه لامبيت لكم ولاعشاء، وإذا دخل فلم يذكر اسم الله قال الشيطان لأعوانه وذريته: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء (م).

إخوة الإيمان: وما أن ينتهي الولد من طعامه يعلمه المربي أن يشكر نعمة الله تعالى ويعلمه دعاء النبي صلى الله عليه وسلم:

"الحمد لله الذي أطعمني وسقاني وجعلني من المسلمين".

فلماذا يقول ذلك، يقوله لأن نبينا صلى الله عليه وسلم قال لنا: (د ٤٠٢٣ . جه ٣٢٨٥ . ت ٣٤٥٤) من أكل طعاماً ثم قال: "الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه". وقال لنا أيضاً (أبو يعلى): من أكل فشبع وشرب فروى فقال: الحمد لله الذي أطعمني وأشبعني وسقاني وأرواني خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

وإذا أكل الولد فعليه أن يأكل بيمينه ومما يليه: فعن عمر بن أبي سلمة قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله (تحت نظره وتربيته) وكانت يدي تطيش في الصفحة (تتحرك في الإناء) فقال لي رسول الله: يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك.

فما أعظم الأدب إذا كان على يدي رسول الله، وما أعظم المؤدب إذا كان سيدنا رسول الله "ومرة أكل رجل عند رسول الله بشماله فقال له: كل بيمينك: فقال: لا أستطيع، قال: لا استطعت ما منعه إلا الكبر، قال فما رفعها إلى فمه بعد ذلك" (ثلث يمينه) م (٢٠٢).

ومن آداب الطعام أن يأكل الولد بأصابعه الثلاثة فأكل بأصبعين من المقت (ممقوت) وبثلاث من السنة وبخمس من الشره، واليوم الأكل عندنا بالملعقة فعليه أن لا يملأها مطففة، وألا يأكل مرة بعد مرة دون أن ينتهي من مضغ الأولى فهذا من الشره، وإذا كان مدعواً فينبغي أن يستأذن صاحب الوليمة: لأن نبينا الأعظم مرَّ على جمع من الصحابة يأكلون، وكانوا قد أصابهم قحط وجذب، ثم رزقهم الله تمراً، فرآهم يأكلون تمرتين تمرتين، فنهاهم عن الإقران ثم قال: إلا أن يستأذن الرجل أخاه (خ ٩/٤٩٣ م ٢٠٤٥).

ومن الآداب التي ينبغي تعليمها للولد أن يأكل مع أهل بيته، وألا ينفرد عنهم كالأرنب فإن هذا مدعاة لقلّة البركة في الأكل، وقد قدّم كوكبة من الصحب الكرام إلى السيد الأعظم ليقولوا: يا رسول الله إنا نأكل ولانشبع قال: فلعلكم تفترقون (أي أثناء الطعام) قالوا: نعم، قال: فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله بيارك لكم فيه. (د ٣٧٦٤) ولذا ورد في الخبر: (إن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون جماعة).

ومن البركة في الطعام أن يبدأ الأكل من حافتي الإناء ويدع وسطه، تعليماً من سيد الإنسانية الأكبر سيدنا محمد ﷺ، فهو القائل لنا: (البركة تنزل وسط الطعام فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه) (د ٣٧٧٢ ت ١٨٠٦).

وكان عليه الصلاة والسلام لا يأكل متكئاً لما فيه من الضرر بالصحة وظواهر الكبر وهو القائل "لا آكل متكئاً" خ ٩/٤٧٢.

وإذا وضع الطعام فعلى الولد ألا يمدّ يده إليه قبل من يكبره سنّاً خصوصاً الوالدين فعن سيدنا حذيفة قال: كنا إذا حضرنا مع رسول الله طعاماً لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله فيضع يده (م ٢٠١٧).

ومهما قدم الضيف من طعام فعليه ألا يعينه الولد لأن المربي الأعظم (خ ٩/٤٧٧ م ٢٠٦٤) قال عنه سيدنا أبو هريرة: ما عاب رسول الله طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه.

وانظروا إلى ما فعله المربي الأعظم مرة عندما دخل بيته، سألهم هل عندكم من طعام فقالوا: ما عندنا إلا خلّ ، فدعا به فجعل يأكل ويقول: نعم الأدم الخل، نعم الأدم الخل (م ٢٠٥٢).

هل رأيتم حبيب الله تعالى.

عظمة التربية الإسلامية أن الذي أشرف عليها سيد المربين وإمام المتقين هاهو يؤتى بلبن قد شيب بماء (لعله عيران) وعن يمينه أعرابي وعن يساره سيدنا أبو بكر فشرب ثم أعطى الأعرابي وقال: الأيمن فالأيمن (خ ١٤٨/٥ م ٢٠٢٩) إنه تعليم للساقي أن يبدأ بكبير القوم ثم الذي يليه عن يمينه، ولو كان صغيراً لأن جدي ابن عباس كان مرة يجلس عن يمين جدي رسول الله وكان عن يسار النبي أشياخ، فأتي رسول الله بشراب فشرب منه ثم قال لجدي ابن عباس أتأذن لي أن أعطي هؤلاء (الأشياخ)؟ فقال جدي ابن عباس: لا والله لا أوثر بنصيبك منك أحداً فوضعه رسول الله في يده (خذ وأشرب) خ ١٠ / ٨٦ م ٢٠٣٠) وتذكروا القاعدة الأيمن فالأيمن.

وكان يأمر من يقدم الشراب أن يشرب آخرهم ويقول له: "ساقي القوم آخرهم شراباً". وكان صلى الله عليه وسلم إذا شرب شرب على ثلاث دفعات يتنفس بينها (خ ١٠ / ٨١ م ٢٨) وكان يكره أن يشرب قائماً، وإنما شرب زمزم قائماً مرة ليبين جواز الشرب قائماً.

وكان لا يترك بقايا طعام على مائدته. ويلحق صحنه وينبه على حفظ النعمة، ففي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل طعاماً لعق أصابعه الثلاث وقال: إذا سقطت لقمة أحدكم فليأخذها وليمط عنها الأذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان، وكان يقول: إنكم لاتدرون في أي طعامكم البركة ومرة دخل حجر السيدة عائشة فوجد كسرة خبز فتناولها ثم قال: يا عائشة أحسني جوار نعم الله فإن النعمة قلما ذهبت عن قوم ثم عادت إليهم. وكان شيخنا الشيخ عبد الرحمن التلمساني رحمه الله تعالى يقول: ثلاث يورثن الغنى: لقط الفنا، ولعق الإناء، وترك الزنا.

وليحذر العبد أن يأكل أو يشرب في آنية الذهب والفضة، فإن ذلك حرام ولو كانت الملعقة مطلية بالفضة وقد توعده رسول الله من يفعل ذلك بعذاب عظيم فقال: من شرب في آنية الذهب والفضة فإنما يجرجر في بطنه نار جهنم. لما فيه من مظهر الكبر والاستعلاء وجرح كرامة

الفقير .

فإذا أكل أو شرب فليخفف طعامه وشرابه فقد علمنا المربي الأعظم فقال (أحمد . د) ما
ملاً آدمي وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لابد فاعلاً فتثلاث
لطعام وثلاث لشرابه وثلاث لنفسه.

فإذا ما انتهى من الطعام دعا لمضيفه فهو سنة، فان رسول الله عندما دعاه سيدنا
سعد بن عباد قدم له الخبز والزبيب فأكل رسول الله منها ثم قال: أفطر عندكم الصائمون
وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة (د . ت).

أيها المربون:

كانت هذه هي بعض الأنباء بالتفصيل في قضية الطعام والشراب، وإليكم موجزها:

"نحن قوم لانأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لانشبع".

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى سيدنا محمد رسول الله،
وتحييتنا إليك يا سيدي يا رسول الله:

الصلاة والسلام عليك.

القضية الثلاثون

أدب السلام والاستئذان

الحمد لله الذي ستر بستره وأجمل، الشكور الذي عمّ بره وأجزل، الرحيم الذي أتم إحسانه على المؤمنين وأكمل، القدوس السلام الصمد الأول فسيحان من أقبل بجوده وبره على من رجع إليه وأقبل.

أحمده على أنعم وأكرم وتفضل.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد خضع لهيبة وتذلل. القائل: **«والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا»**.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أوحى الله إليه الكتاب ونزل. وقال له **«واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا»**.

اللهم صلّ وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد ﷺ، وعلى آله وأصحابه الذين تضرعوا بين يدي مولانا بقلب مقيد ودمع مرسل، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر السادة الكرام:

اقتربت الساعة لتدق آخر دقائقها على نعش أمريكا ودول أوروبا، آخر مسمار يدق في تلك الحرب التحالفية العالمية، أتدرون - أيها الإخوة - أن أهل الكتاب يعلمون بهذه الحرب قبل أن يجري إعداد مسرحها على أرض أفغانستان، تحالفات واتفاقيات على ملاء من العالم كله وبموافقة حكام المسلمين وكل من لم يوافق فهو إرهابي سيضرب بعد أفغانستان، لا تحسبوا أن الحرب ستنتهي عند أفغانستان، بل إن هذه الحرب ستكون وقعة عظيمة وحرباً مدمرة، هذه الحرب التي كان سيعم قبلها السلام المشبوه على يدي كلينتون، فإذا بها أعظم وأشرس حروب التاريخ، حرب يقتل فيها الأولاد والشيوخ والنساء لا ذنب لهم إلا أنهم من المسلمين **«الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله»**.

إنني أنقل لكم هذا الكلام ليس من الصحف وشاشات المفسديين، ولكن أنقله لكم على لسان الصادق المصدوق فمن مدرسة البخاري يقول: ثم تكون هدنة بينكم وبين بني الأصفر (الروم/أمريكا وأوروبا) فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية كل غاية اثنا عشر ألفاً. اسمعوا شرح الحديث، لا من شروح البخاري، ولكن من كتب أهل الكتاب تتحدث عن هذه الحرب التي باركها إبليس وأعوانه، ففي الإنجيل من سفر الرؤيا ص ٣٨٨ ورد حديث عن معركة تدعى هر مجدون، تقول الرواية يا سادة يا كرام: وجمعت الأرواح الشيطانية جيوش العالم كلها في مكان يدعى هر مجدون، ولقد كان الرئيس الأمريكي الأسبق ريغان، قال مصرحاً لأمريكا: إن هذا الجيل بالتحديد هو الجيل الذي سيرى هر مجدون، وصرح ننتيا هو رئيس وزراء العدو الصهيوني الأسبق عن الضربة الموعودة إلى أمريكا فقال: آن الأوان لضرب واشنطن وتأديبها.

فيا أمة الحبيب الأعظم، إليكم النص الكامل لخطاب سيدنا رسول الله الذي يتحدث عن هذه المعركة فأرسلوا تحيتكم للقائد الأعلى للأمة سيدنا محمد الذي يقول (أحمد - د - ج ه - حب) ستصالحون الروم صلحاً آمناً فتضربون أنتم وهم عدواً من ورائهم (ورائهم لا من ورائكم يعني أن العدو مسلم).. فيغدر الروم وتكون الملاحم فيجمعون لكم في ثمانين غاية (راية) مع كل غاية اثنا عشر ألفاً لذلك عينا أن نستعد لهذه الحرب بالعودة إلى الله تعالى وبالعودة إلى ملء المساجد والالتفاف حول علماء الأمة وترتيب بيت المسلم.

إننا - معشر السادة - مع الحلقة الثلاثين من القضايا التربوية تربية الأولاد من جامع الدرويشية، وفي بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عزوخل على موجات سورتي النور والنساء:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾ (النور ٢٧).

﴿وإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة﴾ (النور ٦١).

﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها﴾ (النساء ٨٦).

هذه الآيات تبين لنا الأدب العالي الذي يجب تعليمه للولد أدب السلام وأدب الاستئذان، على الولد أن يفهم أنّ من أعظم آداب الإسلام وصفات المرء المسلم هذه القضية، صرح بها المربي الأعظم حينما سأله رجل فقال: أي الإسلام خير فقال صلى الله عليه وسلم: **تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف.**

إن سر المحبة الذي يسئل من القلب كل بغضاء وحسد وعداء إنما هو في خصلة السلام، لأن الله هو السلام ويحب السلام، يقول رسول السلام (م ٥٤ - د ٥١٩٣) **"لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم: أو أفشوا السلام بينكم".**

هذا أمر من السيد الجليل لزرع المحبة في قلوب المسلمين، السلام هو أحد الأمور التي يجب تعليمها للصبي عندما يدخل على أهل بيته أو رفاقه، أو أساتذته، هذه هي تربية سيدنا محمد ﷺ ولصحابته، اسمعوا كيف ربي رسول الله صحابته، يقول الصحابي الجليل البراء ابن عازب رضي الله عنهما، أمرنا رسول الله بعبادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس ونصر الضعيف، ودعوة المظلوم، وإفشاء السلام، وإبرار المقسم (خ ٩٠/٣ - م ٢٠٦٦).

فعلى هذا يكون الابتداء بالسلام سنة مستحبة ليست واجبة، وأما الواجب فرد السلام، فإذا سلم المسلم على أخيه وجب في حقه أن يرد عليه السلام **﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها﴾.**

وعلى الولد أن يفهم أنّ صيغة السلام ليست صباح الخير، لأنها تحية الجاهلية، ولا يسعد مساءك ولا سلامات، بل يقول المبتدئ: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ويرد المجيب بصيغة الجمع ولو كان المسلم عليه واحداً، ولتبدأ أنت بالتحية، يقول فاروق الأمانة سيدنا عمر: إن مما يصفى لك ود أخيك أن تبدأ بالسلام إذا لقيتَه وأن تدعوه بأحسب الأسماء إليه وأن توسع له في المجالس (بهجة المحافل وأنس المجالس ٢/٦٦٣) ورحم الله الإمام الشافعي إذ يقول:

لما عفوت ولم أحقد على أحد أرحت نفسي من هم العداوات

أحيي عدوي عند رؤيته لأدفع الشر عني بالتحيات
وأظهر البشر للامتنان أبغضه كأنه قد حشى قلبي مودات

أتدرون - أيها السادة - من أين أخذ الإمام الشافعي هذه الحكمة العظيمة، أخذها من المربي الأعظم، فتعالوا معاً لنشهد هذا المشهد التعليمي من صاحب الخلق العظيم، فقد استأذن أعرابي ليدخل عليه، فقال: بئس أخو العشيرة، فلما دخل بش في وجهة وسلم عليه، وانتبهت إلى هذا المشهد إحدى أمهات المؤمنين فسألت المربي الأعظم عن هذا التصرف الذي تراه لأول مرة فقال لها: إن لنبيش في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم، رأيتم كيف صاغ في هذا الحديث الإمام الشافعي.

وأظهر البشر للإنسان أبغضه كأنه قد حشى قلبي مودات

لَمْ: اتقاء شره.

إخوة الإيمان: ما زلت معكم ننزل ضيوفاً عند حبيب القلوب، هاهو رجل يدخل عليه فيقول: (د - ت): السلام عليكم، فرد عليه ثم جلس فقال النبي ﷺ: عشر.

ثم جاء وآخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فرد عليه ثم جلس فقال عشرون. ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد عليه فجلس فقال ﷺ: ثلاثون، فمن سلم السلام الإسلامي كاملاً فله ثلاثون حسنة، ولا يقل عليك السلام بدل السلام عليكم، لأن عليك السلام تحية الموتى (د ٤٠٨٤ - ت ٢٧٢٢).

ويعلم المربي الولد أن يقوم بمصافحة من سلم عليه، فإن من تمام السلام المصافحة عند القدوم لا عند الانصراف.

ويعلمه أن لا يسلم بإصبعه أو باثنتين أو بثلاث يرفعها على رأسه كما تفعل الكشافة والأجانب ولا ينحني بالتحية فإنه حرام، ولا يشير بكفه من بعيد مسلماً دون أن يتلفظ بالسلام، فهذا كله نهى عنه الشافعي المشفع ﷺ يقول (ت): "ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع، وتسليم النصارى الإشارة بالأكف".

فإذا أراد أن يسلم من بعيد رفع كفه الأيمن فوق حاجبه الأيمن قائلاً السلام عليكم.

إخوتي في الله: ويعلم المربي الولد أن الراكب يسلم على الماشي، والماشي يبدأ السلام على القاعد، والجمع القليل على الجمع الكثير، والصغير على الكبير كل ذلك وردت به الأحاديث النبوية (ق - خ).

وعلى كل ما تقدم، فإن القاعدة العامة في السلام أن يبدأ بالسلام الأفضل فقد سأل رجل نبينا ﷺ فقال: يا رسول الله الرجلان يلتقيان أيهما يبدأ بالسلام؟ فقال: أولاهما بالله تعالى (ت ٢٦٩٥).

فإذا كان أستاذاً أو مربياً فهو الذي يبدأ التلامذة بالسلام اقتداء بالمربي الأعظم (ﷺ) فقد كان (ق) إذا مر على الصبيان سلم عليهم بقوله: "السلام عليكم يا صبيان" (خ ٢٧/١١ - م ٢١٦٨).

معشر الإخوة: هذه الأحوال كلها خاصة بالمسلمين بعضهم مع بعض، أما إذا كانوا غير مسلمين فلا يبدؤون بالسلام، وإذا دخلوا عليه لا يقوم لهم وإذا سلموا علينا نقول: وعليكم، لم لأنهم يسلمون علينا بلفظ السَّام بدل السلام يعني الموت، لذا جاءت التوجيهات النبوية تقول (م ٢١٦٧ - ت ٢٧٠١) "لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام فإذا لقيتهم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه" (و إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم) (خ ٣٦/١١ - م ٢٢٦٣).

أيضاً هناك أحوال بكره فيها السلام، منها: على المتوضئ ومن يتلو القرآن، وذكر الله تعالى، والملبي في الحج، وخطيب الجمعة، وواعظ في المسجد، ومن يقرر الفقه أو يشتغل في الدرس أو مؤذن أو مقيم للصلاة.. وغيرها فمن سلم في حالة منه لم يستحق الإجابة عليها.

أيها السادة: كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها: أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام، وصلوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام (٢٤٨٧، م ٤٥١/٥).

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى سيدنا محمد رسول الله، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله:

الصلاة والسلام عليك.

القضية الواحدة والثلاثون

أدب الاستئذان والدخول

الحمد لله الذي خلق كلّ شيء فقدره، وعلم مورد كل مخلوق ومصدره وأثبت في أم الكتاب ما قضاه وسطّره، فلا مؤخر لما قدّم ولا مقدّم لما أخره، المنفرد بالقدم والبقاء والعزة والكبرياء، فالعقول عن إدراكه قاصرة، والألسن عن إحصاء ثنائه مقصّرة، القدوس الواحد فلا مشارك فيما أبدعه وفطره، العليم الخبير فلا يخفى عنه أسرّ العبد وأضرّره.

أحمده سبحانه وتعالى على ما أولاه من خير ويسره

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له اطلع على عمل المسيء وستّره، وقبل توبة العاصي فعفا عن ذنبه وغفّره.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أوضح به سبيل الهدى ونور فمن أطاعه بالجنة بشّره، ومن عصاه بالنار دمره.

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه صلاة تبلّغهم بها شرف الدنيا والآخرة وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر السادة الكرام:

مازلت معكم أقتطف زهر الآداب الاجتماعية التي ينبغي على المربي أن يرسخها في الولد، ذلك إن الولد ابن بيئته، وقد حرص الإسلام أن ينشأ الولد سوي الخلق سليم القلب من آفاق المجتمع التي تكون نتيجة الاختلاط بين الأفراد والجماعات، «وإن كثيراً من الخطاء ليبيغي بعضهم على بعض».

وقد بحثت معكم جملة من الآداب ونحن اليوم بعون الله وتأييده سنبحث كيفية تعليم الولد آداب البيوت أعني بها آداب الاستئذان والدخول إلى المجالس. فإن الولد كان في سن صغره يدخل غرف والديه بلا استئذان لعدم وعيه إلى قضايا العورات، أما وإنه قد بلغ سن التمييز أو بعدها بقليل فعليه أن يتعلم كيف يطرق الباب، وأين يجلس وكيف يسلم ويصافح، هذه القضايا

وغيرها أستعرضها لحضراتكم ضمن الحلقة الواحدة والثلاثين من القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا أكفكم للعلي القدير أن يفرج عن إخواننا في فلسطين وفي أفغانستان، فإنهم بحاجة إلى دعواتكم لأن العالم أجمع تخل عن إخواننا في أفغانستان وقامت بعض الدول في الخليج الفارسي، أقول الفارسي لا العربي لأن العربي إذا استجد به أحد أنجده ولو كان في ذلك حقه، قامت بعض الدول بطرد الأفغان من بلادها في سفينتين مما أدى بحظهم العاثر إلى غرق إحدى السفينتين بمن فيها، كل ذلك لترضي حليفتها أمريكا، ألا لعنة الله على أمريكا وعلى اليهود، والذل والهوان لكل من يمد يده بالمصافحة لأعداء الإسلام، إن التاريخ اليوم يسجل لبعض القادة من العرب والمسلمين وسام البطولة والوفاء لعربيتهم، ويلعن وينسلخ في الوقت نفسه عن أكثرهم وينزع من سجلهم عربيتهم المزعومة ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ وريثما يحق الله الحق ويبطل الباطل ندع قلوبنا وألسنتنا تدعو للمجاهدين الأفغان والفلسطينيين، ونبقى ننزل ضيوفاً على لمربي الأعظم سيدنا محمد: الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله.

وخير مانستهل حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات سورة النور (٢٧ . ٢٨): ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم فإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم....﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لسيئاً ذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات: من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم، وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم...﴾ النور ٥٨ . ٥٩ .

إخوة الإيمان: هذه التعاليم الربانية للمربين ترفع الرأس عالياً وتشمخ به إلى ذرى المجد وتسعد به القلوب، ذلك أن الرب جل جلاله هو الذي يتولى تربية عبادته، إن الذي فطرهم وخلقهم يعلم ما جبلهم عليه لذا وجههم ورباهم بما يصلح دنياهم وأخراهم، إن هذه الآيات دعوة إلى الآداب الإنسانية، وتعليم للأمة أن يعلموا أطفالهم وخدمهم هذه الآداب الحميدة، لتبقى الأسرة المسلمة نظيفة، وليبقى المجتمع المسلم في منأى عن لمفاسد التي تعج بها المجتمعات الأخرى.

وأول ما يجده الإنسان من الآداب الاجتماعية: ادب الاستئذان، أن ننبه أطفالنا الذين لم يبلغوا سن الحلم أن يستأذنوا علينا قبل الدخول إلى غرفنا في ثلاثة أحوال: قبل صلاة الفجر عندما نكون نياماً، وعند القيلولة في وقت الظهيرة، ومن بعد صلاة العشاء لأنه وقت الراحة والنوم، ولئلا يطلعوا على العورات، فقد يكون مع أهله في حالة لا يصح أن يدخل عليهما فيها أحد، لذلك أوجب الاستئذان حتى على الخدم والصغار المميزين، وسماها عورات لانكشاف العورات فيها.

وهو أدب رفيع يغفله الكثيرون في حياتهم مستهينين بآثاره النفسية الخلقية، طائنين أن الصغار قبل البلوغ لا يتنبهون لهذه المناظر، بينما يقرر علماء النفس أن بعض المشاهد التي تقع عليها أنظار الأطفال في صغرهم هي التي تؤثر في مستقبل حياتهم، وقد تصيبهم بأمراض نفسية وخلقية وتوجد فيهم عقداً يصعب شفاؤهم منها.

وهذا الأدب الإسلامي الرفيع لانجده عند غير المسلمين، ويكفي الإسلام فخراً وشرفاً أنه دين الأدب والستر ودين الحشمة والوقار.

أيها الآباء والمربون: إن الإسلام يوجهنا إذا ما بلغ أولادنا سن الحلم والرشد والتمييز أو العاشرة فعلينا أن نعلمهم الاستئذان في هذه الأوقات وغيرها وأن على الولد أن يطرق الباب إن استأنس مجيباً، فإن من الناس من يطرق الباب ويدخل مباشرة أو ينادي بأعلى صوته يا فلان.

فاسمحو - يا معشر السادة - أن أنقل بكم إلى هناك لنتعلم الأدب العالي من صاحب الجبين الأنور والروض الأزهر، من صاحب التربية العالية سيدنا محمد ﷺ ها هو رجل يستأذن في الدخول عليه (د) ويقول مباشرة أألج؟ فقال رسول الله لخادمه: أخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان فقال له: قل: السلام عليكم أدخل، فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم أدخل، فأذن له النبي (صلوا عليه).

إن الإسلام أدب أتباعه، لا ضير أبداً أن تعرف بنفسك وأنت عظيم الجاه، اذكر اسمك لتعرف من قبل أهل البيت الذين تطرق عليهم الباب (يطرق أحدنا الباب فيسأل: من الطارق فيقول: أنا، أنا ومن أنا) عرف بنفسك كما عرف بنفسه سيد الكونين، إن حبيب الله عندما عرج به إلى السماء بصحبة الأمين

سيدنا جبريل كان يطلب الإذن بدخول كل سماء فيقال: من هذا؟ فيقول جبريل. فيقال: ومن معك فيقول: محمد.

يا مرحباً برسول الله. ومرة جاء سيدنا جابر يطرق الباب (ق) اسمعوا ماذا يقول: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فدققت الباب فقال: من ذا، فقلت: أنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أنا، كأنه كرهها.

على الولد أن يتعلم أن يستأذن ثلاثاً قبل أن ينصرف وينتظر بينها فترة لعل الذي في الداخل يصلي أو يقضي حاجته، وفي هذا يقول المربي الأعظم (ق) : الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك وإلا فارجع.

يطرق الباب بلطف ولا يدق بعنف، فإن بعض الناس إذا رن جرس الباب ولم يجد أحداً شرع يلعب بالجرس ويرن ويرن حتى يحرق الجرس جزاه الله خيراً، هذا خارج نطاق الأدب، وبعض الأولاد يرنون الجرس ويهريون، وربما كان صاحب البيت عجوزاً أو كبيراً عاجزاً أو مريضاً فيقوم ليفتح الباب بعد لأيٍ وجهه لشدة مرضه فلا يجد أحداً، فيدعو على الطارق، علينا أن نؤدب أولادنا، عليهم أن يفعلوا كما كان يفعل صحابة نبينا صلى الله عليه وسلم: (خ الأدب المفرد): كانوا يطرقون باب النبي بالأصابع، وكان السلف الصالح يقرعون أبواب شيوخهم بالأظافر، بل بلغ من بعض المريدين من شدة أدبهم واحترامهم لأشياخهم أنهم كانوا إذا أتوا بيت شيخهم (وهم على موعد معه) وقفوا على الباب دون أن يطرقوا الباب يققون ويقرؤون قوله تعالى ﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم﴾.

إخوتي أهل التربية: ويعلم الولد أنه متى طرق الباب أعطاه ظهره (ق): لأن الاستئذان إنما شرع لأجل النظر، فربما تفتح الباب امرأة أجنبية، عليك أن تحافظ على أعراض الناس كما تحافظ على عرضك، ألا ترضى أن تفعل كما كان يفعل المعصوم ﷺ كان إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر.

ويقول (نفسى فداه): السلام عليكم. ليس لك أن تنتظر ما في بيوت الناس إلا بإذنهم، ولهذا ورد في الحديث (ق): "من اطلع في بيت قوم فقد حلّ لهم أن يققوا عينه". يعني ولا دية ولا قصاص.

فيا بني: إذا فتح لك الباب تعلّم أن تسلم على أخيك وتصافحه، أتدري لماذا؟ لأن المربي الأعظم يقول لك (د): إذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله تعالى واستغفرا غفر الله لهما، وفي رواية (ت جه): "ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحا إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا".

وعليك يا بني: أن تجلس في المكان الذي يعينه لك صاحب الدار، وإن شئت فسله أين أجلس، لكي يجلسك بعيداً عن عورة البيت، فلا تجلس مثلاً مقابل الباب، فالضيف أسير صاحب الدار، ورب البيت أدرى بالذي فيه، وأهل مكة أدرى بشعابها، وحبيبك النبي يقول (مجمع الزوائد): من دخل دار قوم فليجلس حيث أمره فإن القوم أعلم بعورة دارهم.

فإذا دخلت فوجدت اثنين يجلسا بجوار بعضهما فلا تجلس بينهما إلا بإذنهما، لما ورد في الحديث (ت د): "لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما".

والأولى أن يجلس المرء حيث انتهى به المجلس (د ت) فإن قدّموك إلى الصدر كما يفعل الناس بالعلماء والوجهاء فتقدّم، لأن الصحابة تعلموا من رسول الله أن ينزلوا الناس منازلهم.

معشر الإخوة الكرام: والمجالس بالأمانة، فلا ينبغي لأحد سمع خبراً ما في مجلس أن يشيعه على الملاء، فلعل أصحابه لا يرضون بذلك، وإلا فسيضطر الناس إلى التسارر بينهم لئلا تشيع أخبارهم، وهذا منهى عنه في الحديث (ق): "إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث من أجل أن ذلك يحزنه".

وقد نهى الإسلام أن نجلس في مكان غادره صاحبه لحاجة ثم سيعود إليه (فمن قام من مكان ثم عاد إليه فهو أحق به (م)). وعلمنا رسول الله أننا إذا جلسنا بمكان وأردنا مغادرته أن ندعو بكفارة المجلس وهي قوله:

سبحانك اللهم ويحمده أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك (حا).

إننا . معشر الإخوة . بحاجة إلى أن نعيد النظر بأحوالنا الاجتماعية، أن نعود إلى الآداب النبوية، لعل الله أن ينصرنا على أعدائنا، إننا اليوم بحاجة إلى التوجيهات النبوية أكثر من قبل، فمن أراد أن تعلو أخلاقه، وتسمو رأيته في الدنيا والآخرة فليبق معنا هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا ﷺ الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى سيدنا محمد رسول الله، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله:

الصلاة والسلام عليك.

القضية الثانية والثلاثون

أدب الحديث

الحمد لله الذي نورّ بجميل هدايته قلوب أهل السعادة، وطهر بكريم ولايته أفئدة الصادقين فأسكن فيها وداده، وحرس سرائر المؤمنين فطرد عنها الشيطان وذاده، ودعاها إلى ماسبق لها من عنايته فأقبلت منقادته.

أحمدته على ما أولاه من فضل وأفاده

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة وعد قائلها بالحسن وزيادة.

إله حميد مجيد موصوف بالحياة والعلم والسمع والبصر والكلام والقدرة والإرادة، فصفاته لا يدركها كيف ولا يحيط بها أين ولا تدرك بالقياس والعادة.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أقام به منابر الإيمان ورفع عماده، وأزال به سنان البهتان ودفع عناده.

اللهم صلّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين استخلفهم على دينه وملكهم قياده، أوضح بهم حجج الدين وأحكام العباد، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

أقف اليوم بينكم لأتحدث عن عضو من أعضاء الإنسان له أهميته وله خطره، عضو إن اتجه به الإنسان وجهة خيرة وسلك به سبيلاً وسطاً وكفه عن جماحه ونزواته أنقذ الأعضاء كلها من الخسران والخيبة، ونجا الإنسان من عذاب الله تعالى وفاز برضوانه، ذلك العضو الخطير إنما هو اللسان، اللسان الذي يستهين الإنسان بخطره ولا يأبه لشأنه ولا يحذر من جنايته، فقد ابتلينا في عصر التقدم هذا بملايين من كلمات السوء والفحش المناهضة للأخلاق والمجانبة للآداب، نسمعها في مجتمعنا من كثير من الناس في الأسواق والمتاجر، في المعامل والمصانع، في النوادي والمقاهي، تجد كثيراً من الناس في الأسواق والمتاجر في المعامل والمصانع، في النوادي والمقاهي، تجد كثيراً من المواطنين يقذفون من أفواههم، هذه الكلمات البذيئة والبسمة ترتسم على شفاههم والبشر يلوح على نسومات وجوههم، كأنهم تكلموا بما ينهض الأمة أو يخدم الوطن أو يستوجب ثواب الله في جنات النعيم، وإذا نبهته أو وجهت إليه نصيحة أو نهيته عن هذا المنكر

اتهمك بالجمود والرجعية، وقال: لاتشددوا علينا إن الله غفور رحيم.

ألا يعلم هؤلاء أن إطلاق اللسان في كلمات السوء جنائية، إن الاستمرار في السباب واللعن والشتائم فحش في القول، لذلك جاءت الأحاديث النبوية تحذر وتنهى عن ذلك، وتنهى عن الوقوع فيه، يقول المربي الأعظم (ت): "ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء"، "لاتسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء" " لاتلاعنون بلعنة الله ولا بغضبه".

وبين لنا أن اللسان أو الكلمة تهوي بصاحبها إلى أسفل دركات جهنم، اسمعوا إليه يقول وقد سأله سيدنا معاذ: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به، فقال: ثكلتك أمك، وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم".

إننا - معشر السادة - مع قضية أدب الحديث ضمن سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، في الحلقة الثانية والثلاثين، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم:

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله.

إخوتي في الله: قبل أن أدخل معكم ضمن هذا البحث الهام اسمحوا لي أن أنقل لكم هذا المشهد الفريد الذي بطله تميم بن جميل الخارجي، كان خرج على المعتصم الخليفة العباسي وناصبه العدا، فإذا به جيء به أسيراً، فدخل عليه في مجلسه العام وقد أتى بالنطع (بساط من الجلد) والسيف.

فلما مثل بين يديه مكبلاً نظر إليه المعتصم فأعجبه شكله ومشيه إلى الموت غير مكترث له، فخاطبه ليرى عقله فقال: يا تميم إن كان لك عذر فأْت به، فقال: أما إذا أذن أمير المؤمنين جبر الله به صدع الدين، ولم به شعث المسلمين، وأخمد به شهاب الباطل، وأنار به سبل الحق، فالذنوب . يا أمير المؤمنين . تخرس الألسنة وتصدع الأفئدة، وأيم الله قد عظمت الجريمة (الجنائية) وانقطعت الحجة، وساء الظن، ولم يبق إلا العفو أو الانتقام، وأمير المؤمنين أقرب إلى العفو، وهو أليق شيمه الطاهرة ثم أنشد:

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً يلاحظني من حيث ما أتلفت
وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي وأي امرئ مما قضى الله يفلت
ومن ذا الذي يأتي بعذر وحجة وسيف المنايا بين عينيه مصلت
وما جزعي من أن أموت وإنني لأعلم أن الموت شيء موقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأني أراهم حيث أنعى إليهم وقد لطموا تلك الخدود وصوتوا
فإن عشت عاشوا سالمين بغبطة أذود الردى عنهم وإن مت موتوا

فلما فرغ من إنشاده بكى المعتصم وقال من إن البيان لسحرا، ثم قال: كاد . والله . يا تميم يسبق السيف العدل، وقد وهبتك لله ولصبيتك وأعطاه خمسين ألف درهم.

إخوة الإيمان: إن حسن البيان وفصاحة اللسان، وحسن المنطق وحلو الحديث جعلت المعتصم يعفو عن أحد الخارجين عن سلطان الدولة، وهذه البلاغة وهذا الأدب العالي في الحديث مطلوب عند كل مسلم.

فعلى الولي أن يبدأ مع الولد بتعليمه منطق الحديث وعذبه، فمن الجحود لهذه اللغة أن نعدل عنها ونتكلم بلغة عامية لاتمت إلى العربية بصلة ولا ينسب، ولكن ذلك لايعني أيضاً بأن نعلمه تكلف الفصاحة والتنطع في الكلام والمبالغة في انتقاء الكلمات الوحشية والغريبة، فإن من هدي النبي صلى الله عليه وسلم (د . ت) قوله: "إن الله عز وجل يبغض البليغ من الرجال، الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقر بلسانها".

فكيف نعلم ولدنا الخطأ والحديث؟

فتعالوا بنا نقف على كيفية خطاب سيد الفصحاء وأمير البلغاء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، يصفه أصحابه فيقولون (ق): كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم سلم عليهم.. وكان يتكلم بكلام فصل لاهزر ولا نزر" (لا كثير ولا قليل) ويكره الثثرة في الكلام والتشديق به (أي التكلف)، ووصفته السيدة عائشة فقالت: "إنما كان حديث رسول الله فهماً تفهمه القلوب، يحدث حديثاً لو عدّه العاد لأحصاه".

فالمطلوب من المتحدث أن يراعي ثقافة محدّته ومستواه الفكري، الحديث مع الصغير غير

الحديث مع الكبير، فقد أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم، ولهذا قال^١ صلى الله عليه وسلم: **حدثوا الناس بما يعرفون.**

معشر السادة: وعلى المربي أن يعلم الولد أن يصغي إلى حديث المتكلم إصغاءً تاماً ليعي مايقوله، ويستوعب ماحدثه، كان أصحاب سيدنا رسول الله ﷺ حينما يحدثهم بحديث كأن على رؤوسهم الطير من فرط المهابة وشدة الاهتمام، وانظر إلى حبيبنا رسول الله يقبل عليهم بكلية، ويلطف كلاً منهم حتى يظن كل منهم أنه هو المقرب إلى رسول الله، اسمعوا ماذا يقول سيدنا أنس رضي الله عنه (د): **ما رأيت رجلاً التقم أذن النبي صلى الله عليه وسلم (يكلمه سرا) فينحي رأسه عنه حتى يكون الرجل المنحني هو الذي ينحي رأسه.**

يقول الشاعر أبو تمام في وصف من يخاطبه:

يكاد يصغي للحديث بسمعه وبقلبه ولعله أدرى به.

هذه الآداب مما ينبغي أن يتعلمه، الولد ويتعلم معه التلطف بالمخاطب والابتسام عند الحديث، فالابتسام دليل الاهتمام يقول سيدنا أبو الدرداء: **ما رأيت أو سمعت رسول الله يحدث حديثاً إلا تبسم.**

وهذا مايسمى عند أرباب القلوب بجاذبية الحديث وأسر النفوس ولطف المعشر. إن الإسلام بمبادئه السمحة يأمر المسلم أن يكون ألفاً مألوفاً بساماً فرحاً خلوقاً، فلا بأس بالمزح في حدود الأدب، ودون أن يكذب ليضحك الناس، ودون أن يكثر من الضحك فتذهب هيئته، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلُّ ضحكه التبسم، وكان صادقاً فيما يقول وهو الذي نهانا عن الكذب، ولو كذبة نيسان فهي بدعة مذمومة اخترعها أهل الشر والنفاق.

اسمعوا ماذا يقول في ذلك السيد الأعظم صلى الله عليه وسلم:

ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويل له ويل له (ن - هب - ت - د). ويقول (أحمد - د): **كبرت خيانة أن تحدث أخا حديثاً هو لك مصدق، وأنت له كاذب. إذا أردت أن يكون ولدك مؤمناً فعليك أن تعلمه الصدق. «إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون».**

^١ هذا قول لسيدنا علي رضي الله عنه: (حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله) وهو موجود في البخاري كتاب العلم، باب من خص قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا.

والمربي الأعظم يربّينا فيقول: "لا يؤمن العبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في المزاح والمرء (الجدل) وإن كان صادقاً".

تذكروا . أيها المربون . أن النبي كان يمزح ولا يقول إلا حقاً، يخاطب أحد أصحابه مازحاً: فيقول: يا ذا اليمين، وقد أتت إليه امرأة فقالت: إن زوجي يدعوك فقال: من هو، أهو الذي بعينه بياض، فقالت: ما بعينه بياض، فقال: بلى بعينه بياض، فقالت: لا والله، وهنا قال صلى الله عليه وسلم ما من أحد إلا بعينه بياض.

ماذا أقول عن صدقك يا خير الورى.

أتت إليه عجوز تقول له: يا رسول الله أدع الله أن يدخلني الجنة. فقال: يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز، فولّت وهي تبكي، فقال صلى الله عليه وسلم أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز.

إن الله تعالى يقول: ﴿إنا أنشأناهم إنشأاً فجعلناهم أبقاراً عرباً أتراباً﴾.

على الولد أن يتعلم الصدق في المزاح بأدب جمّ، انظروا إلى هذا المشهد كان أحد الصحابة دميم الوجه (واسمه زاهر) وكان يبيع متاعه، جاء إليه رسول الله من خلفه خلصة فاحتضنه من الخلف فقال: زاهر من هذا؟ أرسلني، فالتفت زاهر فرأى رسول الله فجعل لا يألوا من ألصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه، فجعل رسول الله يقول: من يشتري هذا العبد؟ فقال: يا رسول الله إذاً والله تجدني كاسداً. فقال رسول الله: لكنك عند الله لست بكاسد، أنت بإيمانك وأدبك عند الله غالي، أنت غالي عند الله أيها المسلم، غالي والله غالي إذا بقيت معنا هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى سيدنا محمد رسول الله، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله:

الصلاة والسلام عليك.

التهنئة بالأعياد والمسرات

٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وفق العاملين لطاعته فوجدوا سعيهم مشكورا، وحقق آمال
الآملين برحمته فمنحهم عطاء موفورا، وبسط كرمه للتائبين فأصبح وزرهم
مغفورا، وأسبل من نعمه على الطالبين وابلاً غزيراً.

أحمدته سبحانه وتعالى وأشكره شكراً كثيراً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الذي من قصد غيره ضلّ،
العزیز الذي من أعتزّ بغيره ذلّ، الكبير الذي من نازعه بكبريائه قصم وأذلّ، العظيم
الذي تفرّد بصفات الكمال تعالى وجل.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أقبل على مولاه فكفاه، واستطبه
لدائه فشفاه وشغل بذكره قلبه وفاه، فاجتباها الله واصطفاه.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعترته
وأنصاره، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الأخوة الكرام:

قبل أن أدخل معكم في قضيتنا التربوية الثالثة والثلاثين أريد أن أشكركم وأحيي
الإخوة الإيمانية النابعة من قلوبكم، إني لأرفع رأسي عالياً بتلك المحبة التي شعرت
بها في هذا العيد وقد غمرتموني بهذا العطف، وشعرنا جميعاً وقد اجتمعنا على
صعيد واحد في بيتكم الصغير المتواضع، شعرنا بمحبتنا لبعض واحترامنا لجميع
أفراد الأسرة الواحدة التي أطلقت عليها أسرة العلم الشرعي، هذا العلم الذي سيعود
على أيديكم بصيراً، سيعود كهذا العيد سيعود علينا عود السرور وغفران الذنوب
والعتق من النار، وحق لنا أن نجتمع فرحين بعيد الفطر بعد رمضان، ذلك الشهر
الذي يعتق الله فيه كل ليلة منه ستمئة ألف عتيق من النار، وفي آخر ليلة منه يعتق
بقدر ما أعتق أول الشهر، جعلني الله وإياكم منهم، ولهذا تسن التهنئة بالعيد، كما
تسن التهنئة بمجيء العام الهجري ومجيء الشهر على المعتمد مع الفرحة والبشاشة
والدعاء بالمغفرة، ويصافح الرجل الرجل والأنثى الأنثى والأمرد الأمرد ولا يصافح
الرجل الأنثى الأجنبية، إن الفرحة بقبول الطاعة لا تعدلها فرحة، ولهذا يسن أن
يقول المسلم لصاحبه: أحياكم الله لأمثاله، كل عام وأنتم بخير، تقبل الله منا ومنكم،
وغفر لنك ولكم، يفعل ذلك بغروب الشمس ليلة عيد الفطر أو بصبح يوم عرفة.

أيها الأحبة والصحب: كان هذا الجمع تملؤه السعادة والسرور، وكلُّ منا يعرف بنفسه وبلدته لقد جمع هذا المجلس المشرق إلى المغرب، والجنوب إلى الشمال، فقلت لهم تعالوا أتلُّ عليكم هذا الحديث الشريف، فهو يناسب جلستنا هذه، فقد ورد في الترغيب والترهيب للإمام المنذري، يقول ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ نَاسًا مِنْ عِبَادِهِ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءٍ وَلَا شُهَدَاءٍ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ. قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَعَلَّنَا نَحْبُهُمْ، قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا فِي اللَّهِ مِنْ غَيْرِ أَرْحَامٍ وَلَا أَنْسَابٍ بَيْنَهُمْ، وَجُوهُهُمْ نُورٌ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾».

إن هذه الزيارات والتهنئات يا ناس تنبت المحبة في القلب، وخصوصاً إذا رافقتها الهدايا ولو زهرة أو وردة، فلا يحمل الورد إلا الورد، وصاحب الورد قلبه شفاف كنعمومة الوردة ونبينا ﷺ يقول: «تَهَادَوْا تَحَابُّوا» إني لأخلص التحية للأخوة الذين تفضلوا علي بورودهم، وأسأله تعالى أن يكرمني بردها عليهم في الأفراح والمسرات، أشكر لهم صنيعهم ذلك لأن نبينا ﷺ يقول (ت): «مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافُوهُ فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا فَادْعُوا لَهُ» .

هذا الأدب الذي تعلمته من الأصحاب والأحاب مصدره تعليمات المربي الأعظم، فهو القائل (طب): «يَا نِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ تَهَادَيْنَ وَلَوْ فَرَسَنَ شَاةً فَإِنَّهُ يُنْبِتُ الْمَوَدَّةَ وَيُذْهِبُ الضَّغَائِنَ»

معشر الإخوة الكرام: التهنئة في المناسبات الخيرة الإسلامية مشروعة، سنّها لنا هذا النبي الكريم فقد كان إذا تزوج أحد أصحابه الكرام دعا له ولزوجه فقال (د - ت): «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ وَبَارَكَ عَلَيْكَ وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ».

فهذه الآداب الاجتماعية مما ينبغي الاعتناء بها وتعليمها للأولاد أيضاً، وأنا أسألكم: ما هو شعور كل منكم وأنت ترى طالباً لك في عيد المعلم أو في أحد أعياد المسلمين أو وأنت قادم من الحج أو العمرة يدخل عليك ويديه زهرة وهو يقول لك: قَبِلَ اللَّهُ حُجَّكَ وَغَفَرَ ذَنْبَكَ وَأَخْلَفَ نَفَقَتَكَ، ما هو شعورك وأنت ترى أخاً لك يبادرك بزيارة وقد أكرمك الله بولد يدخل عليك ويديه باقة ورد وهو يقول لك: بورك لك في الموهوب وشكرت الواهب وبلغ أشده ورزقت بره: لا شك أنه بشرٌ وسرور عظيم يحتاج كيانه كله.

ما هو شعورك بعد غياب طويل عن أهلك يلقاك أخ لك في الطريق يقبل رأسك ويعتقك وهو يقول لك: (الحمد لله الذي سلمك وجمع الشمل بك وأكرمنا وأكرمك).

إن هذا والله لمن أسباب المغفرة التي حدثنا عنها سيدنا رسول الله، اسمعه وهو يقول لك (طب): «مَنْ لَقِيَ أَخَاهُ بِمَا يُحِبُّ لِيُسِرَّهُ بِذَلِكَ سَرَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ويقول: «إِنَّ مِنْ مُوجِبَاتِ الْمَغْفِرَةِ إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى أَخِيكَ الْمُسْلِمِ» و: «وَإِنَّ مِنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ الْفَرَايِضِ إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى الْمُسْلِمِ».

ومما ورد عنه أيضاً: «مَنْ أَدْخَلَ السُّرُورَ عَلَى قَلْبِ مُسْلِمٍ خَلَقَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ السُّرُورَ مَلَكًا يُؤْنِسُهُ فِي قَبْرِهِ وَيَقُولُ لَهُ: أَنَا السُّرُورُ الَّذِي أَدْخَلْتُهُ عَلَى أَخِيكَ يَوْمًا مَا»
علينا- إخوة الإيمان- أن نحیی هذه المعاني في قلوب أولادنا لتكون لهم عادة وخُلُقًا.

هذا كله بالتهنئة بين المسلمين، أما مع غيرهم فلا يجوز لنا التهنئة بأعياد الكفار، لأن في تهنئتهم إقرار لهم على كفرهم، إن من يهنئ الكافر الذي يدعي أن الله ولداً أو صاحبة يخشى على إيمانه والعياذ بالله تعالى.

إنني وأنا في خضم هذه الفرحة الكبرى فرحة عيد الفطر المبارك وفرحة لقيا الأحبة والصحب الكرام لأجد من واجبي على الناس وحق الناس علي أن أنصح في هذا المقام ما يفعله بعض المسلمين من مخالفات شرعية وهم في غمرة فرحتهم بالعيد من التهتك في الطرقات والدخول إلى المسارح والسينمات ومن التقلت الذي أصابهم بعد رمضان، سواء في بيوتهم أو خارجها إن كان بلعب الشدة أو الطولة بحجة أن اليوم يوم عيد.

أيها المسلمون: إن الإسلام سمح لنا بالفرحة يوم العيد ولكن على شرط الدين، إن الفرحة تكون بالكيفية التي شرعها صاحب الشريعة الغراء، كيف يهنأ بالعيد من استقام في رمضان صلى وصام وبعد رمضان عدل عن الطريق الأقوم.

إن من شرع لنا صوم البدن والجوارح في رمضان هو الذي شرع لنا الفرحة والإفطار في يوم العيد، إن رب رمضان هو نفسه رب غيره من الشهور، إن الرب واحد، والشرع واحد، من كان يعبد رمضان فإن رمضان قد ولى وانقضى، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.

واسمحوا لي - أيها السادة - أن أنقل لكم هذا المشهد الفريد لإحدى المخالفات في العيد، مشهد بطله فتاة صغيرة لا تتجاوز العشر سنوات، عطس أمامها فتى (قال إنه يمزح) عطس عطسة شديدة في وجه أحدهم، فنظرت إليه الفتاة الصغيرة وقالت

فوراً على سجيته: قالت لنا المدرّسة إن من يفعل ذلك يكون قليل الأدب ثم أردفت تقول: روى الإمام أبو داود والترمذي عن سيدنا أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ: «إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فمه وخفّض بها صوته» ثم قالت ثالثة: (إن الله عز وجل يكره رفع الصوت بالتثاؤب والعطاس). هكذا قال سيدنا رسول الله ﷺ .

ذهل الفتى والبنّت تكيل له اللكمات الإيمانية الواحدة تلو الأخرى، وكأنها أستاذة تقرر على طلابها قضية العطاس، وضحك الحاضرون ضحكة إعجاب للفتاة وسخرية من الشاب.

وهنا قربت الفتاة وقبلت رأسها وقلت لها احفظي عني هذا الحديث يا بنيّتي: روى البخاري عن سيدنا أبي هريرة عن سيدنا النبي ﷺ أنه قال: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ. فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَلْيَقُلْ: يَهْدِيْكُمْ اللَّهُ وَيُصْلِحْ بِأَلْسِنَتِكُمْ»

فقالت الفتاة الصغيرة : صدق رسول الله، ثم أتبعته كلامها بقولها قالت لنا المدرّسة: إن رجلين عطسا عند النبي ﷺ فشمت أحدهما ولم يشمت الآخر فقال الذي لم يشمته: عطس هذا فشمتته وعطست فلم تشمتني فقال عليه الصلاة والسلام «هَذَا حَمْدُ اللَّهِ وَإِنَّكَ لَمْ تَحْمَدِ اللَّهَ» (ق).

كان هذا الموقف الجميل من المواقف التي يجب أن تذكر أمام الناس ليتعلّموها، فكم من الناس من يفعل هذا، ولا يعلم أنه بعيد عن الأدب.

احفظوا هذه القواعد- أيها الإخوة - وانقلوها لبيوتكم وعلموها أولادكم.

إن هذه القواعد التربوية وضعها لنا المربي الأعظم لتكون على بينة من تصرفاتنا، وتذكروا معي هذه الأحاديث وزيدوا عليها هذا الحديث الشريف لتتوضح هذه الآداب بشكل أكبر، بعد أن ترسلوا تحيتكم للحبيب الأعظم ﷺ يقول (خ): «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ الْعُطَاسَ وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ وَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ حَقًّا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُرِدْهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَثَاءَبَ ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ»

وفي رواية (م): «إِذَا تَنَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فِئِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ» (أي في فيه) لذلك كان حبيبك رسول الله لم يتناوب قط لأنه لا يتسلط عليه الشيطان.

فلماذا يحمد الله تعالى على العطاس، اسمعوا ماذا يقول الرازي أحد أطباء المسلمين المشهورين يقول: إذا عطس الإنسان استدل بذلك من نفسه على صحة بدنه وجودة هضمه واستقامة قوته، وينبغي له أن يحمد الله، ولذلك أمره رسول الله أن يحمد الله تعالى..هـ.

ولأجل ذلك من سمعه يحمد الله تعالى يشمّته ويقول: يرحمك الله تعالى، فإذا قالها له قالت له الملائكة: ولك مثلها، فيكون ذلك سبباً لمغفرة الله تعالى.

إنني وأنا أذكر هذه القضية، لأذكر أن الحافظ ابن حجر العسقلاني أمير المؤمنين في الحديث النبوي الشريف ذكر على شرح البخاري أن ابن عبد البر المحدث قد أخرج السند جيد عن أبي داود (أحد أئمة الحديث وهو سليمان بن الأشعث السجستاني وهو من أصحاب الإمام أحمد رحمه الله تعالى وأحد نقله مذهبه له كتاب في الحديث اسمه السنن)، هذا الإمام كان في سفينة فسمع عاطساً على الشط حمد الله تعالى، فاستأجر قارباً بدرهم حتى جاء إلى العاطس فشمّته ثم رجع. فسئل عن ذلك فقال: لعلّه يكون مجاب الدعوة. فلما رقدوا سمعوا قائلاً يقول في أهل السفينة: إن أبا داود اشترى الجنة من الله بدرهم.

وهكذا **معشر الإخوة** ترون أن ثمن الجنة بسيط، ثمّنه أن نبقي هنا نتعلم الآداب ونعلمها لأولادنا وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ. الجالس فيها عليه أن يرفع تحية إلى المربي الأعظم، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله **الصلاة والسلام عليك**.

الحمد لله الذي لا يخيب لديه أملٌ من أمّله، ولا يغيب عن بساط قربه من رضيه وقبله،
الأول من غير بداية، الآخر من غير نهاية. الغني الذي لا شريك له في فعله. استوى على
العرش من غير تكيف ولا تشبيه، وقد ضلّ من شبهه ومثّله، العرش لا يمسه، والعقل
لا يدركه، والوهم لا يصوره، والفكر لا يقدره.

أحمده على ما أسدى من خير وأجزله، وأبدى من برٍّ فأكمّله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله علم الأشياء مجملّة ومفصّلة.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده، وصفيه الذي أرسله وحيّيه الذي أنزل عليه الكتاب
فجمع فيه علوم الكتب المنزلة، وكشف برهانه كلّ معضلة، وأوضح بيانه كلّ مشكلة.

إهلال شهرك للمواسم موسم

يا خير من وطىء البسيطة نعلّه

والنور في جنباته والأنعم

لما طلعت على الوجود مشى الهدى

عزّ الكريم بما وذلّ المجرم

وبعثت فانبعثت حياة حرة

ما ضاع ملك بالعدالة يُدعم

حكم أقيمت على العدالة أسّه

غنت مطوّقه وكبرّ مسلم

صلّى وسلّم ذو الجلال عليك ما

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا ومولانا محمّد، وعلى آله وأصحابه كما جعله بالخير أجود

من الريح المرسلة، وسلم تسليمًا.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

أستعرض معكم اليوم قضية لو تأصّلت في نفس الولد منذ نعومة أظفاره لشبّ
وجدانياً حساساً يشارك الآخرين آلامهم وآمالهم، قضية لو تعمّقت في نفس الطفل منذ
الصغر لدرجوا على الحب والإيثار والتعاطف وخصال الخير، هذه القضية هي
قضية عيادة المريض وتعزية المصاب، لأن الإسلام جعلها من الحقوق المرتبة على
كلّ مسلم، ولذا يقول الصحابة رضي الله عنهم (ق) «أمرنا رسول الله ﷺ بعيادة
المريض واتباع الجنائز، وتشميت العاطس وإبرار المقسم ونصرة المظلوم وإجابة
الداعي وإفشاء السلام» .

هذه الأمور مما تنبت المودة في قلب المسلم تجاه أخيه المسلم، ولأجل ذلك كنت ترى الصحابة يتسابقون إليها لتكون لهم الدرجة العالية عند الله تعالى.

فاسمحوا لي **معشر الإخوة** وقبل الدخول في هذه القضية الاجتماعية أن أنتقل بكم إلى هناك، إلى منبع الأخلاق والفضائل، إلى قدوتنا ووسيلتنا إلى الله تعالى، إلى سيدنا رسول الله لأشهد معكم هذا الموقف التعليمي الفريد (خ في الأدب المفرد) فقد التفت مرة رسول الله بعد صلاة الفجر يسأل الصحابة الكرام سؤالاً، اسمعوا صيغة السؤال «من أصبح اليوم منكم صائماً؟ قال الصديق أبو بكر: أنا. قال: من عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال الصديق: أنا. من شهد منكم جنازة؟ قال الصديق: أنا. من أطعم اليوم منكم مسكيناً؟ قال الصديق: أنا. وهنا قال رسول الله ﷺ: ما اجتمعت هذه الخصال في رجل إلا دخل الجنة».

إننا - **معشر الإخوة الكرام** - مع الحلقة الرابعة والثلاثين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم:

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

إخوة الإيمان: عيادة المريض من القضايا الاجتماعية، وقواعد التربية التي ينبغي تخليق الولد عليها في سن الطفولة، حتى إذا شبَّ كان تعامله مع الآخرين في غاية البر والإحسان، ويمكن للمربي أن يغرسها في نفس الطفل بأخذه معه لعيادة أهله ورفاقه ليشاهد بأم عينه سلوك الأب في كيفية العيادة، أو يأذن المربي للولد بالذهاب لعيادة صديق المدرسة إذا مرض، ليشركه وجدانياً في المحنة التي وقع فيها، ولتنشأ الصلة الاجتماعية بينه وبين أصدقائه في المستقبل ويظهر به أمامه كإنسانٍ سوي، وعاقل ذكي، وامرؤ حكيم، ورجل متوازن.

ويبدأ المربي بتعزيز هذه القضية عند ولده بذكر الأحاديث النبوية في الوقت المناسب وهو أثناء سيره إلى العيادة يقول لولده مثلاً:

- أتدري مع من سنجتمع الآن؟ (تشويق وترغيب للطفل!) وهنا يسأل الطفل بحب الفضول عنده: مع من سنجتمع يا أبت؟ وهنا وبعد هذا الاستعداد للتلقي عند الطفل يقول له: نحن الآن سنجتمع مع رحمة الله تعالى، وإذا ما دعونا الله فيستجيب لنا دعاءنا عند من سنذهب إليه، فيقول الطفل: وكيف عرفت هذا يا أبي؟ فيقول: لأن سيدنا رسول الله ﷺ أخبرنا عن ربه عز وجل. فقال: «عبي مرضت فلم تعدني فيقول العبد: يا رب وكيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: مرض عبي فلان فلم تعده أما إنك لو عدته لوجدتني عنده، أي لوجدت ثوابي ورحمتي» ولذلك ورد أن

الدعاء عند المريض مستجاب ففي الحديث (جه) إذا دخلت على مريض فمره فليدع لك فإن دعاءه كدعاء الملائكة» فهذا الحديث يدل على طلب المسارعة إلى عيادة المريض، وقد وقَّت لنا السيد الأعظم الوقت الذي يعاد فيه المريض يقول الصحب الكرام (جه-هـ): «كان النبي ﷺ لا يعود مريضاً إلا بعد ثلاث».

ويكون أهل المريض قد بدأوا بالتعرف على المرض ومداواة المريض، ويبدأ المريض يستعيد بعض عافيته ويستأنس بزواره، ولا بأس برقي المريض بالآيات القرآنية والأدعية النبوية، بل هذا من السنة إذ أنه عليه الصلاة والسلام كان في زيارة بعض أهله فمسح بيده الشريفة اليمنى ودعا فقال: «اللهم ربّ الناس أذهب البأس (المرض) اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً» ومرّة علم أصحابه كيفية الدعاء للمريض فقال (د-ت-حـ): «من عاد مريضاً لم يحضره أجله فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم ربّ العرش العظيم أن يشفيك إلا عافاه الله من هذا المرض». وربما كان رسول الله يأمر المريض فيقول له: ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل: بسم الله (ثلاثاً) وقل سبع مرات: «أعوذ بعزة الله وقدرته من شرّ ما أجد وأحاذر».

إن هذه الأدعية - أيها السادة - من أنفع الأدوية في بعث العاطفة وحبّ الزائر، وخاصة حين يطيب الزائر خاطر المريض ويدعو له بطول العمر ففي الحديث (ت-جـه) «إذا دخلتم على مريض فنفسوا له في أجله (بطول العمر) فإن ذلك لا يردّ شيئاً ويطيب نفسه» كأن يقول له: لا بأس عليك، طهور إن شاء الله تعالى، ورفع درجات.

أيها الأحبة والصحب: ومن آداب زيارة المريض أنه إذا رآه قد احتضرته الوفاة راح يكرر أمامه لا إله إلا الله ليسمعها المريض فيكررها، وتكون هذه الكلمة آخر ما ينطق به قبل وقوع الأجل، فإذا وقع القدر وعمي البصر وانتقلت الروح إلى بارئها استحب للمربي أن يعلم الولد آداب تخفيف الحزن وتهوين المصيبة على أهل الميت، وإن من أعظم هذه العبارات التي تعبّر عن الإيمان المطلق بوقوع القدر ما فعله السيد الأعظم حين توفي أحد أحفاده رضي الله عنهم، فقد دعت إحدى بناته (ق) لتخبره أن صبيّاً لها في الموت، فقال لرسولها قل لها: «إنّ الله ما أخذ، وله ما أعطى، وكلّ شيء عنده بأجل مسمّى، فمرها فلتصبر ولتحتسب». إنه أدب عالٍ وتعزية تعلّم الثبات عند وقوع المصيبة، وقد استحسّن العلماء أن يقول المسلم في تعزيته للمسلم: أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك وغفر لميتك.

وهنا يقول المربي لولده: هيا يا بني فأمامنا واجب آخر على أحبائنا وجيراننا أهل الميت، يقول هذا ليهتمّ الولد أكثر، واجب؟! وما هو يا أبت، فيقول الأب: إنّ

جيراننا مشغولون بصاحبهم فعلياً أن نعدّ لهم طعاماً نقدمه لهم ليأكلوا بعد فراغهم من دفن جارنا أو قريبنا.

هذا درس عملي للطفل وخصوصاً إذا دعّمه الوالد بموقف لنبيينا يشبه هذا الموقف كأن يقول لولده: يا بني إنّ سيدنا رسول الله علّمنا أن نفعل ذلك عندما استشهد سيدنا جعفر الطيار في غزوة مؤتة، وعلم أهله بالخبر فقال النبي لأصحابه الكرام (د-ج-ت): «اصنعوا لآل جعفر طعاماً فإنه قد أتاهم أمر يشغلهم».

أسمعت أيها الإخوة: الجيران هم الذين يصنعون الطعام، الأقرباء، لا أهل الميت، إن الناس اليوم وهم مشغولون بمصائبهم عليهم عبء ثقيل هو صنع الطعام للمعزّين، ويأتي المعزون فيأكلون ويتركون أهل الميت بدون أكل، هذا من المنكرات الاجتماعية، وإذا كان من ضمن الورثة أولاد صغار (قصر) حرم الأكل من هذا الطعام لأن فيه حق القاصر واليتيم، والله لا يجوز ولو فنجان قهوة من مال القاصر.

إن الذي يجب علينا أن نعرفه من هذه القضية اليوم أنّ تبادل ألفاظ التعزية وتعليمها للولد ومشاركته الوجدانية لأسرته وأصدقائه وجيرانه في وفاة عزيزهم هو من الجانب الاجتماعي الواجب تقويته عند الطفل، ليشعر بالآخرين ويحسّ بهم، إنّ المربي إذا دعّم ذلك في نفس الطفل بما سيناله في الآخرة من ثواب عظيم وأجر جزيل، إنه إن فعل قوى إيمان الولد وجعله يسرع في أداء حقوق الآخرين عليه أن يسمعه ما يقول في ذلك المربي الأعظم يقول (ج-ه-ب) «ما من مؤمن يعزّي أخاه بمصيبته إلا كساه الله عز وجل من حلل الكرامة» و (ت-ه-ب) «من عزّى مصاباً فله مثل أجره».

كانت هذه الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها:

على الوالد تعليم الولد الآداب الاجتماعية، لأن الولد عضو في هذا المجتمع وبذلك تصبح له شخصيته الفريدة بين أترابه وبني جنسه.

فما هي المسؤولية النفسية التي تقع على عاتق المربي؟ بعد أن تحدثنا عن المسؤولية الاجتماعية وبناء شخصية الطفل الاعتقادية والعبادية، كيف نبني شخصية الطفل الأخلاقية بمعنى آخر ما هي الأصول النفسية الواجب تعاهدها في نفس الطفل، أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى وأعود بكم من هناك، من عند الحبيب الأعظم إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى المربي الأعظم، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله: الصلاة والسلام عليك.

شخصية الطفل النفسية (٣٥)

ظاهرة الخجل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي في أحكامه عادل، وفرّق بمحكم الآيات البينات بين الحق والباطل، الواحد القدوس فلا شريك له ولا مماثل، السميع البصير المتكلم وهو أصدق قائل، لا تدركه الأبصار ولا تمثله الأفكار ولا يحيط به عقل عاقل. أحمدته على جميع فضله الطويل المديد الوافر الكامل، وأعتمد على كرمه اعتماد عبد أنضى إلى بابهِ الرواحل.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله لا يُنْقَضُ خزائن ملكه العطاء ولا تُبْرَمُهُ المسائل. وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله انتخبه من أشرف القبائل، وزينه بأكمل الفضائل، وجعل أتباعه من أشرف الوسائل.

اللهم صلّ وسلم وبارك وعظم على سيدنا مُحَمَّد، وعلى آله وأصحابه وعشيرته وأحبابه، فهم أيقاظ والناس ما بين نائم وغافل، وسلم تسليمًا. أما بعد: فيا أيها الإخوة الكرام:

تكلمنا حتى الآن عن قضايا عدة في التربية: منها كيفية بناء شخصية الولد من الناحية الاعتقادية ثم العبادية ثم الاجتماعية. وحديثنا اليوم عن كيفية بناء شخصية الولد النفسية، وأعني بها تربية الولد منذ أن يعقل على الجرأة والصراحة والشجاعة والتحلّي بالفضائل النفسية كي لا يشعر الولد بالانطوائية والانكماش على نفسه والخوف من الآخرين عندما يكون مختلطاً بهم.

إذا كان الولد أمانةً في يد مربّيه فإنّ الإسلام يأمر المربين أن يغرسوا في نفس الطفل أصول الصحة النفسية التي تؤهله لأن يكون إنساناً ذا عقل ناضج، وتفكير سليم وتصرف متزن، وإرادة قوية، حتى إذا نشأ لم ينشأ محطّم الكيان مهتزّ الشخصية، ولم ينظر إلى الحياة نظرة حقد وكرهية وتشاؤم.

إننا - معشر السادة - مع الحلقة الخامسة والثلاثين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية ومع بداية الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم:

الصلاة والسلام عليك يا سيدنا يا رسول الله

إخوة الإيمان: الملاحظ في أولانا خمس ظواهر علينا أن نهتمّ بها ونحرر أولادنا منها. وهي: ظاهرة الخجل - ظاهرة الخوف - ظاهرة الشعور بالنقص - ظاهرة الحسد - وظاهرة الغضب.

فمن المعلوم أن ظاهرة الخجل من طبيعة الأولاد. فالخجل: شعور ينتاب الطفل عند مخالطته للناس فتراه يجلس في حجر أمه، أو بجانبها لا يتكلم. هذا الشعور عائد إلى البيئة عند الوالدين والأخوة، لأن الولد حين ينشأ بين أسرة لا تختلط بالآخرين يتركب عنده شعور بالانعزال، بينما إذا نشأ في مجتمع يشارك الناس مجالسهم العامة والخاصة يؤتى به ويروح من وإلى المسجد ويحضر مجالس الرجال وتحضر الأنثى مجالس النساء، إننا إذا فعلنا ذلك ينشأ الولد وعنده ثقة بالنفس يتكلم بالحق دون خشية من الباطل، يعرف حقه ويقوم بواجبه.

إنني أقول هذا الكلام لأثبتته لكم بالأدلة الدامغة من أفعال الصحابة الكرام مع أبنائهم. كانوا يدفعون بأولادهم ليحضرُوا مجالس سيدنا رسول الله، بل كانوا أحياناً يجلسون بجواره ﷺ، وإليكم هذا المشهد لغلام جلس على يمين سيدنا رسول الله، هاهو ﷺ يؤتى بشراب فشرب منه فرأى الغلام عن يمينه، ورأى الأشياخ المسنين عن يساره، فالتفت إلى الغلام وقال: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟ فقال الغلام: لا والله لا أؤثر بنصيبي منك أحداً. إنها جرأة في الحق فمن يترك التبرك بأثار سيدنا رسول الله إلا جاهل أو أحمق.

ومرَّ أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب مرّة في طريق من طرق المدينة وأطفال هناك يلعبون ومنهم سيدنا عبد الله بن الزبير، وهو طفل يلعب، فهرب الأطفال هيبة من سيدنا عمر ووقف ابن الزبير ساكناً لم يهرب. فلما وصل إليه سيدنا عمر قال له: لِمَ لَمْ تهرب مع الصبيان؟ فقال على الفور: لست جانباً فأفرّ منك، وليس في الطريق ضيق فأوسع لك. فأعجب به سيدنا عمر لجرأته في الحق.

إنّ تحدّث الولد في مجالس الرجال يورثه جرأة وشخصية، لذلك على المربي أن يعطي للولد مثلاً حديثاً أو خطبة يلقيها في الصف أمام الطلاب، لتتمو عنده الجرأة وقوة الشخصية. ليكون كالشباب درواس بن حبيب، فتعالوا معشر السادة أنتقل بكم إلى مكان قريب من هنا بجوار الجامع الأموي حيث قصر الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، فقد دخل عليه وفد من البادية التي قحطت في عهده فأحجم القوم عن الكلام وهابوا هشاماً، ووقعت عين هشام على درواس فاستصغره، فقال لحاجبه: ما يشاء أحد أن يصل إلي إلا وصل حتى الصبيان، فعلم درواس أنه يريد، فقال: يا أمير المؤمنين إن دخولي عليك لم يُخل بك شيئاً ولقد شرفني، وإن هؤلاء القوم قدموا لأمر أحجموا دونه، وإن الكلام نشر وإن السكوت طي، ولا يعرف

الكلام إلا بنشره. فقال هشام: فانشر لا أبا لك. (وأعجبه كلامه) فقال: يا أمير المؤمنين أصابتنا ثلاث سنين: فسنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة نقت العظم، وفي أيديكم فضول أموال إن كانت لله ففرقوها على عباد الله، وإن كانت لعباد الله فعلام تحبسونها عنهم، وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم، إن الله يجزي المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين.

واعلم يا أمير المؤمنين أن الوالي من الرعية كالروح من الجسد ولا حياة للجسد إلا به.

وهنا قال هشام بن عبد الملك: ما ترك الغلام في واحدة من الثلاث عذراً، وأمر أن يقسم في باديته مئة ألف درهم، وأمر لدرواس بمئة ألف، فقال: يا أمير المؤمنين ارددها إلى أعطية أهل باديتي فإني أكره أن يعجز ما أمر لهم به أمير المؤمنين عن كفايتهم».

أرأيتم - أيها الإخوة - مدى الجرأة والبيان الذي أوتيها الفتى درواس في أي مجلس تربى من مجالس الرجال، يا ترى هل كان عندما يتكلم أمام أبيه وأصدقائه يشجعه على الكلام أم يسكته ويقول له: لا تتكلم في حضرة الكبار. إن هؤلاء الذين تربوا في مجالس الرجال لخليق بهم أن يسودوا ويتولوا مناصب الرجال ويقفوا متحدّثين عن قومهم وعشيرتهم هذا نموذج.

والنموذج الثالث الذي أذكره لكم نموذج فريد لا تراه في سني حياتك إلا مرة واحدة، نموذج نشأ في بيت مسلم من أتباع سيدنا محمد ﷺ:

كلنا يعلم أن سيدنا عمر بن عبد العزيز وهب كل ما يملك لبيت المال، وبقي على عيشة الكفاف، حتى كان لأولاد الخليفة ثوب واحد لكل ولد، ثوب لم يتجدد طيلة سنتين من خلافة أمير المؤمنين وسابع الخلفاء الراشدين، ابن أمير المؤمنين يلبس ثوباً بالياً، ويأتي يوم العيد وليس عند ابن أمير المؤمنين سوى ثوب قديم، ويراه والده فتدمع عيناه، فرآه ولده يبكي فقال: ما يبكيك يا أمير المؤمنين. فقال: يا بني أخشى أن ينكسر قلبك إذا رآك الصبيان بهذا الثوب الخلق. قال الولد: «يا أمير المؤمنين إنما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه أو عق أمه وأباه، وإني لأرجو أن يكون الله تعالى راضياً عني برضاك».

إن ظاهرة الخجل - يا ناس - تطوّق الولد ببوادر الانكماش والانطوائية، فيصبح بين أقرانه كالنكرة يُسأل فلا يجيب، ويستشار فيقول: لا أعرف، بينما لو أننا تداركنا ذلك بأخذ الولد ليخالط أقرباءنا ويزور معنا أصدقاءنا، أو يزور أقرانه ثم نشجعه على التحدث أمامهم، عندها نرجو أن ينشأ الولد على الجرأة الكاملة، وضمن حدود الأدب والاحترام ومراعاة شعور الآخرين.

هكذا كان السلف الصالح يفعلون، كانوا يصطحبون أولادهم إلى المجالس، ويدفعون أولادهم للتحدث أمام الكبار: «دخل على سيدنا عمر بن عبد العزيز في أول خلافته وفود المهنئين من كل جهة، فتقدم من وفد الحجازيين للكلام غلام صغير لم تبلغ سنّه إحدى عشرة سنة، فقال له سيدنا عمر:- ارجع أنت وليتقدم من هو أسنّ منك. فقال الغلام:- أئد الله أمير المؤمنين ! المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا منح الله العبد لساناً لا فظاً وقلباً حافظاً فقد استحق الكلام، ولو أن الأمر-يا أمير المؤمنين- بالسنّ لكان في الأمة من هو أحق منك بالخلافة. فتعجب من كلامه وأنشد:

تعلم فليس المرء يولد عالماً وليس أخو علم كمن هو جاهل

وإنّ كبير القوم لا علم عنده صغير إذا التفت عليه المحافل
أيها الأحبة والصحب: علينا أن نميّز بين الحياء والخجل. فالخجل انكماش الولد وانطوائه وتجافيه عن ملاقة الآخرين، أما الحياء فهو التزام الولد مناهج الفضيلة وآداب الإسلام، وهذا المعنى ذكره المربي الأعظم (ت): «استحيوا من الله حقّ الحياء، قلنا: إنا نستحي من الله يا رسول الله والحمد لله، قال: ليس ذلك، الاستحياء من الله حقّ الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة وآثر الآخرة على الأولى، فمن فعل ذلك استحيا من الله حقّ الحياء». هكذا كانت تربية سيدنا رسول الله لأصحابه:

شباب ذلّوا سبل المعالي وما عرفوا سوى الإسلام ديناً

تعهدهم فأنبتهم نباتاً كريماً طاب في الدنيا غصوناً
إذا شهدوا الوغى كانوا كماً يدكّون المعافل والحصوناً

وإن جنّ المساء فلا تراهم من الإشفاق إلا ساجدين
كذلك أخرج الإسلام قومي شباباً مخلصاً حراً أميناً

وعلمه الكرامة كيف تبنى فيأبى أن يقيد أو يهونا

هكذا هي مدرسة سيدنا محمد رسول الله ﷺ، نبنيناها معاً هنا، كما بناها رسول الله هناك، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد الجالس فيها عليه أن يصلي على النبي.

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

القضية السادسة والثلاثين

ظاهرة الخوف

الحمد لله الذي تفرّد بعزّ الكبرياء عن إدراك البصائر، وتقدّس بوصف علاه عن الأشباه والنظائر، وتوحّد بكمال جبروته، فالعقل في تعظيمه حائر.
زيّن قلوب العارفين بنور هدايته فأضاءت منها السرائر. فيا خيبة من أبعدته عن مولاه وقطعه.

ويا حسرة من صدّ عن بابه ووضع، ويا ضيعة من أهانه ووضع، ويا شقاوة من خذله وصرعه، قلب تعزّز بغيره من أذله، عبد أعرض عن خدمته ما أضله، غُمّر أنفق في غير طاعته ما أقلّه، من رضي بدونه فهو الخائن الغادر أحمدته على إحسانه الوارد والصادر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد لأحكامه صابر ولآلائه شاكر.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله اختاره من أطيب العناصر، واصطفاه من أنخب العشائر، واختصه بأشرف الذخائر، وأدار على من عاداه أفضع الدوائر.

اللهم صلّ وسلّم وبارك وعظّم على هذا النبي الكريم والسيد السند الرؤوف الرحيم سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وأصحابه ما دار فلك دائر، وسار كوكب في الجو سائر، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

وقفت معكم في الجمعة الماضية عند مسؤولية التربية النفسية للطفل، وكان حديثنا عن ظاهرة الخجل، إحدى الظواهر التي يجب على المربي تحرير ولده منها.

واليوم سنقف بعون الله تعالى عند قضية أخرى، عند ظاهرة مذمومة على المربي الاهتمام بها وإزالتها ألا وهي ظاهرة الخوف.

إننا مع الحلقة السادسة والثلاثين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم للمربي الأعظم:

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

إخوة الإيمان:

الخوف حالة نفسية تعترى الصغار والكبار، وهي إن كانت في حدودها الطبيعية وسيلة لحماية الطفل وتجنبه كثيراً من الأخطار، ولكنها إذا زادت أورت قلقاً نفسياً وربما هلعاً (خوفاً مع رعب)، وتزداد هذه الظاهرة لدى الأولاد عندما تُخَوِّف الأم وليدها بالأشباح والظلام والمخلوقات الغريبة، أو بدلالها المفرط وقلقها الزائد عليه، أو حين تربيته على العزلة والانطوائية والاحتماء بجدران المنزل، أو بسرد القصص الخيالية التي تتصل بالجن والعفاريت، فهذه تصرفات خاطئة يتصرفها الآباء مع أولادهم، لأن الولد يجب أن يُربى ويُنشأ على الإيمان بالله والعبادة له، وأنه هو الحافظ والمعين، وعلى المربي أن يبين لولده أنه بالصلاة لا يستطيع أن يسيطر عليه أحد، إِنَّ رَبَّ العزة جل جلاله ذكر في القرآن آية عظيمة علينا أن نزرعها في نفوس أولادنا، اسمعوا ماذا يقول الله تعالى عن العبد الصالح المؤدّي لواجباته الشرعية، إن مولانا يبعث له حماية من الملائكة الكرام تحميه من كل مكروه، عندما يكون الولد مقيماً للصلاة، صائماً مطيعاً لأبويه محباً للناس فإن الله تعالى يقول لملائكته: إن هذا الولد حبيبي، وإنّي كتبت عليه بلاءً فانزلوا عليه، أنتم ترون البلاء عندما ينزل وهو لا يراه، فإذا نزل احموه من بلائي، اسمعوا هذه الآية وربّوا عليها أولادكم، يقول عزّ من قائل: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ على هذه الآية نربي أولادنا لا على الخوف من الجن والعفاريت، (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ) لم يحدّد مولانا عددهم (عدد الملائكة) بل ورد في الحديث أن العبد «إذا قرأ أول سورة الحشر صباحاً أرسل الله له سبعين ألف ملك يحفظونه حتى يمسي». ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ (أي وعن يمينه وعن شماله) يحفظونه من أمر الله. تربية القرآن أعظم تربية، وتربية سيدنا محمد أعظم تربية، النبي ﷺ يقول: «الوضوء سلاح المؤمن»، إن تحرير الولد من ظاهرة الخوف يكون بيقوية إيمان الطفل، يكون بإعطائه الجرعات الإيمانية التي يستطيع عند وقوعه في مكروه أن يقف ثابتاً غير هيّاب ولا وجل، لا تظنوا أنني آتي بهذه القضايا من النظريات الفلسفية أو النفسية الغربية الكافرة، بل أنقله لكم عن ﴿خلق الأرض والسموات العلا الرحمن على العرش استوى﴾ اسمعوا القواعد التربوية من القرآن:

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً، إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ (المعارج).

هذه هي الأدوية القرآنية لظاهرة الخوف عند الطفل، فإذا أضفنا إليها أدوية أخرى تعرف من الممارسة والتجربة:

أولها: أن يحاول المربي أن يعطي حرية التصرف لولده، أو أقول: أن يحملَه المسؤولية شيئاً فشيئاً ويمارس الأمور على قدر نموه ومراحل تطوره.

ثانيها: ألا يخيف الولد بالخرافات ولا سيما عند البكاء: بالغول والضبع والحرامي والجن والعفريت، لأن هذه الأمور غير تربوية بل ونهى الشرع الحنيف عنها لأنها كذب واقتراء، بل تعلّم الولد الكذب، فإن الولد إن لم يسمع كلمة والديه لن يأتيه الحرامي ولا الجنى ولا العفريت.

علينا أن نحرر أولادنا من شبح الخوف، أن نربيهم كما كان رسول الله يربي صحابته على الشجاعة والإقدام. سيدنا رسول الله هو الذي قال لنا (م): «**المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمنِ الضعيفِ**».

ويمكن لهذه الظاهرة أن تزول أيضاً باختلاط الولد بالآخرين ليشعر الولد أنه محلّ عطف ومحبة واحترام. ومن هنا جاءت الأحاديث تشير إلى تقوية الأولاد بالشجاعة والإقدام. «**عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ الرِّمَایَةَ وَالسَّبَاحَةَ وَرُكُوبَ الْخَيْلِ**» وكان الصحابة الكرام يذكرون أولادهم سيرة الغزوات والفتوح وبطولة سيدنا رسول الله وبطولات الفاتحين ليكتسب الولد الجرأة ويحاول أن يحاكي بعض الشيء ما كان يفعلهُ هؤلاء الأبطال، يقول سيدنا سعد بن أبي وقاص: كنّا نعلّم أولادنا مغازي رسول الله كما نعلّمهم القرآن. وما هذا إلا لتربيتهم على الشجاعة وحثّهم على الإقدام ليكونوا جيل الإسلام في المستقبل.

وقد أثّرت هذه التعاليم في أولاد الصحابة الكرام حتى رأينا فتیان الصحابة لم يبلغوا سن العشرين يتعلمون قيادة الجيش كسيدنا زيد بن حارثة، ولكنني أرى أمامي مشهداً عجباً فريداً كانت نتيجة لتربية سيدنا رسول الله لصحابته، مشهداً قلّ نظيره.

فاسمحوا لي – **معشر الإخوة الكرام** – أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك، إلى بدر، إلى السنة الثانية للهجرة، لأرى معكم سيدنا عبد الرحمن بن عوف وهو يحدثنا عن غلامين (ق) من الأنصار يقول: (غمزني أحدهما فقال: يا عماه أتعرف أبا جهل؟ فقلت: نعم، وما حاجتك إليه؟ قال: أخبرت أن يسبّ رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده (شخصي شخصه) حتى يموت الأجل منا. يقول ابن عوف: فتعجّبت لذلك: غلام صغير لم يبلغ سن الحلم يقول مثل هذا. قال: وغمزني الآخر فقال لي أيضاً مثلها، فلم ألبث أن نظرت إلى أبي جهل وهو يجول في الناس فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه، فابتدراه

بسيّفيهما فضرباه حتى قتلاه. ثم انصرفا إلى النبي ﷺ فأخبراه فقال: **أيكما قتله؟** قال كل منهما: أنا قتلته. قال: **هل مسحتما سيفيكما؟** قالّا: لا. قال فنظر النبي ﷺ في السيفين فقال: **كلاكما قتله.** وقضى بسلبه لهما» وهما معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء رضي الله عنهما.

هل سمعتم كيف ربي رسول الله أصحابه، على المربي أن يشدّ همم الأولاد وكفاهم نوماً وسباتاً، عليهم أن يحثّوا الأولاد على معالي الأمور، بل يجعلوهم يتسابقون إليها.

(ابن سعد في الطبقات) عن سيدنا سعد بن أبي وقاص قال: رأيت أخي عميرة بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله يوم بدر يتوارى، فقلت مالك يا أخي؟ قال: إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيردني لصغر سنّي. وأنا أحب الخروج لعلّ الله أن يرزقني الشهادة. قال فعرض على رسول الله ﷺ فرده لصغره، فبكي، فأجازه رسول الله فكان سعد يقول: إنه قتل وهو ابن ست عشرة سنة.

إن رسول الله ﷺ قد قضى على الخوف في نفوس أبناء الصحابة بفضل التربية الإيمانية التي رباهم عليها، تربية لم يتلقوها من البيت الشرقي الملحد ولا من الغربي الكافر، ولكنهم تلقوها من البيت المسلم، من المجتمع المجاهد، وهذا ليس خاصاً بالآباء، ولكن بالأمهات الصحابيات رضي الله عنهن. كن يدفعن بأولادهن إلى ساحات الفداء والجهاد، ويوم يسمعن خبر النعي ونبأ استشهاد الأولاد تقول إحداهن قولتها الخالدة: (الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من الله أن يجمعني وإياهم يوم القيامة في مستقر رحمته).

والله وأنا أستعرض لكم النماذج الفريدة من الأبطال لأرفع رأسي عالياً بهذه التربية الشجاعة وكلّم يذكر يوم قتال مسيلمة، وكيف استعصى على المسلمين فتح حصن لهم، وهنا يقف بشير بن المعتمر ويقول لمن حوله: ارموني عليهم من فوق الباب أفتحه لكم. ما هذه القوة الإيمانية، ما هذه البطولة، ما هذه الفداية. إنه تحدّي صارخ للموت. بل إليكم هذا المشهد الإيماني الذي لا تراه إلا مرة واحدة في حياتك. إنه مشهد ملك الروم يرجو أحد المسلمين الأسرى لديه أن يقبل جبهته ليطلقه من الأسر، وأدعكم أولاً لتتعرضوا على بطل الإسلام سيدنا عبد الله بن حذافة السهمي، أسر مع من أسر من قبل الروم وجيء به إلى ملك الروم فقال له: أعطيك نصف ملكي على أن تنتصر فقال، سيدنا عبد الله: ولو أعطيتني ملكك كلّه لا أفعل. فأمر ملك الروم بصلبه، فراح عبد الله وهو مصلوب يبتسم والسهماء تضرب عن يمينه وشماله وهو يبتسم. ثم قال: أنزلوه وأحضروا قدراً فيه زيت مغلي، وجأؤوا بأسير من المسلمين وألقي في القدر فرأى عبد الله جسمه وهو يميع وتطفو عظامه فقال له

الملك: إما أن تتنصّر وإما أن تُلقَى في القُدْر. قال: بل ألقى في القُدْر. قال: خذوه، فرآه وهو يساق إلى القُدْر يبكي، فقال: ردّوه! يا عبد الله لم تبكي والنجاة بيدك هل تريد الحياة؟ قال: لا، ولكنني رأيت ميتة فيها الشهادة في سبيل الله فتمنيت أن لي ألف نفس تموت هذه الميتة في سبيل الله. وهنا قال الملك: أطلقوه. ثم قال: ألا ترضى أن تطبع قبلة على جبهتي ثم تكون طليقاً؟ قال عبد الله: لا، إلا أن تطلق جميع أسرى المسلمين ففعل هرقل ذلك، وطبع عبد الله قبلته على جبين هرقل عظيم الروم فداءً لأسرى المسلمين.

أيها السادة: يوم نربي أولادنا مثل هذه التربية ويأخذون بقواعد التربية الصحيحة فإن أولادنا سيتحررون من الخوف والجبن والخور، وسوف يتحوّل الجيل يومئذ من القلق إلى الثقة، ومن الخوف إلى الشجاعة، ومن الخور إلى العزيمة، ومن الخنوع والذلة إلى حقيقة العزّة والكرامة، وإذا أردنا أن يصبح أولادنا هكذا فعلينا أن نبقي هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ، الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى بطل الأبطال وصانع الرجال سيدنا محمد، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله:

الصلاة والسلام عليك

شخصية الطفل النفسية

(٣٧)

ظاهرة الشعور بالنقص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي عزَّ جلاله فلا تدركه الأفهام، وسما كماله فلا تحيط به الأوهام،
وشهدت أفعاله أنه الحكيم العلام، الموصوف بالحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر
والكلام.

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾

فسبحان من منح ومنع، ووصل وقطع، وفرَّق وجمع، فبمشيئته الإحجام
والإقدام.

أحمده على ما أولانا من جزيل الإنعام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من قال: ربي الله ثم استقام.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسله وقد ارتفع من غبار الشرك
قَتَام، وسطع من جوانب الكفر ظلام، فلم يزل ﷺ يناضل بالحجج والسنن والحسام،
ويقاتل في سبيل الله بعزم واهتمام حتى انقشع من سماء الحق تراكم الغمام، وطلع
من أفق الإيمان بدر التمام، فأظهر حجج الله تعالى وبين الحلال والحرام.

اللهم صلّ وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم، والسيد السند العظيم
سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه البررة الكرام، ما كفَّ قطر، واضطرب
نهر، وانفتح زهر، ومال غصن وغرّد حمام. وسلّم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

أقف اليوم بينكم لأطرح قضيةً من أخطر القضايا على الطفل، قضية لو لم
تعالج لكانت هي السبب في تعقيد الولد وانحرافه وتحوله إلى حياة الرذيلة والشقاء
والإجرام، إنها ظاهرة الشعور بالنقص عند الولد وسبب هذه الظاهرة التحقير
والإهانة التي توجه للطفل منذ الصغر، أو الدلال المفرط من قبل الوالدين أو الأم
بالذات، وتفضيل بعض الأولاد على بعض، أو وجود العاهات الجسدية التي هي عند
الولد، وإذا أضفنا إلى هذه الأسباب جميعاً اليتيم والفقر اللذين يحيطان بالولد فإن
ظاهرة النقص لا محالة ستتشكل عنده.

معشر الإخوة الكرام: إننا مع الحلقة السابعة والثلاثين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم:

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله

إخوتي في الله: يمكن أن نجمال الأسباب كلها لظاهرة النقص عند الطفل بكلمتين، إن على رأس العوامل والأسباب المؤدية لهذه الظاهرة تحقير الولد وإهانته، فكثيراً ما نسمع الأم والأب يشهران بالولد لمجرد أنه انحرف مرة واحدة عن سنن الأخلاق الكريمة، فإذا كذب مرة ناديناه: يا كذاب وإذا لطم أخاه الصغير ناديناه بالشرير، وإذا احتال على أخته بتفاحة ناديناه بالمحتال، وإذا تصرف تصرفاً غير متعقل ناديناه بالغبي، وهكذا نشهر به أمام إخوته وأهله من الزلة الأولى أو الثانية. وقد يناديه والده بكلمات نابية وعبارات قبيحة أمام الأقارب والغرباء، فيجعل الولد ينظر إلى نفسه أنه حقير مهين لا قيمة له ولا اعتبار، فتتولد لديه العقد النفسية أو ما يسمى بمركب النقص فينظر إلى الناس نظرة حقد وكراهية، ويكون بهذا قد جنى على أولاده. والمستغرب أن الوالد بعد ذلك يطلب برّاً وطاعة وتوقيراً واحتراماً من أولاده، ولعمري كيف نطلب منهم طاعتنا وقد غرسنا في نفوسهم بذور الانحراف والعقوق والتمرد. أذكر أن سيدنا عمر بن الخطاب عملاق الإسلام شكا إليه رجل عقوق ولده فاستدعى الولد، ونبهه على عقوق أبيه، فقال الولد: يا أمير المؤمنين! أليس للولد حقوق على أبيه؟ قال سيدنا عمر: بلى- قال: فما هي يا أمير المؤمنين؟ قال سيدنا عمر أن ينتقي أمّه ويحسن اسمه ويعلمه الكتاب. قال الولد: إن أبي لم يفعل شيئاً من ذلك، أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي، وقد سمّاني جُعلاً (خنفساء) ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً. وهنا التفت الفاروق إلى الرجل وقال له: جئت تشكو عقوق ابنك وقد عققته قبل أن يعقك، وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك.

إخوة الإيمان: وهكذا ترون أن الأب كان يسبّ ولده كلما ناداه بتسميته خنفسة، مما ترك آثاراً نفسية على الولد خطيرة جعلته يعق والده، بل ربما جعلته يتطبع على لغة السبّ والشتائم فيما لو استعملنا الألفاظ النابية القبيحة معه فنكون قد حطّمنا أولادنا بأيدينا. فكيف يتم الإصلاح؟

على المربي إذا أخطأ الولد أن ينبهه برفق ولين، ويحاول أن يفهمه بالحجج المنطقية، وبأن ما صدر منه لا يصدر من عاقل بصير، ويبين له أن تصرفه الخاطئ ينبني عليه كذا وكذا من مخاطر سيئة على سلوكه مستقبلاً، فإن لم يفهم اتبع معه طريقة التربية بالعقوبة التي تحدثنا عنها فيما مضى.

لكن طريقة اللين هي طريقة الحبيب الأعظم ﷺ فاسمحوا لي - معشر الإخوة - أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك إلى صاحب الجبين الأنور والروض الأزهر إلى سيدنا ومولانا محمد ﷺ.

وأرى على باب الحبيب شاباً ينادي ويقول: يا رسول الله إنذن لي بالزنا. فصاح الناس به، لكن المربي الأعظم طلب إليهم ألا يقربوه وقال: دعوه، تقدم يا فتى. فتقدم الشاب وجلس بين يدي المربي الأعظم، ولينظر الآباء والأمهات وعلماء التربية كيف عالج رسول الله مرض الفتى، هل أمر بسجنه؟ لا، هل أحضر له شرطة الآداب وسلمه إليهم؟ لا، ولكن عالجه كما يعالج الطبيب المريض، سأله: «أتحبه لأهلك؟ قال الفتى: لا وجعلني الله فداك، قال: كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم. قال: أتحبه لأختك أتحبه لعمتك أتحبه لخالتك، وكل ذلك وهو يقول: لا وجعلني الله فداك، فقال عليه الصلاة والسلام: كذلك الناس لا يحبونه لهنّ. وهنا تحركت مشاعر الإيمان في نفس الفتى فقال: يا رسول الله سل الله أن يهديني. وهنا مدّ رسول الله يده إلى صيدليته وقدم للفتى ثلاثة أدوية، وما أعظم الدواء إذا كان من يد سيدنا محمد، وما أعظم الطبيب إذا كان سيدنا محمداً ﷺ، وضع يده على صدر الفتى وقال: اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحسن فرجه.

فهل نفع الدواء؟ اسمعوا تصريح المريض الذي يعاني من الشعور بالنقص نحو مرض الزنى، ليسمع المربون، لتسمع المنظمات الشبابية التي تدّعي الاهتمام بقضايا الشباب، اسمعوا كيف نفعت تربية سيدنا محمد. يقول الشاب: فخرجت من عند رسول الله وليس شيء أبغض عليّ من الزنى».

فالرفق الرفق في بداية الذنب لأولادنا مع الدعاء لهم بالصلاح والتقوى، فإن نبينا ﷺ كان يقول: (ق): «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله» وفي رواية (م): «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه» وفي الحديث (م): «من يحرم الرفق يحرم الخير كله».

أيها المربون والآباء: وقد يكون انحراف الولد وشعوره بالنقص سببه الدلال المفرط، حيث نرى أمه تحتضنه باستمرار، لا تتركه يغيب عن ناظريها مخافة أن يصاب بسوء، فتراه يفسد أثاث المنزل ويكتب على الجدران بقلمه ولا تحاسبه، وتتركه يفعل أكثر من ذلك إذا كان وحيداً بين سبع بنات أو رزقت به بعد إجهاضات، فإذا بالولد يفقد رجولته وشجاعته وتضعف الثقة بنفسه ويتدرج نحو الميوعة، ويتخلف عن رفاقه ويصبح في آخر القافلة، فيرى الناس في حركة وعراك ومجاهدة، وهو في صمت وسكون وجود، يرى الناس يتسمون للمصاعب وهو في بكاء وجزع مع الدهر إذا أصابته أدنى مصيبة.

أيها الإخوة: وَلَدٌ هذا شأنه هل هو إنسان سويٌّ؟ وهل يكون إنساناً ذا شخصية استقلالية يثق بنفسه ويعتمد عليها؟ هل يكون عضواً نافعاً في هذه الأمة؟.

على الوالدين أن يعرفا مغبّة عملهما هذا، وأن يلجأ إلى الاعتدال في الدلال، وأن يربيا الولد على قليل من الاخشيشان والثقة بالنفس وتحمل المسؤولية والجرأة الأدبية، هذه هي تربية سيدنا رسول الله، اسمعوه كيف يوجهنا بقوله: «**اخشوشنوا فإنّ النعم لا تدوم**». وفي رواية (أحمد): «**إياكم والتنعّم فإنّ عباد الله ليسوا بالمتنعّمين**». إنّ الاعتدال في كلّ شيء يساعد على تحرير الولد من مركب النقص.

وقد يكون الولد مصاباً بعاهة جسدية كالعور، أو الصمم، أو نقص في النطق، فهنا تنعكس القضية على الوالدين بتعويض الولد عن هذه العاهة، أن يقدّم له كلّ رعاية وعطف، حتى لا ينظر إلى الحياة نظرة حقد، أو ينظر إلى إخوته الكاملين نظرة الحسد والغيرة، ولينتبه المربي هنا، وعليه أن ينتبه الإخوة ألا ينادى هذا الولد صاحب العاهة بقولهم: يا أهدب، يا أعور يا أطرش يا أخرس. إنّنا إن فعلنا ذلك جعلنا الولد يعاني من الصراع النفسي والاجتماعي، على الأولاد والمربين ألا يخاطبوا الولد بالتحقير والإهانة والاستهزاء والسخرية لأنها تترك أثراً سيئاً في نفسه على المربي والأولاد أن يتذكروا توجيهاً نفسياً عظيماً وجهنا إليه المربي الأعظم يقول لنا: «**لا تُظهر الشّماتة في أخيك فَيَرْحَمَهُ اللهُ وَيَبْتَلِيكَ**».

لقد حاولت مرة إحدى أمهات المؤمنين أن تتال من ضرّتها السيدة صفية (د-ت) وأن تشير إلى أنها قصيرة أمام سيدنا رسول الله فقال لها: «**لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجْتَ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ**» (أي لغيرت طعمه أو ريحه لشدة ننتها وقبحها). «**يا أيّها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم**» الحجرات.

أيها الأحبة والصحب: لكن أمراً هاماً قد يكون سبباً في الشعور بظاهرة النقص ألا وهو اليتيم وإذا اجتمع معه الفقر كانت النتيجة إليه مؤكدة. اليتيم إذا وُجد في بيئة لا ترعاه ولا تكفّف أحزانه ولا تنتظر إليه بعين العطف والرحمة، ستنهدم أحلامه وتذوي أخلاقه، والله تعالى يقول لنا: «**رَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالَّذِينَ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ**» يزجره وينهره، لذلك حض رسول الله الإنسانية على كفالة اليتيم فقال (ت): «**أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ**» وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى. أما مولانا عز وجل فيقول عنه سيدنا رسول الله ﷺ: «**مَنْ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ يَتِيمٍ رَحِمَهُ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ مَرَّتْ عَلَى يَدِهِ حَسَنَةٌ**».

وكم كان عليه الصلاة والسلام يخص اليتيم بلطفه وعنايته ورحمته ، تروي لنا السيدة عائشة أنه رأى يتيماً في يوم عيد فإلفه وبشّ له وأحسن إليه وأخذه إلى بيته وقال له: «أَمَا تَرْضَى أَنْ أَكُونَ لَكَ أَباً وَتَكُونَ عَائِشَةً لَكَ أُمًّا».

هذه هي تربية سيدنا رسول الله لمن عنده نقص في شخصية، هذه هي العلاجات والأدوية النبوية قدّمها لنا المربي الأعظم بنفسه لتكون على بينة هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يرفع التحية للحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا رسول الله

الصلاة والسلام عليك.

المسؤولية النفسية

(٣٨)

ظاهرة الحسد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان من سلالة، وركب بلطف حكمته مفاصله وأوصاله، ورباه في مهاد لطفه ثلاثين شهراً حملاً وفصاله، ورقاه في أطوار خلقه حتى بلغ أشده وكماله، وزينه بالعقل والعلم فأزال عنه ظلماء الجهالة، وأجرى عليه ما سبق به القضاء، فله الاختيار، فبمشيئته الضر والنفع والعطاء والمنع والهدى والضلالة، الأمر أمره، والحكم حكمه، والمملك ملكه، فلا ترى في الملكوت إلا أفعاله. أحمدده سبحانه وتعالى على ما أجرى من بر فأناله، وأسبل من ستر على العاصي فأطال إمهاله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة صادرة عن حق يقين وصدق فعاله.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله بأوضح الدلالة، وختم به النبوة والرسالة.

سيدي أبا القاسم يا رسول الله:

صَلَّ عَلَىكَ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَنِ وَسَرَى الصَّيَاءُ بِسَائِرِ الْأَكْوَانِ
لَمَّا طَلَعَتْ عَلَى الْوُجُودِ مُزَوِّدًا بِحِمَى الْإِلَهِ وَرَايَةِ الْقُرْآنِ

صلى عليك الله يا علم الهدى

اللهم أنزل أكمل صلواتك وأتم تسليماتك على هذا النبي الكريم والسيد السند الرؤوف الرحيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه ما أطلت الشمس إطلالة وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

وقفت معكم منذ أسابيع أتحدث عن المسؤولية النفسية الواجبة على المربين، وتحدثت بالذات عن ظواهر الخجل والخوف والشعور بالنقص، وأتحدث اليوم بعونه تعالى عن:

ظاهرة الحسد عند الأطفال والكبار معاً

الحسد يعني تمنى زوال النعم عن الغير، وهي إن لم تتعالج بهدوء وروية ستؤدي حتماً إلى أسوأ النتائج وأخطر الآثار، وقد تكون بداية غير واضحة لذا

استئصالها في هذا الوقت أفضل، للقاعدة: (درهم وقاية خير من قنطار علاج) وقد بين علماء التربية بعض أسبابها، وأنها قد تعود إلى :

-خوف الولد من أن يفقد مكانته عند أهله، خاصة عند مجيء مولود جديد.

-أو عندما نقارن بين أولادنا فنصف أحدهم بالذكاء والآخر بالغباوة.

-أو عندما نهتم بأحد الأولاد دون الآخرين.

-أو أن نتسامح عن ولد محبوب يؤذي ويسيء ونترصد لآخر بالعقوبة عند أدنى إساءة.

-أو أن يكون الولد فقيراً بين طبقة من أغنياء الحي.

هذا عدا إصابة الولد بالقلق والتمرد اللذين يصاب بهما في هذه الأحوال.

إننا - معشر السادة - مع الحلقة الثامنة والثلاثين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم:

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

إخوة الإيمان: عالج الإسلام ظاهرة الحسد بمبادئ تربوية حكيمة، لو أخذ بها المربون لنشأ الأولاد على التوادد والإيثار والمحبة، وأولى هذه المبادئ:

إشعار الطفل بالمحبة كما كان السيد الأعظم حينما كان يخطب (ت) وحضر جدّي الحسن والحسين وهما يعثران فنزل فحملهما ووضعهما بين يديه.

ترى هذه المحبة موزعة بين حفيديه الكريمين حين كان يداعب كلاّ منهما ويتخذ من نفسه الشريفة جملاً لهما وهما يتعلّقان به من الجانبين فيمشي بهما وهو يقول: **نعم الجمل جملكما، ونعم العذلان أنتما.** (ﷺ) .

إخوتي في الله: ويمكن أن يحتاط المربون (ولا سيما الأم) دون اشتداد الحسد كأن يعير الأبوان الانتباه للأولاد عند مجيء المولود الجديد، فيقوم الأب بمراقبة الأولاد عند اهتمام الأم بمولودها أو إرضاعه. والأهم من ذاك وذاك التسوية في المعاملة بين الأولاد، وتحقيق العدل فيما بينهم في العطاء المعنوي والمادي، عندها يرجى أن تزول ظاهرة الحسد في نفوسهم، فإنّ من أهم أسبابه تفضيل بعض الأولاد على بعض، ولهذا أمرنا المربي الأعظم بأن نسوي بين

أولادنا في العطية، فهو الذي قال لنا (حب) «رَحِمَ اللهُ والدًا أعانَ وَلَدَهُ على برِّه» وقال لنا(طب): «ساووا بين أولادِكُمْ في العطية»

وقد جاءه الصحابي الجليل بشير بن سعد يوماً (ق) ليشهد سيدنا رسول الله أنه قد أعطى غلاماً له عطية فقال له السيد الأعظم: « أَكَلَّ وَلَدُكَ نَحْلَتَهُ مِثْلَ هَذَا؟ فقال: لا. فقال ﷺ: فَلَا تُشْهِدْنِي إِذَنْ، فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْر. ثُمَّ قَالَ: أَيْسُرُكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاء. قلت: بلى. قال: فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ».

أرأيتم مثل هذه التربية النبوية؟ تربية نبوية لا شرقية ولا غربية، لقد كان رسول الله يعلمنا العدل بين أولادنا حتى في القُبلة، يقول سيدنا أنس كان رسول عند النبي ﷺ رجل ومعه ابن له فقبله وأجلسه على فخذه، وجاءت ابنة له فأجلسها بين يديه، فقال رسول الله ﷺ: «أَلَا سَوَّيْتُ بَيْنَهُمَا» إن التفضيل بين الأولاد يا ناس يولد في نفوسهم حقداً وكراهية وفساد طوية، إنني لا أقول هذا من تجربتي أو من تجربة المرابين، ولكني أقوله ناقلاً له من القرآن الكريم، فاسمحوا لي معشر السادة أن أقضي مع حضراتكم اللحظات المتبقية مع نبي أنجب من الذكور عشرة، تعالوا بنا نزر هذا البيت، في هذا البيت مدرسة، في هذا البيت عبرة لأولي الألباب، في هذا البيت موعظة للمسترشدين، في هذا البيت درس في الحسد للمعتبرين، وأرى مكتوباً على هذا البيت: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾ إن مولانا يتكلم بصيغة العظمة، ويخاطب في هذا الخطاب خير خلقه أجمعين سيدنا محمد ﷺ، وبين سيدنا محمد وسيدنا يعقوب آلاف السنين ولكن الله تعالى يطوي الزمان طياً ويلخص لنا العبر تلخيصاً، ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾، لأنه قصص لا خيال فيه، لا اختراع فيه، إنما هو الحق لأن الذي يقصه الحق المبين، نعم ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِلِينَ﴾.

استيقظ سيدنا يعقوب ذات يوم وإذا ببابه سيدنا يوسف الذي كان غلاماً لم يتجاوز العاشرة إذ به يقول لأبيه: ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ رؤية واضحة كفلق الصبح، لكنها من غلام لم يبلغ الحلم ولم يجر عليه القلم ، فكان يريد أن يزيد المعنى تأكيداً فقال: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ إنه تأكيد لهذا المعنى، لنعلم أن الله يختص برحمته من يشاء.

ملك الملوك إذا وهب لا تسألن عن السبب

الله يعطي من يشاء بغير سعي أو طلب

يا أبت: خطاب فيه تعظيم واحترام، لم يقل: يا أبي، بل جاء بتاء التعظيم والاحترام.

والأب فهم هذا المعنى، وعلم أنّ لهذه الرؤيا أثراً بعيد المدى فصاح قائلاً: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ .

وهل هناك من الإخوة من يكيّد لأخيه؟ نعم يقول سيدنا رسول الله ﷺ في حديثه الجليل «اسْتَعِينُوا عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِكُمْ بِالْكِتْمَانِ فَكُلُّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ». العين حق، والحسد حق، ألم يقول مولانا عز وجل ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾

اسمعوا التوجيهات من المربي الأعظم يقول: «إِنَّ لِنِعْمِ اللَّهِ أَعْدَاءً. قالوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال الحبيب المصطفى: الَّذِينَ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ».

الحسد - يا سادة - مرض اجتماعي إذا زال من بين الناس كانوا بخير، يقول ﷺ (طب): «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَتَحَاسَدُوا».

إن أدل عبرة نأخذها من بيت سيدنا يعقوب ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ يخاف عليه من إخوته من الحسد، وقد حدث ما كان يخافه سيدنا يعقوب، إن الحسد جعل أولاد سيدنا يعقوب يتآمرون على سيدنا يوسف ليقتلوه أو ليلقوه في الحب كما تقرر لهم. لكن الحسد يُرَدّ على صاحبه بسهام القدر.

اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

أندري على من أسأت الأدب

وأنت لم ترض لي ما وهب

وسدّ عليك طريق الطلب

ألا قل لمن بات لي حاسداً

أسأت على الله في صنعه

فكان جزاؤك أن خصني

إنه قدر الله، فلا تحسدوا أحداً على ما قدر الله:

إذا ما الدهر جرّ على أناس بكليلة أناخ بأخرينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

إن الحسد ذنب ابن آدم، ولذلك قال سيدنا يعقوب: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾. الشيطان ذنب ابن آدم كما أن الذنب ذنب الضنم، وإذا اشتد الحسد مع صاحبه ربما أدى به إلى القتل، وكلكم يعلم أن الحسد جعل صاحبه يقتل ابن عمه زمن سيدنا موسى، ولأجله قصّ الله علينا سبب ذبح البقرة: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى..﴾ فضرّبوه ببعضها فأحياه الله وقال: قتلني ابن عمي فلان.

ولقد صوّر لنا النبي الكريم قضية الحسد وما يفعله بصاحبه فقال: «إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب». أسمعتم هذا التعبير: كما تأكل النار الحطب.

كانت هذه هي الأنبياء بالتفصيل وإليكم موجزها: «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان» لماذا؟ «لأنّ لنعم الله أعداءً».

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يرفع التحية للمربي الأعظم، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله:

الصلاة والسلام عليك

ظاهرة الغضب (٣٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تفرّد بالعرّ والجلال، وتوحد بالكبرياء والكمال، تفضل على المطيعين بلذيد الإقبال، نعمهم في الدنيا بمعرفته وخدمته، وأكرمهم في العقبى برؤية وجهه، فلهم النعيم في المال، وأملى للعصاة بإدامة النعم فظنوا الإمهال إهمال، سبقت قسمته فما يغني الاحتيال، فتدلل بين يدي مولك أيها الفقير واقرع الباب بدوام الابتغال، فهو الحكم الرؤوف الرحيم الذي لا تخيب لديه الآمال.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا نفاذ لملكه ولا زوال، يعلم ما أضمره العبد من السرّ وأخفى منه ما لم يخطر ببال.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أيده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة وزينه بأشرف الأخلاق والخصال، ورفعاه إلى المقام الأسنى فكان قاب قوسين أو أدنى وآتاه الجمال.

اللهم صلّ وسلّم وبارك وعظم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه صلاة دائمة بالغدوّ والآصال، وسلّم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الأخوة الكرام:

وقفت معكم قبل ذهابي إلى حج بيت الله الحرام عند مسؤولية المربي حول الصّحة النفسية للولد وتحدثت عن أهم الظواهر التي يجب أن نحرر أولادنا منها ألا وهي ظاهرة الخجل وظاهرة الخوف وظاهرة الشعور بالنقص وظاهرة الحسد، وبقي عليّ أن أشير إلى تأثير ظاهرة الغضب.

تلكم الظاهرة الانفعالية النفسية التي يحسّ بها الطفل منذ الأيام الأولى من حياته، وتصحبه في مراحل العمر حتى الممات، لكنني وقبل الدخول معكم إلى عتبة باب هذه القضية أريد أن أفرّق بين الغضب المذموم الذي نحن بصددّه وبين الغضب الممدوح، فالغضب يكون ممدوحاً ومطلوباً إذا كان للمحافظة على الدّين والمحافظة على النفس والمحافظة على العرض والوطن وردّ كيد المعتدين ومؤامرات المستعمرين، ولولا هذه الظاهرة التي أودعها الله في الإنسان لما ثار المسلم وغضب إذا انتهكت محارم الله عز وجل.

فهذا نبينا عليه الصلاة والسلام مع كمال أخلاقه وصفاء قلبه ووجدانه كان يغضب إذا انتهكت محارم الله، ويعرف الغضب بتغيّر وجهه عليه الصلاة والسلام لا بالصراخ والشّباب والشتائم كما يفعل

بعض الجهلة من العامة، اسمعوا معي إلى ما تقوله أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها: تقول: «ما انتقم رسول الله لنفسه في شيء قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله تعالى» (خ/٦/٤١٩) - م(٢٣٢٧).

لأنَّ الغضب حينئذ من تعظيم شعائر الله ويكون من نصر دين الله، واسمحوا لي أن أوضح هذه القضية لتعرف - يا أخي المعلم - متى يغضب المربي وتعلم الولد متى يغضب، ولأجل توضيح هذه القضية اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى صاحب الشريعة وإمام الحقيقة وسيد سادات الطريقة، إلى سيدنا ومولانا محمد وهاهو يدخل على أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها وقد قدم من سفر فرأى عندها سترأ عليه صور تماثيل فلما رآه هتكه (أفسد الصورة التي فيه) وتلون وجهه وقال: «يا عائشة أشدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهَوْنَ بِخَلْقِ اللَّهِ» (خ/١٠/٣٢٥ - م ١٦٦٨/٣) لا يوجد أصنام في الإسلام ولو في صورة على حرام أو شرشف، هكذا كان إذا غضب عليه الصلاة والسلام. ومرة رأى نخامة في القبلة فشق ذلك عليه حتى روي في وجهه فقام فحكه بيده، فقال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ، وَإِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ فَلَا يَبْزُقَنَّ أَحَدُكُمْ قَبْلَ الْقِبْلَةِ وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ، ثُمَّ أَخَذَ طَرَفَ رِدَائِهِ فَبَصَقَ فِيهِ ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَقَالَ: أَوْ يَفْعَلْ هَكَذَا». (خ ٤٢٨/١ - م ٥٥١).

طبعاً إذا كان في المسجد فلا يبصق إلا في ثوبه أو قطعة قماش معه.

لأجل قضايا الدين كان يغضب عليه الصلاة والسلام، وإنني لأذكر أن رجلاً من الصحابة كان يتأخر عن صلاة الفجر في المسجد لأن أحد الأئمة من الصحب الكرام كان يطيل القراءة في الصلاة فجاء الرجل يشكو أمره إلى المربي الأعظم، يقول الراوي يا سادة يا كرام: فما رأييت النبي غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُنْفَرِّينَ فَأَيُّكُمْ أَمْ فَلْيُوجِزْ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ وَذُو الْحَاجَةِ» (خ ٤٣٠/١٠ - م ٤٦٦).

أيها السادة إننا مع الدرس التاسع والثلاثين من دروس القضايا التربوية من جامع الدرويشية ومع بداية هذا الدرس أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم:

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

وخير ما نستهل به درسنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سور القرآن الكريم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

- ١- ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾.
- ٢- ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^٢.
- ٣- ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾.
- ٤- ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

هذه الصفات ينبغي تعليمها للولد، وعلى المربي أن يعوّد الولد ترك الغضب المذموم لأنه يؤدي إلى أسوء النتائج وأوخم العواقب، لأن الإنسان عندما يفعل يمزق روابط الودّ والمحبة والصفاء، ويهدم وشائج وأواصر القرى بين الأقرباء والأصحاب، حتى إن بعض العوام إذا غضب طلق زوجته، بل ربما كفر بربه عز وجل والعياذ بالله، فلا عجب أن يهتم رسول الله بهذه الظاهرة ويوصي بها الناس، فقد جاء رجل فقال له: يا رسول الله أوصني قال: «لَا تَغْضَبْ». ثم جاء عن يمينه فقال: أوصني، فقال: لَا تَغْضَبْ. ثم جاء عن شماله: يا رسول الله أوصني فقال: لَا تَغْضَبْ» كل ذلك وهو يقول له لَا تَغْضَبْ.

إن الغضب في الأغلب أصل كلّ ذنب ومعصية، علينا - نحن أهل التربية - وعلى من تحت أيدينا من الأولاد أن نتذكر أن القائد الأعلى للأمة ضربه قومه وأدموه وكان يمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ». إن التربية والقيادة والزعامة تقتضي الصبر والحلم والأناة، إن مولانا علّمنا في القرآن وهو يخاطب نبيه ومصطفاه فقال له: ﴿فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾.

إذا كان هناك من يستحق أن يغضب لسوء معاملة الناس فهو السيد الأعظم ﷺ، آذاه الكفرة واشتدوا معه حتى خرج رسول الله يهيم على وجهه فإذا فوقه سحابة قد أظلمت يقول: «فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَاهُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَعِيَ الْجِبَالَ لِتَأْمُرَهَا بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَاهُ مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ بَعَثَنِي رَبِّي إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ مِمَّا شِئْتَ، فَإِنْ شِئْتَ أَطَبَقْتُ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ (جبلي مكة - الأخشب الجبل العظيم) فماذا كان جواب الحبيب الأعظم، إن هذا الدرس يجب على كلّ مربّي أن يعلمه ويعلمه

^٢ آل عمران: ١٣٤.

لأولاده، إِنَّ القائد الأعلى للأمة أبى أن يُهْلِكَ أَهْلَ مكة وقال: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً» (خ(٢٢٤/٦) – م(١٧٩٥)).

إِنَّ كظم الغيظ مكرمة، وإنَّ القوة والشجاعة إنما تكون بالصبر على الخصم، اسمعوا القواعد التربوية من سيدنا محمد، لا تسمعوها من غرب كافر أو شرق ملحد، إن نبينا يعلمنا فيقول: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ» (خ(٤٣١/١٠) – م(٢٦٠٩)).

لكن السؤال الهام هو: كيف يجنب الآباء الأولاد من دواعي الغضب وأسبابه؟
أولاً: إذا كان سبب الغضب: الهزء والسخرية والتنازير بالألقاب، فعلياً أن نجنب أولادنا هذه المسببات الغضبية.

ثانياً: إذا كان من أسبابه تقريع الولد وإهانته بدون موجب، فعلى المربي أن ينزّه لسانه عن كلمات التحقير والإهانة.

ثالثاً: إذا كان من أسبابه المرض، فعلى المربي أن يسعى إلى معالجة الولد طبيباً وإعداده صحياً امتثالاً لتوجيهات المربي الأعظم ﷺ: «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أَصَابَ الدَّوَاءُ الدَّاءَ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى» (م – أحمد).

إخوتي في الله: وعلى ذكر الدواء تعالوا بنا تستعرض الأدوية النبوية التي عالج فيها رسول الله الغضب، تعالوا بنا نرى كيف داوى رسول الله ظاهرة الغضب:

الدواء الأول: يقول ﷺ: «أَيَعْجَزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمْضَم؟ فَقَالُوا: وَمَنْ أَبَوَا ضَمْضَم يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: كَانَ إِذَا أَصْبَحَ قَالَ: (اللهم إني وهبت نفسي وعرضي لك) فَلَا يَشْتُمُ مَنْ شَتَمَهُ وَلَا يَظْلِمُ مَنْ ظَلَمَهُ وَلَا يَضْرِبُ مَنْ ضَرَبَهُ».

الدواء الثاني: «إِذَا أَصَابَ الْعَبْدُ الْغَضَبَ وَكَانَ قَائِمًا فَلْيَجْلِسْ، أَوْ كَانَ جَالِسًا فَلْيُضْطَجِعْ عَنْهُ»^٣.

الدواء الثالث: فإن لم يذهب الغضب فعليه بالوضوء فعنه ﷺ (د): «الْغَضَبُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ».

^٣ الإمام أحمد.

الدواء الرابع: يمكن أن يعالج الغضب بالسكوت والتعوذ بالله من الشيطان فعنه ﷺ (أحمد): «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ».

وقد استسب رجالان عند سيدنا النبي ﷺ (ق): وأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمرّ وجهه فقال المربي الأعظم: «إِنِّي لَا عَلَمَ أَنَّهُ لَوْ قَالَ أَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجْدُ».

الدواء الخامس: أخيراً يمكن معالجة الغضب بأن نقبّحه لأولادنا ونبين لهم حال الإنسان عندما يغضب كيف تتسع عيناه، وتنتفخ أوداجه وتتغير ملامحه ويحمرّ وجهه ويرتفع صوته، فقد يكون هذا الفعل مساعداً على الزجر والاعتبار، وهذا الدواء أيضاً قدّمه المربي الأعظم ﷺ فهو القائل (أحمد): «أَلَا إِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ تَتَوَقَّدُ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، أَلَا تَرَوْنَ إِلَى انْتِفَاحِ أَوْدَاجِهِ وَاحْمِرَارِ عَيْنَيْهِ، فَمَنْ أَحَسَّ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً فَلْأَرْضُ الْأَرْضُ».

أيّها المربون أيّها الإخوة: بهذه الأدوية يمكن أن ينشأ أولادنا هنا على الأناة والاتزان العقلي وضبط النفس، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد، الجالس فيها عليه أن يصلي على النبي.

ﷺ

أهمية الأخلاق

٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي تفرّد في أزليته بعزّ كبريائه، وتوحّد في صمديته بدوام بقائه، ونور بمعرفته قلوب أوليائه، وطيب أسرار القاصدين بطيب ثنائه، وسكّن خوف الخائفين بحسن رجائه، ونعم أرواح المحبين في رياض معاني أسمائه، وأسبغ على الكافة جزيل عطائه، فسبحان من تقرّب برأفته ورحمته، ونور هدايته إلى قلوب أحبابه، وتعرّف لعباده بمحاسن صفاته فانبسطوا لذكره ودعائه.

أحمده حمد معترف بالعجز عن عدد آلائه، منتظراً زوائد برّه وآلائه ونعمائه، مستجيراً من بُعدهِ وإقصائه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ضمن الحسنى لقائلها يوم لقائه، ووعد بزيادة النظر إليه وهو أحقّ بوفائه.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم أنبيائه وسيد أصفیائه، المخصوص بالمقام المحمود في اليوم المشهود، فجميع الأنبياء تحت لوائه.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمداً وعلى آله وأصحابه وعترته وخلفائه، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

حديثنا اليوم عن الأدب، لا أقصد به الأدب العربي، أو الأدب الغربي وإنما أقصد به الأخلاق ذلك الغرس الذي يغرسه المربي في ولده ليزينه به في المحافل والمجالس، فالأدب وسيلة إلى كلّ فضيلة وذريعة إلى كلّ مكرمة، أما إذا نمت الرذائل في النفس، وفشا ضررها وتفاقم خطرهما فإن المرء ينسلخ من دينه كما ينسلخ العريان من ثيابه ويصبح ادعاؤه للإيمان زوراً، فما قيمة دين بلا خلق، وما معنى الإفساد مع الانتساب لله؟ لقد صرح صاحب الخلق العظيم الرؤوف الرحيم بذلك في أكثر من بيان، وقف مرة ينادي ويعلن (م): «ثلاث من كنّ فيه فهو منافق وإن صام وصلى وحج واعتمر وقال إني مسلم: ١- إذا حدّث كذب. ٢- وإذا وعد أخلف. ٣- وإن أوثمن خان».

نحن اليوم بحاجة إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم، فمن أكثر أدبه أكثر شرفه ومن ساء أدبه ضاع حسبه.

لكل شيء زينة في الورى وزينة المرء تمام الأدب
قد يشرف المرء بأدابه فينا وإن كان وضع النسب
لقد أثبتت التجارب والآداب أن عملية غرس الأخلاق العالية في الولد منذ نعومة أظفاره تسهل على الولد في الكبر المحافظة على الآداب الإسلامية بشكل متوازن، لأن الطبع غلب التطبع.

قد ينفع الأدب الأحداث في صغر وليس ينفع بعد الشيبة الأدب
إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ولن تلين إذا قومته الخشب
فتعويد الولد منذ نشأته على مكارم الأخلاق يجعلنا في يقين من قطف ثمارها عند الكبر، ورحم الله من قال:

عود بنيك على الآداب في الصغر كيما تقر به عينك في الكبر
فإنما مثل الآداب تجمعها في عنفوان الصبا كالنقش في الحجر
إن المربي الأعظم ﷺ أشار إلى ذلك وحض عليه فكان مما ورد عنه (ت ١٩٥٢/٤ ج ٤) «ما نحل والد ولداً من نحل أفضل من أدب حسن». وورد (ج ٣٦٧١/٢): «أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم».

إننا - معشر السادة الكرام - مع الحلقة الأربعون من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم:
الصلاة عليك يا سيدي يا رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات سورتي التحريم وسيدنا محمد.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ التحريم ٦ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾ (محمد ٢٢-٢٣).

إخوتي في الله: ينبغي للوالد ألا يسهو عن تأديب ولده، وذلك بأن يحسن عنده الحسن، ويقبح في عينه القبيح، ويحثه على مكارم الأخلاق وجميل الآداب.

إن الإسلام رفع من مكانة الأخلاق، إن مولانا عز وجل لم يمدح نبيه بنسبه ولا بجماله ولا بعقله أو ماله وإنما مدحه بقوله **﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾**، وإن نبي الإسلام حدّد الغاية من بعثته والمنهاج المبين في دعوته فقال: **«إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»** وإن أهل مكة وما حولها شهدوا لنبينا قبل الرسالة بأنه صادق أمين، وأنه برٌّ بالناس رحيم، يحمل الكلّ، ويقرّي الضيف ويصل الرحم ويعين على نوائب الدهر ﷺ.

فيا أيها المربون: يا حماة الآداب الإسلامية: انقلوا لأولادكم توجيهات المربي الأعظم واغرسوا فيهم الأصول الإسلامية: التقوى - الأخوة - الرحمة - الإيثار - العفو والتسامح وغيرها من الأصول النفسية، لأن المشاهد اليوم يرى أنّ أمتنا تترنّج، إنها تصرخ وتستغيث، إنها تحت التراب، تحت أقدام الأعداء تحت سياط الجبارين، تحت، تحت، تحت... فهل من أمل؟ شباب أمتي ممزق، فتيات أمتي مضللات، أطفال أمتي بلا أمل، بلا دين، بلا خلق، بلا مقومات، لا أحد، لا أحد إلا القليل يرحم.

مشت دمشق أمس في مسيرة التأييد لانتفاضة شعبنا في فلسطين الأبية وهذا واجب ديني ووطني لكن شبابنا لم يكونوا شباب الإسلام، وفتياتنا مع حجابهن كن يمشين في مواقف يأبأها الإسلام. إن الحجاب رمز للفتاة المؤمنة. إن الإسلام ليس مظهراً فقط، الإسلام ليس صلاة وصياماً وزكاة وحجاً فقط، الإسلام دين الأخلاق والفضيلة، دين السلوك والتربية.

لا يجوز لنا أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض، إنّ النبي الأعظم حذر أمته من ذلك في حديث عظيم يعدّ من الخطورة بمكان في ترك الجانب الأخلاقي في الإسلام. فمن مدرسة الإمام مسلم يقول لنا المدرس فيها سيدنا أبو هريرة إن المربي الأعظم ﷺ يسأل صحابته يوماً سؤالاً فقال: **«أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ: إِنَّ الْمَفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي هَذَا وَقَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَدْ فَلَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطِي هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ (لمن آذاهم) فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَفْضِيَ مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»**.

ألا ترون معي-أيها الإخوة- أن هذا العابد الذي جاء مغترباً بعبادته من صلاة وصيام وصدقة وغيرها، وكان بسبب جهله يظن أن للعبادة جانباً واحداً فقط هو تصدير الترانيم والتسابيح إلى الله تعالى، فلم يرع حقاً لعباد الله، ولم يرحم صغيراً، ولم يوقر كبيراً (لسانه بريء منه) هذا العبد كان مآله جهنم يصلى نارها جزاءً وفاقاً على حمقه وغروره وأذاه وظلمه لعباد الله وتجبره عليهم.

ألا فليعلم هذا المغرور: أن الفرائض التي ألزم الإسلام بها كلّ منتسب إليه إنما هي تمارين متكرره لهدف واحد هو تعويد المرء أن يحيا بأخلاق صحيحة، وأن يظل مستمسكاً بهذه الأخلاق مهما تغيرت أمام الظروف، إن الصلاة الواجبة مثلاً عندما أمر بها مولانا عز وجل أبان الحكمة من إقامتها فقال ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ وقال عن الزكاة ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ﴾ وقال عن الحج: ﴿فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾.

يا أمة الإسلام: انتبهوا واسمعوا ما ورد في حديث يرويه رسول الله عن ربه عز وجل (البزار) يقول: «إِنَّمَا أُتِّقِلَ الصَّلَاةَ مِمَّنْ تَوَاضَعَ بِهَا لِعَظَمَتِي، وَلَمْ يَسْتَطِلْ بِهَا عَلَى خَلْقِي، وَلَمْ يَبْتَ مُصْرّاً عَلَى مَعْصِيَتِي، وَقَطَعَ النَّهَارَ فِي ذِكْرِي، وَرَحِمَ الْمُسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالْأَرْمَلَةَ وَرَحِمَ الْمُصَابَ».

إن العبادات كلها تلتقي جميعاً عند غاية واحدة هي الأخلاق، إن رجلاً قدم على سيدنا رسول الله فسأله قائلاً: ما الدين؟ فقال ﷺ: «الدِّينُ حُسْنُ الْخُلُقِ»، ثم سأله الثانية: ما الدِّين؟ فقال: الدِّينُ حُسْنُ الْخُلُقِ. ثم سأله الثالثة: ما الدِّين؟ فالتفت إليه رسول الله وقال له: أما تفقه هو ألا تغضب».

ليت الناس اليوم يعلمون أن «امرأة دخلت النار في هرة حبستها فلم تطعمها ولم تتركها لتبحث عن رزقها بنفسها، وأن أخرى دخلت الجنة وكانت بغياً (زانية) بسبب كلب كان يلهث من شدة العطش فرحمته وسقته فغفر الله لها».

أليس الإنسان أولى بالرحمة؟!

أيها الأحبة الصحب: على المربين وهم يسلكون سبل التربية اليوم أن يهتموا بالجانب الأخلاقي الذي كدنا أن نفقده من مجتمعنا. إن الإسلام وضع تشريعات اجتماعية فيها من الروائع ما لا يخطر على بال، اسمعوا القواعد الأخلاقية ممن لا ينطق عن الهوى يقول فيها: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا(م) من لا يرحم الناس لا يرحمه الله(ق) والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه(م)».

إنّ الإسلام يجعل إلقاء السلام عبادة، وعيادة المريض عبادة، وإغاثة الملهوف عبادة، وقضاء حوائج الناس عبادة، وبر الوالدين عبادة، ومسح رأس اليتيم عبادة. إن المسلم يستطيع أن يجعل كلّ حركة من حركاته عبادة، إنك تستطيع أن تخرج من بيتك في الصباح وتعود عند العصر وقد كتب جميع وقتك عبادة مع أنك لم تصلّ غير الظهر. أليست هذه سعادة وتجارة مع الله تعالى غفل عنها أكثر الناس وحرّموا نفعها وآثارها؟

معشر السادة: تقريراً لهذه المبادئ الواضحة فإنني أدعوكم جميعاً لنفتح معاً ملف الأخلاق ضمن القضايا التربوية من جامع الدرويشية، فابقوا معنا نتعرف على طبقة الصديقين والعارفين والأولياء والصالحين لعلنا أن نكون معهم هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يصلي على سيدنا النبي:

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

ابدأ بنفسك

٤١

في التربية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي رفع السماء بقدرته، وأدار دوائر الأفلاك وبسط الأرض بمشيئته، ومهدّها للسلاك، خلق الموت والحياة، وقدر النجاة والهلاك، القديم الخلاق الذي له الخلق والأمر، وبيده الإطلاق والإمساك، منقذ الغرقى من لجج البحار بعد معاينة الأخطار والهلاك، ومنجي الهلكى بعد انقطاع الحيل والاستدراك، ومطلق الأسرى من القيود الشديدة الوثاق، ومسعفهم بالإطلاق والفكاك.

لك الحمد عاملنا بما أنت أهله وسامح وسلّمنا فأنت المسلّم
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. إليك المشتكى، وبك المستغاث،
ومنك الفرج.

يا فارج الكرب العظام، وواهب المنن الجسام، إليك منك الهرب، إلى من تكلنا
إلى قريب يتجهمنا أم إلى بعيد ملكته أمرنا.

أما من ولاة بهم نخوة	وعزة نفس ويعطى فعال
أما من شعور يثور بصدر	فيعلنه من ثورة أو نضال
ألا أيها الدم يا عربي	تفجر لتغرق هذا الضلال

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله امتحن فاصطر وأوذى فصبر، وضرب بالحجارة
وأدميت قدماه، فالتجأ إلى رافع السماء بلا عمد يناجيه قائلاً: إن لم يكن بك غضب علي
فلا أبالي غير أن عافيتك أوسع إليّ، أعوذ بنور وجهك الذي أُنارت له الظلمات من أن
تنزل بي غضبك أو يحل عليّ سخطك لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله.
اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه
وأتباعه وجنوده الذين جاهدوا في الله حق جهاده:

فابتسم يا موت للأبطال، وابك يا سجون نحن إن نسجن وإن نعدم فجنات النعيم
هي مأوانا وأهل البغي في نار السموم فاملؤوا الأرض لهيباً يا
طواغيت الجحيم

واستعينوا بالمنايا مرتعُ الظلم وخيم
حسبنا أنا على شرع النبي
المستقيم

إخوتي نحن مهزنا المجد لا نأتي الحياة وارتضينا الموت في ظل الأمانى الناضرات
فارتعي يا دولة الظلم وعيشي سنوات إن أمر الله آتيك مع الهونيات

فارقدي إن دماء الفلسطينيين لعنةٌ فوق الطغاة

فيا جنود المسلمين، يا جنود الحق، رغم أنف الكافرين رددوا الله أكبر. الله أكبر على شارون، الله أكبر على أمريكا، الله أكبر على كل متكبر جبار. وأما أنتم يا أهلنا في فلسطين فصبراً فإن موعدكم الجنة.

أما بعد: فيا حماة الإسلام وحراس الشريعة: كيف؟ ومن أين نبدأ؟

كيف نُفَنع أولادنا بأن المنهج الإسلامي هو الخط الوحيد الموصول إلى حضارة
نظيفة مشرفة وإلى سعادة أبدية شاملة؟

ومن أين نبدأ في طريق زرع الأخلاق في أولادنا؟ لنعود كما كنا ﴿خير أمة
أُخرجت للناس﴾.

هذان سؤالان أسألهما (وإخوتنا في فلسطين يعانون الشدائد) وأستمدّ العون من
مولانا عز وجل في الإجابة عنهما ومع الدرس الواحد والأربعين من دروس
القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذا الدرس أدعوكم جميعاً لترفعوا
تحيتكم إلى المربي الأعظم.

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

إخوتي في الله: الدنيا مليئة بالشعارات، ومزدحمة بالدعاوي البرّاقة، وأمواجُ
المذاهب فيها متلاطمة وإفرازات العقول البشرية للآراء والأفكار لا تتوقف من يوم
خلق الله الإنسان، وستظل كذلك حتى تقوم الساعة، ومع كل هذه الشعارات لم تشعر
الإنسانية بالأمن والاستقرار إلا حين جادت رحمة الله بسيدنا محمد ﷺ، الذي يتلقى
من الله فيوضات العلم والحكمة والنور، ويقوم بين الناس داعياً إلى حمى الله ودينه،
فاختار له أصحاباً انصهرت عقولهم وقلوبهم ومشاعرهم ووجدانهم في بوتقة دين
الله ونوره، وتطهرت بواطنهم وظواهرهم من أسباب الشرك والشر والدنس، هنا
وجدت الإنسانية الأمن والاستقرار والحياة الطيبة. هؤلاء المتطهرون وعلى رأسهم
رسولنا الطاهر المطهر حملوا لواء التربية.

وكننت أسأل نفسي هذا السؤال: كيف استطاعوا ذلك؟ ثم رأيت أنهم لما حملوا
المبادئ والأخلاق العالية تمثلوها خير تمثيل فكانت جزءاً من شخصيتهم، واقتنع

الناس بهم، وأستطيع أن أقول اليوم: إننا لكي نقنع الناس بأنّ الإسلام هو الحلّ الأمثل لأبدّ من البدء بأنفسنا، علينا أن نجاهد في ميدان التربية، فالجهاد فيه أشق من جهاد الأبطال في ميدان الحروب. علينا أن تكون عندنا أهلية لتربيتهم لأنّ فاقد الشيء لا يعطيه.

يا إخواني: حتى يكون سلوكنا و عملنا دليلاً ملموساً على كمال منهجنا ونجاح إسلامنا لأبدّ أن نكون متصفين بذلك المنهج، وإذا كان الإمام الغزالي يقول: إن أطفالنا جواهر، فإنني أقول: ولكن كثيراً من الكبار حدادون. الكبار اليوم بحاجة إلى توجيه وإرشاد قبل الأبناء ورضي الله عن سيدنا علي إذ يقول: **(رحم الله والدأ أعان ولده على بره)**

ليس اليتيم من انتهى أبواه من
هم الحياة وخلفاه ذليلاً
إنّ اليتيم هو الذي تلقى له
أمّاً تخلّت أو أباً مشغولاً

فيا أيها السادة: علينا أن نخوض التجربة شخصياً وعملياً، ثم بعد ذلك نقول لأولادنا هذه أدويتنا هانحن أصحاب الأجسام بتعاطيها، هانحن أقوىاء بالتمسك بها، هانحن نتمثل تعاليم الإسلام.

والحق أقول: إن أكثر الأولاد إنما جاءت مفسدهم من قبل الآباء، لإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، أضاعوهم صغاراً فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كباراً. لا تلوموا أحداً على سوء تربية الأولاد، فنحن من أدخلنا الشرّ إلى بيوتنا، ومن أدخل الشرّ إلى بيته فقد دعا زوجته وأولاده ليشاركوه فيه، ولو زعم أنه يحميهم ويبيدهم عنه. وأسأل معكم: إذا كانت الزوجة مريضة في تفكيرها، والزوج مريضاً في عقله فمن يربي الأولاد؟!!!

يا ناس يا عالم أجيبيوني بالله عليكم.

إذا كان المربي الذي يلقي على الطلبة محاضرة في مزايا الصلاة وحلاوتها، وما تسبغه على الوجه من نور، وعلى النفس من رضا، وعلى الروح من شفافية، بينما هو مظلم الوجه، عكر النفس، غليظ الروح، سيء الملكة، إن المربي الذي يفعل ذلك يثبت أن ما يقوله كلام لا يصلح مادة لإصلاح النفس.

كم عالم مدّ العلوم حبانلاً
لوقية وقطية وفراق
وفقيه قوم ظلّ يرصد فقهه
لمكيدة أو مستحل طلاق

يمشي وقد نصبت عليه عِمامة كالبرج لكن فوق تل نفاق

إنّ الواعظ الذي يدعو الناس إلى دين الله ليصلح حالهم وتطهر نفوسهم وتقوى روابطهم بينما هو مليء بالحقد ساعٍ في الفساد راتع في الهوى متجبر على خلق الله لا يُشعر عمله ولا خُلقه ولا سلوكه بأنه مسلم ما هو إلا تاجر يتاجر بدين الله ويشترى بآياته ثمناً قليلاً، ويضل بعمله أكثر مما يهدي بقوله:

يا أيها الرجل المعلم غيره هلاً لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى كيما يصحّ به وأنت سقيم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت عظيم

فهناك يُسمّع ما تقول ويُشتفى بالقول منك وينفع التعليم

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

كيف يكون الواعظ والمربي قدوةً حين يراه الناس قائماً على معصية الله، رأى بعضهم أحد الوعاظ يلعب الطاولة أمام أعين ملاً من أصحابه وأتباعه فقال له أحدهم: أليست الطاولة (النرد) حرام يا أستاذ فقال: حرام وأنا ألعبها. ما أجرؤه على النار.

يا واعظ الناس قد أصبحت متهماً إذ عبت منهم أموراً أنت تأتيها

تصيب دنيا وتنسى العاملين لها وأنت أكثر منهم رغبة فيها

إن الطبيب الذي يعالج الناس من أضرار الخمر وأمراض الجنس المحرم، وهو في الأمرين فارسٌ حليته ومغوار ميدانه يضرب أسوأ المثل للإنسانية في الكفر بما يدعو إليه.

يحرم فيكم الصهبة صباحا ويشربها على عمدٍ مساء

أيها المربون، أيها الأباء: إننا لا نستطيع أن ندعو الناس إلى الأخلاق أو الإسلام دعوة ناجحة مؤثرة إلا إذا كنا نحن صورةً صادقةً لهذا الإسلام في عقيدتنا وعباداتنا ومعاملاتنا.

إننا لا نعتبر صادقين في دعوتنا وإقناعنا للآخرين بهذا الدين إلا إذا أسقطنا الشعار الزائف، ورفعنا العمل الصالح، وهدمنا صروح الظلم، وشيّدنا بروج العدل، ودفّنا جميع الآلهة التي صنعها البشر لاستعباد البشر، وكبرنا إلهاً واحداً هو الخالق المدبّر.

ومن هنا نبدأ.

من تغيير أنفسنا نبدأ.

علينا أن نعلن **التغيير في العقيدة**، فلا نعظم ولا نكبر إلا الله، ولا نركع ولا نسجد إلا لله.

ونعنه في الشريعة: فنطرح كلّ تشريع لغير الله ورسوله جانباً، ونُصِرُّ بقوة على أن يسود بيننا حكم الله وحده.

ونعنه في السلوك: فنكون رحماء متعاطفين مبشرين لا منقرين، مصلحين لا مفسدين، مجتمعين لا مشتتين، متعاونين على البر والتقوى، متواصلين بالصبر والرحمة.

حينئذ يكون المربي مؤثراً في نفس الولد، لن تستطيع أيها الأب، أيها المربي، أيها المعلم، أن تغير في ولدك ما لم تكن أنت متغيراً في ذاتك، هذه قاعدة وضعها رافع السماء بلا عمد، وضعها من لا يغفل ولا ينام، وضعها من يعلم السرّ وأخفى، اسمعوا وعوا هو القائل:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

أيها الآباء، أيها الأبوان: أولادكما أغلى الناس - هكذا تقولون - ولكن هذا القول ينبغي أن يدعم بالعمل، ألا ترون أن معظم الناس يخبئون الكلام المهذب والأسلوب الظريف ليقدموه للغرباء ولا يكادون يقدمون شيئاً منه لأولادهم وزوجاتهم، مع أن هؤلاء أولى من غيرهم بالكلمة اللطيفة والتعامل اللبق، الأب العظيم من يحاول أن يجعل ولده أعظم منه، والأب العاقل من يحاول أن يجعل ولده مثله، حين يخلفك ولد صالح تولد عند موتك، وحين يخلفك ولد سيء تموت ميتتين.

إخوة الإيمان: إنني أدعوكم جميعاً في الجمعة القادمة لأتعارف وإياكم على الأخلاق التي ينبغي للمربي أن يحملها، فابقوا معنا هنا، وما أدراك ما هنا. هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى المربي الأعظم، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله الصلاة والسلام عليك.

سيدنا رسول الله

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي أرسل سيدنا محمداً رحمة للعالمين وقدوة للعاملين، ليظهره على الدّين كلّهُ ولو كره الكافرون، وجعله هادياً مهدياً وبشيراً ونذيراً، وكتب السعادة لمن كان من أتباعه واتبع هديه إلى يوم الدين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أوحى الكتاب إلى نبيه، وأمرنا من بعده بقوله: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا».

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله .

نبي أتنا بعد يأس وفترة من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
فحدّثنا ناراً وبشّر جنة وعلمنا القرآن فالله نحمد

فنوره أنور، وبرهانه أظهر، وصورته أجمل، ودينه أكمل، ولسانه أفصح، ودعاؤه أنجح، وعلمه أرفع، ونداؤه أسمع، ونصره مؤيد، واسمه سيدنا مُحَمَّد.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا مُحَمَّد وعلى أصحاب سيدنا مُحَمَّد، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا ملك المقتر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليمًا.

أما بعد: فيا حماة الإسلام وحراس الشريعة:

بحثت طوال حياتي عن قدوة في الأخلاق، ونظرت حولي في العالم أبحث عن القيادات التي تتوفر فيها شروط القدوة، لأرى أيهم يستحق أن يقتدى به في عصرنا اليوم: نظرت نحو المشرق باحثاً عن قدوة أمة المشرق فرأيت لينيّين وهتلر، بحثت عن أصول لينيّين الأخلاقية وأفكاره فرأيت يقول: سأجعل من ابنتي عاهرة وسأُنسي الناس الله في المسرح، ورأيت ينكر خالقه ويقول: لا إله والكون مادة، فقلت: ما دام قد أنكر فضل الله عليه، وجعل من ابنته وأولاده يدعون إلى الرذيلة والفاحشة، إن عبداً هذا شأنه لا يستحق أن يكون قدوة فأعرضت عنه.

وبحثت عن أخلاق هتلر فرأيت أنه يدعو إلى النازية والعنصرية وقتل بيده شعوباً وقبائل لأنهم يناهضون عنصريته، فقلت: إن رجلاً وضيعاً هذا شأنه لا يستحق أن يكون قدوة.

واتجهت نحو الغرب أتلّمس القادة بين أمة الغرب، فوجدت رؤساء أمريكا وأوربا يذيقون شعوبهم التمييز العنصري والتعصب الديني، وينصبّون من أنفسهم آلهة على البشر يستعبدونهم، ورأيت في بريطانيا نوايا للعراة منتشرة، يتسافدون بعضهم بعضاً كالبهائم، ورأيت مجلس العموم البريطاني يبيح تزويج الذكور بالذكور، فعرفت أنهم أمة لوطية لا يصلحون لقيادة البهائم حتى يصلحوا لقيادة البشر.

فقلت: أيّ شطري نحو العرب لعلّي أجد فيهم من يستحق أن يكون بينهم القدوة، فرأيت بعض الملوك يستبيحون القمار في النوادي ويستبيحون المتاجرة بأموال الشعوب، بل رأيت بعضهم الآخر قد اتخذ نادياً للعراة في بلاده تهتك فيه الأعراض علانية، غير هيايين من سخط الله وعذابه، فقلت إن ملكاً هذا شأنه لا يؤتمن على أعراض المسلمين فكيف يتخذ قدوة.

ثم أجلت بنظري نحو قدوة البلاد الإسلامية فرأيت بعضهم يتخذ سفارة للعدو الصهيوني، فقلت: إن من يعظم أعداء الأمة ويتخذ منهم سفراء في بلاده يواليهم: ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ إن من يتخذ عدوه قدوة وناصرًا، ويترك طلب النصر من الله فلا يستحق أن يكون قدوة.

وبحثت بين المفكرين فرأيت أغلبهم يتحلل من الدين، نساؤهم كاسيات عاريات بحجة التحضر وعدم التزمت.

وفي أثناء تجوالي بين المشرق والمغرب رأيت ثلة من أصحاب العمائم بسّمّتهم وهديهم الحسن وسلوكهم المستقيم، فنتبعتهم فأعجبنتي أخلاقهم فقلت لهم: كيف لي أن أصبح مثلكم، فقالوا: تعال معنا فقلت: إلى أين؟ فقالوا: إلى سيدنا محمد ﷺ.

إن الأمة إذ تقتدي بهذا النبي الكريم لترفع الرأس عالياً وتشمخ تعظيماً ومهابة وإجلالاً، أتدرون لماذا؟ لشيء هام: ألا وهو أنه ما دعا إلى مكارم الأخلاق إلا وكانت سجية من سجايه، وهنا تكمن عظمة الرسل ومكانتهم، لا يكفي أيها المربي أن تأمر الناس بقضايا التربية إلا بعد أن تكون متلبساً بها وقائمة بك. لا يكفي أن تقول لهم افعلوا كذا، بل لابد لكي يكون تأديبك مثمراً أن يكون المربي ممن تمتد العيون إلى شخصه فيدهشها أدبه ويسببها نبلة ويغريها اتباعه. هكذا كان سيدنا رسول الله.

إننا - معشر السادة - مع الحلقة الثانية والأربعين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم:

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

إخوتي في الله:

أتعرف اليوم وإياكم على حقيقة الدين، أريد للعالم اليوم أن يسمعو هذه القضية إن المسلمين ليسوا بإرهابيين، إن الإرهابيين هم الذين يسلبون حرية الشعوب، يقتلون ويدمرون حياة الأمم باسم القضاء على الإرهاب، إن المسلم الذي يدعو إلى الأخلاق ليس إرهابياً. فاسمحوا لي - معشر الإخوة - أن أنتقل بحضراتكم إلى سيد الخلق وحبیب الحق سيدنا ومولانا محمد:

بلغ العلى بكماله كشف الدجى بجماله

عظمت جميع خصاله صلوا عليه وآله

هاهم رجال يدخلون عليه فيسألونه سؤالاً، اسمعوا صيغة السؤال (طب): مَنْ أَحَبَّ عِبَادَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؟ قَالَ: أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا. وجاء آخرون فسألوه: (حب) ما خير ما أعطي الإنسان؟ قال: حسن الخلق. (ت) «إِنَّ الْفَحْشَ وَالْتَّفَحْشَ لَيْسَا مِنَ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ، وَإِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ إِسْلَامًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا». (طب): إِنَّ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا وَأَلْطَفَهُمْ بِأَهْلِهِ».

إخوة الإيمان: إن العبد لا يبلغ منزلته في الجنة بالصلاة والصيام فقط، وإنما يبلغ منزلة النبيين والصديقين بالخلق الحسن، هذه الحقيقة يصرح بها صاحب الشريعة (صلى الله عليه وسلم) يقول: (أحمد): «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبُكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ . قالوا: نعم يا رسول الله قال: أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا».

(أحمد): «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، إِنَّ اللَّهَ يَكْرَهُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ، وَإِنَّ صَاحِبَ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةً صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ» و«كرم المؤمن دينه، ومروءته عقله، وحسبُه خلقه» (حا).

أيها الأحبة و الصّحب:

هذه هي أقوال طه صاحب الشريعة، فهل كانت أقواله تطابق أفعاله؟!

هنا مناط التربية، على المربي أن يغرس في نفس الولد ألا يكون ذا الوجهين ، لأن ذا الوجهين لا يكون عند الله وحيها.

إنني أستطيع أن أقول: إن رسول الإنسانية كان بين صحابته مثلاً أعلى يحتذى للخلق الذي يدعو إليه، فهو يغرس بين أصحابه مكارم الأخلاق بعمله وسيرته قبل أن يغرسها بقوله وتوجيهاته.

فما هي الشمائل التي ينبغي أن يتحلى بها المربي والقدوة؟

إذا أردنا أن نجيب عن هذا السؤال بدقة فلن نجد أعظم من الصفات التي كان يتحلّى بها سيد العالمين، تعالوا بنا نعش في روضة الأخلاق، في روضة الشمائل المحمدية، أذيعها على حضراتكم أولاً من مدرسة سيدنا أنس بن مالك خادم سيدنا محمد ﷺ يقول: (خدمت النبي عشر سنين، والله ما قال لي: أفٍ قط، ولا قال لشيء: لم فعلت كذا، وهلاً فعلت كذا) (م). (وإن الأمة لتأخذ بيد رسول الله فتنتقل به حيث شاء)، «وكان إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي يفعله»، و«لم ير مقدماً ركبتيه بين يدي جليس له» (ت).

و«كنت أمشي مع رسول الله وعليه بُردٌ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله وقد أثرت بها حاشية البرد من شدة جذبته، ثم قال: يا محمد مُر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله وضحك، وأمر له بعطاء» (خ).

هذا كلام خادم النبي، والناس عادة يتساهلون مع الخدم ويسبون إليهم إلا سيدنا رسول الله. فما أساء لأحد قط. تقول أمنا السيدة عائشة رضي الله عنها: «ما كان أحد أحسن خلقاً من رسول الله، ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال: لبيك». (م): «وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً، كان أبعد الناس عنه»، و«ما انتقم رسول الله لنفسه في شيء إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم». و«ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله».

وكان يقول (م): «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على

العنف» .

«إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه»..

وحين سئلت ما كان رسول الله يفعل في بيته، قالت: كان في مهنة أهله (خدمتهم) فإذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج إلى الصلاة» (م). وكانت تقول: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة كما كنت أسمع يذكرها، وإن كان ليذبح الشاة فيهديها إلى خلائلها، واستأذنت عليه أختها فارتاح إليها ودخلت عليه امرأة فهش لها وأحسن السؤال عنها، فلما خرجت قال: إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان».

إننا - معشر الإخوة - لا يمكن أن نحصي أخلاق المربي الأعظم، صدقوني لو جمعنا أقواله في التحلي بالأخلاق الزكية لخرجنا بسفر لا يعرف مثله، لعظيم لم تعرف الإنسانية مثيلاً له.

كان يؤلف أصحابه ولا ينفّرهم، ويكرم كريم كل قوم ويؤليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره ولا خلقه، يتفقد أصحابه، ويعطي كل جلسائه نصيبه، لا يحسب جلسيه أن أحداً أكرم عليه منه.

من سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، جاء رجل فسأله (طلب صدقة) فقال له: ما عندي شيء ولكن ابتع علي، فإذا جاءنا شيء قضينا. فقال له سيدنا عمر: ما كلفك الله مالا تقدر عليه، فكره النبي ذلك، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالا. فتبسم ﷺ وعرف البشر في وجهه وقال: بهذا أمرت.

وانظروا- أيها الإخوة - إلى الفاتح العظيم تفتح عليه مكة ويدخلها بجيوش المسلمين، فيدخل وهو مطأطئ رأسه على راحلته حتى كاد يمس ظهر الراحلة تواضعاً لله تعالى.

وها هو يحج على رحل رث عليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم (لا أربع نجوم ولا خمس نجوم) وهو يردد: «اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة».

فإذا جلس لأصحابه رأيت مجلسه مجلس حلم وخير وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تُخدش فيه الحرم. إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، وكان إذا سكت فإنما يكون سكوته على أربع: على الحلم والحذر والتقدير والتفكير. هذه هي الصفات التي ينبغي أن يتصف بها المربي ليؤثر في ولده، فمن كان يريد أن يعرف كيف طبق رسول الله ذلك على أصحابه، كيف طبعهم على الحق وحسن الخلق، كيف قلب أهل الجاهلية إلى أن رفعوا راية الأخلاق عالياً، من أراد أن يعرف الإجابة عن الأسئلة ليربي أولاده فليبق معنا هنا، وما أدراك ما هنا، هنا

مدرسة سيدنا محمد، الجالس فيها عليه أن يصلي على النبي: الصلاة والسلام عليك
يا سيدي يا رسول الله.

الأخوة في الإسلام (٤٣)

الأخوة في الله

الحمد لله الذي جعل مكارم الأخلاق من أعمال الرحمن الرحيم
أفضل شيء يوضع في الميزان.

نحمده على نعمه فإنه تعالى يحب أن يحمد بكل لسان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك المنان، شهادة من شهد بها
فهي له نجاة وأمان، وكلمة لا يسبقها عمل، ولا تترك ذنباً على الإنسان.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بالحنيفية السمحة إلى الأحمر
والأسود من إنس وجان، الذي أعطي فواتح الكلم وجوامعه، واختار الله له خير
الكلام القرآن، أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وخطيبهم إذا وفدوا إلى الملك الديان.

اللهم صلّ وسلم وبارك وعظم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين هم
لأهل الأرض أمان، وسلم تسليمًا.

أما بعد: فيا حماة الإسلام وحراس الشريعة: حديثنا اليوم عن شجرة أصلها
ثابت وفرعها في السماء، حاول الاستعمار منذ أمد طويل أن يقطعها وأرجو ألا
يفلح، حديثنا عن جبل راسخ وطود شامخ أخشى أن يكون قد أصبح رملاً متراكماً أو
تراباً هباءً، وإنما أتكلم عنها اليوم خوفاً على الأمة أن تنساها، وأتمنى من الله أن
يتحقق بها كلّ مسلم، وأتمنى أن يعود ذلك اليوم الذي استتصرت فيه امرأة مسلمة
في الشرق الأدنى حين صرخت (وامعتصماه) فهبت جيوش العالم الإسلامي لتتأثر
للصرخة قبل نضج التين والعنب.

ترى هل يعود ذلك اليوم، يوم أن وقف القائد الأعلى للأمة الإسلامية سيدنا
محمد يقول لصحابته في المدينة: **تآخوا في الله اثنين اثنين**. فهبّ المسلم الأنصاري
يقسم ماله وعقاراته لأخيه المهاجر. **﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ
خَصَاصَةٌ﴾**. هل يعود ذلك اليوم أم عار عليه أن يعود؟ لا، بل أرجو من الله أن تعود
روح الإخاء بين أفراد الأمة، الإخاء روح الإيمان التي يحيا بها كلّ مسلم تجاه
إخوانه، فكأنهم أغصان انبثقت من دوحة واحدة، أو روح واحد حلّ في أجسام
متعددة.

أفتح معكم اليوم ملفَّ الأخلاق التي ينبغي أن يحرص المربي على تعليمها للولد، ليجعله أصلاً له في حياته (إخوة الإسلام) أعني به الشعور بالآخرين والإحساس بهم وعدم الأنانية وحب الذات، الأخوة تلك العاطفة النبيلة التي تدفع المسلم إلى التعاون والرحمة والإيثار والعفو والمسامحة.

الأخوة في الله تعني حماية المسلم لأخيه المسلم، تعني المحافظة على المسلمين وأموالهم وأعراضهم والحفاظ على كرامتهم، الأخوة في الدين أعلى مراتب الأخوة وأعظمها وأكبرها، وهي رباط اجتماعي لا يماثله رباط آخر ولا يقاربه، حتى الرباط بين الوالد وولده، وبين الأخ في النسب وأخيه وبين الزوج وزوجته بدون توافق في الدين، كل ذلك يعتبر رباطاً واهياً ضعيفاً إذا ما قورن برباط الدين، ولذلك يحارب الأخ أخاه، والولد أباه، والزوج زوجته في سبيل الله، ومن أجل مرضاة الله ﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ﴾، فالأخوة في الدين لا تنشأ من التكليف بل من التعريف، ورباط الدين يجمع بين المؤمنين كما يجمع نور الشمس بين المبصرين، والذي يؤمن بالله ويحبه حب المخلصين يحب من أجل الله جميع المؤمنين.

إننا - معشر السادة - مع الحلقة الثالثة والأربعين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم:

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله.

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات القرآن الكريم:

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون. وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً ﴾ وعلى موجات سورة القصص ٣٥ ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ مُلْكاً سُلْطَاناً فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾.

إخوتي في الله: يبدأ المربي مع ولده بإحضاره إلى جماعة الصلاة وإحضاره مجتمعات الرجال والجيران ليعرف أنه فرد من الجماعة، على الولد أن يعرف أن مطالب الحياة وحاجاته الجسدية لا تتم إلا عن طريق الجماعة، يقوى بها ويتناصر بها ويتعاون معها، كل العملية الحياتية فيها الأخذ والإعطاء وفيها التبادل.

أنت مثلاً - يا أخي - إذا كنت تريد أن يحبك الآخرون فإن ثمن هذه المحبة يكون بالتودد لهم وبإكرامهم وبالتضحية من أجلهم وبحسن معاشرتهم، ولذلك الإسلام دعا إلى التزام الجماعة وجعل الأناية رذيلة خلقية تؤدي بصاحبها إلى الهلاك، فقال نبي الإسلام: «**مَنْ شَدَّ شَدَّ فِي النَّارِ**». وكان يكرر: «**عليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية**». «**من لم يهتم لأمر المسلمين فليس منهم**».

إن من يستعرض أحوال الصحابة الكرام ليرى بأمر عينه أن سبب عزّة المسلمين ونجاحهم: صدقهم بأخوتهم لبعضهم بعضاً ومحافظةهم على تنفيذ التوجيهات النبوية، ذلك أنه لا قيمة للجماعة ما لم تكن متآخية، ما لم تكن متلاحمة، ولهذا اسمحوا لي تعميقاً لوحدة المسلمين وإظهاراً لهذه الأخوة أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك، إلى سيد الوجود والبركة العامة لكل موجود، إلى المربي الأول، إلى القدوة العظمى في الدين سيدنا محمد ﷺ يقول: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**».

أترون هذا البنيان الواحد بين جماعة المسلمين؟ أترون هذه الروح الواحدة والحس المشترك الذي يسري ضمن الجسد الواحد حتى إن أعضاءه لتشعر بالألم كما تشعر بالمسرة؟

إنه تمثيل بليغ لشدة تماسك المسلمين بعضهم مع بعض، إنه يعني أن المودة والأخوة سبب التآلف، والتآلف سبب القوة، والقوة حصن منيع وركن شديد بها يمنع الضيم والظلم. هل لاحظتم هذا التوضيح الذي يريده رسول الله قوة ومنعة، لكنه في حديث آخر يرشدنا إلى ثمرة أخرى من ثمرات الأخوة حديث يكاد يحفظه كل مسلم حفظاً فقط وقليل فاعله (ق): «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَى**». من منا لا يحفظ هذا الحديث، لكنه أعطى بتمثيله الحسي المعنى العظيم لوحدة جماعة المسلمين في صورة الرجل الواحد، رجل واحد ذو أعضاء مترابطة، عصب واحد، أي دين واحد وفكر واحد وهدف واحد وعاطفة واحدة يغذيها دم واحد هو الإسلام يسري فيه، فإذا ما نزل الألم بالبعض نزل بالكل، هل رأيتم تشبيهاً أعظم من هذا وأبلغ من هذا؟

فهل طبق الصحابة هذه المعاني النبوية؟ يروي التاريخ أن سيدنا عثمان شعر أن الناس في حاجة وفي الأسعار غلاء، وكانت له تجارة ضخمة فيها صنوف من الغذاء والكساء وأنواع السلع، ولما قدمت من الشام واقتربت من المدينة، جاءه التجار يسأومونه ويُرَبِّحونه حتى دفعوا له ربحاً بالعشرة خمسة، وهو يقول: جاءني أكثر فقالوا: نحن تجار المدينة فمن دفع لك أكثر فقال: إن الله وعد بالحسنة عشرة أمثالها، وإنني أشهدكم أن جميع هذه التجارة صدقة على أهل المدينة.

شعور بالآخرين، شعور بأنهم إخوته في الدين وهم في ضائقة، وهو قادر على أن يفك ضائقتهم فلماذا لا يفعل؟

يا مسلمون: أنتم أمة واحدة. **يا مؤمنون:** أنتم فرد واحد، أنتم قوة إذا كنتم إخوة، أنتم أعزّة إذا كنتم إخوة، إنما المؤمن بأخيه ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ إذا قويت إخوتك قوي إيمانك.

إخوة ألا تسمعون، المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه،

وإنما المرء إلا بإخوانه

كما تقبض اليد بالمعصم

ولا خير في الكف مقطوعة

ولا خير في الساعد الأجزم.

أنت عندما تتألم ماذا تقول: تقول أخ . هل تحس بأخيك حتى يحسّ بك. هل تعطف عليه حتى يعطف عليك. سيدنا النبي يقول: «ما من رجلين تحابا في الله بظهر الغيب إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حباً لصاحبه». يقول أبو مسلم الخولاني: قلت لمعاذ بن جبل: والله إني لأحبك لغير دنيا ولا قرابة بيني وبينك. قال معاذ: فلاي شيء؟ قال قلت: لله تعالى. قال: فجذب حبوتي ثم قال: أبشر إن كنت صادقاً فأني سمعت رسول الله يقول: «المتحابون في الله في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله يغبطهم بمكانهم النبيون والشهداء». يقول أبو مسلم: ولقيت عبادة بن الصامت فحدثته بحديث معاذ فقال: سمعت رسول الله يقول عن ربه تبارك وتعالى: «حقّت محبتي على المتحابين فيّ، وحقّت محبتي على المتناصحين فيّ، وحقّت محبتي على المتبازلين فيّ، هم على منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء والصدّيقون». (حب).

فيا أخي المسلم: هل عرفت الآن لماذا غدّي فيك الإسلام روح الجماعة؟ هل عرفت لماذا دعاك إلى صلاة الجمعة والجماعة والحج؟ هل عرفت لماذا ندبك لتأكل مع أهل بيتك جماعة؟

لتفهم هذه المعاني، لتفهم أنه عليك أن تكون اجتماعياً، إن رباط الإسلام حاكم على رباط الدم والنسب، لأنه رباط بين العبد وربّه.

فابحث - يا أخي المسلم - عن إخوتك في الدين هم أكثر، هاهم حولك. ربّ أخ لك لم تلده أمك، احرص على إخوة ثلاثة: عالم متخلق بأخلاق النبوة، وحكيم بيضت فوديه ليالي التجربة، وشهم له من مروءته ما يحمله على نصحك إذا أخطأت، وإقالتك إذا عثرت، وجبرك إذا انكسرت، والدفاع عنك إذا غبت، والإكرام لك إذا حضرت.

نحن اليوم إخوة، هل نحن إخوة، تماسكوا لتمسك كل يد بيد من بجانبها وقولوا:
اللهم اشهد بأننا إخوة متحابون فيك فأكرمنا بالنور التام يوم القيامة.

هذه هي الأخوة، فما هي واجباتها، وما هي حقوقها؟ أعلق هذه الأسئلة لأجيب
عنها في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى، هنا مدرسة سيدنا محمد الجالس فيها عليه
أن يصلّ على سيدنا النبي.

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

القضية الرابعة والأربعين

الحب في الله

الحمد لله الذي غمر صفوة عباده بلطائف رحمته دوماً وامتناناً، وألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخواناً، ونزع الغل من صدورهم فظلوا في الدنيا أصدقائه وإخواناً، وفي الآخرة رفقاء وخللاًنا.

أحمده على ما أولى من فضل وأفاده، وأشكره معترفاً بأن الشكر من نعمه مستفاده.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة وعد قائلها بالحسنى وزيادة.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أقام به منابر الإيمان ورفع عماده، وأزال به سنان البهتان ودفع عناده.

اللهم صلّ وسلم وبارك وعظم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه الذين استخلفهم على دينه وملّكهم قياده، وأوضح بهم حجج الدين وأحكام العباد. وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

أقف بكم اليوم حيث انتهت الجمعة الماضية لأتحدث إليكم عن «أوثق عرى الإيمان» (أحمد: ٢٨٦/٤)، عن شيء «لا يكمل إيمانك إلا به» (د/٤٦٨)، هو «أحب الأعمال إلى الله تعالى» (د/٤٥٩٩)، أتابع معكم الحديث عن القضايا التربوية وقلبي يعتصر ألماً على الدماء التي تتفجر على أرض الإسرائ، وتبذل بها الأرواح رخيصة في سبيل الله، ويقف العالم الإسلامي في صف واحد في وجه العدو الصهيوني وهو يستبيح الحرمات ويتنهدك المقدسات وترفع آهات الشكالي وصرخات الأيامى: وإسلاماه.

وريثما يبعث الله لأمة سيدنا محمد قائداً ربانياً يسمع كلام الله ويُسْمِعُهَا، وينقاد إلى الله ويقودها ويحكم بكتاب الله ويرفع راية الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله، ريثما يتنفس الدهر ويجود الله علينا به: أقف لأتحدث عن حقوق الأخوة في الله والحب في الله في وقت غابت فيه هذه المعاني التربوية عن جيل العصر الحاضر.

إننا مع الحلقة الرابعة والأربعين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم:

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

إخوة الإيمان: قد يحب الإنسان إنساناً لهوى في نفسه، أو يبغض إنساناً لذلك، فيدخل عليه الشيطان ويقول له: إنه إنما فعله الله، ونحن اليوم نضع الميزان بين أيديكم: هل تحب أخاك لمصلحة؟، أم لأنه من تلاميذ شيخك؟ وهي العصبية التي شرذمت الصف وأذابت معنى الإخوة، ليس لأحد أن ينصب للامة شخصاً يدعو إليه ويوالي له ويعادي عليه غير سيدنا محمد ﷺ، لا يجوز لأحد أن يدعو إلا إلى كلام الله وكلام رسوله، ومن تعصب لواحد من الأئمة بعينه دون الباقيين فهو بمنزلة من تعصب لصحابي دون غيره من الصحابة، علينا أن نحب جميع المسلمين، العصبية تمزق قلب كل مسلم، التعصب البغيض الأعمى يصم الأذن عن سماع الحق، على المسلم أن يقف مع الحق حيث دار، ولا يعرف الرجال إلا بالحق، لا أن يعرف الحق بالرجال.

ولا يكون ذلك إلا بالتجرد والإخلاص، من جعل همه هماً واحداً (هو الله) كفاه الله جميع الهموم، من عمل لوجه واحد (هو الله) كفاه الله جميع الوجوه، لذلك يقول ﷺ: «من أحب الله وأبغض الله وأعطى الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان» (د).

فيا أخي المسلم: لن تنال حلاوة الإيمان إلا بالحب في الله والبغض في الله، يقول المربي الأعظم ﷺ «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار».

هذه هي تعليمات النبوة عن المتحابين في الله، محبة أخيك المسلم هي ما يجب أن تعدّه وتدلّ عليه، تقول لولدك مثلاً: تعال يا بني، أراك تصاحب فلاناً وفلاناً من أصدقائك المسلمين أتدري ما حقهم عليك؟ أن تُعلمهم أنك تحبهم، لتشعرهم بإخوتك، ونبيينا يقول: «إذا أحبَّ الرجل أخاه فليعلمه أنه يحبه». لم يكن رسول الله قوَّالاً، بل كان فعَّالاً، قبل قوله ينفذ القضايا التربوية بنفسه، التفت مرّة إلى سيدنا معاذ بن جبل وأخذ بيده وقال: «يا معاذ أني أحبك. فقال معاذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله والله أني لأحبك فقال رسول الله: لا تدعنَّ خلف كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» (ت - د).

وأنتم - يا معشر الأحبة - هل تحبون سيدنا محمداً؟ نعم، أبشروا فإن رسول الله يقول «المرء مع من أحب»، يحشر المرء مع من أحب. يقول سيدنا عبد الله مسعود: والله لو قمت بين الركن والمقام أعبد الله سبعين سنة لحشرنى الله يوم القيامة مع من أحب. على المربي أن يعلم الناس حب المسلمين الصالحين لا حبَّ المطربين والمطربات الأموات منهم والأحياء، لما مات عبد الحليم حافظ مطرب مصر، الذي علم التفاهين المياعة والفسق وأفلامه أكبر دليل على ذلك، عبد الحليم حافظ الذي كفر

في أغانيه فقال: (قدر أحمق الخطا سحقت قامتي خطاه)، وصف قدر الله بالحمق، وصف إرادة الله وقدرته بالحمق، لما مات قامت الدنيا وما قعدت في مصر وبقي الناس يضعون أغانيه أشهراً ويأتون بالمسجلات إلى مقبرته يفتحون أصوات الأغاني على أعلاها حتى ضجَّ الأموات وكادوا يخرجون معترضين من قبورهم، وما ترك الناس القبور حتى سمعوا عبد الحليم يغني (نار يا حبيبي نار) احترق بدني وصار كله حمار، علّم ولدك على حب الصديق والفاروق والصحابه والتابعين والأئمة، على حب الصالحين في كل عصر ومصر، من أحب المغنين والمغنيات حشر معهم يوم القيامة، لا ينفعه هناك عند الله يوم القيامة إلا العمل الصالح، «يوم يحشر الناس حفاة عراة غرلاً» (ق)، تقول أم المؤمنين السيدة عائشة: الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض!؟ فقال ﷺ: «الأمر أشد من أن يهتمهم ذلك»، وجهنم تزمجر، والمَلَك قد غضب غضباً لم يغضب قبله مثله، وفي هذه اللحظة ينادى على المتحابين: أين المتحابون بجلالي؟: (اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي) (أحمد ١٢٨/٤ – مجمع ٢٧٩/١٠)، على كل واحد منا أن ينظر في أخوته لأخيه هل هي من أجل مصلحة أم ماذا؟ فإن الإخلاص في المحبة والتجرد فيها هو مناط الثواب والعقاب، ليس في سبيل جماعة، عليك أن تحبه لا لأنه من جماعة شيخك أو جماعة حزبك أو عصبية أو جاهلية.

من أحبَّ في الله وأبغض لله لا يحتاج طبلاً إعلامياً أو دعاية ما دام يعمل لله، صححوا نياتكم لتتالوا محبة أعظم من كل محبة، محبة الله تعالى محبة الخالق: «إن رجلاً زار أخاً له في الله، فأرسل الله على مدرجته ملكاً يسأله لماذا يذهب لزيارة أخيه؟؟ فقال الرجل: أحبه في الله، وزيارتي له في الله فقال الملك: «فإني رسول الله إليك أن الله أحبك كما أحبته فيه».

أيها الإخوة: مهما تفرقت دياركم!

أيها السادة: مهما علت مناصبكم! إن مجيئكم إلى هذا المسجد وجلوosكم فيه على صعيد واحد إنما هو لنعلن أننا إخوة متحابون، ومهما بلغت مرتبة العبد فهو عندما يحضر في بيت الله يتساوى مع غيره في محراب العبودية، نحن إخوة، أخى الله تعالى بيننا، على الكبير والصغير والعالم والجاهل والبعيد والقريب والذكر والأنثى أن يفهم هذه الحقيقة، إننا إذا فعلنا نصرنا الله، ورحمنا، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة.

فيا أحباب رسول الله! أيها المتحابون في الله! تعالوا معي لأنتقل بحضراتكم إلى هناك، إلى الملاء الأعلى، إلى الرفيق الأعلى، إلى جلساء الله فقولوا جميعاً: لا إله إلا الله. اسمعوا كيف ربي رسول الله أصحابه، وارفعوا رؤوسكم عالياً بتربية سيدنا محمد، وربوا أولادكم مثل تربية سيدنا محمد، يقول لنا: «إِنَّ لله جلساء يوم القيامة عن يمين العرش وكلتا يديه يمين على منابر من نور، وجوههم نور، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ولا صديقين. قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: هم المتحابون بجلال الله تبارك وتعالى» (طب مجمع ١٠/٢٧٧).

أين هم يا رسول الله؟ أين هم يا حبيب الله؟ أتعرفون أين هؤلاء؟ أنهم في أعلى الجنان.

من هو أحب إنسان لديك؟ رسول الله. أين هو؟ في أعلى الجنان أنت مع من أحببت في أعلى الجنان.

«إِنَّ في الجنة لَعُمُداً من ياقوت، عليها غرف من زبرجد، لها أبواب مفتحة، تضيء كما يضيء الكوكب الدري. أتدرون من يسكنها؟ تعالوا نسأل حبيبنا سيدنا محمداً، من يسكنها يا رسول الله؟ يقول: يسكنها: المتحابون في الله، والمتباذلون في الله، والمتلاقون في الله».

وأنتم ما الذي جاء بكم؟ الله، اسمعوا ما الذي جاء بكم: نحن تلاقينا في الله، نحن متحابون في الله قولوا جميعاً: تأخينا في الله، تحاببنا في الله، هذا هو الدرس العملي بعد الدرس النظري، كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها:

وأعز ما يبقى وداد دائم إِنَّ المناصب لا تدوم طويلاً
هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى النبي الأعظم
ﷺ وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله:

الصلاة والسلام عليك

القضية الخامسة والأربعين

خصائص الأخوة في الدين

الحمد لله الذي فتح أقفال هذا العالم بمفتاح ظهور سيد السادات، وجعل أمتة وسطاً وفضلها على سائر الأمم في العبادات.

فسبحان من فضل بعض النبيين على بعض، ورفع بعضهم فوق بعض درجات.

فأعطى آدم الصفوة، وإبراهيم الخُلة، وموسى تسع آيات بينات، وبعث موسى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الأموات، واتخذ سيدنا محمداً حبيباً وشفيعاً ورفعاه إلى ما فوق سبع سماوات.

وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله تنزّه عن الوزير والنظير والمشير في سائر الحالات.

وأشهد أنّ سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أزاح بنور وجوده ظلم الجهالات اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين لم تأخذهم لومة لائم في سائر الأوقات، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا حماة الإسلام وحراس الشريعة: أرفع اليوم باسمكم وباسمي واسم كلّ شريف في الدنيا التحية، تحية إكبار واحترام ومحبة إلى القائد الأعلى للأمة الإسلامية سيدنا ومولانا محمد بمناسبة ذكرى دخول شهر ربيع الأول، شهر الحبيب الأعظم.

ربيع السرور أنار السبيل وأهدى لنا كأسه السلسبيل

بمولد خير الأنام الذي له الله كان ولياً كفيلاً

ترى قبل موتى أزور الحمى وأشهد بعيني ذاك النخيل

ويدنو البقيع وقبر الشفيع تضمن خير الأنام الرسول

والثم ذاك الضريح الذي طاب فرعاً وأصلاً أصيلاً

عليه من الله طول المدى سلام إذا رام حادٍ رحيلاً

ويأتي شهر الحبيب والعالم الإسلامي والعربي يعيش حالة من الذهول واللامبالاة بما يدور حوله من أحداث، فبعد أن كان العالم الإسلامي سريع الاشتعال

مع الحوادث المستجدة، وكان من أهم صفاته نجدة الملهوف وإغاثة نراه اليوم قد هداً بركانه الثائر وغطاه ليل بارد طويل جمّد فيه الإحساس والشعور، أصبح الشارع العربي الإسلامي هامشياً في وقت تداس فيه كرامته وتسحق فيه هامته، لا حول ولا قوة، وما هذا كله إلا بابتعادنا عن مبادئ الإسلام وشريعته الخالدة، تركنا الجهاد وتركنا نصرة الدين فترك الله نصرتنا، خذلنا بعضنا فخذلنا الله، وإذا أردنا النصر من الله فعلينا بالعودة إلى تعميق الإيمان برب العزة والاستسلام لشريعته، على الأمة اليوم أن تكون قوية الصلة بخالقها، تحب ما أحب، وتبغض ما يبغض، لا تؤثر على مرضاته والدأ ولا ولدأ، تنطلق بنور حبه لله، فتحب كل عبد يحب الله ويعبده، وهذا بالضبط ما يسميه علماء الدين الأخوة بالدين. تماسك الأمة على المبدأ الواحد، والهدف الواحد ولذلك يحارب الاستعمار هذه الأخوة، ويبث التفرقة ليسيطر على المجتمع تحت قاعدة (فرّق تسد).

أندرون لماذا؟ لأن الأخوة الصادقة حين تشبع بها أسرة أو مجتمع أو أمة فإنها تصبح قوية لا تقهر، تحدث انقلاباً اجتماعياً عميق الأثر عظيم الخطر.

ولو نظرنا بعيداً في الزمن الغابر لرأينا أن أواصر الأخوة في الدين هي التي جمعت أبناء الإسلام أول مرة وأقامت دولته ورفعت رايته، وعليها اعتمد سيدنا رسول الله في تأسيس أمة صابرت هجمات الوثنية الحاقدة وسائر الخصوم المتربصين. أتدرون - يا أخوة الإسلام - أن الميراث في صدر الإسلام كان بالأخوة في الدين لا في النسب، وكانت محبة الخير لكل مسلم أمراً واجباً ولازماً لصدق الإيمان، ولقد أقسم رسول الإنسانية فقال: «والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (ق).

إننا - معشر الإخوة - مع أهم خصائص الأخوة في الدين: ألا وهي التناصر بين أفراد الأمة الواحدة، ومع الحلقة الخامسة والأربعين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم للمربي الأعظم:

(الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله)

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات سورتي الفتح؟

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.

﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُواكَ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكَمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾.

ومعنى الآية: إن طلبوا نصرتكم في سبيل الدين فإن الواجب عليكم أن تنصروهم وتحاربوا عدوهم إذا لم يكن بينكم وبين هذا العدو صلح وأمان.

أخوة الدين تفرض التناصر بين المسلمين، لا تناصر العصبيات العمية، بل تناصر المؤمنين المصلحين لإحقاق الحق وإبطال الباطل وردع المعتدين وإجارة المهضوم، فلا يجوز ترك مسلم يكافح وحده في معترك، بل لا بد من الوقوف بجانبه على أية حال لإرشاده إن ضل، وحجزه إن تطاول، والدفاع عنه إن هوجم، والقتال معه إن استبيح، وذلك تماماً معنى التناصر الذي فرضه الإسلام. وقد دلنا المربي الأعظم على هذه القاعدة التربوية الأصيلة فقال: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قال: أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً؟ قال: تحجزه عن ظلمه، فذلك نصره» (خ).

إخوة الإيمان: إن خذلان المسلم شيء عظيم، وهو إن حدث ذريعة خذلان المسلمين جميعاً، إذ سيقضي على خصال الإباء والشهامة بينهم، وسيخنع المظلوم طوعاً أو كرهاً لما وقع به من ضيم، ثم ينزوي بعيداً وتنقطع عرى الأخوة بينه وبين من خذلوه، وقد هان المسلمون أفراداً، وهانوا أمماً يوم هتأواصر الأخوة بينهم، ونظر أحدهم إلى الآخر نظرة استغراب وتكر، وأصبح الأخ ينتقص أمام أخيه فيهز كتفيه ويمضي في شأنه، كأن الأمر لا يعنيه، إن هذا التخاذل جرّ على المسلمين الذلّة والعار، وقد حاربه الإسلام حرباً شعواء، ولعن من يقعون في ظلاله الداكنة الرزية، يقول المربي الأعظم ﷺ: «لا يقفن أحدكم موقفاً يضرب فيه رجل ظلماً فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدافعوا عنه (طب) روي «من مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل الأقدام» (الأصفهاني).

أيها المؤمنون: وواجب النصرة يزداد تأكيداً إذا كنت ذا جاه بالمجتمع، أو صاحب منصب تحفه الرهبة والرغبة، إن للجاه زكاة تؤتى كما زكاة المال، فإن رزقك الله سيادة في الأرض أو تمكيناً بين الناس فليس لك لتنتفتح بعد انكماش، أو تزدهي بعد تواضع، إنما يسّر الله لك ذلك ليربط بعنقك حاجات لا تنقضي إلا عن طريقك، فإن أنت سهلتها قمت بالحق المفروض، وأحرزت الثواب الموعود، وإلا فقد جحدت النعمة وعرضتها للزوال وفي الحديث: «إِنَّ لِلَّهِ عِنْدَ أَقْوَامٍ نِعْمًا أَقْرَبًا عِنْدَهُمْ مَا كَانُوا فِي حَوَائِجِ الْمُسْلِمِينَ مَا لَمْ يَمْلُوهُمْ فَإِذَا مَلَوْهُمْ نَقَلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ».

ومن هنا ندرك خطأ المسلمين وبشاعة جرمهم وهم يعلمون ما يلاقيه إخوان لهم في أرض فلسطين المحتلة من تدمير وتقتيل واضطهاد وتعذيب وتيتيم للأطفال وترميل للنساء وهدم للدور، ومع ذلك كله يعيش المسلمون عيشة الاملابالة بما يصيب إخوانهم واللاشعور بما فيهم من شقاء وبؤس، ويزداد الأمر

سوءاً أن نرى أبطال الأمة يشردون ويطردون عن ديارهم إلى أين، إلى الدول العربية؟ لا، إلى الدول الإسلامية؟ لا، إلى أين؟ إلى أوروبا.

أليس في قلب الوطن العربي مستقر للمبشرين ومستودع، ألا يكفيهم اثنان وعشرون دولة أو أكثر عربية وإسلامية حتى يبعدوا إلى قبرص إلى مصير مجهول، أهذا هو التناصر؟ أهذا هو حق الأخوة في الدين؟

أليس في قلب عربي أو مسلم ما يسعكم أيها المشردون؟، ستعودون إلى دياركم يوماً، سيعيدكم الله تعالى، تأكدوا أنكم ستعودون ولكن بعد الطوفان الذي سيجرف في طريقه الخيانة، هذه الخيانة التي شم رائحة طبختها الكريهة كل مؤمن مخلص صادق لدينه، طبخة جعلت الشهادة شبهة أو تهمة، ولقد سمعنا وشاهدنا على شاشات التلفاز السوري كيف طالب المخلصون لدينهم في بعض البلدان بالجهاد وطرد السفراء اليهود والأمريكان فما الذي جرى لهم؟ لقد أصابهم على أيدي شرطة الحكام مالا يقل عما حدث لإخوانهم في الأرض المحتلة على يد اليهود، فقتل من المتظاهرين وجرح منهم الكثير.

أيها الأحبة والصحب: لقد استطاع أعداء الإسلام في بلاد إسلامية كثيرة أن يذيقوا أهلها الويل والهلاك وأشد أنواع التعذيب والتدمير، حكاهم أشكالهم عربية إسلامية وقلوبهم يهودية أو صليبية، حكام فقدوا الرجولة الكريمة والمروءة الإنسانية، آثروا حفنة من الدولارات تقدم لهم على شكل مساعدات، باعوا دينهم وكرامتهم، ذلوا وخنعوا، ولقد حاول رئيسنا أن يجمع الكلمة ويوحد الصف ومازال، ولعلّ الرجولة والشهامة والنخوة العربية تعود للوطن العربي.

أيها السادة: إن ما حلّ بنا من نكبات لم يكن سببه إلا البعد عن الإسلام إيماناً فهماً وسلوكاً، وحينما كان المسلمون يفهمون الإسلام أنه إيمان وعمل رأيت أرض الإسلام كلها تشتعل التهاباً وحماساً، وخاضت حرباً ضد كلّ من تسول له نفسه أن يقتل طفلاً أو يسخر من امرأة أو يغدر في عهد.

إن رسول الإسلام قد رفع الشعار (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) شعار يجب على المسلمين أن يعودوا للعمل به حق نصرة المظلوم، استنقاذ المسلمين من براثن العدو الأمريكي واليهودي والصليبي، يقول عملاق الإسلام سيدنا عمر: (لأن أستنقذ رجلاً من المسلمين من أيدي الكفار أحب إلي من جزيرة العرب) (ابن أبي شيبه في كنز العمال)، ولهذا أوجب الإسلام الجهاد لإعلاء كلمته وإظهار دينه واستنقاذ المؤمنين. كانت هذه هي الأنبياء بالتفصيل وإليكم موجزها: ﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾. هنا مدرسة سيدنا محمد الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إليه، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله:

الصلاة والسلام عليك

القضية السادسة والأربعون

شروط التناصح

الحمد لله الرؤوف المنان، الكريم القديم الإحسان، العلي الغني القوي السلطان، الأول ولا أزمان، الآخر ولا أكوان، الباقي ولا أنس ولا جان، الذي كتب بأقلام الأحكام في ألواح أرواح الأيام آيات التوحيد والإيمان، أخرج ذرية آدم بأرض نعمان، وقسمهم إلى ذي حظ وحرمان، فكم حقير رفيع، وكم عزيز هان، فأهل الكدر يتعادون وأهل الصفاء يتهاذون ويتداعون كالأخوان، ويتلافون بالقلوب وإن تباعدت الأوطان ويتعارفون بالغيوب فتحن إليهم القلوب وتتعاطف وإن لم ينطق اللسان، ويتواسون بالبر والإيثار والفضل والإحسان، كما أمرهم بذلك خالق الخلق ومكون الأكوان: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له دبّر الأقدار، وكور الليل على النهار، والشمس والقمر بحسبان، والنجم والشجر يسجدان.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد الإنس والجان القائل: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»، فمن اتصف بهذه الصفات يبشّرهم ربهم برحمة منه ورضوان، فتلمح بعين البصيرة أيها الإنسان، وصلّ على النبي العدنان.

اللهم صلّ وسلم وبارك وعظم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه ذوي الفضل والعرفان، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

وقفت معكم قبل أسبوعين حول قضية الإخوة في الإسلام، وتكلمت عن بعض حقوق الأخوة: القضية الأهم في ملف التربية الإسلامية التي عليها عماد قيام المجتمع المسلم، واليوم أتابع معكم قضية لها صلة بموضوع الحقوق: وهي التناصح في الدين.

وقبل أن أُلج معكم إلى هذه القضية الهامة، أريد أن أحذّر المربين مما يقع فيه بعض المعلمين الحاقدين أو الآباء المريضي النفوس الجاهلين بحقائق الأمور على وجهها الصحيح، فتراه يبعّض إلى الطلبة والمتعلمين علماء الأمة السابقين واللاحقين فهو لا يقدّس إلا مذهبه وفرقته ويتهّم الجميع؟ بالمروق من الدين والخروج عليه وتضليل الأمة، بمعنى أنه يزرع في تلاميذه أنه هو الصح وغيره الخطأ، فإن أمثال هؤلاء يغرسون الحقد الأسود في نفوس أتباعهم ويملؤون قلوبهم بالبغض لعباد الله

والإحتقار للمسلمين وأئمتهم، ويجعل من أتباعه أداة مدمرة في الأمة مضيقاً للدين مفسدة لكل ما بناه علماء الإسلام المخلصون، وقد سمعت لأحدهم محاضرة لعن فيها أتباع الأئمة الأربعة من علماء وغيرهم وادعى أن المذاهب الأربعة هي أديان أربعة، وادعى أن الأئمة أحلّوا ما حرم الله وقال بالنص (هات أي شيء يخطر على بالك من المحرمات وأنا آتيك بفتوى مكتوبة من كتب الفقه!!؟) كبرت كلمة تخرج من أفواه الكذابين.

على المربي أن يبعد الولد أو المتعلم عن الخلافات، أن يكون ناصحاً لهم، أن يبعده عن ازدراء الآخرين والطعن فيهم، أن يعودّه نظافة القلب ونظافة اللسان، ويزجره إن أمكن بطريق التلميح ثم بالتصريح، يعني أن يتبع معه مراتب التناصح:

١. يعرفه أن يحترم الرأي الآخر، فهذا تعريف.
٢. ثم يعظه ولا يحتقر أحداً.
٣. فإن أصرَّ المخطئ فللناصح أن يسبَّ ويعنّف ويغلط القول، كأن يقول له: يا فاسق يا أحمق يا جاهل يا غبي، أو يقول مثلما علمنا القرآن حينما قال سيدنا إبراهيم الخليل لقومه ﴿أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء ٦٧).
- وهذه المرتبة لا يقدم عليها إلا إذا كان المذنب مجاهراً بالمعصية، فإنه يجوز التشهير به في المعصية فقط ولا يزيد.
٤. ولا يقدم على الضرب باليد إلا إذا كان والداً أو ولياً أو حاكماً، أما الولد مع والده، والزوجة مع زوجها فليس لهما إلا رتبة التعريف والوعظ فقط.
- وعلى الولد أن يأمر والده بالمعروف ما لم يغضب، وقد سئل سيدنا الحسن البصري: كيف يفعل ذلك فقال: (يعظ والده ما لم يغضب، فإذا غضب سكت عنه) ومعنى الوعظ النصيح بالتخويف بالله تعالى والترغيب بفضله وكرمه، وليس معناه رفع الصوت والقول الخشن مع والده قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾.

وهذا كله إذا غلب على ظنه أن نصيحته ستؤثر في المنصوح، وأن نصحه لا يؤدي إلى فتن أو ضرر أكبر. هذا أول شرط، يعني للتناصح شروط وأركان وآداب ليس كل إنسان يستطيع أن ينصح، مثلاً يجب أن يكون الناصح مكلفاً فإن غير المكلف لا يجب عليه أمر ولا نهى، فالناس لا يقبلون النصيحة من الصغير و الجاهل والمعتوه.

كما يشترط أن يكون مؤمناً، لأن التناصح نصرة للدين ولا تكون النصرة إلا من المؤمنين، وغير المؤمن لا سلطان له على المؤمن. والنصح لا يكون إلا من القادر عليه لأن العاجز ليس عليه القيام بالأمر والنهي لكن عليه أن ينكر بقلبه، أما النصيحة باللسان وتغيير المنكر باليد فهذه وظيفة الحاكم والقاضي والزوج والعالم.

إخوتي في الله: وأركان النصيحة: العلم والحلم والأناة، وآفاتهما: الجهل والطيش والعجلة، على الناصح أن يكون رحيماً رقيقاً، والحكمة: هي فعل ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي.

على الناصح أن يبتن للمخطئ الحكم الشرعي فيما أخطأ فيه، فإن كثيراً من الناس لا يعلمون الأحكام الشرعية ولو علموها لوقفوا عندها، المطلوب في التناصح أن نعرف المخطئ بالدين والعطف، ولو أنه علّمه بطريقه تحقره وتزري به لكان هذا إيذاءً محرماً، وكان كالذي يمنع المنكر بمنكر، كالذي يغسل الدم بالبول، ويمنع النظر للمرأة بالأمر بمصافحتها.

وقد قدم مرة أعرابي جلف من أعراب البادية فبال في مسجد النبي ﷺ فقام عليه الصحابة وإذا بالرحمة المهداة يقول: «دعوه دعوه، لا تزيروا عليه بوله»، حتى أتم الرجل فعله، ثم نادى عليه النبي بحلم وأناة ورفق وحنان وقال: «إن المساجد لا تصلح لمثل هذا» ثم أمر النبي وقال: «أهريقوا عليه سجلاً من ماء» وهنا انبرى الأعرابي وقد انفعّل بما فعل الصحابة معه ثم بما فعل معه رسول الله، فقال: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً، فقال له الهادي ﷺ: «لقد حجرت واسعاً».

معشر الإخوة الكرام:

إننا مع الحلقة السادسة والأربعين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم للمربي الأعظم.

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة على موجات سور القرآن الكريم

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ (التوبة).

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران ١١٠).

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران ١٠٤).

إخوة الإيمان: هذه الآية العظيمة تبين وجوب التناصح بين المسلمين بعضهم مع بعض، ولتكن: أمر، وظاهر الأمر الوجوب، وقوله: أمة: تفيد أن التناصح فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين.

وفي هذه الآية التصريح بالفلاح للأمة إن هي قامت بواجب التناصح بينها، ولا بد لسقوط هذا الواجب أن يصل التناصح لجميع أفراد الجماعة. فما هو حكم من لا ينتاهى عن المنكر؟ إن مولانا في القرآن: لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم لأنهم: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾. وهذا في غاية التشديد على من لا ينصح أخاه المسلم، ولذلك اسمعوا ماذا يقول لنا المربي الأعظم يقول (م): «مَا مِنْ قَوْمٍ عَمَلُوا بِالْمَعَاصِي وَفِيهِمْ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَنْكَرَ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَفْعَلْ إِلَّا يُوشِكُ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ».

معشر السادة: ولتوضيح هذه النقطة بالذات اسمحوا لي أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك إلى صاحب الجبين الأنور، والروض الأزهر، إلى سيد العالمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين سيدنا ومولانا محمد، هاهو الصحابي الجليل أبو ثعلبة الخشني (د-ت-ج) يدخل عليه فيسأله عن آية ظاهرها غير حقيقتها، أو أن الناس هم الذين فهموها على غير تفسيرها الصحيح، ما هي هذه الآية؟ هي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرَّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ فماذا قال له رسول الله؟ كيف علمه أن يفهم الآية قال له:

«يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ مَرُّ بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ»، هذا أولاً ثم قال: «فَإِذَا رَأَيْتَ شُحًا مَطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ وَدَعِ عَنْكَ أَمْرَ الْعَوَامِ» (هنا بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هنا لا يضرركم من ضل إذا اهتديتم) «إِنْ مِنْ وَرَائِكُمْ فَتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ، الْمُتَمَسِّكِ فِيهَا بِمِثْلِ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَهُ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ» قيل: بل منهم

يا رسول الله قال: «بَلْ مِنْكُمْ، لِأَنْكُمْ تَجِدُونَ عَلَى الْخَيْرِ أَعْوَانًا وَلَا يَجِدُونَ عَلَيْهِ أَعْوَانًا» فيكون معنى الآية: إن فعلتم ما كلفتم به (من التناصح وغيره) لا يضرركم فعل غيركم المعصية.

ولما قام مرة سيدنا أبو بكر الصديق خطيباً وقال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ وإنكم تضعونها في غير موضعها، وإني سمعت رسول الله يقول: «إِذَا رَأَى النَّاسُ الْمُنْكَرَ وَلَمْ يَغْيِرُوهُ أَوْشَكَ اللَّهُ أَنْ يَعْمَهُمُ بِعِقَابٍ» (ت-سنن).

ولذلك يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقال له: ما منعك إذ رأيت المنكر في الدين أن تنكره فإذا لَقَّن الله العبد حُجَّتَه قال: «يا رب رجوتك وخفت الناس» (جه).

ومن مدرستي الترمذي وابن ماجه يحدثنا سيدنا أبو سعيد الخدري فيقول: قال رسول الله ﷺ: «لا يَمْنَعَنَّ رجلاً هَيْبَةُ الناس أن يقول الحق إذا علمه» وحين كنت أقرر هذه القضية قام أحد الطلاب فقال: فما معنى قوله تعالى: «ولا تَلْقُوا بأيديكم إلى التهلكة» ؟ فقلت له: هلا قرأت صدر الآية، لأنها تفهمنا الجواب، ذلك أن الله تعالى ذكرها في مانع الصدقة فقال: «وأنفقوا في سبيل الله ولا تَلْقُوا بأيديكم إلى التهلكة» إذا منعت زكاة مالك أو الصدقة أو النفقة في سبيل الله فقد أَلْقَيْتَ نفسك بيدك إلى التهلكة، ولذلك قال جدي ابن عباس: (ليس التهلكة ذلك، بل ترك النفقة في طاعة الله هو المهلك).

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها: الدِّين النصيحة. قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إليه، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله

الصلاة والسلام عليك

القضية السابعة والأربعين

التورع في القول

الحمد لله المتوحد بجلال البهاء، المنفرد بدوام البقاء، المتعال عن الزوال والفناء، المقدس عن الآباء والأبناء، المتردي برداء العظمة والكبرياء، العليم بجميع الأشياء. الذي جلَّ عن الابتداء والانتهاه فسبحان من لا تشتبه عليه الأصوات المختلفة بالدعاء.

أحمده سبحانه وتعالى وأشكره في السراء والضراء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، الحليم الذي يسئل على من عصاه جميل الستر والغطاء.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد الرسل والأنبياء، وإمام الأصفياء، وسيد من مشى على الأرض والسماء

هذا النبي محمد خير الورى ونبيهم وبه تشرف آدم

وله البها وله الحياء بوجهه كل السنا من نوره يتقسم

هو في المدينة ثاوياً بضريحه حق ويسمع من عليه يسلم

وإذا توسل مستضام باسمه زال الذي من أجله يتوهم

يا فوز من صلى عليه فإنه في جنة المأوى غداً يتنعم

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

أقف اليوم بينكم في خاتمة الحديث عن حقوق الإخوة الإسلامية، بعد أن استعرضت مع حضراتكم قضايا الحب في الله والبغض في الله، والتناصر بالله، والتناصح في الله.

أقف اليوم بينكم لتعليم الولد أن يحفظ لسانه ويتورع في القول ويحسن الظن بإخوانه ويمكن باختصار أن نقول: إن ذلك من حق اللسان، فقد يتورع المسلم عن أكل اللحم الحلال ولا يتورع عن أكل لحم أخيه في النهار.

على المربي أن يعوّد الولد كتم سر أخيه وستر عيبه، ويقول الكلمة الحلوة له ويباسطه بالكلام ويرد غيبته ويستتر عورته ويغفر زلته، ولا يتكلم بشيء من ذلك أمام صديق أو عدو، ولا يذم أحداً من أقاربه وأهله وأحبابه، ولا يبلغه مقالة سوء

قالها فيه أي إنسان، وإذا أخطأ معه في حقه تجاوز عن ذلك بدون أن يخيفه أو يشق عليه بالعتاب، وليذكر قول الشاعر الحكيم.

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط
وليذكر قول الشاعر الآخر:

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

فعش واحداً أو صل أخاك فإنه مقارف ذنب مرة ومجانبه

إننا - معشر الإخوة - مع الحلقة السابعة والأربعين من القضايا التربوية في جامع الدرويشية ومع بداية الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم.

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات سورة الحجرات.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ، وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا. أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾. (حجرات ١٢).

إخوة الإيمان: لا شك أنكم قد لاحظتم هذه الصورة القرآنية للمغتتاب أو النمام، إنها صورة وحش انقض على أخيه الإنسان بعد موته فأخذ يلتهم جثته وينهش لحمه ويمزق أوصاله، وهو تصوير يكرهه الإنسان وينفر منه، ومع ذلك نرى بعض الناس يقعون فيه وينحرفون إليه، فما كان من المربي الأعظم إلا أن يوجهنا إلى ترك الغيبة والنميمة وآفات اللسان فيقول: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» ووقف مرة فقال لصحابته: أتدرون ما الغيبة؟ قالوا الله ورسوله أعلم. قال: «ذكرك أخاك بما يكره. قيل: أ رأيت إن كان في أخي ما أقول فقال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته» (مسلم).

إن الغيبة والنميمة لعظيمة عند الله تعالى، والدليل على عظمتها في ميزان الكبائر أن نبينا شدد النكير على من فعلها حينما سأل الصحابة سؤالاً. فما هو السؤال وما جوابه؟ للإجابة على هذا السؤال اسمحوا لي - معشر الإخوة - أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك إلى مبعوث العناية الإلهية وشمس الهداية الربانية، إلى سيد الوجود والبركة العامة لكل مخلوق موجود، إلى سيدنا ومولانا محمد ﷺ هاهو يوجه سؤالاً لصحابته فيقول: أتدرون أربى الربا عند الله؟

يعني أنتم تعرفون أن الله حرم الربا وتوعد عليه بالمحاربة، أتدرون ما هو أربى الربا وأعظم وأفحش منه ثم قرأ: «وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا» (أبو يعلى ترغيب وترهيب ٥٠٤/٣٠).

إنّ هذا الحديث يدل على مكانة المؤمن عند الله، إن سيدنا رسول الله وقف مرة أمام الكعبة ليعطي درساً عملياً على حرمة المسلم عند الله، نظر إلى الكعبة وقال: «ما أعظمك وأعظم حرمتك وإنّ المسلم عند الله أعظم من حرمتك».

إخوتي في الله: لقد أصبحت الغيبة اليوم فاكهة المجالس، لا يخلو منها مجلس، والسبب هو ما يحمله العبد في قلبه من الحسد والضغائن على عباد الله، وقد شدد رسول الله في تحريمها حين ارتفعت في عهده ريح منتنة، فتعجب الصحابة منها فقال رسول الله: «أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين» (أحمد).

وحين عُرج به ﷺ مرّ بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقال: **من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم» (د).**

وتزداد الفجيرة والمأساة حينما تطال الغيبة العلماء وأئمة الهدى، أي أن يُتهجم على القمم، يقول ابن عساكر: (اعلم يا أخي وفقني الله وإياك لمرضاته وجعلني وإياك ممن يتقيه حق ثقاته، اعلم بأن لحوم العلماء مسمومة، وأن عادة الله في هتك أسرار منتقصيهم معلومة، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالسب بلاه الله قبل موته بموت القلب).

أيها الأحبة والصحب:

إن ترك الألسنة تلقي التهم جزافاً على أئمة الهدى دون بيّنة أو دليل يترك المجال فسيحاً لأعداء الإسلام أن يقولوا ما شأؤوا في أي وقت شأؤوا، فتصبح الأمة وإذا أعراضها مجرّحة وإذا كل عالم متهم، وهذه حالة تهدم الدّين من أصله، علينا تصحيح الواقع. الصّحوة تحتاج لوقفة، كيف نصحح مسارنا فيما لو وقفنا في موقف غيبة؟، فيما لو قال أحدهم أمامك: إن فلاناً قال فيك كذا، أو فعل في حقك كذا. ما هي القواعد الست الهامة التي يجب تعليمها للولد؟ إنني أنقل لكم خبرة أهل التربية من عمالقة الإسلام في هذه القضية أمثال الإمام الغزالي والإمام النووي وابن حجر العسقلاني، اسمعوا القواعد الأولى التربوية فيمن ينقل لك كلام الغير:

الأول: أن لا تصدقه لأنه نام، والنام فاسق مردود الشهادة بنص القرآن: ﴿هَمَّازٌ مَشَاءٌ بِنَمِيمٍ﴾.

الثاني: أن تنهاه عن ذلك وتنصح له وتقبح فعله.

الثالث: أن تبغضه في الله، فإنه بغيض عند الله، ويجب بغض من يبغضه الله.

الرابع: أن لا تظن بأخيك ظن السوء لقوله تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾.

الخامس: ألا تتجسس على أخيك المسلم للتحقق مما قيل.

السادس: ألا ترضى لنفسك ما نھت عنه النمام، فلا تحكي غيمته فتقول: فلان قد حكي لي كذا وكذا، فتكون به نماماً ومغتتاباً.

وقد روي عن سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئاً. فقال له سيدنا عمر: إن شئت نظرنا في أمرك فإن كنت كذاباً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (الحجرات). وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿هَمَّازٌ مَشَاءٌ بِنَمِيمٍ﴾ وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبداً.

وحكي أن حكيماً من الحكماء زاره بعض إخوانه فأخبره بخبر عن أصدقائه (وكان الخبر سيئاً) فقال له الحكيم: (قد أبطأت في الزيارة، وأتيت بثلاث جنيات، بغضت إلي أخي، وشغلت قلبي الفارغ، واتهمت نفسك الأمانة)، ولذلك قال سيدنا الحسن: (من نَمَّ إليك نَمَّ عليك). وقال سيدنا رسول الله «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ» (ق).

معشر السادة الكرام:

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها ينقله لنا المربي الأعظم سيدنا محمد ﷺ، أخذ بلسانه وقال لسيدنا معاذ بن جبل: كَفَّ عَلَيْكَ هَذَا! قال سيدنا معاذ: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فأجابه: «تَكَلَّمْتُكَ أَثْمُكَ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَانِدُ أَلْسِنَتِهِمْ». هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ، الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى الحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا رسول الله:

الصلاة والسلام عليك

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وما توفيقي واعتمادي وتوكلي واعتصامي إلا بالله .

الحمد لله المستحق لغاية التحميد، المتوحد في كبريائه من غير تكييف ولا تحديد، العلي القوي، الولي الحميد ، الغني المغني المبدئ المعيد، المعطي الذي لا يفنى عطاؤه ولا يبديد، المانع فلا معطي لما منع ولا راد لما يريد، خلق الخلائق وسلّكهم أحسن الطريق إلى الأمر الرشيد، وجعل التقوى لهم أفخر لباس، وصوّرهم بأحسن صور، وبشرهم في الجنة بالنعيم والتخليد، أحمده سبحانه وتعالى وأشكره وأسأله لنا من فضله المزيد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، حكم بالفناء على أهل هذه الدار ، الأحرار منهم والعبيد ، وأذلّ بالموت كلّ جبار عنيد، ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة، إن أخذه أليم شديد﴾.

وأشهد أن سيدنا وحبیبنا وعظیمنا وأمیرنا وقائدنا وقرّة أعیننا سيدنا محمداً ﷺ عبده ورسوله وصفیه وخليله الذي أعطي الشفاعة باليوم الموعود، وتقدّم عليه الوفود يصلون عليه ليشرّبوا من حوضه المورود.

نحن الذين لنا بجاه محمدٍ عند الإله بحمده وبشكره

ندعو ونستسقي الغمام بوجهه فبذاك أخبر عمه في شعره

وقد استجرنا بالنبي محمدٍ وبآله وبصحبه وبسرّه

صلى عليه الله ما سرت الصبا وأنت بطيب ثنائه وبعطره

اللهم صلّ وسلّم وبارك على هذا النبي الكريم، والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمداً، وعلى آله وأصحابه أولي الفضل والتأييد ، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام:

أقام الإسلام قواعد التربية الفاضلة في نفوس أتباعه صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءً، شبيهاً وشباناً، وجعل تكوين الشخصية الإسلامية لا تتم إلا بهذه القواعد الأخلاقية، تناولنا منها حتى اليوم : الأخوة في الله، ونحن اليوم نتناول بمعونة الله خلقاً آخر هو الأهم في تربية الطفل، ألا وهو خلق التقوى، أعني به الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل، التقوى التي لولاها لعمل من شاء ما شاء، التقوى هذا الخلق

الذي يرتبط ارتباطاً كلياً بمقام الإحسان، الركن الثالث من أركان الدين، الذي قال فيه سيدنا رسول الله ﷺ: (ق) «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، فأركان الإحسان المشاهدة والمراقبة، إن مراقبة الله في أعمالنا، والخشية منه، والخوف من غضبه وعقابه، والطمع بعفوه وثوابه هو التقوى، هو ثمرة الإيمان، أن لا يراك حيث نهاك، وأن لا يفقدك حيث أمرك، من هنا كان اهتمام المربين بهذه الفضيلة المستمدة من الآيات القرآنية، بهذه الفضيلة حض القرآن وأمر بها، حتى إنك لا تكاد تمر بصفحة من صفحاته إلا وتجد لفظة التقوى مناسبة في الذكر الحكيم:

ومن أراد أن يرزقه الله العلم النافع فليتق الله، يقول الله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَ اللَّهُ اللَّهُ﴾، ومن أراد أن يفرج الله همّه وغمّه وكربه فليتق الله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ .

ومن أراد أن ييسر الله أمره وينال مبتغاه فليتق الله، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾، ومن أراد أن يكفر الله عنه سيئاته ويرفع له درجاته عنده فليتق الله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً﴾ .

باختصار من أراد الفوز في الدنيا والآخرة فليتق الله، ﴿وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ .

إننا - معشر السادة - مع الحلقة الثامنة والأربعين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم ﷺ.

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

إخوة الإيمان: وردت لفظة التقوى في القرآن الكريم على ثلاثة أشياء:

أولها: بمعنى الخشية والهيبة، كقوله تعالى: ﴿وَأَيُّهَا فَاتَّقُونِ﴾، وقوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ .

والمعنى الثاني: جاء بمعنى الطاعة والعبادة، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾، قال جدي ابن عباس رضي الله عنهما: أي أطيعوا الله حق طاعته، وقال شيخ المفسرين الإمام مجاهد: هو أن يُطاع ولا يعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر .

والمعنى الثالث للتقوى في القرآن: بمعنى تنزيه القلب عن الذنوب، وهذا هو المعنى المراد من التقوى في القرآن بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾، ذكر الطاعة والخشية ثم ذكر التقوى، فدل بذلك على أن حقيقة التقوى غير الطاعة وغير الخشية، فهي تنزيه القلب عن الذنوب، فما هي مراتب التقوى؟ بمعنى آخر عن ماذا نتقي الله تعالى، إنه سؤال هام على المسلم أن يَعْلَمَهُ وَيُعَلِّمَهُ، التقوى بمعنى تنزيه القلب عن الذنوب لها ثلاث مراتب:

أولاً: تقوى عن الشرك: أي أن يلتزم العبد ويبقى في بوتقة التوحيد فلا يشرك بالله شيئاً.

ثانياً: تقوى عن البدعة: أي أن يبقى العبد مع أهل السنة والجماعة لا يزيغ عنها.

ثالثاً: تقوى عن المعاصي: بمعنى أن يستمر على طاعة الله ويستقيم عليها.

والحقيقة تقال لا أدري والله من فقد التقوى ماذا وجد! ولكني أعلم أن من وجد التقوى لم يفقد شيئاً، فهي الخصلة التي تجمع خيري الدنيا والآخرة.

فتعالوا بنا - **معشر السادة** - نتأمل ونتدبر تلك الآيات التي وردت في القرآن الكريم والتي توزع المكافآت التشجيعية على المتقين، كم لهم من ثواب وكيف نالوا السعادة، أصغوا إلي - **إخواني** - يخاطبنا مولانا بكلام ويعدنا بحسن الأجر على طاعته وتقواه فيقول: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.

بل بشر بمحبته للمتقين فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾، ألا تكفي محبة الله وإكرامه وإعزازه للمتقين؟ أوليس هو من قال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

وانظروا معي كيف بشر المتقين عند الموت فقال لهم: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾، إنه في الآخرة من الناجين من العذاب، اسمع إلى مولانا يقول: ﴿ثُمَّ يُنْجِي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، وقال أيضاً: ﴿وَسُيْجَنُهَا الْأُتْقَى﴾، وأما المتقون فهم خالدون في الجنة: ﴿أَعْدَاهَا لِلْمُتَّقِينَ﴾.

فيا أخي المسلم: مهما فعلت في عمرك من عبادات وعشت ما عشت، وحصل لك من عناية الله ما حصل، فلا يكون ذلك إلا لأن الله تقبل عملك: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ

من الْمُتَّقِينَ»، فرجع الأمر كله إلى التقوى، ولذلك لما طلب بعض المريدين مرة من شيخه فقال له: أوصني، فقال له الشيخ المربي: أوصيك بما أوصى الله تعالى الأولين والآخرين، قال عز من قائل: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ .

وصية الله لجميع الأولين والآخرين التقوى، يقول أحد الأولياء الأتقياء العلماء العارفين بالله في هذه الآية: أليس الله سبحانه أعلم بصلاح العبد من كل أحد! لو كانت في العالم خصلة هي أصلح للعبد ، وأجمع للخير ، وأعظم للأجر ، وأجل في العبودية ، وأعظم في القدر ، وأولى في الحال ، وأنجح في المآل من هذه الخصلة التي هي تقوى الله لكان الله سبحانه وتعالى أمر بها عباده .

هكذا قال هذا الولي، فلما أوصى بهذه الخصلة جميع الأولين والآخرين من عباده واقتصر عليها علمنا أن الغاية هي تقوى الله تبارك وتعالى، ولذلك نرى سيدنا محمداً ﷺ يشير إلى صدره الشريف ويقول: «التَّقْوَى هَاهُنَا، التَّقْوَى هَاهُنَا» .

والسؤال الهام الذي يسأل: هل أثرت هذه التوجيهات الإلهية والنبوية في نفوس أفراد الأمة التي اكتحلت بمرأى سيد الوجود والبركة العامة لكل مخلوق موجود ﷺ؟ إنني لن أضرب لكم المثل بأحد عظماء الإسلام الذين نالوا أرفع الأوسمة في تاريخ الإسلام المُشْرِق، لكنني سأنتقل بحضراتكم إلى صحراء الجزيرة العربية لأرى وإياكم فرداً من أفراد الأمة، فرد عادي ولكنه يحب الله ورسوله، موقف عظيم، أبطاله سيدنا عبد الله بن عمر بن الخطاب ومعه أصحابه ، وقفوا ووضعوا سفرة طعام ليأكلوا منها، فمرّ بهم راعي غنم فسلم عليهم، فقال ابن عمر رضي الله عنه:

هَلَمْ يَا رَاعِي فَأَصِْبْ مِنْ هَذِهِ السَّفَرَةِ .

فقال له: - إني صائم.

فقال سيدنا ابن عمر: - أتصوم في مثل هذا اليوم الحار الشديد سمومه وأنت ترعى الغنم.

فأجابه الراعي: - والله إنني أبادل أيامي هذه الخالية الزائلة لأجد ثواب عملي في الدار الآخرة، ولأكون من المؤمنين الذين يفوزون برضوان الله .

وأعجب سيدنا ابن عمر رضي الله عنه بكلام الراعي، وكبر في عينه، فأراد أن يزداد معرفة به، وأن يرى مقدار ورعه وأمانته ، وأن يقف على حقيقة مراقبته لله، هل هو من أولئك المتبجحين الذين يكذبون ويغشّون ويدّعون أنهم يصومون أم لا ؟ أراد سيدنا ابن عمر أن يفحصه فحصاً مستعجلاً فقال له:

- هل لك أن تبيعنا شاة من غنمك هذه فنعطيك ثمنها ونعطيك من لحمها ما تفطر عليها؟

فقال له: إنها ليست بغنمي، إنها غنم سيدي فلان في مكة، وإنني مؤتمن عليها.
فقال ابن عمر: ماذا يفعل سيدك إذا فقدها ، وباستطاعتك أن تقول لسيدك أكلها الذئب، ونحن نشهد معك .

قال لابن عمر: ويحك، إن صدّقني سيدي وشهدت معي فأين الله!! وولّى الراعي وهو يردد: فأين الله! فأين الله!.

لقد نجح الراعي بالامتحان، وذُهل ابن عمر لما سمع من كلام الراعي وراحت دموعه تسيل على خديه، ونظر إلى المدينة وقال: الصلاة والسلام عليك يا رسول الله، يا من رببت راعياً في وسط الصحراء على أن يراقب الله تعالى ويخشاه ويتق وراح يمشي مع أصحابه وهو يردد: فأين الله! .

فأين الله! لقد أعجب ابن سيدنا عمر رضي الله عنه أيما إعجاب بتقوى الراعي، وعاد من فوره إلى المدينة المنورة وبعث إلى سيد الراعي وصاحب الغنم فحضر، فاشترى سيدنا عبد الله ابن سيدنا عمر رضي الله عنهما منه الغنم واشترى منه الراعي وكتب رسالة أرسلها إلى الراعي يقول له فيها:

« لقد اشتريتك من سيدك أنت والغنم ، وأعتقتك لوجه الله تعالى ووهبت لك الغنم.

أيها الراعي الصالح إنك قلت كلمة أمامي أعتقتك من الرق في الدنيا وأرجو أن تعتقك من عذاب الله يوم القيامة» .

كانت هذه - **معشر الإخوة** - إحدى ثمار التقوى، والبقية تأتي، البقية جنة أعدت للمتقين ، فمن أراد أن يدخلها هناك فعليه أن يتق الله هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد، الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى الحبيب الأعظم ، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله

الصلاة والسلام عليك

القضية التاسعة والأربعين

خلق الرحمة

الحمد لله الذي عمّت رحمته كلّ شيء ووسعت، وتمّت نعمته على العباد وعظمت، مليك ذلت لعزّته الرقاب وخضعت، وهابت لسطوته الصعاب وخشعت، وارتاعت من خشيته أرواح الخائفين وجزعت، كريم تعلقت برحمته قلوب الراجين فطمعت، بصير بعباده يعلم ما أكنّت الصدور وأودعت.

نحمده على نعم توالى علينا واتسعت.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تنجي قائلها من النار ﴿يوم تذهل كلّ مرضعة عما أرضعت﴾.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي جاهد في الله حق جهاده حتى علت كلمة التوحيد وارتفعت.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ما ابتهلت الوفود بالمشاعر العظام ودعت، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

ما زلت معكم حول غرس أهم الأخلاق في نفس الولد، لأنها هي الأساس في تعامل الولد مع العالم المحيط به، وبدأت معكم بالأخوة وثّنت بفضيلة التقوى، وأقف اليوم معكم لأحدث عن خلق آخر ينبغي على المربي غرسه في نفس الولد ألا وهو الرحمة بالآخرين.

أعني بها ذلك الشعور المرفف والرقّة في القلب والحساسية المفرطة في الضمير. تستهدف الرأفة بالآخرين والتألم لهم، والعطف عليهم وكفكفة دموع أحزانهم وآلامهم، فالولد لا يرحم فقط إخوته وأباه وأمه، وإنما على المربي أن يغرس في نفسه أن يرحم جميع الناس حوله ضمن الأسس التي وضعها لنا الإسلام حول هذه القضية، فإنه ﷺ قال لأصحابه يوماً (طب): «لَنْ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَرْحَمُوا» قالوا يا رسول الله كلنا رحيم قال: «إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ولكنّها رحمة عامة». ولهذا مدح الله نبيه ومصطفاه فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

إننا معشر الإخوة: مع الحلقة التاسعة والأربعين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تَحِيَّتكم إلى المربي الأعظم:

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

إخوة الإيمان: زرع رسول الله في نفوس أتباعه جميعاً رحمة الناس بعضهم ببعض، وأعلمهم في حديث عظيم الشأن صريح المعنى واضح المبنى فقال: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ الرَّحْمَنُ» (ت-د-أحمد).

وحكم ﷺ على شخص خلا قلبه من الرحمة بأنه شقي، فقال ﷺ: «لَا تُنْزِعِ الرَّحْمَةَ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ». فالمؤمن وحده هو الذي يرحم، لأنه يعلم أنه إن لم يفعل وقع في وعيد عظيم ذكره رسول الله ﷺ فقال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يُحَرِّمُ عَلَى النَّارِ أَوْ بِمَنْ تُحَرِّمُ عَلَيْهِ النَّارُ: تُحَرِّمُ عَلَى كُلِّ هَيْنٍ لَيْنٍ سَهْلٍ».

واسمعوا إلى القاعدة التي وضعها رسول الله في هذه القضية فقال: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ» (ق-ت).

إخوتي في الله: «جعل الله الرحمة مئة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه» (ق).

أتعرفون - أيها الإخوة - إلى متى ادخر الله التسعة والتسعين جزءاً من الرحمة؟ ادخرها ليوم القيامة ليرحم بها عباده.

على المربي أن يزرع في قلب ولده الرفق والرحمة خصوصاً إخوته وأرحامه، وأن يعلمه (أن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله) (ق) وأنه (يعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق، وإذا أحبب الله عبداً أعطاه الرفق) يقول ﷺ: «مَا مِنْ أَهْلٍ بَيْتٍ يُحَرِّمُونَ الرَّفْقَ إِلَّا حُرِّمُوا» (م ٢٥٩٥٢ - د ٤٨٠٩).

معشر السادة: اسمحوا لي لتوضيح هذه القضية أن أنتقل بكم إلى هناك لأشهد وإياكم هذا المشهد، سعى رسول الله ليدعم قضية الرحمة والرفق في نفوس صحابته الكرام، نحن الآن في حضرة صاحب الرسالة العصماء (صلوا عليه).

هاهو شيخ كبير يريد القدوم على سيدنا رسول الله فدخل عليه والمكان مزدحم بالصحابة، والشيخ الكبير يريد أن يكلم النبي فأبطأ القوم عن أن يوسعوا له فقال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوقِّرْ كَبِيرَنَا».

أُرأيتم هذا الدرس العملي الذي أعطاه رسول الله لصحابته، بل إنه قال لمن حوله: «ثَلَاثٌ مِنْ كُنْ فِيهِ نَشَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ: رُفُقٌ بِالضَّعِيفِ وَشَفَقَةٌ عَلَى الْوَالِدَيْنِ، وَإِحْسَانٌ إِلَى الْمَمْلُوكِ».

إنني وأنا أتكلّم عن هذه القضية لأرفع الرأس عالياً بانتسابنا إلى الإسلام دين الرحمة ودين الرفق. إن الإسلام لم يختص بالدعوة إلى الرحمة بالإنسان فقط بل دعا إلى الرفق بالحيوان، هذا ما على المربي أن ينقله إلى الولد ألاّ يكتفي برحمته للإنسان بل يتعدّى ذلك إلى الرفق بالحيوان، وخاصة إذا كان عنده عصفور أو هرة أو دواجن، عليه أن يعلم ولده أن الله سيحاسبه ويسأله إذا قصّر في حق الحيوان أو تسبب في إيذائه، وقد أعلن السيد الأعظم: «أن الجنة فتحت أبوابها لبغي سقت كلباً فغفر الله لها، وأن النار فتحت أبوابها لامرأة حبست هرة حتى ماتت فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض».

أيها الإخوة: ما زلت معكم عند الحبيب الأعظم، هاهو يدلي لنا ببيان هام فاستمعوا وأنصتوا لعلكم ترحمون (ق). يقول لنا: بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي ، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب. فما جزاؤه وبماذا كافأه الله؟

يقول ﷺ: «فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَعَفِرَ لَهُ». فقال الصحابة الكرام: يا رسول الله وإنّ لنا في البهائم أجراً؟ فقال: نَعَمْ فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ».

هذه التعاليم النبوية الشريفة جعلت سيدنا عمر رضي الله عنه يقول لرجل يسحب شاة برجلها ليدبحها: «ويلك قدها إلى الموت قوداً جميلاً». رحمك الله يا عمر، سيدنا عمر الذي كان معروفاً في الجاهلية بالشدّة والقسوة، فلما أسلم فجر الإسلام ينابيع الرحمة في قلبه كان يرى نفسه مسؤولاً أمام الله عن بغلة عثرت بأقصى العراق لأنه لم يعبد لها الطريق.

أُرأيتم كيف حول الإسلام قلب الفاروق، وأذكر أنه خرج مرة مع خادمه زيد بن أسلم إلى جبل في المدينة وقد رأيا ناراً في الليل حتى إذا دنيا من النار سمعا أصوات أولاد يبكون ورأيا قدراً على النار، فسلم الفاروق واستأذن بالاقتراب فرأى امرأة وسألها عن حالها ولماذا يبكي الأولاد؟ فقالت له: الجوع الجوع يا أبا العرب، فقال: وأي شيء في هذا القدر؟ قالت: ماءٌ أسكتهم به حتى يناموا، ثم قالت: والله بيننا وبين عمر يوم القيامة. فقال: أي رُحْمَك وما يدري عمر بكم؟ فقالت: يتولى أمورنا ويغفل عنا. فبكى سيدنا عمر من خشيته من الله، ثم أقبل على خادمه وقال: انطلق بنا.

يقول زيد: فخرجنا نهروا حتى أتينا دار الدقيق فأخرج حملاً من الدقيق وكُبة من شحم وقال: احمله عليّ. فقال زيد: أنا أحمله عنك، فقال: أنت تحمل عني أوزاري يوم القيامة؟!

فانطلق بالحمل وهو يتعثّر به أحياناً حتى أتى المرأة، وجعل يقول لها: ذري علي الدقيق وأنا أحرك، وجعل ينفخ تحت القدر، والدخان يتسرب من لحيته حتى دمعت عيناه، فلم يزل حتى شبعوا ولا عبههم حتى ضحكوا. فكانت المرأة تقول له: جزاك الله خيراً، كنت بهذا الأمر أولى من أمير المؤمنين. فقال لها: ألا تهبينني ظلامتك على أمير المؤمنين؟ فقالت: نعم. وهنا قال لزيد: اكتب بهذا الشأن كتاباً لتوقع عليه بأنها سامحت عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، ثم قال له: إذا أنا مت فضعه معي في القبر ليكون شاهداً لي أمام الملكين.

هذا هو سيدنا عمر كان عملاقاً في الجاهلية عملاقاً في الإسلام، لأنه جمع بين الشدة في الحق وبين الرحمة بالضعيف والأرملة والمسكين، فمن مثلك يا عمر، وهو القائل:

«والله لقد لان قلبي حتى هو ألين من الزبد، ولقد اشتد قلبي حتى هو أشد من الحجر».

إن رحمة الإسلام التي زرعتها في أتباعه جعلته أسطورة، لكنه بحمد الله ليس أسطورة بل هو حقيقة واقعة ملأت الزمان والمكان. احفظوا – أيها الإخوة – القواعد العامة في التربية: «من لا يرحم لا يرحم». هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ، الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى الحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا رسول الله:

الصلاة والسلام عليك

القضية الخمسون

الإيثار والتضحية

الحمد لله الذي زحزح همم الأولياء عن السكون إلى العاجله، وشرح صدور السعداء لإيثار الآجله، المنفرد بالكمال والكبرياء والجلال والبقاء والعزّ الذي لانفاذ له، القلوب تعرفه بصنعتة، والرقاب خاضعة لعزّته، والعقول في تعظيمه حائرة ذاهله.

أحمده سبحانه وتعالى على ما أسبغ علينا من نعمه الكامله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. ضمن الربح لمن عامله، وغفر زلات عبادته عند المساءله، وقربّ أحبابه فعيونهم في خدمته ساهرة ؛ إلهي:

إلهي بك أستجير ومن يجير سواكا فارحم ضعيفاً يحتمي بحماكا

يا ربّ قد أذنبت فاغفر زلّتي أنت المجيب لكلّ من ناداك

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله إلى أمة غافله، ليدمرّ حزب الشيطان بالمناضله، فأوضح كل مشكله، وبَيّن حكم كل نازله، وأضحت شمس الإيمان مشرقه، ونجوم البهتان آفله.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه صلاة دائمة متواصله، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام: هل الإنسان أناني يحب نفسه ويؤثر مصلحته على مصلحة غيره؟، أم هو غيري يؤثر مصلحة الناس على نفسه، ويقدم مصلحتهم على مصلحته وهو ما يسمّى بالإيثار ؟!

هذان سؤالان أسألهما وأستمدّ العون من مولانا عز وجل في الإجابة عنهما.

وقبل أن ألج معكم عتبة الدرس أريد من حضراتكم أن أفرق بين الإيثار الاختياري والاضطراري.

عندما تقف بسيارتك على الإشارة الحمراء لتسمح للمارة بالمرور أو بالسيارات من جهة أخرى من الشارع، هذا دليل إيثار منك لكنه اضطراري، هو من ضروريات المجتمع، فلولا أن تقيد حريتك في نظام السير لما استطعت أن تسير في الطرقات آمناً على نفسك وجسمك.

ولولا أن تمتنع عن التصرفات في المعاملات وأن تكف يدك عن أموال الناس لما استطعت أن تضمن لنفسك الربح، وأن تعيش آمناً على مالك وثروتك.

هذا كله وأمثاله إيثار اضطراري قد لا يثاب عليه في نظر الشريعة، وقد لا تمدح عليه في نظر الأخلاقيين، ولكنه على كل حال ضروري لضمان انتظام الحياة في مجتمع سعيد.

أما الإيثار الذي تمدح عليه من قبل الشريعة وتثني عليه مبادئ الأخلاق فهو الإيثار الاختياري، هو إيثار الحرمان على المتعة، والتعب على الراحة، والجوع على الشبع، والموت على الحياة.

أيها الإخوة: على المربي أن يغرس في نفس الولد حب الإيثار والتضحية، على هذا الجيل أن يعلم بأننا مدينون في كل متعة من متع الحياة المادية أو المعنوية لأولئك الذين اتصفوا بالتضحية والإيثار والفداء، فنحن مدينون في الاستمتاع بنعمة الكهرباء (مثلاً) والطيارة والسيارة، أو بنعمة العلم والمعرفة أو بنعمة الدين أو بنعمة الوطن لأولئك الذين أوصلوها إلينا، لأولئك العلماء العباقرة الذين عكفوا السنين الطوال وآثروا البقاء في مخابرههم ومعاملهم وبين كتبهم، يواصلون جهد الليل بالنهار حتى استطاعوا أن يمنحوا الإنسانية نتاج عنائهم راحة وثقافة وصحة ينعم بها آلاف الملايين من البشر في شرق الدنيا وغربها.

إذا زرنا هذا في نفس الولد فسوف نمحّه دفْعاً إلى الأمام لينشأ على الإيثار وخصوصاً حين يسمع ويرى ماذا فعل أبطال الأمة الخالدون، وقدموا لنا أمثلة على الإيثار الاختياري.

إننا معشر السادة مع الحلقة الخمسين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم للمربي الأعظم:

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

وخير ما نستهل به درسنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ، وَمَنْ يُوقِ شَحْنَفَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (السجدة).

إخوة الإيمان: هكذا مدح الله تعالى أهل الإيمان المتصفين بالإيثار. لما هاجر رسول الله هو وصحابته من مكة إلى المدينة آخى بين المؤمنين من المهاجرين والأنصار، المهاجرون الذين اضطهدوا في دينهم وأضحوا لا يملكون شيئاً من متاع الحياة الدنيا، فكان الأنصاري يأتي بأخيه المهاجر إلى بيته فيقسم كل ما فيه بينه وبين أخيه، يقسم له ماله وثيابه وطعامه ودوابه، حتى ينسى المهاجرون غربة الوطن وفقد الأهل وفوات الثروة، هذا التصرف الكريم رضي عنه رب العزة والجلال، فأرسل مدحاً عطرأً وثناءً علياً للأنصار ملأ الأرض والسماء أبد الدهر ، وبقيت **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ** ﴿الأمّة تتلوه في صلاتها وليلها ونهارها. **﴿خَصَاصَةٌ**

وهذا ليس فقط للأنصار، بل هو مديح لكل من يضحي بنفسه ويؤثر غيره على مصلحته.
إخواني: تعالوا معي لنشهد ماذا سجل التاريخ لهذه الأمّة من أمجاد، على المربي أن يضربها لولده الدرس تلو الدرس حتى تترسخ في شخصيته خليقة الإيثار، ليكون من بعد كما كانت الأمّة من قبل خير أمة أخرجت للناس.

اسمحو لي أن أنتقل بكم إلى خير القرون، إلى قرن الصحابة الأفذاذ حكماء الأمّة. هذا هو عملاق الإسلام سيدنا عمر رضي الله عنه، لما أصاب الناس هول المجاعة والقحط كان لا ينام ولا يجد الراحة حتى هزل جسمه واسمرّ لونه وحتى يقول الناظر إليه! لو استمرت المجاعة شهراً آخر لمات سيدنا عمر من الهم والأسى. وجاءت قافلة من مصر تحمل اللحم والسمن والطعام والكساء فوزعها بنفسه على الناس وأبى أن يأكل منها شيئاً، وقال لرئيس القافلة: ستأكل معي في البيت، وجاء إلى البيت والرجل يحسب أن طعام أمير المؤمنين سيكون خيراً من طعام الناس، فلما حضرت المائدة ذهل الرجل وأدهشه طعام أمير المؤمنين لم يكن لحماً ولا سمناً ولا شواء ولا حلوى، وإنما كسرات من الخبز الأسود اليابس مع صحن من الزيت، وعجب الرجل من صنيع أمير المؤمنين وقال له: لماذا منعتني من أن أكل مع الناس لحماً وسمناً وقدمت لي هذا الطعام الذي لا يساغ؟ قال: ما أطعمك إلا مما أطعم نفسي، قال: وما يمنعك أن تأكل مما يأكل منه الناس؟ وقد وزعت بيديك اللحم والطعام عليهم. فقال فاروق هذه الأمّة: لقد آليت على نفسي أن لا أذوق السمن واللحم حتى يشبع منه المسلمون جميعاً.

هل رأيتم مثل الفاروق عمر مثلاً نزيهاً يضرب في إيثار الحكام .

وأضرب لكم الآن مثلاً لإيثار القرابة قلّ نظيره بين الأقرباء، أنتقل بكم إلى تلميذ آخر من تلاميذ سيدنا محمد ﷺ، لما قرر سيدنا رسول الله الهجرة من بيته الذي أحاط به المشركون ليقتلوه وضع مكانه في فراشه ابن عمّه سيدنا علياً رضي الله

عنه وآثر أن يكون الفداء لرسول الله، وأن يعرض نفسه لسيوف القرشيين الكفار تقطع لحمه وتزهق روحه، وبذلك فدى بنفسه رسول الهداية الأعظم صلوا عليه.

وأنا أريد أن أسأل ممن تعلم الأنصار هذا الإيثار؟ من أي ملك؟ من أي حاكم؟ من أي زعيم؟ أتدرون ممن تعلموه؟ تعلموه من سيدنا محمد ﷺ فما رأت عين أكرم ولا أسخى ولا أجود من سيدنا محمد، وصفه أصحابه فقالوا: «**كان أجود من الريح المرسلة، ما سئل شيئاً قط فقال: لا**» (ق)، هو الذي جاءته امرأة بقماشة نسجت لها لجله خصباً حينما شاهدته يلبس إزاراً بالياً، شاهدته يحتاج لهذه القماشة، فلم يكن عند سيدنا النبي خزانة ملابس ولا درج لألبسته الداخلية. لذلك لبسها مباشرة وجعلها إزاره وخرج بها على الناس، فإذا برجل من الصحابة يقول: ما أحسنها اكسنيها يا رسول الله. فقال: نعم، فدخل رسول الله ثم خرج وقد طواها ثم أرسلها إليه، فقال له القوم: ماذا فعلت؟ إنك لم تحسن ما فعلت تطلب من النبي إزاراً هو محتاج إليه، وأنت تعلم تماماً أن سيدنا النبي لا يرد سائلاً؟ فقال: إني والله ما سألتها لألبسها إنما سألتها لتكون كفني. يقول الراوي يا سادة يا كرام: فكانت كفنه (خ).

معشر الإخوة: سرت هذه الروح الشفافة والشعور بالآخرين وإيثارهم إلى جميع الصحابة الكرام، وخاصة حين مدح الله الأنصار بهذا المديح العظيم، فكانت قبيلة بأكملها هي قبيلة الأشاعرة عندما تشح مواردكم ويتفشى الفقر فيهم كانوا يجمعون ما عندهم في ثوب واحد ثم يقتسمونه بينهم بالسوية. أتعرفون بماذا كافأهم رسول الله؟ إن سيدنا رسول الله قلدهم وساماً لم ينله أحد من القبائل قال: «**الأشعريون مني وأنا منهم**» (ق).

لكن عجائب الإيثار تجلت يوم اليرموك. حيث يقول العدوي: انطلقت يوم معركة اليرموك أطلب ابن عم لي ومعني شيء من الماء، فإذا أنا به بين الجرحى فقلت: أسقيك؟ فأشار برأسه: أن نعم، فإذا برجل يقول: آه، فأشار ابن عمي أن أنطلق إليه فإذا هو هشام ابن العاص فقلت: أسقيك؟ فأشار نعم، فسمع آخر يقول: آه، فأشار هشام أن أنطلق إليه فإذا هو قد مات فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات، ولم يشرب أحد من الماء لإيثار كل واحد منهم صاحبه.

أليست هذه التضحية والإيثار مما ترفع الرأس عالياً، هل تشعرون أن في الإسلام أنانية؟ هل تشعرون أن في الإسلام حباً للذات؟ إن الذي لا يشعر بالآخرين إسلامه ناقص، لأنه فاقد الإحساس «**والله لا يؤمن والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**، قالوا: من يا رسول الله خاب وخسر؟ قال: من بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع وهو يعلم».

إن رجلاً جاء إلى رسول الله فقال له: إني مجهود (سيموت من الجوع) فأرسل رسول الله إلى بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك، وأرسل إلى الباقيات وهن يقلن: ما عندنا إلا ماء، فقال النبي الكريم: من يضيف هذا الليلة؟ فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله. فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته: أكرمي ضيف رسول الله. وفي رواية قال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا، إلا قوت صبياني. قال: فعلليهم بشيء، وإذا أرادوا العشاء فنوميهم، وإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج وأريه أنا نأكل، فقعدوا وأكل الضيف وباتا طويين فلما أصبح غدا على النبي فقال: «لقد عجب الله من صنيكما بضيفكما الليلة لقد رضي الله عنكما وباهى بكما الملائكة».

معشر السادة الكرام: كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها.

﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً. إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً﴾.

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ، الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى الحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا رسول الله:

الصلاة والسلام عليك

الحمد لله المنفرد بالقدم والبقاء والعظمة والكبرياء والعزّ الذي لا يرام، الصمد الذي لا يمثله العقل ولا يحده الفكر ولا تدركه الأفهام. القدوس الذي تنتزه عن أوصاف الحدوث فلا يوصف بعوارض الأجسام، وهو غني على الدوام، سبق الزمان فلا يقال متى كان، وخلق المكان فلا يقال أين كان. تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. إله عزّ من اعتزّ به فلا يضام، وذلّ من تكبّر عن أمره ولقي الآثام. وفي القرآن ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ ذلك قول الملك العلّام.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ (المائدة ١٦). فأقام به أركان الإسلام، وأبطل به الأزلام والأصنام.

اللهم صلّ وسلّم وبارك وعظم على سيدنا ومولانا محمّد وعلى آله وأصحابه هداة الأنام، صلاة دائمة باقية على ممر الليالي والأيام، وسلم تسليمًا.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

ما زلت مع حضراتكم أغرس في نفس الولد أصول الأخلاق أي أهمها، ما زلت معكم ننقش على قلبه الغض الطري القيم التي ينبغي أن يتحلّى بها ليعلّو في بيته ومجتمعه.

نحن اليوم مع خلق أوصى الله تعالى به نبيه وحبيبه، وحثّ المؤمنين الصادقين على التمسك به: إنه خلق العفو، خلق المغفرة، خلق الصفح عن المسيء، هذا الشعور النبيل الذي يترتب عليه التسامح والتنازل عن الحق مهما كان المعتدي ظالماً، بشرط أن يكون المعتدي عليه قادراً على الانتقام، وأن لا يكون الاعتداء على كرامة الدّين ومقدسات الإسلام وإلا كان العفو ذلّةً ومهانةً واستسلاماً وخضوعاً لا يرضى الله عز وجل به.

فالعفو بهذا المعنى، وبهذه الشروط شيمة خُلّقية أصيلة تدل على إيمان راسخ وأدب إسلامي رفيع.

إننا - معشر الإخوة - مع الحلقة الواحدة والخمسين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم:

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

وخير ما نستهلّ درسنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عزّ وجل على الموجات العاملة من سور القرآن الكريم:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران ١٥٩).

﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النور ٢).

﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ، وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التغابن ١٥).

إخوة الإيمان: هذا خطاب الله تعالى للأمة المحمدية بجميع طبقاتها، وإعلان أن الخطيئة متأصلة في جنب ابن آدم، ﴿فكل ابن آدم خطاء﴾، وإذا لم يعف ابن آدم فسوف يتفكك المجتمع وتتفكك الأسرة. فاعلم أيها الزوج واعلمي أيها الزوجة! أنكما ستقعان في تناقض في حياتكما، سترون أن إحسانكما إلى الولد أو الزوجة ربما يأتي ردّه بالإساءة، نعم ستكون أنت البادية بالإحسان، وقد تسرف في إحسانك وعطائك، فإذا وجدت منهم إساءة ألمتك جداً، فإياك ألا تغفر، إياك أن يشتد غضبك فيذهب بحلمك، إذا رأيت قابلوا إحسانك بالإساءة ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾. إن الله ينبهك ويقول لك: سوف تجد منهم الجحود ونكران الجميل، وسوف يصعب عليك أن تعفو وتصفح، ألا فلتعلم أنك إذا أردت أن يصفح الله عنك ويغفر لك زلاتك وأخطائك فعليك أن تعفو وتصفح . ﴿وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

هذا موقف تربوي قرآني يدعونا إلى المسامحة والصبر على أحبائنا وأزواجنا وأولادنا، لأن نفسية المؤمن حينما تكون متخلقة بأخلاق الحلم والتسامح فإنه يكون مثلاً يحتذى في الملاطفة وسمو الخلق ولين الجانب وحسن المعشر، إن الذي يعفو ويصفح ويلقى الناس بقلب سليم ملك يمشي على الأرض نبلاً وطهراً وصفاء قلب، بل له مكانة عظيمة عند الله، اسمعوا ماذا يقول لنا المربي الأعظم تجاه هذه القضية: يقول (جه-حسن): «مَا مِنْ جَرَعَةٍ أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ جَرَعَةٍ غَيِظَ كَظْمِهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ».

أتعرفون - أيها السادة - ماذا يفعل الله تعالى بالصابر المتسامح؟ إنه يقربه إليه يوم القيامة ويعرض عليه حوريات الجنة ينتقي منهن من يشاء ففي الحديث (د-ت-حسن): «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ».

إخوتي في الله: إن ربّ العزة والجلال يصرح في القرآن في أكثر من آية عن فضيلة التسامح فيقول: ﴿فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (الحجرات ٨٥). خصوصاً إذا بلغ الغضب من العبد مبلغه وتمكن من القضاء على خصمه فتأتي فضيلة العفو لتكسوه لباس أهل الإيمان ولباس التقوى. اسمعوا هذه القضية تصرّح بها الآيات القرآنية على الموجات العاملة من سورة الشورى ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (شورى ٤٠).

أيها الأحبة والصحب: ولتوضيح هذه القضية أكثر أدعو حضراتكم لننتقل إلى هناك، إلى سيد الوجود والبركة العامة لكل مخلوق موجود، إلى المعلّم الأول والمربي الأعظم سيدنا ومولانا محمد، هاهو يعطينا أهم التوجيهات التربوية حول هذه القضية (طس): ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا: بلى إن شئت يا رسول الله، قال: «إن شراركم الذي ينزل وحده ويجلد عبده ويمنع رفده» (عطاءه) قال: أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا: بلى إن شئت يا رسول الله قال: «من يبغض الناس ويبغضونه» قال: أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا: بلى إن شئت يا رسول الله قال: «الذين لا يقبلون عثرة ولا يقبلون معذرة ولا يغفرون ذنباً».

هل رأيتم مثل هذا الوعيد والتهديد؟

لذلك رأينا السلف الصالح من الصحب الكرام وغيرهم يتسابقون إلى التخلق بهذا الخلق الفاضل معلنين بأنهم تلاميذ لسيدنا محمد ﷺ. يروي لنا سيدنا سعيد بن المسيب (د): أن سيدنا رسول الله كان في مجلس ومعه أصحابه فوقع رجل على سيدنا أبي بكر رضي الله عنه فأذاه، فصمت الصديق وعفا عنه، لكن الرجل استمر في أذى الصديق، والصديق صامت أمام سيدنا محمد ﷺ يعفو ويصفح وهو يتذكر قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (الشورى ٤٣). لكن الرجل تمادى أكثر في أذى الصديق، وهنا قام الصديق لينتصر لنفسه، فإذا برسول الله يقوم من المجلس، فيسكت الصديق ويلحق برسول الله ﷺ وقال: أوجدت علي يا رسول الله؟! فقال المربي الأعظم ومعلم الإنسانية الأكرم لأعز صديق له: «لما آذاك الرجل وسكتت عنه نزل ملك من السماء لينتصر لك ويكذبه بما قال. فلما انتصرت ذهب الملك وقعد الشيطان، فلم أكن لأجلس في مجلس فيه شيطان».

علينا أن نفخر أن الذي ربى الأمة المحمدية هو سيدنا محمد ﷺ، لا تأخذوا التربية من شرق ملحد أو من غرب كافر. خذوها ممن لا ينطق عن الهوى، اجعلوا قدوتكم حبيبنا محمد ﷺ، لقد ضربوه بالحجارة وأدموا قدميه في الطائف وينزل جبريل مع ملك الجبال بسرعة البرق يحملان أمراً من رافع السماء بلا عمد . انزلا إلى حبيبي محمد وائتمرا بأمره، إذا أمركما بسحق أهل الطائف بإطباق الجبلين عليهم فافعلوا، فماذا كان جواب مربى الأمة وكاشف الغمة وعظيم كل أمة لقد قال: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» (ق). «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده» !!!

لقد ضرب لنا رسول الله بنفسه العفو والتسامح، وهو يعطينا الدرس تلو الدرس ليوجه الأنظار كلياً وليدفع أتباعه إلى مرتبة الإحساس بالصبر والمغفرة، على المربي أن يتمثل هذا الشعور النبيل قبل تعليم الولد ليكون قدوة له ، وليكون قدوة عليه أن يعلمه العفو بالتسامح معه.

ألا فليعلم المربون أن رسول الله ما انتقم لنفسه من شيء قط إلا أن تنتهك حرمة الله، وقد حاول مرة أن ينتقم لنفسه، فما الذي حدث؟

أدعوكم إخواني الآن لأشهد معكم هذا الفصل الأخير من هذه القضية، أدعوكم لنأخذ درساً قل نظيره، إلى السنة الثالثة للهجرة حيث حدثت غزوة أحد حيث استشهد أسد الله سيدنا حمزة، وتقدمت هند زوجة أبي سفيان وبعض النسوة يمثلن بالقتلى، فتقوم هند فتبقر بطن سيدنا حمزة وتخرج كبده وتلوكه بفمها وتقوم بجذع أنفه وأذنيه، وتنتهي المعركة ويمر القائد الأعلى للأمة على المجاهدين والشهداء ويرى القتلى وقد مثل بهم ثم يرى منظر عمه.

يقول الراوي يا سادة يا كرام: فلم يُرَ منظرًا قط أوجع لقلبه ولا أوجل، مما دعاه لأن يبكي وتسيل دموع النبوة على سيد الشهداء حتى شهق رسول الله من كثرة البكاء وقال: «لن أصاب بمثلك أبداً ما وقفت موقفاً قط أغيظ إليّ من هذا، رحمة الله عليك، قد كنت وصولاً للرحم، فعولاً للخيرات، ولولا أن تحزن صفية وتكون سنة بعدي لتركته حتى تحشر يوم القيامة من بطون السباع وحواصل الطير»، ونظر المسلمون إلى سيدهم فرأوا حزنه الشديد فقالوا: لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثلن بهم مثله لم يمثلها أحد من العرب.

فماذا كان ردّ ربك على ناشر الهدى وواسع الندى؟ لقد أرسل الأمين جبريل سفير الأنبياء وكبير أمناء وحي السماء أرسله ليقول لنبيه ومصطفاه: إن حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السموات السبع: أسد الله وأسد رسوله، وأرسل له

ببرقية عزاء عطرة، اسمعوا نصها كما جاءت: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا
عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ. وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ
عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ. إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾
(النحل ١٢٦-١٢٧).

ونزلت هذه الآية على قلب سيدنا النبي برداً وسلاماً وقال: بل أَرْضَى وَأَصْبِر يا
رَبِّ، فعفا وسامح وصبر ونهى عن المثلة (د-ح ٢/٣٥٩ / السيرة لابن هاشم ٤٧).

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليك موجزها: «ألا أنبئكم بما يشرف الله به
البنيان ويرفع الدرجات؟» قالوا: نعم يا رسول الله. قال: «تحلم على من جهل
عليك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك» (طب).

فما هي الظواهر السيئة المتفشية بين المراهقين؟ ما هي أضرارها وأخطارها،
كيف يمكن معالجتها؟ أعلق هذه الأسئلة لأجيب في الجمعة القادمة بإذن الله، وأعود
بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ، الجالس فيها
عليه أن يرفع التحية إلى الحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا رسول الله:

الصلاة والسلام عليك

القضية الثانية والخمسين الاهتمام بصحة الطفل

الحمد لله المبدئ المعيد، الغني الحميد، ذي العفو الواسع والعقاب الشديد، من هداه فهو السعيد السديد، ومن أضله فهو الطريد البعيد، ومن أرشده إلى طريق النجاة ووفقه فهو الرشيد كل الرشيد. أحمده سبحانه وتعالى وأشكره على أن قَسَمَ خلقه قسمين، فجعلهم فريقين، فريق في الجنة وفريق في السعير، إِنَّ ربك فعال لما يريد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو العرش المجيد.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أشرف من أظلت السماء وأفلت البيد.

اللهم سلّم وبارك وعظّم على سيدنا ومولانا محمد وعلى أصحابه أولي المعونة والتأييد صلاة دائمة في كل حين تنمو وتزيد. وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

الطفولة كتاب مفتوح يسجل فيه الولد كل ما يرد عليه من حوادث تعرض له، وانطباعات ترتسم في مخيلته وذاكرته.

فالطفولة أرض صالحة للاستنبات، فكل ما يغرس فيها من مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات، وكل ما يبذر فيها من بذور الشر والفساد تؤتي أكلها في مستقبل حياته، وفي هذه المرحلة يكتسب الطفل من بيئته ومجتمعه ومحيطه العادات الضارة والسارة، والأخلاق الكريمة أو الذميمة، والاتجاهات الصحيحة أو الفاسدة، والسبل المستقيمة أو المنحرفة فأبواه يوجهانه إلى الخير أو الشر وإن أهملوا وقصّروا في حقه تهاوناً في تربيته أسلماه إلى الفشل في الحياة، وألقيا به بين أنياب الضياع والحرمان.

ولهذا كانت العرب ترسل أولادها إلى صحراء البادية لينعموا بجو الصحراء الصحي وينشؤوا على قوة الجسم وسلامة البدن.

فيتعلّم الولد في صحراء البادية القواعد الصحيحة للجسم السليم، يتعلّم أنّ الحمية رأس كل دواء، وأن المعدة بيت الداء.

وتأتي توجيهات المربي الأعظم لتتوج هذه القواعد فيقول: «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا بدّ فاعلاً فثلاث لطعامه وثلاث لشربه وثلاث لنفسه» (أحمد-ت).

وعَلَّمَهُمْ أَن يَشْرَبُوا مِثْنَى وَثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَنَهَاهُمْ عَنِ التَّنَفُّسِ فِي الْإِنَاءِ وَعَنِ الشَّرْبِ قَائِماً، وَقَالَ لَهُمْ (ت): «لَا تَشْرَبُوا وَاحِداً كَشَرْبِ الْبَعِيرِ، وَلَكِنْ اشْرَبُوا مِثْنَى وَثَلَاثَ، وَسَمَّوْا إِذَا أَنْتُمْ شَرَبْتُمْ، وَاحْمَدُوا إِذَا أَنْتُمْ رَفَعْتُمْ».

معشر الإخوة الكرام: كانت هذه التوجيهات النبوية بعضاً من اهتمام الإسلام بصحة الولد جسمياً، بل أمر الإسلام بعزل المرضى عن الأحياء وعدم الاختلاط بذوي الأمراض المعدية، ولتوضيح هذه القضية اليوم أستمح حضراتكم أن أنتقل بكم إلى هناك، إلى النعمة العظمى والمِنَّة الجسمي إلى سيدنا ومولانا محمد ﷺ . هاهو رجل مجذوم يقدم على نبينا ﷺ (م-جه) في وفد ثقيف ليبياع رسول الله فقال له مربى الإنسانية الأعظم: (ارجع فقد بايعناك) ثم قال موجهاً نصيحة طبية عظيمة (خ): «فَرَّ مِنَ الْمَجْزُومِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ» وقال (ق): «لَا يوردن ممرض على مُصح».

إخوتي في الله: هذه هي التوجيهات العظيمة الطبية كانت سبباً من أهم الأسباب التي اهتم بها المربون بصحة الولد، إن أهل التربية الإسلامية ليرفعون الرأس عالياً حينما يسمعون أن القائد الأعلى للأمة قد منح وقتاً ثميناً من أوقاته لتوجيه الأطفال نحو الصحة الكاملة، حينما حضّهم على أن يكونوا أقوياء فقال لهم: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ» (م). وقال لهم: «عليكم بالرمي فإنه من خير لهُوكم»، وكان يمرّ على أصحابه وهم يرمون بالسهام فيقول لهم: «ارْمُوا وَأَنَا مَعَكُمْ». وقرأ مرة قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾. فقال: «أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِي، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِي» (م).

إن الإسلام يريد من أتباعه أن يكونوا أقوياء أصحاب، يدفعون عن دينهم وأعراضهم كل عدو وغاصب، يريد من أتباعه أن يحطموا الرقم القياسي في الرجولة والشخصية وقوة البدن، لكن الشبيبة المسلمة تعرّضت لنكسة في أخلاقها، وتعرّضوا لوهن في عقولهم وأجسامهم، فتركوا الأسس والمبادئ الإسلامية واتبعوا الغرب الكافر، فأخذوا منهم الشرور والآثام والأخطار والأضرار، ووقعوا في حبائل الشيطان حين أخذوا من الغرب الكافر: التدخين، والعادة السرية، والمسكرات والمخدرات، والزنى واللواط.

هذه أبشع الظواهر التي وصلتنا عن الغرب الكافر، التي دمّرت روح الإيمان والرجولة وقوة الشخصية عند الشباب والمراهقين. فكيف تمّ ذلك؟

إننا معشر السادة الكرام مع الحلقة الثانية والخمسين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم:

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

إخوة الإيمان: أكثر الظواهر تفشياً بين الأولاد والمراهقين ظاهرة التدخين، تفشت في ربوع المجتمع في كافة الطبقات صغراً وكباراً، ونساءً ورجالاً، وشيئاً وشباباً، لم ينج منها إلا من غلب عليه الإيمان على الهوى، والعقل على العاطفة، والهداية على الضلال، والمصلحة على المفسدة.

رغم أنه قد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك عند أطباء الصحة أن الدخان يورث مرض السل وسرطان الرئة، ويضعف الذاكرة، ويقتل الشهية، ويسبب اصفرار الوجه والأسنان، ويعيق التنفس، ويهيج الأعصاب ويؤثر على جهاز القلب والدوران والجهاز الهضمي، ويعود الكسل والاسترخاء، ويلقى المدخن أخاه برائحة كريهة أشد كراهة من رائحة الثوم والبصل.

إن مرضاً واحداً من هذه الأمراض كفيل للعاقل أن يترك التدخين من أجله، فكيف بهذه الأمراض جميعاً هي التهلكة التي قال الله فيها: ﴿وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾، التهلكة محققة في الدخان، أسألو أطباء القلب الذين يجرون عمليات القلب المفتوح ٩٠% منها للمدخنين. وإليك صورة عن جزء من تقرير أصدرته الجمعية السورية لمكافحة السل تقول فيه: (عندما يدخن شخص ما سيكارة فإنه يتلغ الدخان ويحتفظ الجسم بـ ٨٠ إلى ٩٠% منه، كما يحتفظ ببقايا احتراق التبغ الذي هو القطران الذي يتجمع في الطرق التنفسية، والقطران هو نوع من عدة مركبات يستطيع بعضها إحداث السرطان، وأن التدخين يهيئ لأمراض القلب فالنيكوتين يزيد ضربات القلب ويصيب الأوعية الدموية، فكثير من المدخنين يدفعون الثمن غالباً بتقويض حياتهم، ولهذا كانت نسبة الوفيات بين المدخنين تزيد على ٦٨% منها من بين غير المدخنين، نسبة النيكوتين الموجودة في الدخان المصدّر إلى الشرق الأوسط تزيد على عشرة أضعاف النسبة الموجودة في الدخان الذي يشربه الغرب الكافر. دخان خاص بالشرق الأوسط، وإن عدد المواد التي يصنع منها الدخان تبلغ (٥٩٩) مادة ثلثها مواد سامة) يريدون تحطينا، ألا تفهم أيها المدخن، أنت عندهم لست من بني البشر.

أيها السادة: هذا قول جماهير الأطباء، إن التدخين سمّ بطيء المفعول يؤدي في نهاية المطاف إلى موت المدخن آثماً على ما اقترفت يده، وفيه يقول ﷺ: «مَنْ تَحَسَّى سَمًا فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا». وصدق رسول الله: «من قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة»، التدخين نوع خطير من الخبائث أمرنا الشرع المطهر في غير ما موضع بتركه واجتنابه، وإليكم الدليل بل الأدلة:

يقول عز وجل على الموجات العاملة من سورة النساء (٢): «وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ». «وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا» (٢٩). وعلى موجات سورة الأعراف (١٥٧): «وَيَحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ»، هل الدخان طيب أم خبيث؟! الجواب: خبيث، فاسمع إلى مولانا يقول: «قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَلَا الطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ».

أيها البائعون للدخان: اسمعوا بما يأمركم به مولاكم عز وجل: «وَكُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا»، «كلوا من طيبات ما رزقناكم».

عندما أكلتم من ثمن الدخان الحرام أكلتم خبيثاً، أكلتم أموال الناس بالباطل، لأن الدخان حرام والله تعالى يأمركم «وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ»، والنبي قال لكم (ق): «إِنَّ رَجُلًا يَتَخَوِّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقِّ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

بل أنتم تؤذون المسلمين ببيعكم الدخان لهم والنبي يقول: «مَنْ آذَى مُسْلِمًا فَقَدْ آذَانِي»، فإياكم أيها البائعون «لَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ»، ما تفعلونه أمر مستفحش بين الناس. إن بيع الدخان محرّم لقوله تعالى: «وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ».

إن شراء الدخان حرام لأنه تبذير للأموال، إنفاق للمال في المعاصي والله تعالى يقول: «وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ»، يا ترى كم يبلغ مجموع ما تنفقه على الدخان سنوياً؟ ربما يبلغ مجموعه ما يقدر بنفقة حج وعمره، هذا صرف للحق إلى الباطل، والله هذا من الشيطان، «إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ»، هل تذكر الله وأنت تحشش؟ هل تشرب الدخان وأنت تصلي؟ سيصل بك الأمر حين تدمن على الدخان أن تمتنع عن الصيام، لأن الدخان جرى منك مجرى الدم كالشيطان.

فهل من مدّكر؟، فهل من معتبر؟، فهل من متّعظ؟، حسبي الله ونعم الوكيل.

أما نبينا الأعظم ﷺ «فنهى عن المخدر وكل مسكر ومُفتر» (أحمد-د)، وقدّم لنا قاعدة أصولية فقهية عظيمة نقيس عليها كل ما يضر بالجسم أو يضر بالآخرين فقال: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ» (أحمد-ج). فهذه النصوص تؤكد على حرمة تناول الدخان فإذا ضمّمنا إليه ما سيجر على صاحبه من الاعتیاد على محرمات أخرى أكبر خطراً عليه، محرمات انتشرت بين الطبقة الغنية خاصة في المجتمع ألا وهو المخدرات والأفيون وهذا أشنع فساداً وانحرافاً.

إن لفافة صغيرة استعبدت طائفة من أمتنا وجعلت قوّته وفكره وحياته لا تهدأ حتى يتناول هذه اللفافة، إن المؤمن لا يكون عبداً إلا لله، إن الإسلام يريد من أتباعه أن يكونوا أقوياء في دينهم وشخصيتهم، إذا كان الشخص عبداً للفاقة، ضعيفاً أمام لفاقة، فكيف سيكون قوياً أمام أعداء الإسلام.

وهنا يرد السؤال الأخير ما هو السبيل إلى معالجة هذه الظاهرة عند الأولاد؟

أولاً: علينا أن نزيل مظاهر التدخين أمام الولد كي لا يقع في شرك التدخين.

ومظاهر التدخين ربما يكون سببها البيئة المحيطة به، إن الأب الذي يدخن والأم المدخنة والأخ الأكبر المدخن والعم المدخن وهلمّ جرا هو السبب الرئيسي في تعرّف الطفل على هذه الآفة الكريهة. تراه يدخن أمام أولاده علانية، يرتكب المحرم علانية، كالذي يشرب الخمر علانية فكلها حرام، يفعل ذلك أمام أولاده، أتعرفون ماذا يعني ذلك في علم التربية؟

يعني دعوة غير مباشرة من الوالدين أو الأقرباء إلى التدخين، والأولاد في طبعهم يحبون تقليد الآباء، فالولد سرّ أبيه، وكلّ فتاة بأبيها معجبة.

بل إن بعض الأولاد يعتقد أنه لا يصبح رجلاً إلا إذا أصبح مدخناً، يتباهى أمام رفاقه أنه يدخن، وأنه أصبح يقلّد الرجال، فعلياً أن نغرس في نفس الولد أن هذا حرام، وأنه من الشيطان، وأن الإسلام لا يرضاه.

إن الوالد الذي يرسل ولده لإحضار علبة الدخان هو السبب الرئيسي الذي يدعوه لكي يدخن، على المربي الذي ابتلي بعادة التدخين أن يخفي هذه العادة السيئة المحرّمة أمام أولاده، إنّ الذي يبتلى بمعصية عليه أن يخفيها، يقول ﷺ: «مَنْ ابْتُلِيَ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْقَادُورَاتِ فَلْيَسْتَرِ بِسِتْرِ اللَّهِ». على المربي ألا يترك علبة السم (الدخان) أمام أولاده لئلا تضعف نفوسهم فيسحبوا منها واحدة خلسة، يدخنونها خفية عن أهلهم، يبدوون بما يسمى بالتعرّف على هذه الآفة، ولماذا أبواه يواظبان عليها، ثم تتطور الأمور وتنحدر الفكرة إلى الهاوية.

كما أن مرافقة المدخنين من المراهقين هو سبب من أسباب تعاطي التدخين.

وإن مما يندى له الجبين أن يقوم المفسديون (أي الشاشة المرئية) بعرض دعايات لأنواع الدخان في الفضائيات، وهذا من أشدّ الأسباب تعاطياً لهذا المحرّم، فليتنق الله المسؤولون عن الفضائيات والإعلام.

ثم إن الطبيب المدخّن لمثل سيء للمدخنين. ينهاهم عن التدخين وهو يدخّن، إن الشيخ المدخّن لمثل سيء للمدخنين، يقول لهم التدخين حرام وهو يدخّن، ﴿تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. فليتنق الله امرؤ صان دينه، فليتنق الله امرؤ يخشى على أولاده.

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها. إن الدخان بريد الرذيلة، وهو الطريق إلى الفحشاء والمنكر وإن الله: ﴿يَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

هنا مدرسة سيدنا محمد، الجالس فيها عليه أن يؤدّي التحية إليه، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله

الصلاة والسلام عليك

القضية الثالثة والخمسين

سفينة النجاة

الحمد لله الذي تعزّز بوحدانيته فهو الواحد العزيز، وتفرد في أزيته وأغرق العالم في بحر الحيرة والتعجيز، أتقن خلق الموجودات فليس في إتقان صنعته نقص ولا تعويز، زين شقة جلة السماء بنعوت البهاء وطرزها بالكواكب المشرقة أحسن تطريز، أحمد سبحانه وتعالى وأشكره شكراً يفوق الذهب الإبريز.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له من على عباده بالعقل والتمييز، وخلع على الصالحين منهم خلع التكريم والتعزير.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد البلاد والعباد، من أبرزه على الأنبياء والرسل الكرام أحسن تبريز وعصمه من الصغائر والكبائر وحرسه أتم حرس وأمنع تحجيز وقال فيه: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز﴾.

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه سادات الرجال والأقطاب ومن تابعهم مثل عمر بن عبد العزيز، وسلم تسليمًا.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام: كنت أشاهد أخبار الفضائيات وهي تعرض سلسلة الانتقام الإلهي على دول أوربا وأمريكا والصين، إعلان الحرب الإلهية على مساحات واسعة من الغرب إلى الشرق تكتسح بلاد الكفر، وكان المعلق الإخباري يقول: إنه انتقام الطبيعة، ونسي أو تناسى أنه انتقام الجبار العزيز، مئات القتلى وآلاف الجرحى ومليارات الدولارات ذهب في لحظة هباء منثورا وكان ربك قديرا.

طوفان أغرق دول أوربا الكافرة من جراء طوفان المادية الغربية العاصية بشهواتها الجامحة وفتنها الصارخة، وتيارها الجارف والتكبر على العالمين الغربي والإسلامي. وراح الغرب الكافر يتحصن بالتحصينات ويعتصم بأعالي الجبال والقرى. كما فعل ابن سيدنا نوح حين قال: ﴿سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾، على العالم الغربي أن يعرف: ﴿أَنَّهُ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ وسيغرقون كما غرق من قبل عمهم فابتلعه الماء: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمُ الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾. لقد غرق الشباب الغربي في شهواتهم وانحرافاتهم، وتحطمت أرواح الشباب وصحتهم وسلوكهم فتكت بهم أمواج متلاطمة من الانحرافات والعادات الضارة.

فما هي سفينة النجاة التي يَعْصِمُ بها من أطاحت به أمواج الشهوات والنزوات؟

إننا معشر السادة مع الحلقة الثالثة والخمسين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم:

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

إخوة الإيمان: تحتل مشاكل المراهقة والشباب حيزاً كبيراً من اهتمام المجتمعات المادية الحديثة، وقام حفنة من عبيد الفكر الغربي ينفثون سمومهم ويهمسون في آذانهم الهمسة تلو الهمسة حتى تحول همسهم إلى دوي له أثره وصداه، يدعون قائلين: دعوا الشباب والمراهقين يحيون حياتهم. إن حياة الشباب هُوَ وجنون ولعب وتسلية، وما أن يرتكب الشاب فاحشة حتى يصفقوا له ويقولون: دعوه فإنه مراهق (صبي لم يحتلم بعد) والفحش من خلق المراهقة فلا بد منه. وتراهم يتعجبون من الطهر والعفاف والصيانة فيقولون مستغربين: وهل من الشباب من لا يقترف؟ الفحش أمر طبيعي عندهم، أما الطهارة عندهم فهي عقد نفسية وتعصّب مقيت ومخالفة لروح العصر.

إن أولئك القوم يثبتون بدعواهم تلك انتسابهم إلى قوم لوط الذين قالوا في القرون الخالية: ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ (الأعراف ٨٢)، ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ (النمل ٥٦).

لقد حاول الغرب وما زال، أن يستعمل طرقاً كثيرة للهدم والإفساد: استعمار عسكري، استعمار اقتصادي، وأخيراً الاستعمار الجنسي، فكان هذا الأسلوب من أجدى ما استعملوه ضد الشباب. ذلك أن مرحلة الشباب يعلو فيها نداء الغريزة الجنسية، وتتهيج فيها المشاعر والأحاسيس والأعصاب، وليس ذلك مرضاً من حيث هو، بل هي فطرة فطر الله الناس عليها، إنما المرض أن يؤجج ذلك السّعار، فتغلي الدماء في العروق، فلا يجد الشاب له منفذاً إلا أن يفتح له باباً من هوّة الحرام. وخاصة أن كل ما حولنا يدعوه إلى الزنا، اختلاط النساء بالرجال، وتكشّف النساء الكافرات، والنظر إلى العورات، ومعاشرة أهل السوء والرذيلة، ومشاهدة الأجهزة المسموعة والمقروءة والمرئية الفاسدة. والمراهق . أيها الإخوة . إذا لم يكن عنده من مراقبة الله ما يردعه، ومن خشية الله ما يعصمه،

ومن حسابان للعواقب ما يزرجه فإنه سيقع بين أمرين لا ثالث لهما:

١- إما أن يشبع غريزته الجنسية في الحرام.

٢- وإما أن يخفف حدّها بالاستئناء، أو ما يسمى بنكاح اليد أو جلد عميرة، أو بالصّلح، لكن الغرب لما اعتاد هذا الفجور والتهتك الجنسي سمّاها العادة السرية.

أُتَعَرَفُونَ-أَيُّهَا السَّادَةُ- يَا شَبَابَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَالْخَطَابَ لَكُمْ. أَتَعَرَفُونَ كَمْ مَصِيبَةٍ أَوْ بَلَاءٍ يَجْرُ عَلَى صَاحِبِهَا، قَدْ ثَبِتَ طَبِياً وَمَا لَا يَدْعُ مَجَالاً لِلشَّكِّ أَنَّ الاسْتِمْنَاءَ يُوَقِّعُ فِي: إِنْهَاكَ الْقُوَى، وَنَحْوِلَ الْجِسْمَ، وَارْتِعَاشَ الْأَطْرَافِ، وَخَفَقَانَ الْقَلْبِ، ضَعْفَ الْبَصَرِ وَالذَّاكِرَةِ، إِخْلَالَ بِالْجِهَازِ الْهَضْمِيِّ، إِصَابَةَ الرِّئَتَيْنِ بِالْإِلْتِهَابَاتِ الَّتِي تُوْدِي إِلَى السَّلِّ فِي أَغْلَبِ الْأَحْيَانِ، وَأَخِيرًا يَسْبَبُ فَقْرَ الدَّمِ.

أَمَّا الْأَهَمُّ مِنْ هَذِهِ الْأَمْرَاضِ فَهُوَ مَرَضُ الْعَنَةِ وَمَعْنَاهَا عَدَمُ قُدْرَةِ الشَّابِّ عَلَى الزَّوْجِ وَالْوَطْءِ. بَلْ عَلَى الْمَرَاهِقِ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ هَذَا الشَّدُوذَ الْجَنَسِيَّ يَسْبَبُ لَهُ بَعْدَ الزَّوْجِ نَفُورَ زَوْجَتِهِ مِنْهُ، وَبِالتَّالِي لَنْ تَدُومَ هَذِهِ الرَّابِطَةُ الزَّوْجِيَّةُ لَتَعْدَّرَ الْإِتِّصَالُ الْجَنَسِيَّ، وَبِالتَّالِي اسْتِمْنَازُ الزَّوْجَةِ مِنْ زَوْجِهَا لِاعْتِيَادِ الرَّجُلِ فِي إِشْبَاعِ الشَّهْوَةِ عَنْ طَرِيقِ هَذِهِ الْعَادَةِ الْإِثْمِيَّةِ، وَسَيُؤْدِي الْأَمْرُ بَيْنَهُمَا إِلَى أَحَدِ شَيْئَيْنِ:

١-إِمَّا إِلَى فِرَاقٍ لَا لِقَاءَ بَعْدَهُ.

٢-وإِمَّا إِلَى اتِّخَاذِ الْمَرْأَةِ الْخِلَآنِ وَالْعِشَاقِ سِرًّا لِإِشْبَاعِ غَرِيزَتِهَا.

فَهَذَانِ ضَرَرَانِ جَسْمِيَّ وَجَنَسِيَّ سَيَتَرْتَبُ عَلَيْهِمَا عِنْدَ الْمَصَابِ بِهَذَا الشَّدُوذِ. بَلْ أَكْثَرَ اسْمَعُوا تَصْرِيحَ عُلَمَاءِ النَّفْسِ يَعْدِدُونَ الْأَمْرَاضَ الْفَتَاكَةَ فِي هَبُوطِ شَخْصِيَّةِ الْإِنْسَانِ لِقَاءَ هَذَا الْجِلْدِ: ذَهُولٌ وَنَسْيَانٌ، ضَعْفُ الْإِرَادَةِ، ضَعْفُ الذَّاكِرَةِ، وَالْمِيلُ إِلَى الْعِزْلَةِ وَالْإِنْكَمَاشِ، وَسَيَصَابُ بِالْكَآبَةِ وَالْحُزْنِ وَالتَّفَكُّيرِ بَارْتِكَابِ الْجَرَائِمِ وَالْإِنْتِحَارِ، إِنَّهُ بِإِخْتِصَارٍ تَحْطُمُ شَخْصِيَّةُ صَاحِبِهَا، فَيَكُونُ قَدْ أَلْقَى صَاحِبُ هَذَا الشَّدُوذِ الْجَنَسِيِّ بِنَفْسِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ، وَأَيُّ تَهْلُكَةٍ؟ وَاللَّهُ تَعَالَى نَحَانَا فَقَالَ: ﴿وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾. فَكَيْفَ يَكُونُ مَعَالَجَةُ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ الْبَشْعَةِ؟ هُنَا دَوْرُ الْمَرْبِيِّ تَوْجِيهِي بِحَتِّ.

أَوَّلًا: دَعَوْنِي أَنْقِلَ لَكُمْ هَذَا الْمَشْهَدَ الَّذِي بَطَّلَهُ جَدِّي ابْنُ عَبَّاسٍ، فَقَدْ أَتَاهُ غُلَامٌ فَجَلَسَ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ الْقَوْمَ يَقُومُونَ وَالْغُلَامُ جَالِسٌ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ: قُمْ يَا غُلَامُ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: دَعُوهُ، شَيْءٌ مَا أَجْلَسَهُ، فَلَمَّا خَلَا، قَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ إِنِّي غُلَامٌ شَابٌّ أَجِدُ غَلْمَةً شَدِيدَةً (شَبَقٌ) فَأَدْلِكَ ذَكَرِي حَتَّى أَنْزِلَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَفْ خَيْرٌ مِنَ الزَّانِ وَنِكَاحِ الْأُمَةِ خَيْرٌ مِنْهُ. يَقُولُ حُجَّةُ الْإِسْلَامِ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ: فَهَذَا بَيْنَ عَلَى أَنَّ الْعَزَبَ الْمَغْتَلَمَ (الَّذِي هَاجَتْ شَهْوَتُهُ) مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ ثَلَاثَةِ شُرُورٍ: أَدْنَاهَا نِكَاحُ الْأُمَةِ وَفِيهِ إِرْقَاقُ الْوَلَدِ، وَأَشَدُّ مِنْهُ الْاسْتِمْنَاءُ بِالْيَدِ، وَأَفْعَشُهُ الزَّانُ.

مَاذَا يَعْنِي هَذَا الْكَلَامُ؟ وَكَيْفَ عَالَجَ جَدِّي ابْنَ عَبَّاسٍ هَذَا الْمَوْقِفَ؟

أَوَّلًا: عَلَى الْوَلَدِ الْمَرَاهِقِ أَوْ الشَّابِّ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ الْاسْتِمْنَاءَ حَرَامٌ، حَرَمَةً أَقْلَ مِنْ حَرَمَةِ الزَّانِ لِأَنَّ مَوْلَانَا بَيَّنَّ ذَلِكَ بِصَرَاحَةٍ وَوُضُوحٍ حِينَ حَدَّدَ أَنَّ الْحَلَالَ أَحَدُ أَمْرَيْنِ اثْنَيْنِ: اسْمَعُوا النَّصَّ الْقُرْآنِيَّ كَامِلًا عَلَى الْمَوْجِاتِ الْعَامِلَةِ مِنْ سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾.

فالقاعدة القرآنية هذه تقول: كل تفرغ للشهوة عن غير طريق الزواج وملك اليمين كالزنى واللواط والاستمناء باليد حرام، سَمِيَ صاحبه مولانا معتدياً (عادون = معتدون).

ثانياً: أهم علاج قبل الإصابة بهذه الآفة ، وهذا مطلوب من المربي شخصياً أن يفعله مع الولد ألا وهو الزواج المبكر، أيها الغني إذا أردت أن يعلي الله مقامك وتحفظ أولادك فزوجهم قبل أن تحرفهم الشهوة العارمة. اسمعوا ماذا يقول عملاق الإسلام سيدنا عمر (مسند الفاروق لابن كثير ١/١٨٩): (زوجوا أولادكم إذا بلغوا لا تحملوا آثامهم).

إن كماً عظيماً من الصحابة تزوجوا مبكرين منهم السيدة عائشة تزوجت وهي في التاسعة، وهذا سيدنا عبد الله بن عبد المطلب والد رسول الله كان في الثامنة عشرة من عمره حينما توفي بالمدينة راجعاً من تجارته في الشام وكان رسول الله حملاً في بطن السيدة آمنة.

أما اليوم فيكاد الولد ينفجر يريد الزواج وأهله على يسار، فيقف الوالد حجر عشرة وقد نسي ما جرى له في بدء حياته فيقول لولده: حتى تتم دراستك، فلا هو تحصّن ولا هو أتمّ دراسته، وما يجري للفتاة أقبح، واسأل الفاشلين.

فإذا لم يكن هذا العلاج مقدوراً عليه، وهذا هو الأغلب اليوم فعليه بالصوم، صوم النفل يصبح الدواء الشافي لأمثاله، وفي هذه القضية يقول المربي الأعظم (خ ٥٠٦٦): «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصَرِ وَأَخْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ».

والعلاج الثالث: أن يتعد الشباب عن المثيرات الجنسية التي تعج بالاجتماع، لأن الشاب الذي يجري وراءها سيتيه في حمأة الرذيلة والفاحشة، فهنا يقوم المربي بدور التوجيه، ويبين له الآيات القرآنية على حرمة النظر إلى النساء الكاسيات العاريات المتبرجات.

يا شباب! انصحبوا رفاقكم لبيتعدوا عن الأغاني الخليعة الماجنة، لبيتعدوا عن كل ما يحدّر الغيرة، ويلوّث الشرف، ويميّع الخلق، ويفقد الشخصية الإسلامية.

علموهم أن يملؤوا الفراغ بما ينفع، أن يشغلوا أنفسهم إما بريضة جسمية أو بنزهة بريئة أو مباراة ثقافية أو درس توجيهي.

يا شباب انتقوا الصحبة الصالحة، ولا تصحب إلا من ينهضك حاله ويدلك على الله مقاله، فالمرء على دين خليله (ت)، والطيور على أشكالها تقع.

إنني أنصح الشباب أن يكثرُوا من الحمامات الباردة في الصيف، وصب الماء البارد على الأعضاء التناسلية، وتجنب الأطعمة المهيجة والمثيرة للشهوة، والإقلال من المنبهات العصبية كالقهوة والشاي، وعدم الإكثار من اللحوم الحمراء والبيض، وعدم النوم على الظهر والبطن. هذه نصائح المربين.

كانت هذه الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها: ﴿وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ والاستغفار ترك المنهي عنه.

هنا مدرسة سيدنا مُحَمَّد، الجالس فيها عليه أن يؤدِّي التحية، وتختنا إليك يا سيدي يا رسول الله:

الصلاة والسلام عليك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي احتجب بقدرته عن خلقه فلا تراه العيون، العزيز الذي انفرد بالعز والكبرياء وتحير في وصف حقيقته الواصفون الكريم الذي لا يتوكل على عفوه ورحمته إلا الراجون المخلصون، ولا يخشى سوء غضبه وسطوته إلا الخائفون العالمون وعرفهم أنه لا يخفى عليه شيء فيما يسرون أو يعلنون، وحذرهم في أن يعصوه ويخالفوا أمره فيأخذهم بغتة وهم لا يشعرون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له استدرج عباده من حيث لا يعلمون وسلط عليهم الشهوات وأمرهم بترك ما يشتهون وابتلاهم بالمكاره والملاذات لينظر كيف يعملون.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي بشر برسالته النبيون والمرسلون وأنزل عليه كتاباً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلف ولا يمسه إلا المطهرون **الهم صلّ وسلّم وبارك وعظم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ما اهتدى بشريعته المهتدون وسلّم تسليماً كثيراً.**

أما بعد: فيا معشر الأخوة الكرام: وقفت منذ جمعيتين اثنتين أتحدث عن ظاهرتين خطيرتين يلحمهما أهل التربية بين الصغار والكبار والمراهقين والكبار وبينت أخطار هاتين الظاهرتين، وأستعرض مع حضراتكم اليوم أخطر الظواهر عند المراهقين والشباب أعني بها الزنا واللواط. فكم سمعنا عن أطفال لم يبلغوا الحلم بعد، سلكوا طريق الفاحشة والفساد بغفلة عن مراقبة أبائهم وذويعهم حتى هوروا في مزالق الشذوذ والانحدار الخلقي، فهلكوا وأهلكوا أهليهم بالعار والدمار.

يحق لنا أن نسأل : ما قيمة مجتمع اندثرت أخلاقه وضاع حياؤه وتهدم كيانه واعتباره، ما قيمة مجتمع تشرد أطفاله وتهتكت نساؤه وفجرت شبابه، ما قيمة مجتمع استعبد شهواته واستحوذت عليه غرائزه، فلا يعرف همّاً سوى الجنس واللذة المحرمة، ولا غاية سوى الغريزة والشهوة الهابطة؟! لا شك أن مجتمعاً فيه هذا الانحلال وتلك الفاحشة مهدد بالزوال والدمار، سنة الله التي خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً، اسمعوا إلى القاعدة الأصلية في محكم التنزيل على الموجات العاملة من سورة الإسراء (١٦) : ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتَفِيئَهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾. ويقول الصادق المصدوق: «مَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرَّبَا فِي قَرْيَةٍ إِلَّا أَحْلَوْا بَأْنَفُسِهِمْ عَذَابَ اللَّهِ».

إننا يا معشر الأخوة مع الحلقة الرابعة والخمسين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تيتكم إلى المربي الأعظم.

أخوتي في الله: هل هناك فاجعة أشد من فاجعة من آباء يرون أولادهم قد انتكست فطرتهم وانحطت أخلاقهم وانغمسوا في حماة الرذيلة والشذوذ؟ هل تنفع الآهات أو تجدي الحسرات بعد أن رأوا أفلاد أكبادهم وثمرات قلوبهم وهم يتخبطون في أحوال الخبائث ويتعثرون في مستنقعات الفساد. سيقولون يا ليت وليت، وهل تنفع ليت؟

سيقولون لو أنهم ربّوهم على الأخلاق الفاضلة وترقبوا تحركاتهم مراقبة تامة وعرفوا من يصاحبون ومن يخالطون لما وصلت حالة آبائهم إلى هذه النهاية المفجعة وإلى هذه النتيجة المخزية. ومن هو المسؤول اليوم عن الشذوذ الخلقي الذي يحدث بين أبناء الأمة، من الذي يراقب أعمالهم ويطلع على تصرفاتهم غير الآباء والمربين، من الذي يوجههم إلى مبادئ الفضيلة والأخلاق ويقبّح لهم الفحشاء والمنكر غير الآباء والأولياء، إن أهل التربية يكادون يجزمون أن ما من رذيلة يشهدها المجتمع المسلم اليوم إلا سببها الأبوان، على المربين أن يوجهوا المراهقين إلى طهارة المجتمع المسلم من ظاهرتي الزنا واللواط وإلا حلّ بهم ما حلّ بقوم لوط، اسمعوا البيان القرآني يحدثنا كيف فعل الله بهم: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ (أي قرى قوم لوط) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (من آجر) مَنْضُودٍ (يتلو بعضهم بعضاً) مُسَوِّمَةً (معلمة بعلامة تعرف بها أنها ليست من حجارة أهل الدنيا) عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿(هود: ٨٢ - ٨٣). عذاب قوم لوط ما هو ببعيد من ظالمي هذه الأمة إذا فعلوا فعلهم أن يحل بهم ما حلّ بأولئك من العذاب، وهذا ما حلّ اليوم بالأمة عذاب حار فيه أطباء الصحة والأبدان كان آخر مرض أصاب الزناة واللواطين مرض نقص المناعة (الأيدز) أرسله مولانا على الذين تعنّوا ورفضوا أن يتركوا الحرام وتحذّوا قدرة الله في بلاده فأرسل إليهم فيروس الأيدز ليموتوا وهم أحياء، مرض معدي فتاك أصبح عدو المصابين به في العالم خمسين مليوناً، مرض ينقص العمر الزمني لحياة الإنسان إلى ثلاثين سنة، موت بطئ يموت فيه كل يوم عشرون ألفاً أبوا أن يصونوا أعراضهم عن الحرام فأبى الله إلا أن يجعلهم عبرة لمن يعتبر. هذه الخطوة كان تبعها إنذارات عدّة، لعلهم يرتدعون لعلهم يرجعون عن شهوة الحرام، بعث لهم رسولاً من نفوسهم بدأها بمرض السيلان وما أدراك ما مرض السيلان؟ مرض يحدث ألماً وحرقة شديدة عند التبول ويفرز سائل قيحي في مجرى البول عند الرجال وفي عنق الرحم ومجرى البول عند النساء ويؤدي إلى حدوث الالتهاب في الخصيتين والمثانة وضيق مجرى البول، وهذا المرض قد يؤدي إلى العقم لدى الرجل والمرأة، وإصابة القناة البولية

بقروح تؤدي في الغالب إلى انحباس البول الذي قد يؤدي إلى الوفاة في بعض الأحيان، حرب جسدية، فهل اتعظ الزناة والزواني وأهل اللواط؟ لم يتعظوا، فأرسل الله عليهم مرض الزهري، وما أدراك ما مرض الزهري؟ قرحة وتورم على أعضاء التناسل أو الشفة أو اللسان وظهور بقع في أنحاء الجسم ويسبب هذا المرض الخطير الشلل والعمى وتصلب الشرايين والذبحة الصدرية والتشوهات الجسمية وسرطان اللسان والسل في بعض الأحيان، وقد يتعدى هذا المرض إلى الزوجة والأولاد عن طريق اللمس وغيره، هذه إحدى آلات الحرب التي أشهرها الله في وجوه الذي يزنون، لكنهم لم يتعظوا، فأرسل الله عليهم سلاحاً لم تعرف البشرية له مثيلاً من قبل، سلاح قال الله فيه: سوف أسحب منكم أيها الزناة أسلحتكم الدفاعية الجسمية، سأجعلكم تشاهدون بأعينكم كيف تموتون لحظة بلحظة، ولا يستطيع أحد أن ينقذكم مما استعنتم، فأرسل عليهم طير الأيذز ترميهم بحجارة تقتل فيهم الكريات البيضاء المسؤولة عن خط الدفاع الأول عن الأمراض في الجسم فجعلهم كعصف مأكول، تذكروا وما هي من الظالمين ببعيد، الظالمين الذين يقفون بالطرقات يدعون إلى الزنا واللواط في الفنادق وبيوت الزنا، هكذا جهراً (بدك ولد) هكذا بكل تحدٍ لقدرة الله، لكن الله لا يحارب، من يحارب الله يغلبه، ومن تحدى الله قهره، ما هذه الأمراض إلا ردّ على التحدي مع ما أعدّ الله بصاحبه من العذاب في الآخرة والطرده من رحمة الله وهنا أريد أن أرفع باسمكم التحية، تحية حب وولاء وعزّ ووفاء لسيد الرسل والأنبياء سيدنا محمد عندما خاطب المهاجرين يحذرهم (جه - هب - بز) فقد كشف الله الغطاء عن عيني نبينا الأعظم ليحدثنا عن حالتنا التي نحن فيها تماماً، قال لأصحابه: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ: خَمْسُ خَصَلٍ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُذَرَّكُمْ مِنْهَا: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطٍ يَعْمَلُ بِهَا عَلَانِيَةً إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي أَسْلَافِهِمْ» حيّوا رسول الله صلّوا على الصادق المصدوق.

إذا لم يكن في اللواط أن رسول الله لعن صاحبه لكفى (أحمد) بل إنه قال لنا: «مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولُ بِهِ» (أحمد - أصحاب السنن)

ليس للواطي والزاني إلا الرجم والقتل لأنهما سبب لغضب الله، يقول جدي ابن عباس: ينظر أعلى بناء في القرية فيلقى منه ثم يتبع بالحجارة كما فعل بقوم لوط.

إخوة الإيمان: علينا أن نرجع إلى ديننا، فوالله لا يصلح لهذه الأمة إلا ما صلح لها أولها، جنبوا أولادكم رفاق السوء، شددوا عليهم المراقبة في هذه القضية، قووا فيهم عزيمة الشرف والنخوة والحفاظ على العرض، رسخوا الإيمان في قلوب الشبان، عظّموا فيهم الخشية من الله، الإيمان ومراقبة الله سرٌّ من أسرار الفقه والطهارة

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لمن لم يحي ديننا

ومن رضي الحياة بغير دين فقد جعل الفناء له قربنا
كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل، وإليكم موجزٌ على لسان عملاق الإسلام سيدنا عمر بن الخطاب:

(نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة بغير ما أعزنا الله به أدلنا الله) (حا).

هنا مدرسة أهل الشرف والنخوة والعفة والطهارة، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إليه، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله الصلاة والسلام عليك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المبدئ المعيد، الفعّال لما يريد، ذي العرش المجيد والبطش الشديد، الهادي صفوة العبيد إلى المنهج الرشيد، السالك بهم إلى اتباع رسولهم المصطفى واقتداء آثار صحبه الأكرمين المكرّمين بالتأييد والتسديد. أحمده سبحانه وتعالى وأشكره وأثني على ذاته وأفعاله بمحاسن أوصافه التي لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو شهيد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فردّ لا مثل له، صمد لا ضدّ له منفرد لا ندّ له، واحد قديم لا أول له، أزليّ لا بداية له، أبدي لا نهاية له، قيّوم لا انقطاع له، دائم لا انصرام له، المنتقم ممن عصاه بالنار بعد الإنذار بها والوعيد، والمكرّم لمن خافه واتقاه بدار لهم فيها من كل خير مزيد ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾.

وأشهد أن سيدنا محمّداً عبده ورسوله الداعي إلى التوحيد، الساعي بالنصح للقريب والبعيد، المحذّر للعصاة من نار تلظى بدوام الوقيد، المبشّر للمؤمنين بدار لا ينفذ نعيمها ولا يبيد.

اللهم صلّ وسلم وبارك وعظم على سيدنا محمّد وعلى آله وأصحابه وعترته وأحبابه، صلاة وسلاماً لا تزال على كثر الجديدين في تجديد، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

اهتمّ الإسلام بصحة الإنسان عامة وبصحة الطفل خاصة، وقد حرص الإسلام على إنقاذ الأولاد عند بدء انحرافهم، وجعل مسؤولية تربيتهم أولاً على الوالدين، فالولد قبل أن تربيّه المدرسة والمجتمع يربيّه البيت والأسرة، وهو مدين لأبويه في سلوكه الاجتماعي المستقيم، كما أن أبويه مسؤولان إلى حدّ كبير عن انحرافه الخلقي والاجتماعي.

ومن معجزات الإسلام في علم التربية أنه سبق إلى تقرير هذه الحقيقة قبل أربعة عشر قرناً قال رسول الإنسانية الأعظم: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ يَمَجَّسَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ» (طب - هب). وهذا صريح في أن اتجاه الولد الفكري الخلقي والخلقي والاجتماعي متأثر أولاً وقبل كلّ شيء ببيئة الأبوين وأفكارهما وأخلاقهما وأسلوب تربيتهما، ومن المؤسف أن بيوتنا أصبحت متفاوتة في التربية بعد أن كانت على نمط واحد في صدر الإسلام، وأن أمهاتنا

وآباؤنا ليسوا على مستوى متقارب معتدل في أساليب التوجيه، إن بيوتنا أصبحت على مستوى من الانحراف والاضطراب ما يجعل علماء التربية يفقدون الأمل في إصلاحها، ولأجل أن نصف الدواء الناجح للعلاج علينا بكل صراحة وجرأة أن نلتمس مع حضراتكم اليوم موضع الداء:

فمن بيوتنا ما ينشأ فيها الولد ذكراً أو أنثى على الجبن والخوف وضعف الشخصية واضطراب التفكير.

ومنها ما ينشأ على الميوعة والفوضى والدلال الذي يفسد الفطرة ويقتل الاستقامة.

ومن بيوتنا ما ينشأ فيها الولد جاهلاً وسخاً بعيداً عن الآداب الاجتماعية الإسلامية.

ومنها: ما ينشأ فيها الولد أرسقراطياً مترفاً بعيداً عن المشاركة الوجدانية للأمة في أفراحه وأحزانه.

ومن بيوتنا ما ينشأ فيها الولد متديناً يفهم الدين مليئاً بالأخطاء والخرافات.

ومنها ما ينشأ فيها الولد متحرراً من العقيدة والدين تتحكم المدرسة في عقيدته كما يشاء المشرفون عليها من معلمين منحرفين ومديرين ضالّين، حتى رأينا الأطفال وقد شردوا وفقدوا من يعيّلهم ويشرف على تربيتهم وتوجيههم، فإذا بهم يسبّرون في طريق الفساد والانحراف بغفلة عن مراقبة آبائهم وأمهاتهم، فخالطوا الأشرار وصاحبوا الفجار، فاكسبوا منهم كل مفسدة ورذيلة، وتعلّموا منهم تعاطي المسكرات والمخدرات، ولو أنّ البيت قام على دعائم التربية، وعلى أنّ هذا حلال وذلك حرام، وهذا يحبه الله وذلك لا يرضي الله لما وصل الشباب إلى هذه المستوى من الإسفاف.

فأين الداء وكيف الدواء؟

أجيب عن هذا السؤال مع الدرس الخامس والخمسين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم.

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

إخوتي في الله: الملاحظ في تربية أولادنا أننا في الوقت الذي نودّ فيه استقامة أولادنا نخطئهم بكلّ ما يؤدّي بهم إلى الانحراف فنسمح لهم برفاق السوء، وندفع بهم إلى بعض المدارس الأجنبية التي لا تقيم للقيم الأخلاقية المعهودة في شريعتنا وعاداتنا وزناً، ونأخذهم بأيدينا إلى السينما ليشاهدوا الأفلام البوليسية أو الغرامية، وأصبحت السينما اليوم في كلّ بيت، والأفلام الجنسية تعرض على الفضائيات بكل صفاقة يرى فيها المراهقون والشباب كيف يتعاطون المخدرات وشرب المسكرات وهي تفسد أخلاق الكبار فكيف بالصغار، ثم نضع بين أيديهم المجلات الماجنة التي تتجرّ بالغرائز وتشجع على الإجرام، وتتسابق إلى نشر أسرار العائلات أو مخازي البيئات الفنية السيئة في سلوكها وأخلاقها. هذا هو الجو الذي نخطئ به أولادنا، ثم نطمع منهم أن يكونوا مثلاً أعلى في العقّة والاستقامة. هذا هو الداء، فأين هو الدواء؟

الدواء أن يرى أولادنا الخطر الذي يحيط بالذين يتعاطون المسكرات والمخدرات، ذلك أن الأطباء يقرّرون أن الذي يشرب المسكر ويتعاطى المخدر يسبب له الجنون، فإن لم يفعل ذلك به أضعف ذاكرته وشلّ فكره، ويورث له الأمراض العصبية والمعوّية، ويحدث آلاماً في الجهاز الهضمي ويفقد الشهية إلى الطعام ويسبب سوء التغذية والهزال والخمول والضعف الجنسي ويؤدّي إلى تصلّب الشرايين والأنسجة. هذا كلّ في جهة، والموت من جهة لأن الذين يموتون من جراء شرب الخمر أكثر ممن يموت من مرض السل، فإذا أضفنا إلى ذلك أن المدمن يتّصف بصفات وعادات قبيحة كالكذب والجبن والاستهانة بالقيم الأخلاقية، ويندفع إلى ارتكاب الجرائم كالسرقة وتعاطي الدعارة والاعتداء على أخواته المحارم، وسيؤدّي به ذلك بعد حين إلى أن يقضي أوقاته في أوكار سرّيّة مع شرّاذم من الأشرار ورفاق من الفجّار يستبيح معهم كلّ موبقة وينتهك بخلطتهم كلّ حرمة.

إنّ الدول الاستعمارية تتخذ اليوم من ترويج المخدرات سلاحاً فتاكاً لكسر شوكة الشعوب وإخماد روح الجهاد والمقاومة، اسألوا التاريخ ماذا فعلت بريطانيا، إن إنكلترا شنت حرباً على الصين التي حظّرت تجارة الأفيون فسمّيت بحرب الأفيون. هذا ما يفعله تجار السلام المزعوم، أما الإسلام والمسلمون فقد حاربوا تعاطي المسكر والمخدر قبل الصين بأربعة عشر قرناً، يوم أن نزل قوله تعالى على نبيه ومصفاة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، إِنَّمَا يُرِدُ بِكُمْ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ

مُنْتَهُونَ» فليسمع الذين يحاربون القرآن والإسلام، إن الإسلام يحرم تحريماً قطعياً شرب الخمر:

- ١- قارن الخمر بالميسر والأنصاب بالأزلام وكلها محرمة.
- ٢- وصفها بأنها رجس.
- ٣- وصفها بأنها من عمل الشيطان.
- ٤- وأمرنا بالكف عنها في لفظ: «فاجتنبوه».
- ٥- وأنها توقع العداوة والبغضاء.
- ٦- وتصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة.
- ٧- وهدد «فهل أنتم منتهون».

هذه سبعة أدلة على تحريم الخمر من القرآن، ولأجل ذلك «هى نبي الإسلام عن كل مسكر ومفتر».

فماذا كان موقف الصحابة من الأمر الإلهي؟

إنّ أمريكا الكافرة حاولت مرة أن تمنع الخمر في بلادها فأصدرت أمراً بمنعه لما فيه من المفسدات الصحية والأخلاقية والاجتماعية! فماذا فعل الأمريكان الكفار، راحوا يشربونها سراً واستمر الفساد بل زاد، لم تستطع أمريكا بكلّ قوتها وقوّاتها وعددها وعدّتها أن توقف سيل الشرّ والفساد في بلادها، أما العرب فكانت أمة تشرب بدل الماء الخمر، فلما جاء الإسلام ودخل الإيمان قلوب العرب، ونزلت آية تحريم الخمر (انظروا ما فعل الإيمان بأمة العرب، علينا أن نربي أولادنا على الخشية من الله، ومراقبته في السر والعلن) لأنّ العرب لما راقبوا الله ودخل الإيمان قلوبهم رأيتهم يريقون دنان الخمر على سكك المدينة حتى سالت أودية بقدرها، وراحوا يرددون: انتهينا يا رب، انتهينا يا رب، هكذا يفعل الإسلام في قلوب أتباعه، إنّ كلّ من تسوّّل له نفسه هتك نظام الشريعة وضع له الإسلام عقوبة وحداً مقدّراً ثمانين جلدة، إنّ كلّ من حمل الخمرة أو اشتراها أو باعها أو ساعد في إعدادها ملعون على لسان سيد الأنبياء والمرسلين.

فيا أمة الحبيب الأعظم: يوم قام المسلمون بتنفيذ أوامر الله نصرهم الله وأعلى رأيته، فإذا أرادت الحكومات نصراً، إذا أراد الحكام أن يعود للأمة مجدها الغابر، إذا أردنا أن نهدد أمريكا بدل أن تهددنا، إذا أردنا أن ندوس بأقدام الشريعة على رأس شارون بدل أن يدوس بقدمه الكافرة على بيوت إخواننا في فلسطين: فعلينا إغلاق معامل الخمرة، علينا أن نمنع بيعها من الأسواق، إن الخمرة سمّ فتاك تهبط بالمجتمع إلى مستوى الفساد والرذيلة، إن الأفيون والمخدرات والمسكرات لن يقضى عليها في مجتمعنا حتى نرجع إلى الله، حتى نمثّل أوامر الله في بيوتنا مع

أولادنا وزوجاتنا، إن الله جلّ في علاه فرض قاعدة أصلية ومبدأ ثابتاً لا يتغير فقال: ﴿إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ﴾ إن تمثلوا أمره يكن لكم، «عبيد كن لي كما أريد أكن لك كما تريد».

فيا أمة الإسلام، يا أهل النهي والتربية:

أسباب النصر بأيدينا، لنذكر هذا جيداً حين نحاول أن نعرف سرّ الخلود في تاريخ عظمائنا الخالدين، وسر الإخفاق في تاريخ رجالنا المعاصرين.

فكيف تكون تربية أولادنا الجنسية، كيف نهذب الدافع الجنسي عند الأولاد.

كيف ومن أين نبداً؟

أعلّق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى، وأعود بكم من جولتنا حول العالم إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى المربي الأعظم وتحيتنا إليك يا رسول الله: الصلاة والسلام عليك.

﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تفرد بجلال ملكوته، وتوحد بجمال جبروته، وتعزّر بعلو أحديته، وتقدّس بسمو صمديته، وتكبرّ في ذاته عن مضارعة كلّ نظير، وتنزه في صفاته عن كلّ تناه وتصوير .

فهو العزيز لا حدّ يناله ولا عدّ يحتاله ولا أمد يحصره، ولا أحد ينصره، ولا ولد يشفعه، ولا عدد يجمعه، ولا مكان يُمسّكه، ولا زمان يدركه، ولا فهم يقدره، ولا وهم يصوّره، فسبحانه له الصفات المختصّة بحقه، والآيات الناطقة بأنه غير مشبّه بخلقه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا يذلّ من اعتزّ به ولا يهون من جعل سيادته عنده ولا يضلّ من عرف الطريق إليه ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُذَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْغَى﴾

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وخيرته من بريته، وصفوته من خلقه، بعثه إلى الإيمان منادياً وإلى الجنة داعياً، وفي مرضاته ساعياً، فبلغ رسالات ربه، وصدع بأمره، وقام لله بالصبر والشكر حق القيام حتى بلغ رضاه.

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه كما وحد الله وعرف به ودعا إليه، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد : فيا معشر الإخوة الكرام

علّقت معكم في الجمعة الماضية سؤالاً هاماً حول التربية الجنسية للولد، وكيف يمكن أن يصارح الولد جنسياً إذا ما أصبحت سنّه ما بين ١٤ الرابعة عشرة و١٦ السادسة عشرة وصار مهياً للزواج.

والدافع الجنسي خلقه الله تعالى في النفس البشرية ليكون سبباً في استمرار الكائنات الحية جميعها ومن بينها الإنسان، وقد خصّ الله تعالى زمناً معيناً لتفجير هذه الطاقة في الإنسان، ليصبح قادراً على الإنجاب، وسمّى الشرع الحنيف هذه السنّ سنّ التكليف، فبدخول المراهق هذه السن يصبح مسؤولاً عن تصرّفاتة محاسباً على أعماله.

فالغريزة الجنسية عند الولد إما أن تكون نعمة عليه يهذبها ويقضي وطره منها بالحلال، وإما أن تكون عليه نقمة يحولها مع رفاق السوء ليقضيها في الحرام،

فيجري وراء شهوته، ويتخبط في الزنا واللواط والاستمناء عياداً بالله تعالى، تماماً كما يفعله الغرب الكافر اليوم، على العالم أن يعلم أن الإسلام لم يشهد في تاريخه الطويل أي شهوة جنسية، لأن الإسلام شرّع لاتباعه العفة والحياء.

و استطاع أن يسمو بهم إلى العلياء، بينما يشهد الغرب الكافر ثورة جنسية وتحلاً وفساداً وإباحية وفجوراً في كل مكان وعلى مختلف المستويات: في الشارع والمدرسة والمتجر والجامعة، في بيوت الدعارة والمنتزهات، إن الفضائح الجنسية في الجامعات والكليات في الغرب الكافرة والشرق الملحد وبين الطلاب والطالبات تتجدد كل يوم، وقد نقلت إحدى الجرائد اللبنانية (الأحد ٦٥٠) في إحدى مقالاتها: أن الطلاب قاموا بمظاهرة في جامعات أمريكا يهتفون فيها: نريد فتيات، نريد أن نرفه عن أنفسنا، ثم كتبت عنواناً عريضاً قالت فيه: هجوم ليلي من الطلاب على غرف نوم الطالبات وسرقة ثيابهن. وقال عميد الجامعة معقّباً على هذا الحدث: (إن معظم الطلاب والطالبات يعانون جوعاً جنسياً رهيباً، ولا شك أن الحياة العصرية الراهنة لها أكبر الأثر في تصرفات الطلاب الشاذة).

وقد صرّح رئيسان من رؤساء العالم (خروشوف وكيندي) بأن مستقبل روسيا وأمريكا في خطر، وأن شباب روسيا لا يؤتمن على مستقبلها، لأنه مائع غارق في الشهوات ويرى الذين يقومون على شؤون التربية في الغرب أن السبب في ذلك اختراع موانع الحمل وذيوعها بين المجتمع، وقال آخرون: إن كل رجل حين يؤجل الزواج يصاحب فتيات الشوارع ممن يتسكعن في ابتذال ظاهر ويجد الرجل لإرضاء غرائزه الخاصة في هذه الفترة من التأجيل نظاماً للفحشاء مجهّزاً بأحدث التحسينات، ويرى آخرون أن عرض الأفلام الإباحية في الغرب وكسب المال باستثارة الرغبة الجنسية في الرجال والنساء المحرومين من حصن الزواج هو السبب، وأن أعداء الإسلام حين اكتشفوا أن الدين يشهر بملاذهم التمسوا في العلم ألف سبب وسبب للتشهير بالدين، وأن العالم قد ابتدع كل طريقة يمكن تصويرها لإثارة الرغبات وإشباعها حتى عمّت الفوضى العالم الغربي الكافر والشرقي الملحد، وحتى رأينا جريدة أخبار اليوم القاهرية سنة ١٩٦٥ تنشر خبراً مفاده أن النساء السويديات خرجن في مظاهرة عامة تشمل أنحاء السويد احتجاجاً على إطلاق الحريات الجنسية في السويد اشتركت في المظاهرات مئة ألف امرأة. وأيد هذا الاحتجاج في السويد ١٤٠ طبيباً من الأطباء المرموقين أثاروا ضجة كبرى رفعوها إلى الملك والبرلمان يطلبون فيها اتخاذ الإجراءات للحد من الفوضى الجنسية التي تهدد حقاً حيوية الأمة وصحتها. وطالب الأطباء بسنّ قوانين ضد الانحلال الجنسي.

هذا ما يحدث الآن وقبل الآن في السويد وروسيا وأمريكا، وأما بريطانيا فقد وصل فيها الانحلال الإباحي إلى أن نشرت الصحف البريطانية أن مدرسة شابة في الخامسة والعشرين من عمرها كانت تدرّس مجموعة من الطلاب المراهقين ممارسة الجنس عملياً، تفعل ذلك أمامهم حتى انتهت من عمليتها الإباحية الفاجرة، وأن نسبة ٨٠ إلى ٨٥% من الرجال البالغين لهم خليات، وأن ما تبقى منهم من غير المتزوجين ينتقلون من امرأة لأخرى إشباعاً لغرائزهم ووطرهم، حتى وصل الأمر بالمجتمع الغربي إلى ما نشرته إحدى الصحف عام ١٩٧٩ حول ظاهرة غريبة بدأت بالانتشار وهي ظاهرة اقتراف الفاحشة مع المحارم كالبنات والأخت، حتى قال الباحثون في الغرب: إن هذا الأمر لم يعد نادر الحدوث وإنما هو لدرجة يصعب تصديقها، فهناك كلّ عائلة من كل عشر عائلات يمارس فيها هذا الشذوذ.

معشر الإخوة: هذا غييض من فييض حول تأثير الجنس عند الشباب المنحلّ، وقطرة من بحر للانحرافات الجنسية التي آلت إليها المجتمعات العالمية قاطبة كنتيجة أليمة للّغنة التبرّج والسفور والاختلاط، هذا ما يريده دعاة الإباحية في الغرب أن يلد النساء من زنا وفاحشة، وأن يصير ذلك أمراً عادياً، هذا ما يصدّرونه لنا من خلال أفلامهم الماجنة ومجلاتهم الخليعة وفضائياتهم الفاضحة.

وقد أصرّ مرة أحد وزراء الغرب الكافر على سؤال وجهه لسفير الدولة العثمانية المسلمة قال له: لماذا تصرّون أن تبقى المرأة المسلمة في الشرق متخلّفة معزولة عن الرجال محجوبة عن النور، فقال له السفير العثماني: لأن نساءنا في الشرق لا يرغبن أن يلدن من غير أزواجهنّ.

كانت هذه الصفة تعبيراً عن عظمة الإسلام ورفعة تعاليمه ومستوى تربيته.

إنني معشر السادة أطرق مع حضراتكم باب ملف التربية الجنسية مع الحلقة السادسة والخمسين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذا الملف أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم:

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

وخير ما نستهل درسنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عزّ وجلّ على الموجات العاملة من سورة النور: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ

الآيات والله عليم حكيم، وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحِلْمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (النور: ٥٨-٥٩)

إخوة الإيمان: هذا أول أدب ينبغي للولد أن يتعلمه في قضايا الجنس، تعويد الولد أصول الاستئذان على أهل في أوقات يكون الرجل أو المرأة في حالة لا يحب أن يطلع عليها أحد من الأولاد الصغار، لذا وجدنا القرآن يحدد للطفل الصغير طريقة الاستئذان، فيتناولها بالرعاية والتوجيه بأسلوب تدريجي رائع، فحددها له - أولاً - وهو صغير أن يستأذن في ثلاثة أوقات حساسة، من قبل صلاة الفجر، ووقت الظهيرة عند القيلولة، وبعد صلاة العشاء، ونلاحظ أن هذه الأوقات هي أوقات نوم الوالدين وقد دخلا في غرفة النوم.

حتى إذا قرب سن الاحتلام وجب عليه الاستئذان في البيت في الدخول على والديه في كل آن وكلما وجد أمامه الباب مقفلاً في وجهه.

أيها الأحبة والصحب: كم تكون الفضيحة بالغة حين يدخل الولد إلى غرفة النوم فجأة ويرى أبويه في وضع جنسي، ثم يخرج ويحدث أصدقائه الصغار بما رأى، كم ينحرف الولد إذا تحسس الميل إلى الجنس الآخر لأنه لم يهذب جنسياً.

هذا أدب يغفل عنه الكثيرون في حياتهم المنزلية، مستهينون بآثاره النفسية والعصبية والخلقية، ولا يظنون الآباء أن الصغار قبل البلوغ لا ينتبهون لهذه المناظر، لأن النفسيون يقرؤون اليوم بعد تقدم العلوم النفسية أن المشاهد التي تقع عليها أنظار الأطفال في صغرهم هي التي تؤثر في حياتهم كلها، وقد تصيبهم بأمراض نفسية وعصبية يصعب شفاؤهم منها. ولذلك نبّه علينا المربي الأعظم فقال لنا على لسان سيدنا أنس[°]: «كنت خادماً للنبي ﷺ فكنت أدخل بغير استئذان فجئت يوماً فقال: كَمَا أَنْتَ يَا بُنَيَّ فَإِنَّهُ قَدْ حَدَّثَ بِعَدِّكَ أَمْرًا: لَا تَدْخُلَنَّ إِلَّا بِإِذْنٍ» ومن هنا نقرر أنه يجب على الوالدين أن يسترا عورتهم في كل آن أمام طفلهم، لكي يساعداه على سير غريزته بشكل طبيعي دون شروع بالمهيجات. وأمر الولد بضوابط وقواعد النظر. فما هي قواعد النظر: نظر الولد؟ أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يرفع تحيته إلى المربي الأعظم، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله الصلاة والسلام عليك.

[°] خ مفرد.

القضية السابعة والخمسين الأدوية الوقائية للتربية الجنسية

الحمد لله الذي أبدع الموجودات بلا شريك ولا معين، تعالى في علو شأنه عن صفات التمكن والتكوين، استوى على العرش والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه. ﴿أَحْسَنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خلق الإنسان من نطفة حقيرة وسفره في أقاليم الأطوار ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ وسلط عليه الشهوة ليعلم أنه ذليل مهين.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أنزل عليه مولانا: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (سورة النور) وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك وعظم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعترته وجميع التابعين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

البصر نافذة المراهق على العالم الخارجي، فما تراه عيناه ينطبع في ذهنه ونفسه وذاكراته بسرعة فائقة، فإذا تعود غضَّ بصره عن العورات كافة (المنزلية والخارجية) مستعيناً بمراقبة الله تعالى له، كما فعل الولد الصالح عبد الله التستري ليمنع نفسه من النظر إلى ما لا يحل، أتدرون ماذا كان يردد كل ليلة قبل أن ينام، أتدرون وهو ولد ماذا كان ورده الليلي، كان يكرر قبل أن ينام (الله شاهدي.. الله ناظري.. الله معي) كان يفعل ذلك ليمتنع عن فعل المحرمات والنظر إلى العورات، فكافأه الله تعالى عن ذلك فجعله من كبار أولياء عصره.

وقد يتهاون المراهق أحياناً وينسى أخرى، ويغلبه هواه في لحظة ما، فيرسل نظره نحو الفتيات بشهوة وتلذذ، فماذا فعل المربي الأعظم سيدنا محمد ﷺ في مثل هذا المرض؟ ماذا قدّم من الأدوية النافعة لأتباعه؟

إننا معشر السادة مع قضية التربية الجنسية للولد ومع الحلقة السابعة والخمسين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم:

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

وخير ما نستهل به درسنا تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على
الموجات العاملة من سورة النور (٣٠-٣١): ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ
وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ. وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ
يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾.

إخوة الإيمان: من القضايا التربوية الهامة التي يجب على المربي أن يركز
عليها في التربية الجنسية أن يعود المراهق فيما بعد سن التمييز آداب النظر، حتى
يعلم الولد ما يحل النظر إليه وما يحرم، وأن يعزز في نفسه أنه مسلم، وأنه لا
يجتمع في قلب مسلم الكفر والإيمان، والحسنة والسيئة، والعدالة والفسق، فإذا فعل
معه ذلك صلح أمره واستقامت أخلاقه إذا شارف على البلوغ وبلغ سن التكليف

وينشأ ناشئ الفتيان فينا على ما كان عوده أبوه

وأول أدب يطالعنا في هذه القضية أدب النظر إلى المحارم لأنه بينهم في المنزل، فلا يحل للمراهق
أن يرى من محارمه ما بين السرة والركبتين، وهذا إن أمن شهوته وشهوته، وإن لم يأمن الشهوة فلا يحل له
النظر إلى ذلك سداً للذرائع.

فيحرم على الذكر المحرم إذا بلغ سن المراهقة أن يرى من محارمه من النساء
وقد ارتدت الثياب القصيرة التي ارتفعت إلى ما فوق الركبتين أو كشفت عن الفخذين
أو ارتدت ثوباً رقيقاً يشف ما تحته.

كما يحرم على البنت أو المرأة أن ترى بين السرة والركبة من أحد محارمها
ولو كان ابنها أو أخاها أو أباهما وإن أمنت الفتنة، ولو من أجل التغسيل والتدليك في
الحمام. ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

أما إذا أراد خطبة فتاة فيجوز النظر إلى المخطوبة بنية الخطبة إلى وجهها
وكفيها فقط، ولا يجوز مصافحتها لكونها أجنبية قبل إجراء العقد عليها، والأجنبية
يحرم مصافحتها، لأن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها حدثت فقالت (خ):
«ما مسّت يد رسول الله يد امرأة في مبايعة النساء قط، وإنما مبايعتها كانت
كلاماً».

كما لا يجوز أن يخلو بمخطوبة وقت النظر إليها، لأن الإسلام حرّم الخلوة
بالأجنبية، واسمع معي إلى القاعدة الأصيلة يعلمنا إياها من تحبون أن تصلوا عليه
يقول ﷺ: «أَلَا لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ وَلَا تُسَافِرُنَّ امْرَأَةً إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مُحَرَمٍ» (ق)،
ولهذا لا يجوز للبالغ أن ينظر إلى امرأة أجنبية ولو كانت غير مشتهة، والقاعدة
الفقهية تقول: كل شخص يحل له أن يتزوج امرأة الآن أو بعد حين (بعد أن يطلقها
زوجها أو يموت عنها مثلاً) لا يحل له أن ينظر إليها، وكل فتاة يحل لها أن تتزوج

من رجل الآن أو بعد حين لا يحل لها أن تنتظر إليه لأن العليم الخبير بشؤون خلقه قال: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ فلماذا هذا التشديد في قضية النظر؟

والله- يا سادة - إنني وأنا أتكلم بهذه القضية التربوية لأرفع رأسي عالياً بسيدنا محمد ﷺ، إن رسول الله يريد من الأمة أن تبلغ العلياء في أخلاقها، يريد من الأمة ألا تصبح غرائزها كغرائز الحيوان، يريدهم مؤمنين دينهم العفة والطهارة، لذلك اسمعوه وهو يقول لنا حديثاً يرويه عن مولانا عز وجل، يقول (طب-حا): «النظرة سهم من سهام إبليس من تركها من مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه». النظرة الحرام سهم من سهام إبليس: زنا، كما في الحديث الصحيح صلوا على صاحبه (ق): كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى فهو مدرك ذلك لا محالة: «الْعَيْنَانِ زَنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْأَذْنَانِ زَنَاهُمَا الْاسْتِمَاعُ (إلى المحرمات) وَاللِّسَانُ زَنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زَنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرَّجُلُ زَنَاهَا الْخَطْيُ (أين تذهب؟ ذاهب لألقى فتاة وأحدثها وأغازلها وأمس يدها ذهابك إليها، خطاك إليها زنى) والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه» علامة النظر بشهوة أن يتحرك الفرج بالشهوة.

هل رأيتم مربياً أعظم من سيدنا محمد ﷺ؟ إذا تركت النظر إلى المحرمات وضع الله في قلبك إيماناً تجد حلاوته في أثناء تأدية القيادة ومعاملتك أهلك وجيرانك (أحمد-طب): «ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة (فجأة) ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها في قلبه».

فالنظر زنا، النظرة تثير، الضحكة تثير، وكلها مثيرات منعها لك الإسلام لتكون نظيفاً عفيفاً مؤمناً، لا يوجد في الإسلام نظرة بريئة إلى الجنس الآخر، أتدرون لماذا؟

لأن الميل الفطري بين الرجل والمرأة ميل عميق في التكوين الحيوي، ميل دائم، يسكن فترة ثم يعود، فعندما تثيره كل حين تزيد من عرامته، تزيد وتزيد فيكون بمثابة عملية تعذيب مستمرة، ولهذا قطع الإسلام عليك طريق النظر الحرام وقال لك ﷺ: «اصرف بصرك».

لا تسمعوا لدعاة الاختلاط والمعتقدين عقلياً، والذين تربوا على موائد الغرب الكافر أو الشرق الملحد، اسمعوا لمن تربوا على مائدة سيدنا محمد ﷺ، ولهذا أنتقل بكم سريعاً إلى هناك، إلى حيث ينبع الإيمان الصافي والعلم والتقوى والعفة، إلى منبع الفضائل الربانية وشمس الهداية الإلهية سيدنا محمد ﷺ:

كشف الدجى بجماله
صلوا عليه وآله

بلغ العلى بكماله
عظمت جميع خصاله

ها هو صحابي ضرير (أعمى) يدعى ابن أم مكتوم يستأذن في الدخول على المربي الأعظم، وكان عنده السيدة أم سلمة وميمونة من أمهات المؤمنين فقال النبي الكريم: «احتجبا منه، (من ضرير، أعمى، لا يرى ومع ذلك: احتجبا منه) قالتا: يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا، فقال النبي الكريم: أفعمياوان أنتما، ألستما تبصرانه» ألا فليعلم دعاة الاختلاط المحرم من أعداء الإسلام أن هذه الأحاديث وتلك الآيات تؤكد تأكيداً تاماً لا يقبل الجدل أن نظر الرجل إلى المرأة الأجنبية حرام، وأن نظرها إلى الرجل حرام، لأن الإسلام يريد إقامة مجتمع نظيف لا تهاج فيه الشهوات في كل لحظة، ولا تستشار فيه الغرائز في كل حين، إن النظرة الخائنة، والزينة المتبرجة والعارية لا تصنع شيئاً إلا أن تهيج ذلك السعار الشهواني المجنون، وعلى المربي أن يقوم بدوره، أن يعود المراهق حفظ بصره ليبقى طبيعياً، يحفظ شهوته لحين النكاح الحلال، المربي له دوره الهام في هذه القضية وإليك الدليل:

كان مرة الفضل بن جدي العباس رضي الله عنهما رديف سيدنا رسول الله، فجاءته امرأة من خثعم تستقيته (في وقت إحرام الحج) فجعل الفضل ينظر إليها وتتنظر إليه، فماذا فعل المربي الأعظم؟! إن سيدنا رسول الله جعل يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر (خ-د-ت) وفي رواية: أن الفضل عاد ينظر إليها فقلب رسول الله وجهه وقال له: «ابن أخي إن هذا يوم (يوم عرفه) من غض فيه بصره وحفظ فرجه ولسانه غفر له» (خزيمه ٢٦/٤-أبو يعلى ٢٦٤/١) فرأهما جدي العباس من بعيد (ابن جرير في تهذيب الآثار) فقال لسيدنا النبي: رأيتك تصرف وجه ابن عمك فقال رسول الله: «رأيت جارية حدثه وغلاماً حدثاً فخشيت أن يدخل بينهما الشيطان».

إخوتي في الله: لا بد من تعويد الطفل غض البصر عن العورات في كل مكان حتى لا تتسرع غريزته الجنسية بالنضوج المبكر السريع الشاذ، والذي قد يسبب أضراراً وأخطاراً نفسية وجسمية واجتماعية وخلقية ورحم الله من قال:

كلّ الحوادث مبادها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة فعلت في قلب صاحبها فعل السهام بلا قوس ولا وتر
والمرء ما دام حياً ذا عين يقلبها في أعين الغيد موقوف على الخطر

يسرّ مقتلته ما ضرّ مهجته لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

ولذلك يقول أحد العلماء الألمان حول أهمية غض البصر وأنه العلاج الوحيد للجنس: (لقد درست علم الجنس، وأدوية الجنس فلم أجد دواءً أنجح وأنجع من القول في الكتاب الذي نُزِّل على محمد: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾. هذا هو الحل ينطق به أعداء الإسلام معترفين، هذا الحل دلنا عليه المربي الأعظم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، أقرّ به علماء الغرب الكافر: والفضل ما شهدت به الأعداء.

معشر الإخوة الكرام:

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها على لسان من لا ينطق عن الهوى (طب): «ثلاثة لا ترى أعينهم النار: عين حرست في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله، وعين كفّت عن محارم الله».

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول

الله:

الصلاة والسلام عليك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله القائم على كلّ نفس بما كسبت، المجازي لها بما عملت، المحصي عليها ما قدّمت وما أخرت، ملك ذلّت لعزّته الرقاب وخضعت، وهابت لسلطوته الصعاب وخشعت، وارتاعت من خشيته أرواح الخائفين وجزعت. نحمده على نعم توالت علينا واتسعت.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تنجّي قائلها من النار يوم تذهل كلّ مرضعة عما أرضعت.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي جاهد في الله حق جهاده، حتى علت كلمة التوحيد وارتفعت.

اللهم صلّ وسلم وبارك وعظم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، كلما ضجت الأصوات بالدعاء وابتهلّت، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام: وقفت معكم في الجمعة الماضية أتحدث عن أهم المثيرات الجنسية التي يجب على المربي أن يمنع منها ولده وهو في سن المراهقة إلى وقت البلوغ، وقلت: إن من المسؤوليات الكبرى التي أوجبها الإسلام على المربي أن يجنّب ولده كلّ ما يثيره جنسياً ويفسده خلقياً، لأنّ علماء التربية والأخلاق أجمعوا على أنّ مرحلة المراهقة هي من أخطر المراحل في حياة الإنسان، فإذا عرف المربي كيف يربي الولد في هذه المرحلة، وكيف ينتشله من أحوال الفساد وبيئات الانحلال، وكيف يوجهه التوجيه الأمثل فعلى الأغلب أن الولد ينشأ على الخلق الفاضل والأدب الرفيع والتربية السامية.

إننا - معشر الإخوة - مع ملف التربية الجنسية في الحلقة الثامنة والخمسين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم.

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

إخوتي في الله: أمرنا الإسلام أن نجنب الأولاد الإثارة الجنسية وهياج الغريزة، وذلك في نصوص إلهية عظيمة، فالقرآن ورسول الإسلام توليا تربية أولادنا في هذه الحقبة أو المرحلة من حياتهم، فنرى ربَّ العزَّة والجلال يأمر النساء بتغطية وجوههن، وعدم إبداء الزينة إلا للأزواج والمحارم في نص قرآني فصلَّ فيه هذه القضية تفصيلاً لكي لا يصطاد أهل الانحلال الأخلاقي في الماء العكر، ولكي لا يحاول متحذرو العصر الحديث أن يوهموا المرأة أن كشفها لوجهها وخروجها سافرة هو عين الحضارة، وأن تغطيته عين التأخر والتزمت والتشدّد في الدين، فاسمحوا لي - معشر الإخوة - أن أتلقى مع حضراتكم هذه التوجيهات الإلهية في نص تلاه سيدنا رسول الله من أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان. ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ...﴾^٦ ، ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرُ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^٧ .

إخوة الإيمان: هذه الأنوار القرآنية التي وضعها مولانا عز وجل عقداً يتلأأ في عنق المرأة أراد منها تكوين مجتمع نظيف طاهر، مجتمع لا تحول حوله الشبهات ولا توجه إليه التهم، تبقى فيه الفتاة صينة طاهرة، لا تمتد إليها يد باثم، ولا تنظر إليها عين بخيانية.

إن هذا النص وغيره يوضح لنا قضيتنا اليوم وهو أن الولد إذا كان صغيراً لا يفهم أحوال النساء وعوراتهن وإثارتهم فلا بأس بدخوله على النساء، فأما إن كان مرافقاً أو قريباً منه فلا يمكّن من الدخول على النساء لكونه أصبح يفرق بين الشوهاء والحسنة، وتتحرك الشهوة في نفسه إذا رأى منظراً مثيراً، ولهذا وجّهنا المربي الأعظم (ق) فقال: «إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ». قيل يا رسول الله: أفرأيت الحمو؟ أي قريب الزوج قال: **الْحَمُو الْمَوْتُ** - أي هو السم بعينه، هو الداء بذاته.

^٦ الأحزاب:

^٧ النور: ٢١.

إنه توجيه مهم في تنبيه المربي على هذه القضية، ولأجل ذلك منعنا من تحبون أن تصلوا عليه أن يختلط أولادنا في فراش واحد وهم في سن المراهقة، أو أن يروا من عورات بعضهم البعض في حال النوم أو في اليقظة ما يثيرهم جنسياً أو يفسدهم خلقياً، فقال في قاعدة أصيلة:

«أَمُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعٍ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»

أيها الأحبة والصحب: هذان دليان من الكتاب والسنة يأمران الأولياء أن يتخذوا التدابير الإيجابية والأسباب الوقائية في تجنيب الولد الهياج الغريزي، والإثارة الجنسية حتى ينشأ على الصلاح ويتربى على الفضيلة والخلق الفاضل، ولكي أضع معكم النقاط على الحروف اسمحوا لي أن أضع لحضراتكم التوجيهات المطلوبة منا في قضية منع المثيرات الجنسية أمام الولد، بعد أن تصلوا على معلم الناس الخير:

أولاً: يمنع المراهق منعاً باتاً من الدخول على الوالدين والأخوات في أوقات الراحة والنوم إلا باستئذان لئلا يفاجأ باطلاع على حالة من تكشف العورات.

ثانياً: يمنع من الدخول على النساء والأجنبيات وهن في أجمل زينة مما يثير الولد جنسياً.

ثالثاً: منعه من نومه مع إخوته البنين أو البنات في مضجع واحد، وهو في سن العاشرة وما بعدها وكذا أن يضمهم لحاف واحد.

رابعاً: منعه من النظر إلى شاشة المفسديون أثناء المناظر المثيرة أو التمثيليات الماجنة أو الدعايات الفاجرة مع وجوب ذلك على البالغين (وجوب عدم النظر منهم إلى هذه المناظر).

خامساً: لا ينبغي للمربي أن يترك الحبل للولد في أن يقتني ما يشاء من الصور العارية والقصص الغرامية المهيجة والتسجيلات الغنائية المثيرة دونما تدقيق ومراقبة، فيقوم بين الفينة والفينة بالمراقبة الداخلية للمنزل من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

سادساً: الانتباه إلى الأولاد في صداقتهم مع من حولهم، فلا يسمح للولد أن يختلط ببنات عمه أو عمته أو خاله أو خالته أو بنات الجيران وهو في سن المراهقة بحجة الدراسة والاجتهاد، بل وعدم السماح له بالوقوف مع أبناء الجيران الأراذل

في الشارع ينظرون إلى هذه وتلك، وينتهكون حرمة بنات الجيران فإن العين أساس المثيرات الجنسية.

إخوتي في الله: هذه القواعد الستة أخطر القضايا الداخلية في حياة الولد يسبب الإعراض عنها الانحلال الخلقي والميوعة والإباحية، فإذا ضممنا إليها منع الولد من المثيرات الخارجية نكون بذلك قد حفظنا عليه دينه وشرفه وعرضه، فإن لدينا مثيرات تنثير الولد جنسياً وتهيج غريزياً وتدفعه في مهاوي الهلاك منها:

أندية السينما أو المسرح فقد أصبح اليوم مرتعاً وخيماً للجنس واستثارة الشهوات وأصبح وسيلة للتحلل ومرتعاً للمجون. لقد أصبح إثارة الغرائز والشهوات باباً للرزق وميداناً للسبق عند أصحاب المطاعم الجنسية وذوي النفوس الهابطة الدنيئة من يهود وغيرهم، وزاد في الطين بلة الستلايت فإن فيه برامج خاصة وغير خاصة تُهتك فيه المروآت ويُذبح فيه الشرف ويُداس فيه الدين وتُرتكب الفواحش يحضر فيه الوالد مع بناته وأولاده فيلم الجنس ليقوم كلّ منهم بعدها بارتكاب فاحشة الزنا، الوالد مع ابنته، والأخ مع أخته، والعياذ بالله، فإذا لم يجدوا فيلماً جنسياً طالعته مفسدة أزياء النساء الفاضحة، مسابقات الأزياء ومسابقات ملكات الجمال، ملكة جمال العالم، وملكة جمال جهنم الحمراء، وكلّ هذه البرامج يسعى التجار وأكثرهم من اليهود ليجتثوا أصول الأخلاق الفاضلة من مجتمعاتنا لتتحل قواها ويسهل السيطرة عليها وامتلاك زمامها.

إن وراء الأزياء حفلات الزنا والدعارة، إن المرأة المسلمة اليوم مطالبة أن تحيا في حدود أخلاقها وأصالتها الإسلامية فإذا كانت عقائد الغرب متحللة فإن عقائدنا لا تسمح وأخلاقنا تأبى علينا أن نتبع تيار المجون بعد طرح أحد كلاب أمريكا وخنازيرها وهو الكلب بوش فقال: إن طالبان قد اندحرت وإن كابول قد تحررت وأبلغكم أن النساء الأفغانيات تخلين عن براقعهن إلى الأبد، ولن نتوقف حتى يصبح كلّ عربي ومسلم مجرداً من السلاح وحليق الوجه وغير متدين ويحب أمريكا ولا يغطي وجه امرأته، وقال: من الآن فصاعداً العالم حر في شرب الخمر والتدخين ومزاولة الجنس العادي أو المثلي بما فيه اللواط والسحاق ونشر الأفلام الجنسية... هذا الكلام خطبه بوش أمام شعبه في ٢٩/١/٢٠٠٢ ولم ينشر في وسائل الإعلام، هل سمعتم؟ الغرب يريد منا أن نفقد الشرف والنخوة والغيرة، يريدون من المرأة والرجل أن يكونا إباحيين، إن أمريكا والغرب الكافر تروج منذ أمد إلى فتح مقرّات سرية لممارسة الجنس، ولنكون نحن أبناء الإسلام إحدى ضحاياها، اسمعوا ماذا يجري في العالم اليوم: طالبة في إحدى المدارس الثانوية تقوم مع رفيقاتها بدرس الرياضة، فتسقط البنت لدوّار أصابها وتنقل إلى المشفى لإسعافها وبعد

فحص طبي تبين أنها حبلى من الزنا، وبعد التحقيق تبين أن الطالبة مرتبطة بوكسر سري للدعارة مع خمس طالبات من سنّها، والأهل والمدرسة ساهون لاهون.

اسمعوا حصاد الهشيم ، اسمعوا نتيجة بعدنا عن الإسلام :

أب ماجن متحلل ليس همه إلا إشباع شهوته الآثمة، قادته رجلاه ونزوته الحيوانية إلى وكر من أوكار الدعارة السرية فدخله، فإذا بالقواد المشرف على الوكر يعرض على زبائنه صور البغايا الزانيات، فخطفت عيناه على صورة بنت يعرفها، معقول فلانة، فقال للقواد: أريد صاحبة هذه الصورة فقال: الغرفة رقم كذا، سوف تراها جاهزة لك، فدخل فإذا بابنته على أتم استعداد لاستقبال الزبائن، وما أن رأت البنت أباه أمامها حتى سيطر عليها الذعر وملكها الخوف وأسرعت هاربة، وانفجر صمام النخوة والغيرة من رأس الأب، وأراد أن ينتصر للشرف والعرض، ولكن هيهات، ﴿الآن وقد عصيت﴾. هجم يريد خنق ابنته، وهربت البنت واختفت، وبعد التحقيق تبين أن سبب ما حدث لابنته ابنة الجيران التي كانت ترافقها إلى المدرسة، وبذل المدرسة تذهب بها إلى الوكر السري حيث قُبِرَتْ فيه الفتاة شرفها وعفتها.

من هو المسؤول ؟ كلنا مسؤولون، علينا واجب الرقابة الداخلية والخارجية، كلنا سمحنا لأولادنا برؤية الأفلام الخليعة في المفسديون والستلايت والإنترنت والسينما والمجلات والأغاني، هذا هو حصاد الهشيم، هذه هي النهاية المحزنة.

أيها الآباء، أيها المربّون: أبعادوا أولادكم عن المثيرات الجنسية، إنكم إن لم تفعلوا خسرتم أبناءكم وخسرتم دينكم، وذلك هو الخسران المبين.

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى السيد الأعظم وتحيتنا إليك يا سيدي : الصلاة والسلام عليك.

القضية التاسعة والخمسين الوسائل الإيجابية لحماية الطفل

الحمد لله الذي رفع نبينا سيدنا مُحَمَّد في الدنيا والآخرة، وأسرى به ليلاً فأعظم به فخراً، وقَدّمه سيدنا جبريل فصلّى بالأنبياء والمرسلين لنعلم أنه الإمام الأعظم وأنه بذلك المقام أحرى، ثم ترقى إلى السماوات العلى إلى سدرة المنتهى فظهر لمستوى سمع فيه صريف الأقلام ورأى من آيات ربه الكبرى فتجلى له مولانا الكريم وخاطبه وأعطاه سؤاله وأعظم له بذلك أجر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تتوالى علينا أحداثها تترى.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه، وأمينه على وحيه، وخيرته على عباده، بعثه الله رحمة للعالمين وقدوة للعالمين فهدى به من الضلالة وعلم به من الجهالة

سيدي أبا القاسم يا رسول الله

أسرى بك الله ليلاً إذ ملأته والرسل في المسجد الأقصى على قدم

لما خطرت به التفوا بسيدهم كالشهب باليد أو كالجند بالعلم

صلى وراءك منهم كل ذي خطر ومن يفر بحبيب الله يأتهم

صلى عليك الله يا علم الهدى

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه صلاة لا يعد لها الحساب حصراً، وسلّم تسليماً.

أما بعد:

فقبل أن أفتح معكم ملف قضية اليوم أريد أن أرفع باسمكم التحية من هنا إلى هناك من دمشق الشام، من الشام الشريف باسمكم وباسم حي الدرويشية واسم البلاد الشامية، واسم كل شريف من شرفاء العالم قاطبة، تحية عطرة صادرة من القلب لخالصة هذا الوجود وواسطة العقد الفريد، إلى الذي خلقه الله تعالى في أعلى مستوى من كمال العقل والخلق الإنساني، إلى الذي جثم فوق صدر الزمان نيفاً وأربعة عشر قرناً ينشر عقيدة التوحيد إلى القمة السماء التي تنخلع الرقاب عن ذراها، إلى أمير الأنبياء ورسول الإنسانية الأعظم سيدنا ومولانا محمد ﷺ بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج.

فالصلاة والسلام عليك يا سيدنا يا رسول الله يوم ولدت ويوم بعثت، ويوم أسري بك ويوم هاجرت، ويوم غزوت وحجبت، ويوم انتقلت إلى جوار ربك ويوم تبعث يوم القيامة شفيحاً وحبیباً.

نشهد يا حبيب الله أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت في الله حق جهاده، صلى الله عليك وعلى آله بيتك الطيبين الطاهرين.

اللهم بجاهه عندك اقض حاجتنا ويسر أمورنا واشف صدورنا وبلغنا مما يرضيك آمالنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

معشر الإخوة الكرام:

كنت أبحث طيلة أسابيع مضت عن الوسائل الإيجابية التي يمكن أن ينتجها المربون ليصلح حال الولد خلقياً وينضبط غريزياً، ويصبح كالملاك في صفائه ونقائه. وبعد مطالعات عدّة وجدت أنه لا بد من مصارحة المراهق حول ما يريده أعداء الإسلام منه، لا بد من توعيته بما يتناسب مع مستواه الفكري، لا بد من إطلاعهم على المخططات اليهودية والصليبية الاستعمارية لنشر الفساد الأخلاقي، على كل مربٍّ أن يعرف طرق اليهود في هدم الدين الإسلامي والقضاء على كل شيء يتصل بسيدنا محمد، هذه المساعي الحفيرة لا تخفى على أحد، وكفى بالله شهيداً: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

على المراهق أن يعرف هو والمربي أن اليهود اخترعوا منظمة سرية تدعى الماسونية تعتمد على هدم الدين يقسم أعضاؤها يمينا للقضاء على أعدائهم ولو كانوا من المسلمين. اليهود اخترعوا الماسونية للقضاء على الشرف في العالم، وتبنوا آراء فرويد الذي يفسر كل شيء في سلوك الإنسانية عن طريق الغريزة الجنسية ولا ستر سال في طريق الشهوة واللذة.

إننا - معشر الإخوة - مع الوسائل الإيجابية التي تمنع المراهق من الانحدار في الشهوة مع الحلقة التاسعة والخمسين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم.

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

إخوة الإيمان: أكشف لكم اليوم عن الخطط السرية التي يتبعها الغرب الكافر للقضاء على الدين من خلال مخططات اللوبي اليهودي، فاليهود اتبعوا في تنفيذ خططهم الجنس، كل شخص لا يقدر على لف عقله بالمال يرسلون له امرأة تغويه وتجعله أسفل الساقطين. لذلك تبنا آراء رجل متحلل اسمه نيتشه ألغى الأخلاق، وأباح لكل إنسان أن يفعل ما يشاء، هذا الأفاق ومثله منحوس يدعى كارل ماركس حقير الإلحاد في العالم تبنا آراء اليهودية.

الحقير ماركس هاجم عقيدة الألوهية، وأنكر وجود الإله الحق، وألغى الأديان، ولما قيل له: ما هو البديل عن عقيدة الألوهية أتعرفون ما قال: قال البديل هو المسرح. أشغلهم عن عقيدة الألوهية بالمسرح، وقال قولته الخسيسة: سأجعل من ابنتي عاهرة، ومن ولدي ماجناً، ونادى بأعلى صوته لا إله في الكون (قولوا لعنه الله). الماسونية اليهودية تبنت هذه الأقوال لتفتك بالمجتمعات المسلمة، لتخلع حجاب الفتاة المسلمة العفيفة، على فتياتنا وفتياتنا المسلمات أن يعلموا أنه في اللحظة التي يهتك فيها ستر فضيلة من الفضائل، فإنهم يخونون فيه إسلامهم وينفذون فيه مخطط اليهود، وأنهم نصروا الباطل على الحق من حيث لا يشعرون، عندما يصطاد الشاب المسلم فتاة مسلمة بوقوفه متسكعاً في أطراف السكك يكون قد هدم دينه وتخلّى عن مبادئه وشرفه، وصدق المربي الأعظم حين قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن».

نحن -أهل التربية- مطالبون بتحذير أولادنا وتوعيتهم للخطر الذي يتهدهم عندما تسيطر عليهم الشهوة الجنسية، الشهوة هي التي يسعى لها أعداء الإسلام لإثارتها بين الجيل الجديد، كنا نسمع عن الاستعمار العسكري، والاستعمار الاقتصادي. اليوم الغرب الكافر يسعى نحو الاستعمار الجنسي، تحطيم شخصية المسلم من خلال دعوته إلى ممارسة الجنس الحرام، اسمعوا إلى أقوال الذين ينشرون الرذيلة والجنس بين المسلمين، ليسمع شباب سيدنا محمد إلى المؤامرات التي تحاك ضدنا، أتباع الماسونية يقولون: (يجب علينا أن نكسب المرأة، بأي يوم مدت إلينا يدها فزنا بالحرام، وتبدد جيش المنتصرين للدين). لذلك هم يصرفون الأموال الطائلة ليبعدونا عن الإسلام عن طريق فتنة المرأة والشهوة، يقول أحد الغربيين: (كأس وغانية تفعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع، فأغرقوهم في حب المادة والشهوات).

هذه الأقوال يتناقضونها في كتبهم ووثائقهم السرية اتفقوا جميعاً على القضاء على الإسلام من خلال الترويج للجنس، هذا الكلام يجب أن يعرفه الكبير والصغير ممن يحبون أن يقلدوا الغرب الكافر، ممن ينزلقون في التقليد الأعمى، على المربين التوعية في قضايا الجنس وتنبيه الأولاد لما يراد منهم أن يفعل بهم الأعداء

والمتمآمرون على الدين، يريدون من أولادنا أن يتقبلوا في حماة الرذيلة والفساد وينساقوا وراء التحلل والإباحية، وإلّكم يا شباب هذا التصريح الخطير يصرح به أحد زعماء الأحزاب الكافرة في العالم، يقول في أحد وثائقه التي نشرت مؤخراً قال: (نجحنا في تعميم ما يهدم الدين من القصص والمسرحيات والمحاضرات والصحف والمجلات والمؤلفات التي تروج للإلحاد وتدعو إليه، وتهزأ بالدين وبرجاله وتدعو للعلم وحده وجعله الإله المسيطر).

هل سمعتم يا شباب أخطر من هذا الكلام؟ يريدون من شبابنا أن يكونوا سادريين في الشهوة، يريدون جيلاً متحللاً مائعاً مريضاً حتى تستطيع عصابات الاغتصاب الجنسي وتجار الشهوات أن يبيعوا أعراض الفتيات.

يريدون أن يخرجوا أفواج الإباحيين ليكفروا بكل فضيلة ويستبيحوا كل رذيلة. وأنا أسأل، يا ترى بعد هذه الفوضى الجنسية ماذا سيكون حصاد المهشيم، ما هي الأضرار الكبرى التي ستتحقق من جراء هذا البلاء؟ شباب يعرض عن الزواج، وفتيات يكتفين بالحرام، لا تفكير في أسرة، لا أعراض ولا أنساب، لقطاع منبوذين من تفشي الزنا والعار، مجتمع حيواني بحت، معقد نفسياً، متمرد على المجتمعات الدينية، تتأجج نار العداوة بينه وبين مجتمعات الطهر والعفاف، وأفتك الأضرار الاتجار بالأعراض والمسكرات والمخدرات والرشوة والاختلاس.

إن شباباً هذا شأنه بلا قيم، ولا رادع ديني، وبلا أخلاق، عاطل عن العمل، سجين الشهوة هو ما يريده أعداء الأمة أن يخسر شرفه ودينه ودنياه.

والأشدّ خطراً وخساراً أن يسقط من عين الله، ثم يهوي في واد الأثام، اسمعوا إلى المربي الأعظم يحدثنا فيقول:

« إِيَّاكُمْ وَالزَّنا فَإِنَّ فِيهِ أَرْبَعُ خِصَالٍ: يُذْهِبُ الْبَهَاءَ عَنِ الْوَجْهِ، وَيَقْطَعُ الرِّزْقَ وَيَسْخَطُ الرَّحْمَنَ ، وَيُسَبِّبُ الْخُلُودَ فِي النَّارِ » (طب). الخلود في النار لمن يصرّ على الزنا، لمن يستحله غير هيّاب بالعذاب.

«والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً» (الفرقان).

أيها السادة: علينا أن نرجع إلى ديننا وعقيدتنا قبل أن نندم حيث لا ينفع الندم، اربطوا أولادكم بسيدينا محمد، بسيدينا أبي بكر، بسيدينا عمر، بعمالقة الصالحين والأولياء. مع من تحب أن تحشر؟ مع سيدينا محمد، نحن المسلمين اليوم نصرح بأننا هنا باقون في محراب العبودية لله خالدون، لن نخاف أمريكا، ولا اليهود، لن ترهبنا قوى العالم ما دمنا مع الله هنا، وما أدراك ما هنا؟

هنا مدرسة سيدينا محمد، الجالس فيها عليه أن يؤدّي التحية، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله هي:

الصلاة والسلام عليك

القضية الستين

تعليم الولد أحكام المراهقة

الحمد لله الذي أعظم على عباده المنّة بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنّه وردّ أمله وخيّب ظنّه، إذ جعل طهارة الظاهر والباطن حصناً لأوليائه وجنّة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. فتح لعباده أبواب الجنة، وعرفهم أن وسيلة الشيطان إلى قلوبنا الشهوات المستكنة، وأن بقمعها تصبح النفس مطمئنة طاهرة الشوكة في قصب خصمها قوية المنّة.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله قائد الخلق وممهّد السنّة.

اللهم صلّ وسلّم وبارك وعظم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه وعترته، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

سألني أحد الإخوة الكرام بعد أن فتحت مع حضراتكم ملف التربية الجنسية للمراهق فقال: قد أدركنا أهمية المسؤولية الجنسية للولد، وعرفنا ما يحاك ضد المسلمين من مؤامرات لهدم الجدار الجنسي ونشر الإباحية بين المراهقين، فهل لك أن نخبرنا كيفية معالجة القضايا الجنسية للمراهق، وكيف نجنبه الوقوع في شرك الغرب الكافر.

هذا سؤال هام جداً يأتي بعد حديثنا السابق ليتوج المسؤولية الجنسية للوالدين، والحقيقة أن الجواب عن هذا السؤال بسيط وواضح وهو أنه لا بدّ للولد من أن يتعلم أحكام المراهقة والبلوغ، أعني تعليم المراهق منذ أن يميّز الأحكام التي ترتبط بميله الغريزي ونضجه الجنسي، الذكر والأنثى في هذا التعليم سواء لكونهما مكلفين شرعاً، ومسؤولين عن عملهما أمام الله تعالى، وأمام المربين وأمام المجتمع. فمن هو المسؤول عن تعليم الولد ذلك، وكيف يفعله؟ أجب عن هذا السؤال إن شاء الله تعالى مع الحلقة الستين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم.

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

إخوة الإيمان: من المسؤولين الكبرى التي أوجبها الإسلام على أهل التربية من آباء وأمهات ومعلمين ومرشدين مصارحة الولد إذا بلغ سن المراهقة، وهو السن الذي يتراوح ما بين ١٢ سنة و ١٥ سنة أن يصارحه بشيئين اثنين: الأول: اتباع سنة سيدنا رسول الله في طريقة النوم، بأن ينام الولد على الشق الأيمن، فإنه يبعد المراهق عن كثير من المهيجات الجنسية أثناء النوم، وقد وصف رسول الله النوم على الوجه بنومة الشيطان، لأنه يؤدي إلى كثرة حك أعضائه التناسلية التي تثير شهوته في هذه الحالة، فإذا وجد المربي ولده ينام على هذه الحالة حبب إليه النوم على الشق الأيمن ونبهه أن النوم على الصدر يورث كثيراً من الأمراض الجسمية، والأطباء جميعاً بدون استثناء ينصحون بالابتعاد عن النوم على البطن.

هذه أول نصيحة يوجهها المربي إلى المراهق، والنصيحة الغالية والتوجيه الأهم يصارحه أنه إذا نزل منه المنى وهو سائل غليظ أبيض كرائحة طلع النخيل وهي قريبة من رائحة العجين، أما عندما يجف فرائحته كرائحة بياض البيض، وعلامته أنه يخرج بدفق وبشهوة، فينبهه المربي أن هذا المنى هو عطاء الله للإنسان خلقه له لمتابعة النسل، وأنه به يصبح بالغاً قادراً على الزواج، وأنه عليه أن يصرفه فيما خلقه الله تعالى، فإذا أكثر من إخراجه بالحرام حرمه الله تعالى النسل عندما يريد أن يتزوج، ذلك أنه لا يطلب ما عند الله بمعصيته.

معشر الإخوة: هذا الدرس الهام من وظيفة المربي أو الوالد، يحدث ولده بهدوء وروية عن طبيعة هذه المادة التي تخرج ولونها، أي يقدمان له درساً في فقه الغسل من كتب الفقه، فإنه إن فعل ذلك كان خيراً من أن تمتد أيدي السفهاء من أهل السوء فتقدم له السم الزعاف. فمثلاً يقول له:

أنت الآن ستدخل سن التكليف في الحياة. إنه بدء الفرائض على الإنسان والنواهي الربانية له، أنت ستصبح الآن محاسباً على الصغيرة والكبيرة على أعمالك وأقوالك، فإن الملكين رقيباً عتياً قد بدءا يحصيان عليك الحسنات والسيئات.

هل لاحظتم- أيها السادة- إنه وعظ هادئ يتنبه فيه الولد إلى ما يهيء الله له ، وأنه بنزول المنى سواء نزل بالاحتلام وهو ما يراه النائم في نومه من الشهوة فينزل على أثرها، أم نزل بغير ذلك فإنه يجب عليه أن يغتسل، فكم سمعنا عن بنين بلغوا سن الشباب وهم في جنابة دائمة لكونهم لا يعلمون ماذا يترتب على الاحتلام والجنابة من أحكام.

وربما تصلي البنت ويصلي الولد وهما على جنابة أو في حال عذر، ويظنان أنهما يؤديان حق الله تعالى في الطاعة والعبادة، وإليك هذه الفتوى والأحكام الشرعية يوجهها إلينا سيدنا رسول الله ﷺ (الخمسة إلا النسائي) فقد سئل عن الرجل يجد البلل في ثوبه ولا يذكر احتلاماً فقال: **يغتسل**، وعن الرجل يرى أنه احتلم ولا يجد البلل فقال: **لا غسل عليه**، فقالت أم سليم: المرأة ترى ذلك: عليها الغسل. قال: **«نعم إن النساء شقائق الرجال»**.

إخوتي في الله: بعد هذا الحوار الهادئ يعلم المربي المراهق كيفية الغسل حتى يصبح طاهراً لأداء العبادة، يقول له: إن الله تعالى يقول **﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾** وإن نبينا ﷺ علمنا **«تحت كل شعرة جنابة»** (د-ت-ض)، فعلياً أن نبل كافة أجزاء الجسم، فوق الشعرة وتحتها، والسرة، وظاهر الأذنين وما تحت الأبطين، وتعالوا بنا - معشر الإخوة - لتعلم الغسل من صاحب الشريعة وعين الحقيقة سيدنا محمد ﷺ (الستة) فعن جدي سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدثتني خالتي ميمونة قالت: أدنيت (أي قرّبت) لرسول الله غسله من الجنابة (أي ما يغتسل به) **«فغسل كفيه مرتين أو ثلاثاً، ثم أدخل يده في الإناء، ثم أفرغ على فرجه وغسله بشماله، ثم ضرب بشماله الأرض فدلكها دلكاً شديداً (لإتقانها من النجاسة) ثم توضأ وضوء الصلاة ثم أفرغ على رأسه ثلاث حففات، كل حفنة مقدار كفيه، ثم غسل سائر جسده، ثم تنحى عن مقامه ذلك فغسل رجله ثم أتته بالمنديل فردّه»** فيفعل الولد ذلك بنية الغسل من الجنابة.

أما البنت فتعلمها الأم أحكام الحيض والغسل وأنه كغسل الجنابة، وأنها يحرم عليها دخول المسجد أو التجول فيه لأن المربي الأعظم (د) قال: **«لا أحلّ المسجد لجنب ولا حائض»** وأنها يحرم عليها قراءة القرآن بقصد التلاوة كالجنب لأنه ﷺ قال: **«لا تقرأ الحائض والجنب شيئاً من القرآن»** ويأمر المربي الولد بغسل المني عن الثوب إذا كان رطباً فإنه لا يطهر إلا بالغسل، وأما إن كان جافاً فيطهر بالفرك، فإن أمنا الصديقة بنت الصديق علمتنا ذلك فقالت: **«كنت أفرك المني من ثوب رسول الله إذا كان يابساً وأغسله إذا كان رطباً»**، مع أن فضلاته ﷺ طاهرة ١٠٠% .

أيها الآباء، أيها المربون: هذه هي قضيتنا اليوم تعليم الولد أحكام المراهقة وإسقاط الجنابة والطهارة البدنية، فإذا تمت هذه العملية قمنا بتحذير المراهق تحذيراً شديداً من الوقوع في الفاحشة، ويشرح له ذلك بحسب البلد الذي يعيش فيه، هل هو في بلد متحلل مثل الغرب وأمريكا أم في بلد إسلامي محافظ؟ وعلى حسب الأسرة التي بلغ فيها ذلك المراهق، هل هي إسلامية أو إباحية، فحيثما كانت الإباحية فيجب

أن يشرح للمراهق المسلم أو البالغ ما هو الزنى حتى يجتنبه ويبتعد عنه، ويقدم له النصيحة الغالية التي قدّمها المربي الأعظم لأحد الصحابة الأجلاء (أحمد-طب صحيح) فقد جاءه فتى من قریش فقال:

يا رسول الله أئذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه وزجروه. فقال لهم المربي الأعظم: ق..ق..ادنه، فدنا منه قريباً، فخاطبه بكل لطف وحنان فقال: **أتحبه لأهلك؟** قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: **ولا الناس يحبونه لأمهاتهم.** قال: **أفتحبه لأبنتك؟** قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك. قال: **ولا الناس يحبونه لبناتهم.** قال: **أفتحبه لأختك، أتحبه لعمتك، أتحبه لخالتك** وفي كل ذلك يقول له الفتى: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، والنبى يؤكد: **ولا الناس يحبون لنسائهم.** (حتى أصبح الفتى محمراً الوجه خجلاً من نفسه مما كان يريد. ثم رفع رأسه إلى نور عيني سيدنا محمد ﷺ فانبعثت شعبة من نوره أصابت فؤاد الفتى القرشي فانكب على صدر حبيب الله وقال: ادع الله لي يا رسول الله فوضع الحبيب الأعظم يده على الفتى وقال: **«اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه»** ثلاثة أدوية من أنفع الأدعية، نزلت برداً وسلاماً على قلب الفتى، يقول الراوي يا سادة يا كرام: فخرج الفتى من عند النبي وليس على وجه الأرض شيء أبغض إليه من الزنا. هذه هي تربية سيد الرسل والأنبياء، هذه هي تربية الإسلام، فأروني كيف ربى الغرب الكافر أتباعه، لقد آتت تربية سيدنا محمد ﷺ ثمرتها بجيل محمدي بقي حتى هذه اللحظة هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد، الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله هي:

الصلاة والسلام عليك

القضية الواحد والستين

أيها الآباء أنقذوا الأبناء

الحمد لله الذي تفرّد في أزليته بعزّ كبريائه، وتوحّد في صمديته بدوام بقائه، ونور بمعرفته قلوب أوليائه، فعرفوا الحق من الباطل وطابوا بطيب ثنائه، وأسبغ عليهم جزيل عطائه، فالقبول والرد والوصول والصد، والحمول والجد بمشيئته وقضائه، فسبحانه وتعالى لا يعزب عن علمه مثقال ذرة لا في أرضه ولا سمائه.

أحمده سبحانه وتعالى حمد معترف بالعجز عن عدد آلائه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ضمن الحسنی لقائلها يوم لقائه، ووعد بزيادة النظر إليه وهو أحق بوفائه.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم رسله وأنبيائه، وسيد خلقه وأصفيائه، المخصوص بالمقام المحمود في اليوم المشهود فجميع الأنبياء تحت لوائه.

اللهم صلّ وسلم وبارك وعظم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وخلفائه ومن اقتضى أثرهم إلى يوم الدين ففاز باقتفائه، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

كنت أبحث بين طيّات الكتب التربوية عن حل ناجع يلبي حاجات المراهق أو البالغ وميوله الجنسي، فرأيت أن جميع من كتب في علم التربية أجمعوا إجماعاً عقلياً بعد الإجماع الشرعي والديني أن أمثل طريقة لسير الإنسان مع فطرته الجنسية وميله الغريزي دون أن يتأثر من فتنة الحياة وهياج الغريزة وأشواق الفطرة، أقول: أمثل طريقة لذلك هو الاتصال الجنسي عن طريق الزواج، وحتى لا يتجاوز أي فرد في المجتمع حدود فطرته، ولا يسلك سبيلاً منحرفاً يصطدم مع غريزته. وصدق الله العظيم الذي قرر هذه القضية ضمن منهج قويم سوي فقال لنا على الموجات العاملة من سورة الروم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. إنها نعمة عظيمة منها الله تعالى على عباده سمّاها آية من آياته.

إننا - معشر السادة - مع الحل الأمثل لحفظ البالغ من السقوط من عين الله تعالى مع الحلقة الواحدة والستين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية. ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم:

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

إخوة الإيمان: حرّم الإسلام العزوف عن الزواج والزهد به لمن كان قادراً على الزواج وتيسرت له أسبابه ووسائله وعنده من الشهوة العارمة ما تجنح به إلى الزنا والعياذ بالله، وحاربت الشريعة بشدة لا هوادة فيها كل دعوة إلى الرهبانية، وجعل نبي الإسلام العزّاب من شرار الناس إذ روي عنه: «**شِرَارَكُمْ عَزَّابُكُمْ وَأَرَادِلَ مَوْتَاكُمْ عَزَّابُكُمْ**».

ذلك أن الرهبانية تصطدم مع غرائز الإنسان وميوله الجنسية، ولهذا ورد عنه ﷺ (هب): «**إِنَّ اللَّهَ أَبَدَلَنَا بِالرَّهْبَانِيَةِ الْحَنِيفِيَةِ السَّمْحَةَ**». ولقد حذرنا أشدّ التحذير ونبهنا بقوله (هب - طب): «**مَنْ كَانَ مُوسِراً لَأَنْ يَنْكِحَ ثُمَّ لَمْ يَنْكِحْ فَلَيْسَ مِنِّي**».

ليسمع هذا الكلام الآباء الموسرون، ألا تحبّ - أيها الأب - أن تحفظ فرج ولدك وتحصّنه بالزواج، ألا تريد - أيها الوالد - أن ترى أحفادك، ألا تريد أن تحفظ نسب ولدك، ألا تريد أن يسلم ولدك من الانحلال الخلقي، اسمع إلى مولاك يقول لك ولنا: «**وَاللَّهِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً**».

اسمعوا أيها الآباء: بنين وحفدة، عن طريق الحلال، عن طريق حفظ الأنساب والفروج فإن الزواج ستر للبنات والشباب. هو «**أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَحْصِنَ لِلْفَرْجِ**» أليس هذا ما قاله الشافع المشقّع.

أيها الأب: هل تريد من ولدك أو ابنتك أن يبقى أحدهما مضطرب الفؤاد، ونفسه ترتكب الخطايا وروحه تتعذّب بين الطاعة ومشاهدة أهل المعصية، أليس حراماً عليك وأنت تراه في هذه الحالة وتستطيع أن تنقذه من وهدة المعاصي وتتركه يعرّج على جنبااتها، النكاح سكن روحي ونفسي للفتى والفتاة، هذه الحقيقة بينتها الآيات القرآنية ببيان يعجز اللسان العربي على أن يأتي بمثله: «**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**». سكن ومودة ورحمة تلك هي ما يفتش عنها فتيان الإسلام وفتياته.

أنت أيها الأب الميسور ساهم في إنقاذ ولدك من الهواجس النفسية والتأملات الجنسية التي تسيطر على عقله وتفكيره وتقف عائقاً في طريق غايته أو تعليمه، وتنقذه أيضاً من الانحلال الخلقي الذي يفتك بصحته ويسيء إلى سمعته، ولا يكون هذا إلا بتيسير أسباب زواجه وإمداده بالنفقة، وتأكد سيدعو لك، وتأكد أن الملائكة ستكتبها لك، وتأكد أن الله سيعوض عليك نفقتك، ولأنك حفظت فرج أولادك سيحفظ الله لك نسلك، ولن يقترب أحد من عرض أولادك وأحفادك.

أيها الآباء: لا تتخلوا عن إنقاذ أولادكم بقوارب النكاح، لا تبخل أيها الأب بالمال الذي ستتركه يوماً ما وتمضي إلى العزيز الغفار ليسألك من أين اكتسبته وفيم أنفقته، تعالوا معي جميعاً لأسمع مع حضراتكم تلك الكلمات التي نطقت بها شفاه النبوة، اسمعوها بعد أن توجهوا التحية إلى سيدنا المربي الأعظم يقول لنا (هب- طب): «**دِينَارٌ أَنْفَقْتُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتُهُ عَلَى (عَنْقِ رَقَبَةٍ) وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَلَى مُسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتُهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْراً ذَلِكَ الَّذِي أَنْفَقْتُهُ عَلَى أَهْلِكَ**».

أيها الآباء: الحل اليوم في أيديكم، امنعوا تلك المظاهر الانحلالية في المجتمع، امنعوا ذاك التحصُّر في الأخلاق بأن تزوجوا بناتكم وفتياتكم، هذا أمر من سيدكم وحبيبكم سيدنا محمد ﷺ، هذا دواء وصفه لنا طبيب القلوب والنفوس النقية التقية (ق) فقد جاء إلى بيته ثلاثة من الصحب الكرام يسألون عن عبادته فلما أخبرتهم أمهات المؤمنين كأنهم تقالَّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الثالث: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فبلغ رسول الله مقالته فخطب في الناس وقال: «**ما بال أقوام يقولون كذا وكذا، والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

إن تأخير تزويج البنت أو الفتى يسبب عندهما كبتاً جنسياً، ولا يوجد في الإسلام كبت جنسي، بل موقفه صريح (في بضع أحدكم صدقة)، اسمعوها من سيدنا محمد، لا تسمعوا لشرق أو لغرب. خذوا التربية ممن لا ينطق عن الهوى (م) فقد جاءه جماعة من فقراء الصحب الكرام وقالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور (الغنى) بالأجور، يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم. أتدرون بم أجابهم طبيب القلوب قال لهم: «**أو ليس الله قد جعل لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وبكل تكبيرة صدقة، وبكل تهليل صدقة، وبكل**

تحميدة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة» (أي بالوطء).

هذه هي حقائق الإسلام في كيفية معالجة الجنس، فكيف يقضي وطره البالغ بعد الزواج؟ كيف تكون حياته الجنسية مع زوجته؟

انتظروا أنباء ليلة الزفاف هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إليه، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله هي:

الصلاة والسلام عليك

القضية الثانية والستين

ليلة الزفاف

الحمد لله المتصف بصفات الكمال، المنعوت بنعوت الجلال والجمال، المنفرد بالإنعام والإفضال، والعطاء والنوال، المحسن المجمل على ممر الأيام والليال. أحمده حمداً لا تغير له ولا زوال، وأشكره شكراً لا تحول له ولا انفصال.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ندّ ولا مثال. شهادة أدخرها ليوم لا بيع فيه ولا خلال.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى أصحّ الأقوال وأسدّ الأفعال، المنعوت بالخلق العظيم وشرف الخلال، الذي أحكم الأحكام وميز بين الحلال والحرام.

اللهم صلّ وسلّم وبارك وعظم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه خير صحب وخير آل، صلاة دائمة بالغدو والآصال، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

كنت قد علّقت معكم سؤالاً قبل أسبوعين عن ليلة الزفاف وما يشرع لها ضمن ملف المسؤولية الجنسية للمربي عن المراهق والبالغ، وقد دعوتكم في الحلقة الماضية أيها الآباء أن تزوجوا الأبناء، لتصونوا أعراضكم وأبناءكم، وليصلوا إلى الليلة التي يسعى لها الشاب سعياً حثيثاً ليحرز شطر دينه، فبعد خمس أو عشر سنوات من بلوغه ها هو يدخل على عروسه يخلو بها ولأول مرة بعد الخطبة وعقد النكاح، وها هو يسأل سيدنا رسول الله فيقول له: ها أنا تابع من أتباعك فما هي توجيهاتك يا رسول الله.

إننا - معشر السادة - مع التوجيهات النبوية في ليلة الزفاف، مع الحلقة الثانية والستين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم:

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

إخوة الإيمان: إن مما يرفع الرأس عالياً بهذا الدين الكريم أنه شرع لأتباعه كلّ ما يختص بحياتهم الدينية والدنيوية، فالإسلام دين حياة ومنهج سعادة، علّمنا كلّ شيء حتى آداب الزفاف وأصول المعاشرة الزوجية، قال للزوج: إذا خلوت بزوجتك ضع يدك على رأسها وسمّ الله تعالى وادع لها بالبركة، وفي هذه القضية يقول لنا

المربي الأعظم (خ-د): «إذا تزوج أحدكم امرأة فليأخذ بناصيتها وليسم الله عز وجل وليدع بالبركة وليقل: اللهم إني أسألك من خيرها وخير ما جبلتها عليه (أي خلقتها وطبعتها عليه)، وأعوذ بك من شرّها وشرّ ما جبلتها عليه»، وتقول هي مثل ذلك حتى يكون العمل بالسنة مشترك بينهما، وكى لا تظن الزوجة أنه يفعل ذلك ليسحرها أو يقرأ عليها شيئاً غير شرعي.

ولهذا ندبنا الشّرع المطهر إلى أن يصلي ركعتين معها، ليكون أول عمل يقومان به طاعة الله تعالى والشكر له على نعمة النكاح وليريهما بطريق غير مباشر أنه هو الإمام وأن القوامه له في البيت، فقد جاء رجل إلى سيدنا عبد الله بن مسعود (ابن أبي شيبه بسند جيد) فقال إني تزوجت جارية شابة (بكرًا) وإني أخاف أن تفركني (أي تغضبنني) فقال ابن مسعود: (إن الإلف من الله والفرك من الشيطان يريد (أي الشيطان) أن يكره إليكم ما أحل الله لكم، فإذا أتتكم فأمرها أن تصلي وراءك ركعتين وقل(اللهم بارك لي في أهلي وبارك لهم فيّ، اللهم اجمع بيننا ما جمعت بخير وفرّق بيننا إذا فرقت إلى خير).

أيها الإخوة: فإذا ما تمّت هذه القضية الأولى فينبغي للزوج ألا يعجل على عروسه، لأنها الليلة الأولى له، ويخشى أن تنفر منه، أو تخاف، بل عليه أن يلاطفها فيجلسان معاً فترة من الزمن يتبادلان التهنئة ويتجاذبان أطراف الحديث حتى يرى أن خوفها قد زال. ويقدم لها من الطعام والشراب ما تبدأ به الألفة بينهما، لأن حبيبك رسول الله أمرنا بحسن الخلق مع الزوجة فقال (ت-ن بسند جيد): «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَأَلْطَفُهُمْ بِأَهْلِهِ». فالملاطفة والمداعبة مطلوبة فلا تعجل على أهلك، وأما ما يفعله العوام من أن الأهليين من النساء ينتظرن عند الباب بفارغ الصبر ليروا القصة الحمراء فهذا ليس من الدين، وسأفصل الحديث عنه لاحقاً بإذن الله تعالى، فليتق الله من يفعل ذلك، والأفضل للزوج أن يرحلهم من البيت إذا كن سيفعلن ذلك.

إخوتي في الله: الموانسة والمداعبة بالقبلة والمعاشرة مطلوبة وخاصة إذا لم تكن الزوجة قد تهيأت نفسياً لهذه الليلة ولئلا تنفر من زوجها، وفي هذه القضية تقول لنا السيدة أسماء بنت يزيد بن السكن (أحمد) زينت عائشة تجلوتها (أي لينظر إليها رسول الله مجلوة مكشوفة)، فجاء رسول الله إلى جنبها فأتي بقدر كبير من لبن فشرب منه ثم ناولها النبي فخفضت رأسها واستحييت (صلوا عليه). يفعل ذلك ليعلمنا إزالة وحشة الزوجة، وتمتين أواصر المودة والمحبة، لأن لكل داخل دهشة ولكل غريب وحشة. فلا ينبغي أن يترك الزوج مقدمات الوطء وإلا أساء التصرف معها، وقد ورد في الحديث (الديلمي): «لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع

البهيمة، ليكن بينهما رسول. قيل: ما الرسول؟ قال: القبلّة والكلام»، فإن لم يفعل كان ذلك دليلاً على عجزه وقلة فهمه ففي الحديث (الدلمي): إن من العجز أن يقارب الرجل جاريته أو زوجته فيصيبها قبل أن يحدثها ويؤنسها ويضاجعها فيقضي حاجته من قبل أن تقضي حاجتها».

على الزوج أن يهيء نفسية زوجته لما يريد منها، وأن يثير غريزتها ولا يسارع بالتعري بل يستتر ما أمكن لأن الذي تحبون أن تصلوا عليه يقول (أحمدت-د): «إن الله حيي ستير يحب الحياء والستر»، وفي هذا تكريم للملائكة الحفظة وغيرهم وقد ورد التحذير من التعري في الحديث (ت): «إياكم والتعري فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط (قضاء الحاجة) وحين يفضي الرجل إلى أهله (أي الوطء) فاستحيوهم وأكرمهم». كما ورد أيضاً (ت): «إذا جامع أحدكم أهله فلا يتجردان تجرد العيرين». حتى إن أم المؤمنين السيدة عائشة تقول لنا: (قبض رسول الله ﷺ ولم ير مني ولم أر منه)، فإذا ما تهيأت الزوجة وجلسا إلى الفراش فليسمعها الدعاء المبارك قبل التعري، بما ورد من مدرسة البخاري عن سيدنا محمد «لو أن أحدكم أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا فإن قضي بينهما ولد لم يضره الشيطان أبداً»، ويدعو: بسم الله الذي لا إله إلا هو، ليمتنع منه الشيطان.

إنه دعاء مبارك يتذكر فيه الإنسان ربه في وقت يغفل عنه كثيرون، وعلى الزوج أن لا يتعجل في قضاء وطره، وعليه أن يلاحظ أن العملية الجنسية تكون بتوافق زوجته معه في الحصول على اللذة والإنزال، ولا يوجد للعملية الجنسية كيفية معينة، فله أن يأتي أهله كيف شاء إذا كان في المحل، مقبلةً أو مدبرةً إذا كان في المحل الذي أذن فيه الشرع، وقد كانت اليهود تقول (خ): إذا أتى الرجل امرأته من خلفها في قبلها جاء الولد أحول، فأنزل الله تعالى رداً على اقترائهم فقال: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ ووضح هذه الآية سيدنا رسول الله فقال: «مقبلة ومدبرة إذا كان ذلك في الفرج».

فإذا تمت العملية الجنسية وجب على كل منهما أن يغتسلا. لما ورد من مدرسة الإمام مسلم: «إذا جلس بين شعبها الأربع ومسّ الختانُ الختانُ فقد وجب الغسل». أي أنزل أو لم ينزل، كما في رواية أخرى. فإذا أراد أن يعود إلى الوطء فيستحب له الوضوء لكونه أنشط، وقد علمنا ذلك الحبيب الأعظم ﷺ فقال (م-د): «إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ بينهما وضوءاً فإنه أنشط للعود». لكن الحقيقة الطبية والشرعية تثبتان أن الغسل أفضل، لأن الدورة الدموية تتجدد بالغسل وبتجديدها يتعوض المنى المفقود، فقد طاف ذات يوم سيدنا رسول الله ﷺ على نسائه

يغتسل عند هذه وعند هذه. فقال أبو رافع: يا رسول الله ألا تجعله غسلاً واحداً؟ فقال: «هذا أزكى وأطيب وأطهر».

وهكذا - معشر الإخوة - كنت مع حضراتكم في ليلة الزفاف، ولكن ليلة الليالي وأحلامها ليلة نجتمع هناك مع الحبيب الأعظم ﷺ، فمن أراد أن يكون معه هناك فليبق معنا هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى الحبيب الأعظم وتحيتنا إليك يا رسول الله:

الصلاة والسلام عليك

أسباب السعادة الزوجية

٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الرحمن الرحيم، الذي ما برحت عواطف رحمته على العباد تعود، الرازق لمن في قعور البحار ومهامه القفار ومن في المهود، الغني الكريم فكلّ أحد مفتقر إليه وهو جمّ العطايا واسع الجود، الذي أطلع من آفاق التوفيق للزواج الإسلامي نجوم السعود، فمن فهم حقوق الزواج بلغ المقصود.

أحمدته سبحانه وتعالى على فواضل نعمه وهو بكل المحامد على كل حال مسبحٌ معبودٌ، أشكره شكراً لا انقضاء له دائماً بدوام الوجود.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك المعبود ليس له ند ولا ضد ولا شبيه وليس كمثلته شيء في وجوب الوجود.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب المقام المحمود، سيد الوجود والبركة العامة لكلّ موجود.

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه المؤمنين بالعقود، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

كنت قد وقفت معكم قبل شهر رمضان المبارك لهذا العام ١٤٢٣ هـ عند الليلة الأولى للزوجين، ونحن اليوم بعونه تعالى نرسم للمرأة خطأً مستقيماً لتسير عليه حتى لا يقع الخلاف في بيت الزوجية. وأول قاعدة أخطها للمرأة هي طاعة الزوج ما دامت الطاعة في طاعة الله تعالى، وإلى هذا أشار المربي الأعظم في حديثه الشريف عندما قال: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِهَا الزَّوْجَةُ الصَّالِحَةُ، ما هي صفاتها يا رسول الله قال: إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهَا سَرَّتْكَ، وَإِذَا أَمَرْتَهَا أَطَاعَتْكَ، وَإِذَا أَقْسَمْتَ عَلَيْهَا أَبْرَتْكَ، وَإِذَا غَبَتْ عَنْهَا حَفَظْتَكَ فِي عَرْضِهَا وَمَالِكَ».

هذه هي أوصاف المرأة، وبين المربي الأعظم أن الرجل إذا كره من زوجته أمراً فإن هناك أموراً كثيرة قد يرضى عنها، فعليه ألا يتسرع بلفظ الطلاق وإلا عاش وحيداً فريداً يعرض على يديه من شدة الندامة، وفي ذلك يقول: «لَا يَغْرُكَ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةٌ إِذَا كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»

ثم بيّن أن تكريم المرأة يدعى صاحبه عند الله كريماً فقال: «لَا يُكْرِمُهُنَّ إِلَّا كَرِيمٌ وَلَا يُهِنُّهُنَّ إِلَّا لَيْئِمٌ، يَغْلِبَنَّ كُلَّ كَرِيمٍ وَيَغْلِبُهُنَّ لَيْئِمٌ، وَأَنَا أَحَبُّ أَنْ أَكُونَ كَرِيماً مَغْلُوباً مِنْ أَنْ أَكُونَ لَيْئِماً غَالِباً»
هذه هي السياسة الشرعية في الإسلام في إدارة البيوت، والإسلام قال للزوجة احفظي عرض زوجك، كيف ذلك؟

أجيب اليوم بعونه تعالى عن هذا السؤال ومع الحلقة الثالثة والستين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، وفي بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم.

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة النور: ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾

إخوة الإيمان: نحن اليوم نضع الأساس المتين لبيت الزوجية حتى لا تنفصم عرى النكاح، على كل امرأة اليوم أن تفهم هذه القضايا إذا أرادت أن تستمر السعادة الزوجية وراحة البال.

هذه الآيات التي تلوتها على حضراتكم تبين أن الإسلام حرم على المرأة التبرج وحرّم عليها إظهار المفاتن لغير هؤلاء الأصناف، ولذلك يقول لنا الحبيب الأعظم: «إِذَا اسْتَعْطَرَتِ الْمَرْأَةُ (وضعت العطر) وَمَرَّتْ عَلَى الْقَوْمِ فَشَمُّوا رَائِحَتَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ وَكُلُّ عَيْنٍ تَنْظُرُ إِلَيْهَا زَانِيَةٌ» (د - ت - ن).

لماذا تستعطين؟ اطرحي على نفسك هذا السؤال، لتلفتي الأنظار من حولك إنك إن فعلت ذلك فقد خالفت تعاليم الله ورسوله، الإسلام منعك من الخروج حتى لا تخدش طهارتك وعفتك وترمين بالحجارة والنظرات المسمومة، هذه أول قاعدة.

والقاعدة الثانية: علّم الإسلام المرأة كيف تمشي فقال لها رب العزة والجلال: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ وقال: ﴿وَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُنَّ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾

علمها كيف تمشي، و علمها كيف تتكلم فقال لها: ﴿وَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ و علمها كيف تخرج من بيتها متسترة فقال لها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ وأمرها ألا تخرج من بيتها إلا لضرورة أو حاجة فقال: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ ، ونساؤنا المسلمات اليوم يخرجن في بيجامة الرياضة لتخفف وزنهما ولم تعلم أنها بفعلها ذلك قد خفت من دينها وعفتها، نساؤنا اليوم يخرجن إلى الأسواق لتقيس الطريق ويقلن لك نحن محبوسات في البيوت ونريد أن نرفه عن أنفسنا، ألا فلتعلم نساء اليوم أن حبسهن في البيوت خير لهن من حبسهن في نار جهنم، ألا فلتعلم المرأة أن الإسلام حفظها وصانها من كل سوء لأن نبي الإسلام أعلن بما لا يدعو مجالاً للشك أن سبب الفتنة هو المرأة فقال (ت) : «الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرِفَهَا الشَّيْطَانُ» وقال: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضُرُّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ» (حم - ق) «وَأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ سَبَبَ هَلَاكِهِمُ النِّسَاءُ»

هذا إخوتي في الله: ليس تشهيراً للمرأة ولكنه تحذير للزوجين أن يحافظا على بيتهما المسلم تقياً نقياً، فلا تعرّض المرأة نفسها للشبهة تنفيذاً لأمر الله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ ومعناه لا تخرج منه ولو إلى الصلاة في المسجد، وهذا التوضيح صرحت به السنة المطهرة، فقال لنا القائد الأعلى للأمة: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ» (حم - م)، «وَبُيُوتَهُنَّ خَيْرٌ لَّهُنَّ» وفي رواية: «صَلَاةُ الْمَرْأَةِ فِي بَيْتِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي حَجَرَتِهَا، وَصَلَاتِهَا فِي مَخْدَعِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي بَيْتِهَا» (د). ومعلوم أنها لا تخرج للمسجد إلا بإذن زوجها أو وليها فإن لم يأذن فلا خروج لها ويصلي معها في البيت صلاة الجماعة. فلما كان عهد السيدة عائشة وبعد وفاة سيدنا محمد ﷺ بأربعين سنة تقريباً اسمعوا ماذا حدث، تقول أم المؤمنين السيدة عائشة: (لو علم رسول الله ما أحدثت النساء بعده لمنعهن الخروج إلى المساجد) فسد الزمان وتحلت النساء من قيود الإسلام، فكان على الرجال أن يغاروا على زوجاتهم من أن تلاك بالأسن، حتى إلى جارتها لا ترسلها إلا لضرورة كولادة جارتها مثلاً ولا يوجد في البيت رجال أجانب، اسمعوا ماذا يجري خلف الكواليس، اسمعوا حصاد الهشيم ونتائج تركنا لزوجاتنا تخرج بلا رقيب:

امرأة صالحة مصلية عابدة صائمة تقرأ القرآن إلا أنها كانت تزور جارتها، وما أدراك ما جارتها؟ شيطانة فتانة فاسقة، بقيت تتحدث عن زوجها وأنه يمدحها ويمدح صلاحها حتى جمعتها بزوجها، وفي بيت جارتها وعلى مسمع ومرأى من جارتها تجلس المرأة مع زوج جارتها وكلمة وابتنسامة ومن زيارة لزيارة خلا بها وارتكب معها الفاحشة .

(لو علم رسول الله ما أحدثت النساء بعده لمنعهن الخروج إلى المساجد) لا إلى بيوت الجيران، فمنعهن من بيوت الجيران أولى، حافظ على زوجتك من جيران السوء لا تثق بأحد.

القاعدة الثالثة: منع الإسلام المرأة من التزين الحرام فقال نبي الإسلام: «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُوصُولَةَ وَالنَّامِصَةَ وَالْمُتَمِّصَةَ وَالْمُتَفَلِّجَاتُ لِلْحَسَنِ الْمُغَيَّرَاتُ خُلِقَ اللَّهُ» هذا الحديث يوجب على المرأة أن تتعلم تعاليم الإسلام حتى لا تقع في مستنقع المعصية، لعن الله الواصلة والموصولة، الواصلة صاحبة صالون الحلاقة النسائية التي تركب الباروكة على رأس النساء، والموصولة التي تضع الباروكة على رأسها. هذا للنساء فما بالك بالرجال الذين يضعونها إذا كانت الباروكة حرام على النساء فعلى الرجال من باب أولى، ولعن الله المتمصصات اللواتي يظهرن تغيرات في حاجبهن لغير أزواجهن يرققن الحواجب لأنه يعتبر تغيير لخلق الله تعالى.

المتفلجات التي تبرد أسنانها بالمبرد لتظهر فوارق بين الأسنان.

ولعن الله الواشمة والمستوشمة، والوشم تغيير الجلد بغرز الإبر تحته.

كل هذه أعمال نهى عنها رسول الله، فللمرأة أن تتجمل بالكحل لا بأس، وبالنظافة والرتابة والثوب الحسن مع الستر الكامل، إن ترك المرأة تخرج على رغبتها سافرة متكشفة سبب لغضب الله، لأن الإسلام أمر بالستر والنبي يقول: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدُونَ رِيحَهَا وَإِنْ رِيحَهَا لَيُعرفُ مِنْ مَسِيرَةٍ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ: الْعَاقُ لَوَالِدَيْهِ وَالْمُتَشَبِّهَاتُ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ وَالذُّيُوثُ، قَالُوا مَا الذُّيُوثُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: الَّذِي لَا يَغَارُ عَلَى عَرَضِهِ أَوْ قَالَ: الَّذِي يَرْضَى الْفَاحِشَةَ فِي أَهْلِهِ».

الإسلام دين شرف، ودين عفة، ودين نخوة.

أصون عرضي بمالي لا أبدده لا بارك الله بعد العرض بالمال

والعرب يقولون: تموت الحرة ولا تأكل بثدييها. وأما سيدنا سعد بن عبادة فقد جاء إلى سيدنا محمد وقال: يا رسول الله لو رأيت رجلاً مع امرأتي لقتلته بسيفي هذا، فقال سيد الوجود والبركة العامة لكل موجود: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ أَنَا أَغَيْرُ مِنْ سَعْدٍ وَإِنَّ اللَّهَ أَغْيَرُ مِنِّي وَمِنْ سَعْدٍ، وَإِنَّ غَيْرَةَ اللَّهِ أَنْ تُنْتَهَكَ مَحَارِمُهُ».

لكن الغيرة المحمودة هي الغيرة التي تكون عن ريبة. إن رسول الله حد لنا حدوداً للغيرة فقال: «إِنَّ مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَإِنَّ مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يَبْغِضُهُ اللَّهُ». الغيرة والنخوة التي يحبها الله هي عند الريبة والشك بالزوجة، ما دام فيه عوامل وقرائن تبين سبب الغيرة، كأن تخرج الزوجة متبرجة ومتزينة متعطرة، تذهب إلى

النوادي الليلية، تختلط بالشباب وتتكلم معهم في مجتمع نسي الله فنسيه الله ولما نسي الله أنساه نفسه. هنا الغيرة مطلوبة، فلا يسمح الزوج بمثل هذه المعاصي، الزوجة ما جعلها الله لتخرب بيت زوجها ولكن لتصونه، لتكون سكناً لزوجها. ﴿اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ الزوجة سكن للرجل يأتي متعباً فتكون الزوجة قد هيأت له طعامه وشرابه وفراشه على الزوجة أن تتشبه بسيدتنا خديجة بنت خويلد التي تلقت رسول الله وقد أتى إليها يقول: **زملوني زملوني**، فهذأت من روعه وقال: والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم وتقري الضيف، وتعين على نوائب الدهر.

على المرأة أن تكون بمثل هذه المسؤولية أن تتحمل مشاق الحياة جنباً إلى جنب مع زوجها، عليها أن تكون كفاطمة بنت سيدنا محمد سيدة نساء العالمين، اسمحوا لي معشر السادة أن أشهد مع حضراتكم هذا المشهد الفذّ، مشهد يدلّ على عظمة المسلمين الأوائل:

سيدتنا فاطمة الزهراء جاءت إلى السيد الأعظم وهي تقول: يا أبتاه إن يدي تعبنا من شدة تدوير الرحي، (لطحن الشعير) وملابسي يتسارع إليها الوسخ والغبار، وصدري تأثر من حمل قربة الماء (لتسمع النساء كيف كانت النسوة على عهد النبوة، اليوم براد وغسالة وجلالية وحمام وماء موصول وغاز وميكرويف وخبز جاهز ومع ذلك تتذمر النساء وتكفر بنكران جميل الزوج المعاشر) أما بنت سيدنا محمد، بنت النبي فتطحن الشعير وتدوير الرحي وتكنس البيت بنفسها بدون مكنسة كهربائية أو خادم، وتحمل قربة الماء على صدرها حتى تأثر نحرها، جاءت لحاكم الأرض وهو أبوها ليجد لها خادماً.

أتدرون ماذا قال رسول الله لها: قال لها: **«يَا فَاطِمَةُ اتَّقِي اللَّهَ»**.

صلى الله عليك يا رسول الله، رسول الله لم يكن يعرف التدجيل على عباد الله، كان واقعياً عادلاً، لم يكن كالمندجلين على الناس الذين يقولون: إن لينين نادى بالمساواة، وماوتي سونغ كان ينادي بالعدالة الاجتماعية، ثم تقرأ عن ماركس حقير الإلحاد في الأرض ويرفعونه إلى عنان السماء كلهم كانوا يمثلون على شعوبهم، وكانوا يعمونهم ويجوعون شعوبهم، يتمتعون هم والشعب ينام على الحصير، خروشوف كان عنده حمام من البلور ما كان عنده مثله الملك فهد. كلهم كانوا دجاجة على شعوبهم، من أراد أن يعرف أين العدالة الاجتماعية وأين الإصلاح فليقرأ للنبي سيدنا محمد، لا تقرأوا لزعماء الشرق ولا لزعماء الغرب واقروا للنبي، هو رافع لواء العدالة الاجتماعية في الأرض، والدليل ابتته، تأتي إليه لتطلب منه خادماً لا سيارة مرسيدس أو موديل ٢٠٠٢، بل خادم ليطحن لها الشعير ويحمل لها الماء ويكنس لها

البيت، فقال لها: يا فاطمة اتقي الله. وفاطمة من؟ سيدتنا فاطمة كان يسميها رسول الله الرحانة، كل بناته متن ولم يبق عنده سواها، لم تبق إلا فاطمة آخر أولاده ومن كان يقول فيها: «رضا فاطمة من رضي وسخطها من سخطي». عندما كان يقدم من سفره أول ماذا كان يفعل؟ كان يصلي في المسجد ركعتين، ثم يدخل عليها ليطمئن عليها. لتسمع النساء ماذا أجاب رسول الله ابنته قال لها: «يا فاطمة! اتقي الله وأدي فريضة ربك واعلمي بعمل أهلك، فإذا آويت إلى مضجعك فقل: سبحان الله ثلاثاً وثلاثين، والحمد لله ثلاثاً وثلاثين، والله أكبر أربعاً وثلاثين هذه المئة خير لك من الدنيا وما فيها». هذه هي نصيحة سيدنا رسول الله للمرأة المتزوجة. أختم بها وقفتي هذه معكم.

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها: أيتها المرأة المسلمة:

يا فاطمة اتقي الله، وأدي فريضة ربك واعلمي بعمل أهلك، فإذا آويت إلى مضجعك فقل: سبحان الله ثلاثاً وثلاثين والحمد لله ثلاثاً وثلاثين، والله أكبر أربعاً وثلاثين. هذه المئة خير لك من الدنيا وما فيها.

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى رسول الله وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله الصلاة والسلام عليك.

القضية الرابعة والستين التوازن في شخصية الزوج

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، والفضل والطَّول والمنن الجسام، الذي هدانا للإسلام، وأسبغ علينا جزيل نعمه وأطافه العظام، وأفاض علينا من خزائن ملكه أنواعاً من الإنعام.

أحمدُه سبحانه أبلغ حمد وأكملُه وأزكاه وأشمله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكريم الغفار.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار، اختصه الله بالقرآن المعجز وجوامع الكلام، فبيّن للناس ما أرسل به من أصول الديانات والآداب وفروع الأحكام.

اللهم صلّ وسلّم وبارك وعظّم على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء وأتباعهم الكرام، صلوات مضاعفات دائمت بلا انفصام. وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

أقف اليوم بينكم لأصحح دعوى وقع فيها بعض الإخوة المسلمين فهموا حديثاً عن النبي ﷺ أنه تقاعس عن أداء الواجبات الشرعية، وهذا الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه وهو قوله ﷺ: «وفي بضع أحدكم صدقة»، قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال عليه الصلاة والسلام: أرأيتم لو وضعها في حرام كان عليه وزر؟ قالوا: بلى! قال: فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له فيها أجر».

معشر الإخوة: فهم بعض الإخوة من هذا الحديث أنه مَيَّلُ إلى إشباع الشهوة وقضاء الوطر والتقلُّب في مضاجعة الزوجات فقعدوا عن صلة الأرحام وخدمة الناس وواجبات المسلم.

نحن اليوم في صدد الحديث عن هذه القضية التربوية وهي التوازن في شخصية الزوج، ومع الحلقة الرابعة والستين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، وفي بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم.

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

إخوة الإيمان: حرص الإسلام على توازن شخصية المسلم بين البيت والحياة الخارجية بحيث يعطي كل ذي حق حقه دون أن يغلب حقاً على حق أو واجباً على واجب، يتجلى

لنا ذلك في موقف عظيم بينه رسول الله لبعض الصحابة، فاسمحو لي -معشر السادة- أن أنتقل بكم إلى هناك إلى العصر الذهبي للإسلام، لأشهد معكم هذا التوازن المطلوب في حياة المسلمين، فقد بلغ رسول الله أن بعض الصحابة نذروا أنفسهم للعبادة والزهادة والعزوف عن الحياة الدنيا، فقد تعهد أحدهم أن يصلي الليل أبداً، والآخر أن يصوم النهار أبداً، والثالث أن يعتزل النساء فلا يتزوج أبداً.

ولكن القائد الأعلى للأمة أبى ذلك لأتباعه، بل شدد فيه، فقدم إليهم وقال لهم: **«قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكنني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»**.

أرأيتم كيف حقق الإسلام التوازن في شخصية المسلم، لا إفراط ولا تفريط في حياتنا وهذا الموقف من المربي الأعظم أعظم برهان على أن الإسلام دين شريعة ودين حياة، دين فطرة ودين تعايش وهداية، فهل طبّق الصحب الكرام هذا التوازن في حياتهم؟ ألا فليعلم أهل الإيمان أن الرعيل الأول كانوا يتعلمون التوازن في الحياة من سيدنا محمد ﷺ، فترى أحدهم مع زوجته في بيته وبين أسرته ونادى منادي الجهاد سارع ليبي النداء ولو كان على فراشه أو بين أهله وعشيرته تحقيقاً لهذا التوازن.

هذا الصحابي حنظلة بن أبي عامر (أحمدت) تزوج امرأة ليلة الجمعة وفي صباح ذلك اليوم نادى المنادي (حيّ على الجهاد) فما أن سمعها حنظلة حتى تقلّد سيفه ولبس درعه وامتطى جواده ثم سار إلى القتال في غزوة أحد، فلما بدأت الحرب قاتل قتال الأبطال ثم انكشف المسلمون، لكن حنظلة بقي يقاتل ويقاتل ويمرّ بعينيه بين صفوف المسلمين في أحد حتى يجد أبا سفيان فلما وجده هجم عليه، فوقع أبو سفيان وانقض عليه حنظلة يريد ذبحه فاستتجد أبو سفيان بفرسان قريش فهجموا على حنظلة وانقضوا عليه ضربة رجل واحد فارتفعت روحه إلى أعلى عليين، وينظر رسول الله إلى جسد حنظلة وهو مسجّى (مغطّى) على أرض المعركة فيقول: **«إني أرى الملائكة تغسل حنظلة بماء السحاب في صحاف الفضة»** فيسرع الصحابة إلى جسد حنظلة فيكشفون عن وجهه فإذا رأسه يقطر ماء، فتعجب الصحابة الكرام لماذا تغسل الملائكة حنظلة؟ فسألوا زوجته فأخبرتهم أنه لما سمع نداء الجهاد خرج من فراشه وهو جنب لم يغتسل، فغسلته الملائكة، فكان يدعى بين الصحب الكرام مغسّل الملائكة.

وهكذا نرى أن حنظلة ضرب المثل الأعلى لمن بعده أن التوازن مطلوب في حياة المسلم. لقد دفع حنظلة حياته في سبيل تطبيق مبدأ التوازن.

وأذكر أن عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما تزوج امرأة حسناء ذات خلق بالغ وأدب رفيع فشغلته عن مغازيه وجهاده، فأمره أبوه الصديق بطلاقها، وقال معللاً: إنها شغلتك عن مغازيك فطلقها، فطلقها الولد تنفيذاً لمبدأ التوازن في حياة المسلم، لكن الصديق مرّ مرّة بولده عبد الله فسمعه ينشد:

فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها ولا مثلها في غير ذنب

تطلق

لها خلق جزل ورأي ومنصب على كبر مني وإني لوامق

(محب)

فرق له أبوه، فأمره أن يراجعها فراجعها، فكان بعد ذلك يوازن بين حياته البيتية وحياته الخارجية، ثم شهد مع النبي ﷺ غزوة الطائف فأصابه سهم فمات بعده في المدينة.

معشر الإخوة الكرام: إن طلب الإسلام من الزوجين تنظيم حياتهما بشكل متوازن، لا يعني أبداً أن تمتنع المرأة من زوجها حين يطلبها إلى الفراش بحجة هذا التوازن، أو تعرض عن الزينة والملاطفة لزوجها حفاظاً على هذا المبدأ، لأن المربي الأعظم ﷺ (ق) نهى المرأة عن ذلك فقال: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَلَمْ تَأْتِهِ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعْنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ». وفي رواية: حتى ترضى.

فإن كانت حائضاً حرم عليها أن تتمكن من الوطء، كما حرم عليه أن يقربها بغير منزر لأن الله تعالى أمرنا بذلك فقال: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾.

وأما المربي الأعظم ﷺ فقال (السنن إلا النسائي): «مَنْ أَتَى حَائِضًا أَوْ امْرَأَةً فِي دَبْرِهَا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ».

إخوتي في الله: ولا يجوز للزوجين التحدث إلى الناس بما مارسا من عملية الوقاع إشارة أو كلاماً، هكذا ربي رسول الله أتباعه، بل هدد من يفعل ذلك بالوعيد فقال (م): «شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلُ يُفْضِي (يطأ) إِلَى الْمَرْأَةِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا».

قال ذلك سيدنا رسول الله ﷺ لأنه بلغه أن بعض الناس يفعلونه، يقول سيدنا أبو هريرة (أحمد-د): صَلَّى بنا رسول الله ﷺ فَلَمَّا سَلَّمَ (انتهى من صلاته) أقبل علينا فقال: « **مَجَالِسَكُمْ، هَلْ مِنْكُمْ الرَّجُلُ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ أَغْلَقَ بَابَهُ وَأَرْخَى سِتْرَهُ ثُمَّ يَخْرُجُ فَيَحْدِثُ فَيَقُولُ فَعَلْتُ بِأَهْلِي كَذَا، وَفَعَلْتُ بِأَهْلِي كَذَا؟ فَسَكَتُوا. فَأَقْبَلَ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ: هَلْ مِنْكُمْ مَنْ تَحْدِثُ؟ فَجَنَّتْ فَتَاةٌ كَعَابَ (شَابَةَ) عَلَى إِحْدَى رِكْبَتَيْهَا وَتَطَاوَلَتْ لِيَرَاهَا رَسُولُ اللَّهِ وَيَسْمَعَ كَلَامَهَا فَقَالَتْ: إِي وَاللَّهِ، إِنَّهُمْ يَتَحَدَّثُونَ وَإِنِّهِنَّ يَتَحَدَّثْنَ. فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: هَلْ تَدْرُونَ مَا مِثْلُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ؟ إِنْ مِثْلُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِثْلُ شَيْطَانٍ وَشَيْطَانَةٍ لَقِيَ أَحَدَهُمْ صَاحِبُهُ بِالسَّكَةِ (بِالطَّرِيقِ) فَقَضَى حَاجَتَهُ مِنْهَا وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ».**

وهكذا - معشر السادة - قضيت مع حضراتكم في رحاب النبوة التوجيهات الخاصة فيما بعد ليلة الزفاف، مفصلين لهذه القضية تنفيذاً للقاعدة العامة لا حياء في الإسلام في تعلم أحكام الدين، من هذه المدرسة المحمدية.

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدّي التحية، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله:

الصلاة والسلام عليك

القضية الخامسة والستين

حقوق المرأة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل في محكم كتابه الكريم:

﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المنزل عليه قول الملك العلام: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾.

اللهم صلّ وسلّم وبارك وعظم على من كرمته تكريماً وعظّمته تعظيماً وشرفته تشريفاً لا يضاهي بقولك: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يَحْكُمُونَ فِيْمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾. سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ورضي الله تعالى عن أصحاب سيدنا رسول الله أجمعين ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا معشر المسلمين:

أقف اليوم حائراً متعجباً لما آل إليه شأن المرأة في عصر التحضر وقلة الدين، فمع مشاهدتنا للنساء ترتاد المساجد وتقوم الليل وتصوم النهار أرى كمها هائلاً منهن قد تركن خلف ظهورهن الواجبات الشرعية التي أمر بها الشرع المطهر، رغم أن المربي الأعظم كان شديد الاهتمام بالمرأة ولم يأل جهداً في التوصية بها والحفاظ عليها، بل كان من شدة اهتمامه بالمرأة أن أوصى الرجال بهنّ في حجة الوداع، ثم وقبل أن يتلجج لسانه عن الكلام أوصى الرجال بهنّ فقال: «اسْتَوْصُوا بالنِّسَاءِ خَيْراً» هذه آخر كلمة تفوّه بها رسول الله ﷺ مما يدل على اهتمامه بالمرأة، هذا الاهتمام الذي زال من بيننا اليوم فسلبت فيه المرأة عفتها وكرامتها فصارت تباع وتشترى، صارت رخيصة بعد أن كانت غالية، رخيصة راقصة على مسرح أو مغنية أو مذيعة في مفسديون واتخذت المجلات الخليعة من صورها وسيلة لترويج مجلاتهم وتسويقها، فالدعاية التي لا تكون فيها المرأة لا تروج فيه السلعة حتى ولو كانت ماركة بويا للأحذية.

وما دمنّا قد فتحنا ملف التربية ووصلنا فيه إلى حقوق المرأة ووجبات الزوج فإننا اليوم نتوجه بالحديث إلى المرأة المتزوجة وكيف تحافظ على شرفها وعرضها وتصونها.

إننا مع الحلقة الخامسة والستين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم:

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

إخوة الإيمان: كلكم يعلم كيف كانت المرأة وكيف صارت، أين كانت وكيف رفعها الإسلام لا يخفى على أحد كيف كانت تدفن وهي حية حتى تموت حتى التراب، ومن لم يصدق ذلك فليقرأ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، وإذا سلّمت من الوأد عاشت عيشة المهانة ليس لها من الميراث شيء، لأن الميراث كان حقاً خاصاً بالرجال، بل كانت هي نفسها متاعاً تورث، كان الرجل إذا مات أبوه قدّم إلى زوجة أبيه فألقى عليها ثوبه، ومعناه أنها صارت زوجة أبيه من حقه: إما أن يتزوجها، أو يزوجهها ويأخذ مهرها، أو يجعلها عنده عبدة تحت رجليه يمسح بها الأرض وكأنها حشرة، أو يجعلها من ضمن صواحب الرايات الحمر أي التي يدخل عليهن الناس للاستمتاع بهن كالحيوانات، لا شرف ولا عفة ولا مكانة. باختصار شديد كانت المرأة في الجاهلية لا شيء البتة. فلما جاء الإسلام رفع هذه المظالم عن المرأة وأعاد لها اعتبارها في الإنسانية فجعلها:

- (١) شريكة للرجل في مبدأ الإنسانية، وشريكة له في الثواب والعقاب: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.
- (٢) ونهى الإسلام أن تكون متاعاً تورث فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يُحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كُرْهًا﴾.
- (٣) بل جعلها شريكته في الإرث للرجل بحسب إمكانياتها الضعيفة فقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ، وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾.
- (٤) ومنع الإسلام الرجل أن يتزوج بأكثر من أربع حداً أعلى بعد أن كان يتزوج منهن ما شاء، وأمر الرجال بمعاشرتهن بالمعروف.
- (٥) كما أمر الأولياء أن يدفعوا إليها بالصدّاق ولم يسمح لهم أن يأكلوه، فالصدّاق من حق المرأة فقال عز وجل: ﴿وَاتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾.
- (٦) ثم كلّها بتاج الأميرات فجعل لها سلطة في مملكة البيت على أولادها تماماً كسلطة الرجل، فقال ﷺ: «الْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا».

معشر الإخوة الكرام:

هذه الامتيازات كلها لم تكن للمرأة أن تحلم بها أبداً لولا الإسلام:

- (١) ولكي لا تطالها يد الزنا والخنا بعد ما حدث لها في خيم الرايات الحمر.
- (٢) ولكي يكون هنالك فرق بين المرأة الحرة وبين الأمة.
- (٣) ولكي يحفظها الإسلام من أن ينظر إليها البرُّ والفاجر والقاصي والداني.
- (٤) وصيانة لمجتمعات الإيمان من أن يسبحوا في حماة الرذيلة.
- (٥) ولأن الله يحب لأهل الإيمان أن يبقى مجتمعهم نظيفاً طاهراً نقياً من الفساد.
- (٦) ومنعاً للمرأة من أن تلفت النظر بجمالها الأخاذ.
- (٧) وحفظاً على سمعتها وعفتها.

لكل هذه المبررات والموجبات الهامة: أمرها أن تستتر عن الرجال الأجانب بما يسمى بالحجاب والجلباب، فقال عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ مِنْ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾.

عبارة صريحة بلسان عربي مبين، وأمرٌ من الله معلل ومبين الحكم، حتى لا ينبت ببنت شفة المنافقون الذين يريدون للمرأة أن تعود لعصر الجاهلية الأولى. هذا الدليل الأول من القرآن، إمام المسلمين الأول في الأحكام الشرعية.

وأما الإمام الثاني للمسلمين: وهو السنة النبوية فقد وردت الأحاديث الصحيحة الصريحة على وجوب تغطية المرأة وجهها عن غير محارمها، تقول أم المؤمنين السيدة عائشة الصديقة بنت الصديق (أحمد - د - ج هـ): «كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ محرمات فإذا حاذوا بنا سدلت إحدانا جلابيبها من رأسها على وجهها، فإذا جاوزنا كشفناه».

فإذا كانت أم المؤمنين تستر وجهها فكيف بنساء المؤمنين، وماذا يمكن أن أفهم من حديث صحيح آخر يقول فيه المربي الأعظم لنساء المؤمنين: «لَا تَتَّقِبُ الْمَرْأَةُ الْمُحْرِمَةَ وَلَا تَلْبِسُ الْقَفَازِينَ» (خ ٤٢/٤) إن المرأة المحرمة بحج أو عمرة إحرامها في وجهها ويديها فلا تلبس النقاب الذي هو الخمار تشده على الأنف أو تحت المحاجر، ومعناه أنها تسدل خمارها ونقابها في غير وقت إحرامها لأنه واجب عليها. ولتوضيح هذه القضية أكثر اسمحو لي أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك إلى حيث عملاق الإسلام سيدنا عمر بن الخطاب، فبعد أن نزلت آية الحجاب خرجت السيدة سودة (خ) أم المؤمنين وهي متحجبة متحصنة، لكنها كانت سميحة صبيحة لا

تخفى على من يعرفها، فرآها سيدنا عمر فعرفها من فرط سِمَنِها فقال: يا سودة أما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين؟ قالت: فانكفأت راجعة ورسول الله ﷺ في بيتي وإنه ليتعشى وفي يده عظم عليه بعض اللحم، فدخلت عليه فقالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي خَرَجْتُ لِبَعْضِ حَاجَتِي فقال لي عمر: كذا وكذا. فأوحى الله إليه ثم رفع عنه وإن العظم في يده ما وضعه فقال: «إِنَّهُ قَدْ أَذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ» فأذن الله أن تُظهر النساء أشخاصهن.

معشر السادة: هذه هي بعض الأدلة على وجوب الحجاب على المرأة، هذا وقت السلم، أما في وقت الحرب فلم تكن المرأة لتضع حجابها، فقد قتل ابن إحدى الصحابيات فراحت تبحث عن ولدها بين القتلى فقال لها الناس: تبحثين عنه وأنت منتقبة، فقالت: (أرأى بولدي فلن أرأى حيائي) أي لئن كتب الله علي مصيبة بولدي فلن أصاب بمصيبة في ديني بكشف وجهي، هؤلاء اللواتي رباهن رسول الله.

فما هي أهم الصفات التي يجب أن تتوفر في الحجاب الإسلامي التي أمرت به المرأة في القرآن.

أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة المقبلة بإذنه تعالى، وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد الجالس فيها عليه أن يرفع التحلية إلى المربي الأعظم، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله الصلاة والسلام عليك.

شروط حجاب المرأة

٦٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي غرس في قلوب الصالحين معرفته، وأقام على الفطرة السليمة دينه، وشرع الحجاب بين عباده ليكون حجاباً بينه وبين معصيته، وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شملت قدرته كلَّ مخلوق، وجرت مشيئته في خلقه بتصاريف الأمور، قدَّر مقادير الخلائق وآجالهم، وكتب آثارهم وأعمالهم، وقسم بينهم معاشهم وأحوالهم، وخلق الموت والحياة ليلوهم أيهم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وخيرته وصفوته من خليقته، وأمينه على وحيه، أعرف الخلق به، وأعلاهم عنده منزلة، وأوسعهم عنده شفاعة. بعثه إلى الإيمان منادياً، وإلى الجنة داعياً، وفي مرضاته ساعياً، وبالمعروف آمراً وعن المنكر ناهياً، فبلغ رسالات ربّه، وصدع بأمره، وقام لله بالصبر والشكر حق القيام حتى بلغ رضاه، سيدي أبا القاسم يا رسول الله:

يا داعياً للوحد الديان يا هازماً للبغي والطغيان
يا رافعاً صوت العدالة عالياً ومؤذناً في الناس بالقرآن

صلى عليك الله يا علم الهدى

اللهم صلِّ وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

أقف اليوم بينكم لأعلن عظمة أحكام الإسلام، ويقف المنصفون بكلّ احترام وتبجيل لهذا الدين لكيفية معالجة أهواء الرجال ورغباتهم في التنقل من زهرة إلى زهرة، فجمال النساء كجمال الأزهار وظلال الألوان، فكل زهرة جمال خاصّ بها، ولكل لونٍ سحره وظلاله، فقد تكون المرأة جميلة ولكن زوجها يتشهى جمالاً آخر، فزوج الشقراء يحلم بالسمراء وزوج السمراء يتعلق بالبيضاء وهكذا لذلك نرى الإسلام قد شرّع التشريعات ليجعل الرجل لا يرى إلا زوجته فلا يتعلق إلا بها، أليس الطعام يقوي شهوة النهم؟

ألا فليعلم المنافقون أن الإسلام جعل للمرأة مكانة وقداسة، فأراد أن يهذب من نظرة الرجل إليها، فينظر إليها كما ينظر إلى طاقة أزهار إن صحَّ التعبير، وليس كما ينظر إلى طبق حلوى يحرك الشهوة ويثير اللعاب.

فالمراة المحجبة كطاقة الأزهار، والناظر إلى الأزهار يتطهر قلبه وترق مشاعره وتسمو نفسه والناظر إلى الحلوى وأطايب الطعام تتحرك فيه مشاعر الجسد والبهيمية.

وما دام الرجل يلمس الجمال أينما وجده فكان لزاماً على المسلمين أن يشرع الله لهم التشريع المناسب فشرع الحجاب حماية للمرأة القبيحة من المرأة الحسنة، والمرأة المسنة من المرأة الشابة، فيرضى الرجل بما قسمه الله له دون أن تشرد عينه لغير زوجته.

إن حجاب المرأة - أيها السادة - يجعل الرجل يصرف نظره عن جمالها الحسي فيدرك أن المرأة ليست جسداً فحسب، ففيها جمال العقل، وفيها جمال الروح، وفيها جمال الشمائل، ومتى تذوق الرجل جمال الأخلاق والعقل عرف كيف يتعامل معها، وبالتالي سيطلع على آفاق عظيمة في المرأة لا عهد له بها، ألم يتذوق سيدنا محمد ﷺ جمال القيم والعقل في السيدة خديجة، حينما وقفت معه في معركة الإسلام، ألم يحاور الفكر الصافي أم سلمة في صلح الحديبية، ألم يطرب السيد الأعظم لدعابات السيدة عائشة ويهتز لركة شمائلها وخفة ظلها.

على المسلمين اليوم أن يدرسوا الآفاق العالية للحكم الخاصة بكل تشريع إلهي، إن افتتان الرجل بامرأة ما يجعله يرتكب كل المعاصي والموبقات في سبيل إرضائها، فالتاريخ يذكر أن هناك أبناء قتلوا آباءهم في سبيل جارية، وأخ قتل أخاه ليفوز بزوجته، ومن الرجال من خان وطنه ودينه في سبيل ذلك فكم أفسد عشق امرأة حياة رجل، وجعله يتجرع الآلام مدى الحياة، انظروا يميناً وشمالاً، وشاهدوا المتسكعين في الطرق في عصر العلم والتقنية، فالحب ليس وقفاً على مجنون ليلي وشعراء بني عذرة فحسب، وهوى النساء من أعظم الأهواء، فأراد الإسلام أن يفطم قلب الرجل عن هذه الأهواء التي لا تبقي عليه ولا تذر، فإذا ما سلب حسن امرأة لبَّ رجل ماتت إرادته وانهد بنيانه ووهنت نفسه فخمرة المرأة لا صحو بعدها، ومن سكر بعشق امرأة هيهات أن يفيق، أليس في حجاب المرأة وقاية للرجل من هذا المنزلق، أليس حجاب المرأة هو الدواء، أليس في حجاب المرأة إكراماً للمرأة ولحمايتها ولمصلحتها.

إننا - معشر السادة الكرام - مع الحلقة السادسة والستين ضمن القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم.

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

وقد كنت وقفت معكم حول الصفات التي يجب أن تتوفر في الحجاب الإسلامي التي أمرت به المرأة في القرآن بعد أن ثبت لدينا في الحلقة السابقة في الجمعة الماضية أنه يجب أن يكون لباس المرأة لباساً يغطي رأسها وسائر بدنها.

فأول هذه الصفات: أن يكون ساتراً لما وراءه، فلا يكون شفافاً يُرى من ورائه لون بشرتها، وهذا تماماً معنى قوله تعالى ﴿ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾

الثاني: يجب أن يكون هذا الحجاب الذي يشمل غطاء الرأس وغطاء اليدين أن يكون فضفاضاً لا يحجم أعضاء المرأة، أما إذا اتخذته ضيقاً مثل البنطال الضيق والفيزيون والكنزهِ الضيقة فإنها قد وقعت في وعيد حديث عظيم ورد في مدرسة الإمام المسلم، أريدكم أيها الإخوة أن تنتقلوا هذا الكلام لكل امرأة حولكم أسمعوها هذا الحديث النبوي الشريف يقول ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، مَا هُمَا يَا رَسُولَ اللَّهِ:

الصنف الأول: نِسَاءٌ كَاسِيَاتٍ عَارِيَّاتٍ مَائِلَاتٍ رُؤُوسُهُنَّ مِثْلُ أُسْنِمَةِ الْبُخْتِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا.

الصنف الثاني: رِجَالٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأُدْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا عِبَادَ اللَّهِ»

أي يعذبون الناس في معاقل التعذيب.

الشاهد من هذا الحديث قوله: كاسيات عاريات، تكتسي ما لا يسترها، فهي كاسية ولكنها في الحقيقة عارية، وهذا له معنيان:

الأول: أنها تكتسي مثل الثوب الرقيق الذي يَصِفُ بشرتها.

الثاني: تكتسي الثوب الضيق الذي يظهر تقاطيع خلقها ويحاكي عورتها.

الشرط الثالث من شروط الحجاب والجلباب: أن لا تتشبه بالرجال في لباسها، لأن سيدنا رسول الله لعن المتشبهات من النساء بالرجال، وفي رواية: «لَعَنَ الْمُتَرَجَّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ»، وفي رواية ثالثة: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُ لَوَالِدِيهِ، وَالْمَرَأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ الْمُتَشَبِّهَةُ بِالرِّجَالِ، وَالذَّيْوُثُ» (أحمد - هب - حا ووافقه).

فكل ما يصلح للرجال لا يصلح للنساء، فالنساء مأمورات بالاستتار والاحتجاب، دون التبرج والظهور، ولهذا لم يشرع لها رفع الصوت بالأذان والتلبية.

الشرط الخامس: أن لا يكون الحجاب زينة في نفسه، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ فإن هذا الحكم عام يشمل الحلي، ويشمل الثياب الظاهرة التي تلفت أنظار الرجال وتستدعي الشهوة، وهذا من تبرج الجاهلية، والنبي الكريم يحذر المرأة من هذا التبرج في الحجاب واللباس فيقول لنا:

«ثَلَاثَةٌ لَا تَسْأَلُ عَنْهُمْ (لأنهم من الهالكين) رَجُلٌ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ وَعَصَى إِمَامَهُ وَمَاتَ عَاصِيًا، وَأَمَةٌ أَوْ عَبْدٌ أَبَقَ فَمَاتَ، وَامْرَأَةٌ غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا قَدْ كَفَاهَا مَوُونَةُ الدُّنْيَا فَتَبَرَّجَتْ بَعْدَهُ، فَلَا تَسْأَلُ عَنْهُمْ» / (حا وأقره - والإمام أحمد ١٩/٦).

وأذكر أن النبي ﷺ جاءته امرأة تبايعه على الإسلام فقال لها رسول الإسلام: «أَبَايُكَ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكِي بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقِي وَلَا تَزْنِي وَلَا تَقْتُلِي وَلَدَكَ، وَلَا تَأْتِي بِبَهْتَانٍ تَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ، وَلَا تَتَّوَحِّي، وَلَا تَتَّبَرَّجِي تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى» (أحمد ١٩٦/٢ - طب). فقرن النبي التبرج بالشرك والزنى والسرقة.

الشرط السادس من شروط الحجاب والجلباب: ألا يكون مبخرًا مطيبًا، لنهي المرأة عن الخروج متعطّرة، لأن رسول الله ﷺ بين ذلك فقال: «إِذَا خَرَجْتَ إِحْدَاكُنَّ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَا تَقْرَبِي طِيبًا» (ن - د - ت). «وَأَيَّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَتْ بِخُورٍ فَلَا تَشْهَدْ مَعَنَا الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ» (م).

أيها السادة: ما زلت معكم عند الحبيب الأعظم، وأرى تلميذه المرافق له سيدنا أبا هريرة تمرّ به امرأة تعصف ريحها (من الطيب) فقال: يا أمة الجبار! المسجد تريدين؟ قالت: نعم. قال: وله تطيبت؟! قالت: نعم. قال: فارجعي فاغتسلي، فإني سمعت رسول الله يقول:

«مَا مِنْ امْرَأَةٍ تَخْرُجُ إِلَى الْمَسْجِدِ تَعْصِفُ رِيحَهَا فَيَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهَا صَلَاةَ حَتَّى تَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهَا فَتَغْتَسِلَ».

هل انتبهتم إلى هذا الموقف، الطيب للمرأة حرام إذا ذهبت للمسجد، فماذا يكون الحكم على من تريد السوق والأزقة والشوارع، لا شك أنه أشد حرمة وأكبر إثماً، لذا عدوه من الكبائر ولو أذن لها زوجها بذلك؟

وآخر شرط من شروطه: أن لا يشبه لباس الكافرات فمن تشبه بقوم فهو منهم، وكل امرأة تلبس الفيزون فقد ارتكبت حرمتين حرمة اللباس الضيق وحرمة التشبه بالكفار.

وكان رسول الله ينبه أصحابه دائماً على مخالفة الكفار ففي (خ): «خالفوا المشركين حقوا الشوارب وأوفوا اللحى»، وفي رواية (م): «جزوا الشوارب وأرخوا اللحى وخالفوا المجوس»

إخوتي في الله: وهكذا كان حديثنا اليوم للمرأة المسلمة التي تعتز بدينها وشخصيتها وعفتها أما غير المسلمة فليس بعد الكفر ذنب، فلتتق النساء المسلمات الله في الشوارع والمحلات التجارية وأينما حلت وارتحلت، لتتق الله هناك وهنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى الحبيب الأعظم وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله الصلاة والسلام عليك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الكريم الوهاب، هازم الأحزاب، ومنشئ السحاب، ومرسل الهباب، ومنزل

الكتاب في حوادث مختلفة الأسباب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ عَلَى مُكْثٍ
وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أنزل الله عليه القرآن عظيمًا وذكرًا حكيمًا، وحبلاً ممدودًا،
وعهدًا معهودًا، وظلاً عميمًا وصراطاً مستقيماً، فيه معجزات باهرة وآيات ظاهرة، وحجج صادقة،
ودلالات ناطقة، دحض به حجج المبطلين، وردّ به كيد الكائدين، وأيد به الإسلام والدين، فلمع
منهاجه، وثقّب سراج، وشملت بركته، ولمعت حكمته على خاتم الرسالة والصادح بالدلالة، الهادي
للأمة، الكاشف للغمة، الناطق بالحكمة، المبعوث بالرحمة، فرفع به أعلام الحق، وأحيا معالم الصدق،
وقمع به الشرك، وهدم مناره، ولم يزل بعارف بيناته يدحض المشركين حتى مهّد به الدين وأبطل شبه
الملحدّين.

اللهم صلّ وسلّم وبارك وعظم على سيدنا محمد صلاة لا ينتهي أمدّها، ولا
ينقطع مددّها، وعلى آله وأصحابه الذين هداهم وطهرهم، وبصحبته خصّهم وأثرهم،
وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

وقفت معكم في الجمعة الماضية حول مبدأ أساسي من مبادئ الإسلام هو
وجوب الحجاب على المرأة المسلمة، ونفي به وجوب احتجابها عن الرجال الأجانب
في الطرقات وفي البيوت وفي مجامع الناس وهذا يؤدي بنا إلى الحديث عن
الاختلاط وحكمه في الإسلام، هل يجوز للمرأة أن تجلس مع زوجها أو محرّمها
أمام الرجال الأجانب وتتجاذب معهم أطراف الحديث وتضحك أو تبتسم أمام الرجال
وتظهر فتنتها أمامهم؟

إن هذه القضية التربوية تفتّت في مجتمعاتنا وكأن الناس لا يعرفون حكم الله
فيها.

إننا معشر السادة مع قضية الاختلاط، ومع الدرس السابع والستين من سلسلة
القضايا التربوية من جامع الدرويشية، وفي بداية هذا الدرس أدعوكم جميعاً لترفعوا
تحيتكم إلى المربي الأعظم.

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة القصص^٨: أَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتِ لَا نَسْقِي حَتَّى يَصْدَرُ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

إخوة الإيمان: هذه الآيات تبين بوضوح لا يقبل اللبس حكم الاختلاط بين الجنسين، فإن سيدنا موسى رأى ابنتي سيدنا شعيب بعيدتين من مجمع القوم تذود كل منهما حتى لا تختلط مع الناس، وحين سألهما لماذا لا يسقيان قالت لا نسقي حتى يصدر الرعاء، حتى ينفض مجلس الرجال، لأن المرأة الحرة الشريفة لا تختلط بالرجال. إنها قضية واضحة المعالم لا لبس فيها ولا خفاء، فكيف وضّح لنا المربي الأعظم هذه القضية ؟

أدعكم لتصلّوا على من علّمنا الخير، الرّد على هذه القضية يكون من عدة جوانب:

أولاً: لم يسمح الإسلام للمرأة أن تصلي بجوار الرجال في الجمعة والجماعات، بل عزلهن إلى آخر الصفوف صيانة لهن عن الاختلاط بهم بل أبطل المذهب الحنفي صلاة المرأة التي تصلي بين رجلين وكذا أبطل صلاة من خلفها من الرجال إن هي صلّت أمامهم.

فمحل المرأة إذن في آخر الصفوف ولذلك قال رسول الله ﷺ: «أَخْرُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَخَرَهُنَّ اللَّهُ» فهذا التأخير لهن عن الرجال بأمر من الواحد الديان.

ثانياً: لم يسمح الإسلام للمرأة أن تختلط في الطرقات بين الرجال ولو كانت خارجة من المسجد حتى لا تلوّكها الألسن بالكلام الفاحش والاتهام الباطل، فشرّف المرأة هو رأسمالها، وسمعتها بين الناس له أهميته القصوى، واسمحوا لي معشر السادة كي تكون الصورة أوضح في هذه القضية أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك إلى حيث النور الساري في الأكوان إلى نور المصطفى عليه الصلاة والسلام فها هو المربي الأعظم ينتهي من إحدى صلواته فتخرج النساء ويخرج الرجال إلى جوارهن ويخرج رسول الله ليرى هذا المشهد الرجال إلى جوار النسوة، فإذا به يرفع صوته وينادي: «يا معشر النساء» وتلتفت الصحابيات الجليلات المجليات بالجلاليت المتلفعات بحجابهن ليرين ما هذا الخطب الجليل الفادح الذي من أجله ناداهن رسول الله وسكت الزمان، وانقطعت الألسن عن الكلام لتسمع البشرية إلى

^٨ القصص: ٢٣ - ٢٤.

الأوامر النبوية: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ: لَا تَرْكَبْنَ حَقْقَ الطَّرِيقِ وَعَلَيْكُنَّ بِحَافَاتِ الطَّرِيقِ»

النبي الذي يمثل الإسلام لم يرض لنساء المؤمنين أن يختلطن بالرجال ولو كن خارجات من المساجد المباركة ومتلفعات بحجابهن.

ثالثاً: إذا كان الإسلام لا يسمح للمرأة أن تختلط في المساجد بالرجال، ولا يسمح لها أن تختلط بهن في الطرقات، فهل يسمح لهن بالاختلاط مع الضيوف بالبيوت؟ الحقيقة أنني أدع الإجابة عن هذا السؤال إلى سيد الخلق وحبيب الحق، فقد استأذن على النبي الكريم سيدنا عبد الله بن أم مكتوم (وهو غير بصير كما تعلمون) قال الراوي يا سادة يا كرام وعند سيدنا النبي اثنتان من أمهات المؤمنين، ويدخل ابن أم مكتوم الأعمى في بصره المتفتح البصيرة فيقول المربي الأعظم لزوجتيه مربياً بذلك جميع الزوجات المسلمات قال لهما: «**اِخْتَجِبَا مِنْهُ**» وتتنظر كل منهما إلى صاحبتها وتقول: (إنه أعمى يا رسول الله لا يبصرنا)، أتعرفون أيها السادة بما أجاب المشرع الأعظم، لقد قال لهما: «**أَفْعَمِيَا وَإِنْ أَنْتُمَا أَلْسِنَتُمَا تُبْصِرَانِي**» إن سيدنا رسول الله لم يرضى لهما أن تختلطا بأعمى فكيف بكم بمبصر، صلّوا على من علّمنا، صلّوا على من هدّب دين نساءنا، إن في عدم اختلاط المرأة بالرجال حماية لزوجها، ولا سيما الزوج الضعيف الذي لم يؤتى نصيباً من الذكاء والوسامة والأناقة والمنصب، فكم خسر رجال نسائهم في مجالس الاختلاط والاجتماع والسهرات، ألا فليعلم الزوج الذي يسمح لزوجته بالاختلاط أن للمرأة قدرة كبيرة على التمييز فهي تدرك في المجالس المختلطة الموقع الحقيقي لزوجها بين الرجال والمنزلة المتدنية لزوجها بين المنازل وترن بينهم بالقطارة والنقطة والويل ثم الويل لمن وقعت امرأته منه على موقع ضعف. ولأول لكم على هذه القضية الهامة فإنني أذكركم بأننا ما زلنا في أشرف زمان عند أشرف رسول يا سعد من صلّى عليه.

فقد دعا سيدنا ثابت بن قيس أصحابه إلى بيته بعد زواجه بفترة ليست بالقصيرة، فطلبت منه امرأته أن تنتظر من شق الباب إليهم، وانتبهوا من شق الباب، ولم يهتم سيدنا ثابت إذا كان امرأته لم تدخل إلى رفاقه لتجلس معهم أو تتحدث إليهم، فسمح لها وجلس الأصحاب على المائدة يتحدثون ويتفكهون، ونظرت إليهم امرأة ثابت من شق الباب فرأت زوجها أقصرهم قامّة، وأدماهم وجهاً، وأقلهم فصاحة، وكأن صاعقة نزلت عليها، ما هذا الزوج الذي تزوجته، كانت راضية به يوم أن لم تنتظر أو تختلط بسواه، فلما اختلطت برفاقه لم يعجبها بنظره ولا مبسمه ولا كلامه ولا شكله، فسارعت إلى طبيبب القلوب لتجد عنده حلاً وقالت له: «يا رسول الله والله لا أريد أن أكفر في الإسلام أي أنكر حق الزوج المعاشر وأخبرته الخبر، وماداً

تُرِيدِينَ؟ قالت: فارقني عنه يا رسول الله، فرّق بيننا، فقال لها: أَتُرَدِّينَ عَلَيْهِ مَهْرُهُ؟ قالت: وأزیده إن شاء، فاستدعى سيدنا ثابتاً وأمره أن يأخذ مهره ويطلقها تطليقة»، فكان هذا أول طلاق في الإسلام فالاختلاط محرّم من محرمات الإسلام يجلب على الأسرة دماراً أخلاقياً، ودماراً دينياً، فلا يحل للرجل، كما لا يحل للمرأة، سداً لذريعة الدمار والفساد أن تختلط زوجته بالأجانب ولو كانت بحجابها، والويل ثم الويل لمن تختلط المرأة بأصحاب زوجها أو بأقاربه بدون حجاب، ولقد سئل مرّة سيدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن الحمو أي عن أقارب الزوجة حتى تختلط بهم الزوجة فقال النبي ﷺ: «الحمو هو الموت، الحمو هو الموت»، هو الدمار لأخلاق الزوجة، هو موت الدين والشاهد أمامكم لا يحتاج النهار إلى دليل، ولعمري متى احتاج النهار إلى دليل! كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها:

الاختلاط حرام حرّمه الشرع المطهر والدليل الحمو هو الموت.

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إليه، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله الصلاة والسلام عليك.

القضية الثامنة والستين

حكم الإسلام في وسائل الإعلام

الحمد لله الذي تفرّد بعزّ كبريائه عن إدراك البصائر، وتقدس بوصف علاه عن الأشباه والنظائر، وتوحّد بكمال جبروته فالعقل في تعظيمه حائر. زين قلوب العارفين بنور هدايته فأضاءت فيها السرائر، فيا خيبة من أبعد مولاة وقطعه، ويا حسرة من صُدّ عن بابه ومنعه، ويا ضيعة من أهانه ووضع، ويا شقاوة من خذله وصرعه.

قلب تعزّز بغيره ما أذله، عبد أعرض عن خدمته ما أضلّه، عُمر أنفق في غير طاعته ما أقلّه، من رضي بدونه فهو الخائن الغادر.

أحمد سبحانه على إحسانه الوارد والصادر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. شهادة عبد لأحكامه صابر ولآلائه شاكر.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. اختاره من أطيب العناصر واصطفاه من أنجب العشائر، واختصّه بأشرف الذخائر، وأدار على من عاداه أفضع الدوائر.

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا محمد أبي القاسم الغائب الحاضر، وعلى آله وصحبه ما دار فلك دائر وسار كوكب في الجو سائر، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

ما حكم الإسلام في وسائل الإعلام؟

سؤال أسأله ضمن سلسلة تربية الأولاد في الإسلام بعد حج بيت الله الحرام وزيارة سيد الخلق عليه الصلاة والسلام.

وقد تناولت معكم منذ سنتين مضتاً تقريباً عدداً من القضايا التربوية حتى حضرت مع حضراتكم عرس الولد، وكشفنا له عن قضايا يجب أن تعلمها الزوجة وقد صارت تحت كنفه وفي ظل رعايته.

إن الإسلام يطلب من أتباعه أن يقيموا في بيوتهم حكم الله، فالبيت الذي لا ينفذ أوامر الله ولا أوامر رسوله كالبيت الخرب، ولو كان عامراً بالسيارات الفخمة على بابه وألوان الرفاهية في داخله، سيخرب البيت الذي لا يقيم حكم الله تعالى، سيخرب. ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى).

البيت الذي لا ينفذ حكم الله سيخرب ولو كان عند صاحبه مال قارون:
ستدركك المنية في ديارك وتنقل من غناك إلى افتقارك

ودون القبر في عينيك يرمى وعين الغير ترعى في ديارك

فإذا كان الأمر كذلك فعليك يا أخي المسلم بضبط بيتك فإن الإسلام ليس بالهوية، إسلام الهوية لي بإسلام، ولا بد لكي تكون مسلماً من أن تطبق أحكام الإسلام.

وأول قضية ظاهرة عليك الانتباه إليها في بيتك، وقد تكون مستوردة من بيت حميك أو من صديقات زوجتك العروس: ألا تسمح بالاستماع إلى الغناء المحرم، أو نقول: الغناء المصحوب بالموسيقا سواء كان محرماً أو حلالاً، لأن مشاركة الموسيقا للغناء تحرّمه تحريماً أشد عليك. ألا تسمح في بيتك بمجلة خليعة تفسد أخلاق زوجتك، أو بشرط كاسيت أو فيديو لا يرضى عنه الله ورسوله.

كل غناء مصحوب بالموسيقا أو يثير كوامن الغريزة والشهوة، أو فيه وصف امرأة معينة، أو غناء يدعو إلى الاستهزاء بالدين، أو غناء يصدر فيه الكافر في مجلسه ... الخ يجب أن تمنعه من بيتك، وتستبدله بالأناشيد الدينية الروحانية غير المصحوبة بالموسيقا.

كان هذا هو موجز أنباء القضية، وإليك تفصيلها مع الحلقة الثامنة والستين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية. ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

إخوة الإيمان: نحن في الغناء على أحد طريقين: طريق الصالحين، أو طريق الطالحين من أبناء الشياطين والعياذ بالله تعالى.

أما طريق الصالحين فهو الذي يستيقظ على القرآن وينام على القرآن، وهو بين هذا وهذا يستمع إلى الإنشاد الديني الذي يبعث الهمة على العمل الثقيل، أو الذي يروح النفس أثناء قطع الطريق أو الأفراح الدينية فهذا حلال ومباح بل ربما كان مسنوناً إذ أن سيدنا محمد ﷺ أنشد في إحدى المواقع الجهادية. وقف وقد ولى بعض صحابته عن الغزوة فناداهم لبعث همهم نحو الجهاد، وأن الله تعالى وعده النصر فلماذا يهربون قال لهم:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب
وارتجز الصحابة الكرام أمامه أثناء بناء المسجد وهو لا ينهاهم:

لئن قعدنا والنبي يعمل فذاك منا العمل المضلل
واستقبلته جوارى الأنصار بالدفوف عند وصوله المدينة.

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا

الله داع

وسمع حادي العيس وهو يشدو للإبل لتسرع في سيرها فقال: يا أنجشه رفقا
بالقوارير.

وهاهم الشعراء يقفون أمامه يلقون بين يديه بالشعر كسيدنا كعب بن زهير فلما
وصل إلى قوله:

أنبت أن رسول الله أوعدي والعفو عند رسول الله مأمول
إن الرسول لنور يستضاء به مهتد من سيوف الله مسلول
خلع رسول الله عباءته وألقاها عليه لشدة سروره بهذا البيت.

وكان سيدنا حسان ينشد ويمدحه بقوله:

أغرّ، عليه من النبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد
وضمّ الإله اسم النبي إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤذن

أشهد

وشقّ له من اسمه ليجلّه فذوا العرش محمود وهذا محمد

هذا كله جائز وحلال ومسنون إن لم تجتمع معه آلة اللهو المحرمة (والمحرم هو غير الدف والطبل، الدف للعرس والطبل للحرب) فإذا اجتمعت معه الموسيقى كان من طريق الطالحين إخوان الشياطين، كل غناء تجتمع معه آلة الطرب المحرمة فهو حرام ولو كان إنشاداً دينياً، كما يفعله بعض من فسق من المنشدين، فهو حرام لأجل الآلة لا لأجل الشعر.

إن الموسيقى اخترعها الشيطان ليعيش الناس في غفلة الشهوات، فأنت تسمع في الطرقات الأغاني الخليعة ومسارح الطرب والرقص الخليع، وربما تدار عليه الكؤوس بالعربدة والصياح وترتكب الفاحشة والرذيلة، وتسمع الوقاحة وقلة الأدب حتى يصل ببعضهم أن تصير عائلته متحللة ماجنة وما خفي كان أعظم. وتلك خطة

المستعمرين فلم يجد الاستعمار طريقة يوقع بها الشعوب المتدنية بالخنا والزنا إلا بإغراقهم بسيل من الأغاني الموبقة وبافتتاح السينما والمسارح، ربطهم به كما ربط الشيطان أعوانه بالخمير والنساء، واسمحوا لي أن أورد على حضراتكم قول زعيم الإلحاد في العالم ماركس لعنه الله، إذ قال: سأنسي الناس الله!! سألوه: بم ستفعل ذلك؟ قال: سأنسي الناس الله بالمرح، بإنشاء المسارح ثم نادى بأعلى صوته بأنه سيجعل من ابنه ماجناً زانياً ومن ابنته عاهرة.

هذا ما يريده المستعمر منا، ألا نصحو إلا على المفسديون، ولا ننام إلا على المسرح. والله يا إخوتي إن التلفاز أو الرائي من أرقى ما وصل إليه العقل البشري في العصر الحديث. لكنه سلاح ذو حدين: ١- إن استخدم في نشر العقيدة والأخلاق الفاضلة وربط الجيل الحاضر بأجداده وتاريخه

وتوجيه الأمة إلى ما يصلحها في أمور دينها ودنياها فلا شك في جوازه.

٢- أما إذا استخدم في ترسيخ الفساد والانحلال والميوعة وتحويل الجيل الحاضر إلى غير طريق الإسلام فلا يشك عاقل منصف يؤمن بالله بحرمة استعماله، وإثم اقتنائه، ووزر من يستمع إليه، وقد توافرت الأحاديث النبوية الشريفة تبين حكم الله في أمثال هذا الجهاز، فإلى حبيب الله، إلى سيد الكونين، وملجأ الثقلين، ونور القلب والعين سيدنا محمد ﷺ: فقد تدرج مع الصحابة الكرام في تبيان الحكم الشرعي شيئاً فشيئاً، قال لهم أولاً (أحمد): «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي رَحْمَةً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ، وَأَمَرَنِي أَنْ أُمَحِّقَ الْمَزَامِيرَ وَالْمَعَارِفَ وَالْخُمُورَ وَالْأَوْثَانَ الَّتِي تُعْبَدُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ...».

ثم شدد النكير أكثر منبهاً أمته على حرمة المعازف فقال (خ-أحمد-جـه): «لِيَكُونَنَّ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَ (الزنا) وَالْحَرِيرَ، وَالْخَمْرَ وَالْمَعَارِفَ».

ثم علت نبرة التحريم واشتدت فقال (حب-مسند): «يُمَسِّخُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ قَالُوا: أُمَسْلَمُونَ هُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ وَيَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَيُصُومُونَ. قَالُوا: فَمَا بِهِمْ؟ قَالَ: اتَّخَذُوا الْمَعَارِفَ وَالْقِيَّاتِ وَالذُّفُوفَ وَشَرِبُوا الْأَشْرِبَةَ (الخمير) فَبَاتُوا عَلَى شُرْبِهِمْ وَلَهُوِهِمْ فَأَصْبَحُوا وَقَدْ مُسِّخُوا».

وفي الحديث: «مَنْ اسْتَمَعَ إِلَى قُنْيَةٍ صُبَّ فِي أُذُنِهِ الْآنُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أي الرصاص المذاب.

هذا كله من ناحية الاستماع أي الإصغاء وإعطاء الأذن والانبساط إليه، أي استمع بنفسه هو شغل المسجل بيده ووضع الشريط وجلس إليه، أما السماع أي أن يأتيه الصوت عرضاً في الطريق أو يسمعه من جاره الفاسق فهذا ليس حراماً إلا إن أعطاه أذنه واستمع وتمتع، إذن هناك استماع وسماع. الاستماع هو ما يريده منا أعداء الإسلام. إن الذين يجرون وراء الزنى والإلحاد والانحلال والشهوات والأفلام والمسارح من شبابنا وشاباتنا ما هم في الحقيقة إلا منفذون من حيث لا يعلمون لمخططات اليهود والاستعمار، وإليك الدليل الساطع على هذا الكلام:

تعالوا لأقرأ لكم هذه السطور من كتاب كانوا يخفونه عن أعين العالم حتى كشفهم الله تعالى . اسم هذا الكتاب بروتوكولات صهيون، هل سمعتم بهذا الكتاب كتاب اتفقت عليه يهود ضد العالم كله على رأس القرن الماضي. اسمعوا ماذا يقولون: (يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا، إن (فرويد) منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس، ويصبح همه الأكبر إرواء غرائزه الجنسية، وعندئذ تنهار أخلاقه) وسيكون ذلك عن طريق وسائل الإعلام وعن طريق المسرح والسينما والبرامج الإذاعية وعن طريق كل عميل خائن وكاتب مأجور، ثم قالوا: وسرعان ما نبدأ الإعلان في الصحف داعين الناس إلى الدخول في مباريات شتى من كل أنواع المشروعات كالفن والرياضة، إن هذه المتع الجديدة ستلهي ذهن الشعب حتماً عن المسائل التي سنختلف فيها معه، وحالما يفقد الشعب تدريجياً نعمة التفكير المستقل بنفسه سيهتف جميعاً معنا).

هذه هي مخططاتهم، على الزوج الغيور أن ينتبه أثناء عرض ما يخل بالشرف والأدب ويصر على إطفاء الجهاز ولو وقعت مشادة بين أفراد الأسرة، ليقوم حكم الإسلام في بيته.

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليك موجزها. حكم الإسلام في وسائل الإعلام.

الإسلام يحرم النظر والاستماع إلى كل ما يهيج الغريزة الحرام ويثير الفتنة ولو من مسجل أو راديو، النظر المحرم حرام والاستماع المحرم حرام، كان هنا أو كان هناك، وما أدراك ما هنا،

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله:

الصلاة والسلام عليك

الحمد لله الذي علّم القرآن من حضرة اسمه الرحمن وخلق الإنسان علمه البيان، وأبان ما في محكم تنزيله وشرف العلماء بمكنون تأويله، فأعربوا عنه بأفصح لسان لكل قاص ودان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكريم المنان.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، حبيب الرحمن وسيد الإنس والجان ذو الخلق العظيم والنور المبين والركن الركين. كان خلقه القرآن.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وتابعيهم بإحسان وسلّم تسليماً.

يمرّ أولادنا في فترة عصيبة من حياتهم ألا وهي فترة الامتحانات الدراسية، وعلى الأولياء والمربين توفير الجو الدراسي لأولادهم ليقطفوا ثمرة العام الدراسي في هذه الأيام القليلة.

على الآباء والمربين تقليص أعمالهم وزياراتهم خارج المنزل وإشاعة الهدوء في المنزل ليستطيع الولد القيام بواجب الدراسة، فالسكينة إحدى أسس العلم النافع، ويقول ﷺ: **«تعلّموا العلم وتعلّموا للعلم السكينة والوقار وتواضعوا لمن تعلّمون منه».**

هذه الفترة أهم الفترات في حياة الولد، فعلينا أن نهتم بالتوجيه التربوي الخاص بهذه المرحلة، إننا باختصار مع الدرس التاسع والستين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم.

إخوتي في الله: كل ساعة لهو يقضيها الولد في فترة الامتحانات أمام المفسديون دون دراسة ساعات قبلها. قد تكون القاضية بالنسبة لسنة دراسية كاملة من عمر الولد، ومن هنا فإنني أدعوكم جميعاً آباءً ومربين إلى التواجد في دوركم مع أولادكم وإن لم يطلبوا المساعدة، لأن وجودك بجوار ولدك يشيع الأمان والطمأنينة في نفس الولد ويشعره باهتمام الأسرة به، في وقت يصاب فيه أولادنا وخصوصاً أصحاب الشهادات الإعدادية والثانوية بالرعب التام لهذا الغول الذي يريد أن يفتك بمستقبل حياتهم، وللأسف حتى اليوم لم تستطع وزارة التربية والتعليم أن تحلّ لأولادنا هذا اللغز العسير، عشرة مواد تصل إلى عشرين مادة لمن يدرس العلوم الشرعية، وكل

مادة من مئتين صفحة إلى ثلاثمائة. هذه المواد دون مساعدة من الأهل للأولاد لا يمكن أن يبلغوا النتيجة المرجوة لهم آخر العام. فإذا لم يستطع الوالد أو الولي أو المربي أن يوفر للولد هذا الجهد المشكور، فليدفع به إلى مرب ثقة عدل ذا عقيدة سليمة يستطيع أن يقوم عنهم بهذه المهمة أو يحضره إلى داره ليشرف على دراسة الولد، فهذا أفضل ليبقى تحت عين والده مطمئناً عليه من عثرات الزمان.

أيها السادة: هذه اللحظات الحرجة من حياة أولادنا على كل منا أن يقدرها حق قدرها، ومع هذا الاهتمام على الآباء أن يتحفوا أولادهم بالحب والشعور بالغيرة عليهم، ليرفعوا من معنوياتهم ويشعروهم بقيمتهم وسط الأسرة، وأنهم ليسوا بمفردهم في معركة الامتحانات.

ولا بأس إذا رأى الوالد عدم استطاعته على تدريسه أو إحضار مدرس أن يربطه برفاق له من صفه أصحاب دين وتفوق.

هذا حل ثالث: ربط الولد برفاق متفوقين محافظين على الصلاة أصحاب خلق حسن يستطيعون أن يراجعوا معه الدروس، وينهضون به إن كان عنده بعض التقصير. وفي هذا تعليم للمتفوقين أن لا ييخلوا بعلمهم على المقصرين، وعلى آباء المتفوقين أن يعلموا أولادهم ألا يكونوا أنانيين في علمهم، العلم يزكوا بالإنفاق والتعليم، كل شيء ينقص بالإنفاق إلا العلم وما كان الله تعالى. هذا العطاء رباني، فلو لم يبذله لأهله وطالبه ينزعه الله منه ويلقيه في جهنم. كما قال ﷺ: «مَنْ كَتَمَ عِلْماً مِمَّا يَنْفَعُ النَّاسَ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلْجَامٍ مِنْ نَارِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

كنا في الجامعة الدمشقية نجلس سبعة طلاب في ليلة نهيء لها، نحفظ فيها أبيات الشعر المقررة علينا، وكل طالب يلقي بيتاً وهكذا حتى نأتي على آخر الأبيات المقررة. كنا نغتنم أوقاتنا فلا نضيعها هدرًا، لا تلفزيون لا سيران لا اجتماع لا زفاف، وإذا ما اضطر أحدنا إلى الذهاب إلى الجامعة كنا نكتب على قصاصات ورقية بحثاً ما حسب طول الطريق أو قصره نقرأها في الباص، أو أثناء المشي نحفظها. كان شعارنا: (الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، الوقت إذا فات لا يستدرك، ليس شيء أعز من الوقت)، هذا الحرص على العلم، هذا الدأب العلمي يحبه منا سيدنا رسول الله ﷺ: «فليس منا إلا عالم أو متعلم». أنتم يا أبناءنا الطلبة على ثغر من ثغور الإسلام وهو راية العلم، فإذا صحّحتهم نيتكم وأخلصتم الله تعالى نلتهم الحظ الأوفر من محبة الله ورسوله.

وأنتم أيها الأولياء: أنفقوا على أولادكم، كافئوهم على تفوقهم، أشعروهم بمحبتكم وتفانيكم، إن تفهم المربين لأحوال أولادهم في هذه الفترة من الأهمية بمكان، فلا ينبغي أن نغفل عن هذه الحقيقة، أنتم المسؤولون أولاً عن مستقبل أبنائكم، فلا تلوموا أحداً على تقصيرهم إن لم توفرُوا لهم وتهيئُوا لهم ما يحتاجونه من الهدوء والسكينة والجو الدراسي.

على الآباء أن ينسوا الخلافات مع الأمهات، فعليهم تقع المسؤولية الكبرى في إنقاذ أولادهم من وهدة وهاوية الرسوب، وهذا لا يأتي إلا بتوفير الأمن والأمان والاستقرار الأسري، فلتنهضوا بمسؤوليتكم أيها الآباء، ولا تلقوا بأولادكم إلى التهلكة.

وحاولوا ما أمكنكم الاستعانة بالوسائل التعليمية والإيضاحية، فلو كان البحث عن الحج يشاهد فيلماً عن المناسك من مبتدئها إلى انتهائها فكأنه قد رآها حقيقة، وهذا مما يرسخ البحث في ذهن الولد، وكم يفرح الولد عندما يطبق على مخطط الجغرافيا أمامه حدود كل بلد وهضابه ورموز الثروات الزراعية والنفط مثلاً، وأين تقع على الخريطة، وفي اعتقادي أن هذه الوسيلة من أعظم الوسائل النافعة لثقافة الولد، فإن هذه المصورات والجدول العامة لكل البلاد: مثلاً جدول يحدد عدد سكان كل البلاد المقررة على الولد، وجدول آخر يحدد مساحات كل بلد، وآخر يحدد المواد الزراعية لكل بلد.

هذا كله يعين الولد في تعليمه، ويرسخ المعلومات المطلوبة منه، ويساعده في النضج العقلي والعلمي مثلاً في العلوم الطبيعية يحضر له الهيكل العظمي البلاستيكي المصغر لجسم الإنسان أو الحيوان.

أنا لا أقول أن يفتح كل منا مخبراً تعليمياً في بيته، بل يمكن أن تستعير ذلك مرة واحدة من أساتذة العلوم أو غيرهم.

هؤلاء أولادنا يا سادة سيحملون الراية في المستقبل، سيحملون أسماءنا، فماذا سنقول للناس عندما ينشأ أولادنا فاشلين أو راسبين، هل ستصف ابنك بالعتة، أم ستصفه بالإعاقاة العقلية، من منا سيعترف أنه السبب في تقصير أولاده، الولد كالعجينة في صغره، أنت بيدك تستطيع أن تجعله أعجوبة أو عبقرية بمتابعته أنت أو من قبل والدته، وإذا كنت أباً غير دارس سلّمه إلى أهل ثقة يعينه ويعتني به.

إخوتي في الله: على كل منا أن يعين ولده بالأذكار والدعوات، علموه إذا خرج من بيته إلى الامتحان أن يقول: بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله.

أُتعرّف ماذا يقول له الملك (ت) يقول له: (حسبك هديت وكفيت ووفيت وتنحّي عنك الشيطان).

علمه إذا دخل المدرسة أو قاعة الامتحان أن يقول: ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾.

علمه إذا أمسك الورقة ورقة الامتحان ليقراها أن يدعو: (اللهم زدني علماً وفهماً يا كاشف الأسرار، يا عالم السر والخفيات: اكشف لي الحُجُب عن وجه الأسئلة الامتحانية حتى أطلع إلى حقيقتها واحفظني عن الخطأ أو الضلالة وأنت الموفق لكل أمر وأنت علام الغيوب. اللهم ارزقني فهم النبيين، وحفظ المرسلين، وإلهام الملائكة المقربين، بجاه سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم).

علمه إذا أمسك بالقلم ليكتب الإجابات أن يقول: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث.

فلنكن مع أولادنا في خضم هذه الامتحانات. ارحموا ترحموا اللهم نجح أولادنا، وعلمهم وثبتهم وافتح عليهم فتوح العارفين.
هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله:

الصلاة والسلام عليك

الحمد لله الذي جعل مرور الشهور والأعوام عبرة وذكرى لأولي الأحلام، وتنبيهاً على قرب انقضاء الآجال وحلول الحِمَام، إذ كل من عليها فان، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام، وسيسأل الله العباد يوم القيامة عما عملوه في كل يوم من الأيام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. أوجد العالم على أبداع نظام وأقام الكون على سنن لا يعترئها تبديل ولا انخرام.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله هدى إلى السعادة بما سنّه من آداب وأحكام.

قال لنا: « اغتنم خمساً قبل خمس حياتك قبل موتك، وشبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك » (حا صحيح).

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه هداة الأنام الفائزين بمقاعد الصدق في دار السلام، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

ها قد أتى الصيف، وبدأ الأهلون بعد تعطيل المراحل الثلاث يعبأون من ثقل فراغ أولادهم، وحتى لا يقع البيت المسلم في الفوضى، علينا أن ننظم أوقات اللهو إلى جوار أداء الواجبات الشرعية، فالبيت المسلم معروف بالنظام وإتيان البيوت من أبوابها، فعلى الآباء محاولة تنظيم الشؤون في عطلة الصيف لكي تمضي بسلام وقد اغتنمت على أكمل الأحوال.

إننا - معشر السادة - مع الحلقة السبعين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم:

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

إخوة الإيمان: الإسلام دين واقعي يقر للمسلم اللعب البريء واللغو المباح ما دام في مصلحة الإسلام، وما دام في حدود ملاطفة الأهل والعيال.

الإسلام - يا إخوتي - لم يحرم اللغو البريء، لكن المكروه أن يجعله المسلم دينه وعاداته وخلقه ويملاً به صباحه ومساءه، فيهزل في موضع الجد، ويعبث ويلهو في وقت العمل، الإسلام دين الوسطية والاعتدال، يقول جدي سيدنا ابن العباس رضي الله عنهما (إن القلوب تملُّ كما تملُّ الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة) ويقول: (روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلب إذا أكره عمي) لكن اللغو الذي أمر به الشرع المطهر مضبوط منتظم مع الكتاب والسنة، فما أذن فيه الشارع أن نلهو به لهونا به وما حرّمه علينا اجتنبناه يقول المربي الأعظم رحمه الله: «ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه» فالإسلام مثلاً حرم على متبعيه اللعب بالطاولة سواء كان اللعب على رهان أم لا، لأجل التسلية البريئة أم لا، لماذا فعل الشارع ذلك؟ لأن اللاعب بها يعود لسانه على المحرمات ويستهلك قدراً كبيراً من وقته ويصرفه عن كثير من واجباته الدينية والتربوية والدينية فضلاً عن كونه وسيلة تؤدي إلى اللعب على الرهان وهو القمار. ولذلك المربي الأعظم حرم اللعب بالطاولة، فقال (أحمد م-د): «من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله».

فالنبي صلى الله عليه وسلم والآيات القرآنية حذرت من القمار بشتى أشكاله وأنواعه، لأنه يعتمد على الربح على سبيل المصادفة والحظ لا على سبيل العمل والجد وكد اليمين وعرق الجبين واحترام الأسباب المشروعة للكسب، مع ما يورث العداوة والبغضاء بين المتلاعبين لأكل الأموال بينهم بالباطل وحصولهم على المال بغير حق، وهذا الكلام نبهنا عليه مولانا عز وجل فقال: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ (عن الواجبات الشرعية) وعن الصلاة فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ وربما دعا أصحاب الميسر والطاولة أو النرد إلى الإجرام، لأن الفريق المفلس يريد أن يحصل على المال من أي طريق كان، ولو عن طريق السرقة والاعتصاب أو الرشوة والاختلاس، وقد يؤدي في الديون المتراكمة إلى الانتحار أو الجنون أو المرض العضال كما نسمعه من الجرائد، وقد يصل صاحبه إلى عشق المائدة الخضراء فيبيع لأجلها دينه وعرضه ووطنه لأجل إشباع نهمه المال والجنس. وأوراق اليانصيب التي نسمع عنها هي عين الميسر والقمار وهذا حرام ولو كان باسم جمعية خيرية أو غرض إنساني وهذا المبدأ مرفوض في الإسلام، لأن مبدأ الغاية تبرر الوسيلة مبدأ روجه اليهود، أما الإسلام فَيَشْتَرِطُ أَنْ تَكُونَ الغاية طاهرة والوسيلة طاهرة. الإسلام لا يبيح للمرأة أن تزني ثم تتصدق، غايتها طاهرة لكن وسيلتها حرام، الإسلام لا يسمح للعبد أن يسرق

ليتصدق. الغاية لا تبرر الوسيلة فيما ذكرنا، فما يفعله الأردن وغيره من اليانصيب الخيري حرام، لأن الإسلام يطلب من أتباعه أن يبذلوا وينفقوا ويساهموا في جهات الخير من تلقاء أنفسهم لا عن طريق الحرام! (إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً). الطولة حرام، والنرد حرام، والقمار حرام، وكذا الشطرنج حرام عند أكثر أهل العلم مستمدين ذلك من أقوال الصحابة الكرام يقول جدي سيدنا علي: الشطرنج ميسر الأعاجم (هب) ومرة مرة على قوم يلعبون بها فقال: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون، لأن يمس أحدكم جمراً حتى يطفأ خير له من أن يمسخها، ثم قال: «والله لغير هذا خلقتكم»، ثم بين السبب في تحريمه فقال: صاحب الشطرنج أكذب الناس يقول: «قتلت وما قتل، ومات ملك وما مات». ولهذا لما سئل ابن عمر عن الشطرنج قال: هي أشر من النرد، بل الإمام مالك يقرر فيقول: الشطرنج من النرد.

أما الشافعية فقالوا: إن اللعب بالشطرنج مكروه بشرطين: ألا يفوت به صلاة أو واجباً عن وقته، وألا يلعب به على عوض وإلا يصبح حراماً.

معشر الإخوة الكرام: أما سيدنا رسول الله ﷺ فقد ندبنا إلى الوسائل المباحة للهو، فلكني نعلم هذه الوسائل علي أن أنتقل بكم سريعاً إلى هناك، إلى المدينة المنورة والأولى بنا أن ندخل على النبي ونحن نصلي عليه، هاهو يقول للصحابة (طب): «كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو إلا أربع خصال: مشي الرجل بين الفرضين للرمي، وتأديبه فرسه، وملاعبة أهله، وتعليم السباحة».

حتى كان يعلمهم بنفسه ويشجعهم على الرمي بالنبل أو الحراب ويقول: «ارموا وأنا معكم». لكنه لم يسمح لأحد أن يجعل الهدف الذي يرمي إليه شيء فيه روح كالأنعام والدواجن والحمائم والعصافير. لذلك لما مر سيدنا ابن عمر (ق) رأى جماعة يتخذون من الأنعام هدفاً للرمي فقال: إن النبي لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً.

ومعنى ذلك أنك إذا أردت أن تصيد للأكل جاز، أما لكي تتسلى وتقتله لترميه فلا يجوز، ولهذا اسمعوا إلى المربي العظيم يقول: «مَنْ قَتَلَ عُصْفُوراً عَبَثاً عَجَّ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ: يَا رَبِّ إِنَّ فُلَاناً قَتَلَنِي عَبَثاً وَلَمْ يَقْتُلْنِي مَنَفَعَةً».

لذلك الذي يقتل للتسلية مثل مصارعي الثيران فهذا حرام، لا يصارع الثور إلا ثور مثله، والنبي ﷺ (د - ت) «نهى عن التحريش بين البهائم وأباح لنا الضرب بالسيف والرمح والصيد».

إن عظمة الإسلام أنه أباح لأتباعه بعد طول الدراسة أن يرتاحوا من عناء وتعب الدراسة والوظائف، الإسلام دين واقعي يسمح بذلك ما دام في مصلحة الإسلام وحدود ملاطفة الأهل والعيال.

أيها المسلمون: ما زلت معكم عند الحبيب الأعظم، هاهو يلعب أبناء الصحابة ويروح عن نفوسهم ويدخل السرور عليهم ويمرح معهم ويستأنس بهم ويشجعهم على اللعب البريء والمرح المباح. يروي لنا الإمام أحمد بسنده إلى رسول الله ﷺ أنه كان يصف عبد الله وعبيد الله وكثير من بني العباس ثم يقول لهم: **«من سبق إلي فله كذا وكذا»** قال: فيستبقون إليه فيقفون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلتزمهم. هاهو يعطينا مثلاً بنفسه عن رياضة الجري على الأقدام فيما يرويه الإمام أبو داود عن أمنا السيدة عائشة قالت: سابقني رسول الله فسبقته ، فلبث حتى إذا أرهقني اللحم (سمنت قليلاً) سابقني فسبقني فقال: **«هذه بتلك»**.

ويروي لنا الإمام الطبراني عن سيدنا جابر أنه خرج مع النبي إلى دعوة طعام، فإذا سيدنا الحسين يلعب في الطريق مع الصبيان فأسرع النبي ﷺ أمام القوم ثم بسط يده فجعل يفرّ ههنا وههنا، فيضاحكه رسول الله ﷺ حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى بين رأسه وأذنيه ثم اعتنقه وقبله ثم قال: **«حسين مني وأنا منه أحب من أحبّه، الحسن والحسين سبطان من الأسباط»**. يا سعد من صلى عليه.

يقول سيدنا أنس بن مالك: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً، فأرسلني يوماً لحاجة فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله، فخرجت حتى أمرّ على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا برسول الله ﷺ يمسكه من ورائه وسيدنا جابر ينظر إليه وهو يضحك، والنبي يقول له: يا أنيس! **ذهبت حيث أمرتك**. قال: قلت نعم أنا ذاهب يا رسول الله. قال أنس: والله لقد خدمته تسع سنين ما علمته قال لشيء صنعته لم فعلت كذا وكذا، أو لشيء تركته هلا فعلت كذا وكذا.

وهؤلاء صحابة نبينا ﷺ كانوا يترامون بالبطين، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال (خد).

إخوتي في الله: وبين الأيام القادمة علينا ومع فرحنا بالعطلة الصيفية علينا أن نضع برنامجاً حافلاً لزيارات الأهل والأرحام، ولزيارة المساجد الكبيرة كجامع الأموي، وزيارة الأضرحة كسيدنا يحيى وصالح الدين ونور الدين، وزيارة المتاحف كالمتحف الحربي وقصر العظم، ونحضر درساً واحداً على الأقل لكبار علماء البلد ليكتسب الأولاد رؤيتهم وتقيل أيديهم، أو نزور المكتبات العامة في البلد ونطلع على الكتب التي ألفها أكابر العلماء، ففي هذا شحذ الهمم لأولادنا للاجتهاد والتفوق وتعويد الولد على الجرأة الأدبية وأصول الارتياح للأماكن العامة ودور الثقافة والعلم، وتعليم الأولاد التأدب بآداب المساجد، وبين الفينة والفينة على الأب أو المربي إحضار بعض القصص التاريخية المشرفة للأمة إن كانوا صغاراً، فإذا كان الأولاد شباباً أحضر لهم كتباً حضارية لتكشف للولد الخطط الاستعمارية التي يرسمها أعداء الإسلام.

فلا ينبغي للصيف أن يكون فقط للهو والعبث المباح، بل الصيف فرصته نادرة لترميم ثقافة الولد وحفظه لجزء واحد على الأقل من القرآن الكريم، وإني لأعرف آباءً يقومون بتحفيظ كل ولد نصف صفحة كل يوم، فإذا ما حفظ الجزء كله صار يعيد كل يوم صفحة، فإذا ما قام بتسميعه ثانياً كله صار يقوم بتسميع سورة كل يوم ... وهكذا حتى ينقضي الصيف، فإذا ما كان الولد يحفظ سابقاً جزءاً قام بتسميع سورة كل يوم إلى جانب حفظه نصف صفحة جديدة.

أيها الآباء أيها المربون:

الأبناء في رعايتكم وتحت كفالتكم، كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعايته، اغتنموا الأيام القادمة بما يفيد أولادكم عند الله في الآخرة.

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله:

الصلاة والسلام عليك

القضية الواحد والسبعين مصادر الحلال في الأسرة

الحمد لله مجلي السماء ببديع المصاييح ومغذي الملائكة بحلاوة التسبيح، الذي شهدت بتوحيده عجائب المصنوعات، ونطقت بتحميده غرائب المبدوعات، وسبح له الخلق باختلاف اللغات، فسبحان من لا يساويه أحد في الأرض والسموات.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أرسله من أرجح العرب ميزانا وأوضحها بيانًا، وأعلاها مقامًا، وأحلاها كلامًا، وأوفاهها ذمامًا، فأوضح الطريقة ونصح الخليفة، وشهر الإسلام وكسّر الأصنام وأظهر الأحكام وحذّر الحرام وعمم بالإنعام . عذراً رسول الله.

عذراً رسول الله إن قصّرت في مدحي فإنّ جمالكم لن يوصفا
جاءت قديماً ذرة من نوركم فد جمل الرحمن منها يوسف

والله لو ماء البحار بجمعها كان المداد لمدح أحمد ما وفا
يكفيه لقيا في السموات العلا وبحضرة المولى الكريم تشرفا
يكفيه أنّ البدر يكسف نوره لكنّ نور محمد لن يكسفا

صلى عليك الله يا علم الهدى
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه البررة
الكرام، وعلى أزواجه وذريته في كل محفل ومقام، وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

كنت قد وقفت معكم قبل حرب العراق عند القضايا التي يجب أن يتبناها الزوجان لحياتهما الإسلامية، فبينت لكم حكم الإسلام في وسائل الإعلام، وأنا اليوم بعونه تعالى أتمم ما يجب على الزوجين أن يقوموا به مراعاة لإسلامهما ودينهما وسلامة بيت الزوجية. وقضيتنا اليوم (واجب الزوج على زوجته أن يطعمها ويكسوها من الحلال) حتى تبقى مطيعة له منقادة إليه، لأن الحرام يقسي القلب فتتورد المرأة على زوجها وتقع الخلافات بينهما بسبب ذلك.

إننا - معشر الإخوة - مع الحلقة الواحدة والسبعين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم.

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

إخوتي في الله: مصادر الحلال في حياتنا كثيرة لا تعد ولا تحصى، فمولانا عز وجل من كرمه وجوده سخر لنا ما في الأرض جميعاً، وقال لنا: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ والمطلوب من الزوج أن يختار من عمله وكسبه ومصدر رزقه الحلال الصرف، ويتجنب المصادر المحرمة للرزق كبيع وشراء المصادرات وآلات اللهو والتماثيل والمحنطات والخمر واللحوم المحرمة وغيرها مما لا يخفى تحريمه، فلو باع منها شيئاً فلا يظن أن هذا المال الذي جاءه حلال، لا، وأبداً. لأن المربي الأعظم ﷺ علّمنا وقال لنا بوضوح لا يعتريه شك (أحمد - د): «إِنَّ اللَّهَ إِذَا حَرَّمَ شَيْئاً حَرَّمَ ثَمَنَهُ». يعني شخص يخرج من بيته صباحاً ومعه أوراق اليانصيب يبيعها ويعود مساء ويقول: كسبت حلالاً، لا، هذا كسب حرام عليه لأن النبي قال: «إِنْ اللَّهَ إِذَا حَرَّمَ شَيْئاً حَرَّمَ ثَمَنَهُ».

والإسلام عندما يحرم شيئاً إنما يحرمه ليكون مجتمعنا نظيفاً، يريد منا أن نحافظ على حياتنا بعيدين عن الأضرار الصحية والنفسية والاجتماعية والخلقية.

وأما يخرج من الصباح إلى المساء ويحتال في البيع على هذا وذاك، ويبيع السمك في الماء والطير في الهواء، ويكذب على المشتري، ويوقع الناس بعضهم ببعض بالخلافات المالية، ويعود مساءً ويقول: كسبنا قرشين حلال بعرق الجبين، لا، هذا حرام، لأن سيدنا النبي ﷺ قال: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»، ونهى عن المخادعة في البيع والشراء، ونهى عن الغرر.

أو يأتي آخر يمتهن مهنة الاحتكار لأقوات الناس وطعامهم يحتكرها في المخازن ويتحكم في أسعارها ويبيعها بسعر خيالي، هذا حرام، حتى إن النبي ﷺ يقول: «مَنْ احْتَكَرَ الطَّعَامَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَقَدْ بَرَىءَ مِنَ اللَّهِ وَبَرَىءَ اللَّهُ مِنْهُ». (م) «فَلَا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِئٌ». (جه - ح) «الْمُحْتَكِرُ مُلْعُونٌ» وكل شيء بعته كسبه حرام مثل الغش تماماً، الغشاش كسبه حرام.

واسمحوا لي - معشر الإخوة - أن أنقل لكم هذا المشهد للقائد الأعلى للأمة سيدنا محمد أثناء جولته التفتيشية على الأسواق. هاهو يمر على بائع يبيع قمحاً أو شعيراً فأعجبته صبرة الطعام وحبّة القمح الجافة كبيرة ونظيفة، فأعجبه فأدخل يده في الصبرة فرأى القمح من الداخل مبلولاً، والحبّة المبلولة أثقل من الجافة في الوزن فصار فيها جاف ومبلول فقال: ما هذا يا صاحب الطعام قال: أصابته المطر (السماء) فقال: **فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس (أنه مبلول) «من غشنا فليس منا»**. ورواية (من غش فليس منا). وهذا الموقف من سيدنا النبي يدلنا على شيء هام، أن الواقف أمام الغشاش إذا كان يعرف أن البضاعة مغشوشة (يعني من الظاهر حبّة كبيرة وظرفية ومن الداخل منزوعة أو صغيرة) إذا كان يعرف أن البضاعة مغشوشة فواجب عليه شرعاً أن يقول للمشتري انتبه هذه السلعة مغشوشة، من أين أخذنا هذا الحكم الشرعي من سيدنا رسول الله اسمعه يقول لك (حـا - هـب): **«لا يحلّ لأحد يبيع بيعاً إلا بين ما فيه، ولا يحلّ لمن يعلم ذلك إلا بيّنه»**. الغش حرام والسكوت عنه حرام.

وتصير الحرمة أشد إذا حلف أن هذه السلعة ممتازة أو أمسكها وقال: (الله يبارك له) الذي يحلف وهو متيقن الكذب، تكون هذه اليمين التي حلفها سبباً في غمسه في نار جهنم. رب العزة يقول: **«وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ»**. وهو يحلف بالله كاذباً، سيصلى ناراً ذات لهب. واسمع معي إلى الصادق المصدوق ماذا يقول؟ يقول (خ): **«الْحَلْفُ مُنْفَقَةٌ لِلْسُّلْعَةِ مُمَحِقَةٌ لِلْبَرَكَةِ»**. راحت البركة من بيعك وشرائك وصرت على البركة.

إخوة الإيمان: الإسلام ضيق دائرة الكسب الحرام وعدّ مشاركة المجتمع من أهم الأسباب في نظافته.

يعني بائع أوراق اليانصيب لا يجوز لأحد أن يشتري منه لأن شرائك منه يعني مساعدته على ترويج الحرام والميسر، والله تعالى يقول: **«ولا تعاونوا على الإثم والعدوان»**.

لا يجوز لأحد أن تشتري منه بالربا لأنك تساعد على التكسب بالربا، ومن اشترى منه اسمه موكل الربا والنبي **«لعن أكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء»**، ورب العزة يقول: **«وأحل الله البيع وحرم الربا»**. الربا من الكبائر بل من أكبرها فائدة البنك ربا من أكبر الكبائر، شهادات الاستحمار من أكبر الكبائر، ومولانا عز وجل قال: **«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ذُرُّوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ»**، حرب، ومن هو الذي سيقف أمام الله، الربا حرام وشراء المسروقات حرام لأن النبي قال (هب): **«من اشترى سرقة (أي مسروقة)**

وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهَا سَرِقَةٌ فَقَدْ اشْتَرَكَ فِي إِثْمِهَا وَعَارِهَا». كأنه هو الذي سرقها، لا تسألوا ولا تبالوا بشيخ يبيع الربا مهما كبرت عمامته وارتفع منصبه، سيصلى ناراً ذات لهب. لا تسألوا على الشيوخ التي تحلّ ما حرم الله، لست أنت الذي تحلّ أو تحرّم، الحلال والحرام تشريعه بيد الله، لا يستطيع أحد من البشر مهما كان دكتور أو ثور أو بروفيسور أن يبيح شيئاً حرمه الله جلّ جلاله، ومن فعل ذلك فقد تجاوز حدّه واعتدى على حق الربوبية في التشريع، وكلّ من يرضى بعمله ويشكره على تحليله من هؤلاء البشر فقد اتخذهم من دون الله شركاء، وألحد في الدين، وكفر بالقرآن الذي أنزله الله على قلب سيدنا محمد ﷺ. إن مولانا عز وجل قال عنهم: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾. شورى (٢).

أيها العبيد: تذكروا من أنتم، سلطة التحريم والتحليل ليست بيد المشايخ والدكترة، لا يوجد في الإسلام: أنا رأيي، وأنا أرى، سيأتي علينا يوم ونصبح مثل اليهود والنصارى الذين وضعوا سلطة التحليل والتحريم في أيدي أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ التوبة ٣١.

لما علم الصحابي عدي بن حاتم هذه الآية وكان نصرانياً قال: يا رسول الله إنهم لم يعبدوهم. فقال: بلى، إنهم حرّموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم. وعلى الموجات العاملة سورة يونس (٥٩): ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا. قُلْ اللَّهُ أَدْنَى لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾.

ليسمع هذا الكلام من يحلل الربا في إذاعات المسلمين، إن صاحب الحق الأوحد الذي يحلل ويحرم هو الله وحده. ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطَرَّرْهُمُ إِلَيْهِ﴾ الأنعام ١١٩.

فيا أيها الزوج: أطعم زوجتك وأولادك من الحلال وإياك والحرام، الإسلام حماك من الأضرار الدينية والصحية والدينية، واسمحوا لي أن أحضر لكم هذا المثال البسيط عن الحكم التي من أجلها حرّم الله علينا تلك المحرّمات، لو أخذنا مثلاً عن التحريم لحم الخنزير، فقد اكتشف الأطباء أن لحم الخنزير من أخبث اللحوم وفيه ضرر: الضرر الصحي أنه يسبب الدودة الوحيدة القتالة، هذا ما اكتشف حتى اليوم، وفيه ضرر أكبر وهو أنه يورث ضعف الغيرة على العرض، أي يصير آكله ديوثاً لا يغار على عرضه، لأن المختصين بعلم الطب قالوا: إن لحوم الحيوانات تحوي مواد من شأنها أن تنقل إلى الآكل صفات الحيوان نفسه، فمثلاً الإنكليز مغرمون بالأسماك الباردة ولهذا طباعهم باردة، والفرنسيون مغرمون بلحوم

الخنازير ولذلك لا يتصفون بالغيرة على أعراضهم، وأما عرب البادية التي تعتاش من لحوم الجمال فتتصف نفوسهم بالصبر والحقد، وأهل المدن الذين اعتادوا أكل لحوم الغنم هم أسهل انقياداً من غيرهم، وهذه الحقائق التي نقلتها لكم عن الأطباء كان يعرفها سيدنا محمد ﷺ فهو القائل (طس ٢١٩/٤ - حم صحيح): «أَلَا إِنَّ السَّكِينَةَ وَالْوَقَارَ فِي أَصْحَابِ الْغَنَمِ، أَلَا وَإِنَّ الْخِيْلَاءَ وَالْفَخْرَ فِي أَصْحَابِ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ». فهل عرفتم يا سادة أن سيدنا النبي يعرف كل شيء، لذا إذا أردت شيئاً فاطرق باب النبي، إذا أردت أكل الحلال أنت وزوجتك وأولادك ابحت عن النبي. اجعل حبيبك النبي دائماً ضيفك على المائدة في البيت حتى يرضى عنك.

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها ببلاغة وفصاحة النبوة: «الحلال بَيِّن، والحرام بَيِّن وبينهما أمور مشتبّهات لا يعلمهنّ كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه. ألا وإن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه».

النفس تبكي على الدنيا وقد علمت أن السلامة فيها ترك ما فيها

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التي كان قبل الموت يبنها

فإن بناها بخير طاب مسكنها وإن بناها بشرّ خاب بانيها

أين الملوك التي كانت مُسلطنةً حتى سقاها بطأس الموت ساقها

كم من مدائن في الآفاق قد بنيت ودورنا لخراب الدهر نبنيها

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التي كان من قبل الموت يبنها

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدّي التحية، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله:

الصلاة والسلام عليك

القضية الثانية والسبعين

التقليد الأعمى

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور، وفضّل ما شاء من الأيام والشهور. أحمده سبحانه وتعالى على ما هدانا له من أسباب الخير الموفور، وأستهديه في كل ورودٍ وصدورٍ ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحكيم الصبور، شهادة تقرّ بها العيون وتنشرح بها الصدور.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسله بالدين القويم والكتاب الذي هو هدى ونور، نبي أثنى الله عليه في كتابه بما يشفي الصدور، وحبيب خصه الله بالمقام المحمود واللواء المنشور. قال لنا: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ حَذُوَ الْقَدَةِ بِالْقَدَةِ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا حُجْرًا ضَبًّا لَدَخَلْتُمُوهُ».

اللهم صلِّ وسلِّم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم النشور وسلم تسليمًا.

أما بعد: فيا معشر المسلمين:

أقف اليوم بينكم لأتحدث عن الهزيمة. لا هزيمة حرب بل هزيمة شخصية هزيمة إيمان، هزيمة انحلال الشخصية، هزيمة الدمار المحتوم.

إنها الهزيمة التي تفقد بها الأمة كل مقومات وجودها وأسباب بقائها وعزتها، لأنها تحطم شخصية الأمة وتميع أخلاقها، وتقتل رجولتها، وتستأصل فضائل الشرف والعفة فيها، وهو ما تسعى إليه أمريكا اليوم وتضع إمكاناتها في سبيل تحقيق هذه الهزيمة.

إنها التقليد الأعمى، هزيمة التقليد الذي فيه تذوب شخصية المسلم، لأنه يحب أن يقلد غيره من غير المسلمين، حين يعجب ببهجة الزي وبريق المظهر وثوب الشهرة، فالمقلد ينساق وراء عادات الأجني وأزيائه وأخلاقه، فلا عجب إذاً أن أقف اليوم بينكم لأتحدث إلى الزوج والزوجة وأحذرهما في بدء حياتهما الزوجية من التشبه بغير المسلمين، فقد بدأت صرعة الأزياء تنتشر بين الأمة انتشار النار في الهشيم، وبدأنا نرى الشباب والشابات لا يألون جهدهم بالتشبه بالكفرة وأهل الكتاب، فأينما تلقّت ببصرك رأيت كثيراً من النساء كاسيات عاريات سافرات متبرجات.

إننا باختصار مع الحلقة الثانية والسبعين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم.

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

إخوتي في الله: التقليد على نوعين تقليد مفيد وتقليد مضر:

فالتقليد المفيد أن تنهض الأمة بما ينفع المسلمين علمياً وحضارياً ومادياً كتقليد علماء الطب والهندسة والفيزياء وأسرار الذرة ووسائل الحرب الحديثة، فهو جائز لكونه يدخل تحت قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾. ويدخل تحت قول المربي الأعظم^٩: «الحكمة ضالة كلِّ حكيم فإذا وجدها فهو أحقُّ بها».

وأما التقليد المضر: فهو الذي نهي عنه الإسلام.

وأريد اليوم من شباب المسلمين ورجال الإسلام الذين يعتزون بدينهم أن يزوروا معي القائد الأعلى للأمة سيدنا محمد ﷺ، وأن يستمعوا جيداً إلى التوجيهات النبوية التي حذر فيها رسول الله من الوقوع في برائث التشبه بالغير، أو ما يسمّى بالتقليد الأعمى، فنحن أمة الإسلام لنا شخصيتنا المستقلة بنا، لا نريد لأبنائنا أن يعيشوا عالّة على الأمم، لا نريد لأمتنا أن تذوب شخصيتها في شخصية الكفرة تلبس كما يلبسون، وتأكّل كما يأكلون، وتمشي كما يمشون.

إنّ سيدنا رسول الله يحب للمسلم أن تكون له شخصيته المتميزة، فتعالوا بنا نزر هذا النبي الحبيب، تعالوا بنا ندخل عليه ونحن نصلي ونسلم عليه، ها هو يوجهنا التوجيه الأمثل فيقول لنا: «لَا يَكُنْ أَحَدَكُمْ إِمَّعةً (لا رأي، ولا شخصية- طرطور- أبو جندل) لَا يَكُنْ أَحَدَكُمْ إِمَّعةً يقول: أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت، وإن أسأؤوا أسأت، وَلَكِنْ وَطَّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أسأؤوا أَنْ تَتَجَنَّبُوا إِسَاءَتَهُمْ».

هل رأيتم مثل هذه التربية النبوية، على الزوجين- معشر الإخوة- أن ينهجا منهج الإسلام في حياتهما، ومنذ البداية، منذ ليلة الزفاف، فيجعل تلك الليلة تقام في بيوت الله، في المساجد، أو في بيوتنا، لا في صالات تدار فيها الخمرة عن اليمين وعن الشمال فهذا لا يرضي الله ورسوله، وهذا مما سرى إلينا من الغرب الكافر، ونبينا ﷺ كشف الله له الغطاء عن بصره فوجد أن الأمة ستبدّل بيوت الله بصالات الميريين والشيراتون وغيرهما، فوقف خطيباً بين صحابته وقال لهم: «أَعْلِنُوا هَذَا النِّكَاحَ وَاجْعَلُوهُ فِي الْمَسَاجِدِ» في المساجد، لا في الصالات التي يجتمع فيها أفراد الأسرتين المتصاهرتين على غناء المغنيات ورقص الرقصات فهذا حرام.

^٩ (ت)

إذا بدأت الليلة الأولى بالحرام فلعمري كيف ستستمر حياتهما، إذا بدأت الليلة الأولى بالاختلاط المحرم وظهور نساء الأسرتين سافرات حاسرات أمام غير المحارم كأخ الزوج وابن العم، فكيف ستنتهي حياة الزوجين، وربما تدار الكؤوس المترعة التي حرمها الله تعالى، أو تتبعث الضحكات الفاجرة من هنا وهناك من أفواه السكارى وعريضة المخمورين، وطلقات الرصاص تنطلق من مسدسات الحمقى وبنادق المهووسين، وكم أصيبت من نفوس، وكم أريق من دماء ووقعت فتن واقتتل أسر من لعنة هذه الاجتماعات الفاجرة والحفلات العابثة، هذا جانب.

والجانب الأهم أنه ليس للزوج أن يرسل زوجته إلى أمثال هذه الحفلات ولو كانت متحجة متجلبة، لأنها ستفتن بها ويتغير سلوكها مع زوجها لظنها أنه جائزة، ولا والله ليست بجائزة، لأن المربي الأعظم حرمها وبشر أهلها بنار تلظى بدوام الوقيد.

ولتسمع الأمة توجيهات نبينا الأعظم ﷺ ليسمع شباب المسلمين ماذا يقول لنا النبي القدوة فمن مدرسة الإمام مسلم أنه قال: «صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا (لم يرهما في عهده ﷺ) ولكن الناس ستري هذين الصنفين) ما هما يا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكَ: الصنف الأول: قَوْمٌ مَعَهُمْ سَيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ النَّاسَ (يعذبون بها الناس، وأسألوا رواد السجون فإنهم يعرفون هذا الصنف تماماً)، الصنف الثاني: نِسَاءٌ كَاسِيَاتٍ عَارِيَاتٍ مُمِيلَاتٍ (متبخرات في مشيهن، مميلات لقلوب الرجال بإثارتهم وخلاعتهم) رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ (سنام الجمل) لَا يَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لِيُوجِدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِمِئَةِ عَامٍ».

فهل وُجد هذان الصنفان؟ نعم وجدا (قولوا صدق رسول الله).

ليسمع الزوجان هذا الحديث، على الزوجة أن تتقي الله ولا تكن من هذا الصنف، وإياها أن تتعجل اللذة العاجلة بالندامة الآجلة، إياها أن تخرج وتظهر شعرها أمام الناس، وعلى الزوج أن ينتبه أيضاً من قضية تطويل شعره بنيته تقليد الغرب أو التشبه بالنساء، لأن حبيبنا ﷺ لا يحب لشباب المسلمين أن يتشبهوا بنسائهم ولا لنسائنا أن يتشبهن برجالنا حتى إنه قال (خ - د - ت): «لَعَنَ اللَّهُ الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالْمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ». لأن التخنث ليس من شيمنا ولا من ديننا بل هو دين أهل الكتاب، وسيدنا النبي ﷺ وضع لنا قاعدة فقال (ت): «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا، لَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَلَا بِالنَّصَارَى».

رأيت مرة طالباً من طلاب المعاهد الشرعية الأجانب يدرس العلوم الشرعية، وقد أطال شعره، ورأيت يمشي وهو حاسر الرأس ويلبس البنطلون والقميص قلت له: ما هذا يا بني؟ فقال: لماذا تستنكر

علي يا سيدي وقد أطال النبي شعره حتى جاوز أذنيه؟ فقلت له: حسبك: أنت لم تعرف من الحب إلا عشقتني، أنت لم تعرف من السنة إلا تطويل الشعر، وتركت لباس التقوى، وتمشي حاسر الرأس والنبي لم يمشى حاسراً أبداً، بل كان يضع على رأسه الشريف العمامة تاج النبوة وشعار الإسلام، فأين هي، لماذا لا تضعها، ألم تسمع قول الشاعر:

وجمعت حولك يا رسول صحابة بعمائم أزهى من التيجان
ثم قلت له: يا بني أنت لم تكثر سواد المسلمين، بل كثر سواد المتخنثين
والمنحليين ونبينا يقول (أبو يعلى): «مَنْ كَثُرَ سَوَادُ قَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ».

وحين بحثت عن حال هذا الطالب وجدته يرافق شباباً هكذا حالهم، فعرفت أن السبب في انحراف هذا الفتى مصاحبة المخنثين فاكسب منهم أخط العادات وأقبح الصفات.
إخوة الإيمان: في خاتمة هذه القضية على الزوجين أن ينتبها من مخالطة الفجار والفساق وأهل الميوعة والانحلال حتى لا يقعوا في حبال التقليد الأعمى وشباك ضلاله وانحرافه، وصدق رسول الله ﷺ حين قال: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ».

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها على لسان أفصح متكلم وأبلغ خطيب يقول ﷺ ببلاغة متناهية وبيان عظيم: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» (أحمد - د).

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى المربي الأعظم، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله:

الصلاة والسلام عليك

القضية الثالثة والسبعين

هيئة المسلم

الحمد لله منزل الكتاب، ومفصل الخطاب، وفتاح أبواب الصواب، ومناح أسباب الثواب.

أحمده وهباته تنزل بغير حساب، وأعبده وإليه المرجع والمآب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهدت بتوحيده الآيات الظاهرة، ونطقت بتحميده الأفواه معترفة بأنها عن الثناء قاصرة.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي جمل الله خلقه وخلقه وكمل باطنه وظاهره. نبي جمع الله به بين القلوب المختلفة والأهواء المتنافرة.

اللهم صلّ وسلّم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه نجوم الأرض والبدور السائرة وسلّم تسليماً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

ما إن وصلت الجمعة الماضية إلى داري حتى انهالت علي الهواتف من الإخوة الشباب يطلبون مني أن أتحدث عن كيفية هيئة الرجل المسلم، وقالوا: ما دمت تحدثت عن ظاهرة التخنث فنحن نريد أن نعرف كيف هي هيئة المسلم كما يريدنا منا رسول الله ﷺ.

وقد رأيت اليوم أن ألبى طلب الإخوة الكرام، وأن يكون حديثنا اليوم عن هيئة المسلم ضمن القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه القضية أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم.

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

إخوتي في الله: الإسلام بمبادئه السمحة أباح للمسلم أن يظهر في ملبسه أمام أفراد المجتمع بمظهر لائق، ولأجل ذلك دعا الأدميين أن يحترموا آدميتهم ولا يتشبهوا بالحيوان العاري الذي لا يستره شيء فقال عز من قائل: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا...﴾ (الأعراف ٢٦).

وأمر مولانا عز وجل عباده المؤمنين أن يتخذوا أحلى زينة عندما يريدون الصلاة فقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (الأعراف ٣١). دون أن تكون هذه الزينة سبباً في الخيلاء والكبرياء على عباد الله، بل تكون معتدلة

مقبولة يقول عز من قائل: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان ٦٧). وما دام مربينا وموجهنا وقائدنا وسيدنا ورائدنا سيدنا محمد ﷺ فنحن لا نتلقى الأوامر التوضيحية للقرآن من غيره، لأن المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى يعرف ما يصلحنا وما يرضي ربنا عز وجل، ولتوضيح هذه القضية اليوم أرى لزماً علينا أن نسرع الركب متوجهين إلى طيبة وطابه التي طابت بسيدنا محمد ﷺ.

واسمحوا لي- معشر الإخوة- أن أذيع على حضراتكم أولى التوجيهات النبوية من مدرسة البخاري يقول: «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالْبُسُوا وَتَصَدَّقُوا مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ» أي ولا تكبر.

هذه هي القاعدة التي يبني عليها المسلم قضايا اللباس، فالمسلم يعتني بمظهره: يتنظف ويتجمل في حدود معتدلة، ولذلك نرى سيدنا رسول الله يوصي بعض أصحابه وقد قدموا من سفر بالاعتناء بحسن مظهرهم فقال لهم: «إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ» (د). وقال لآخرين (حب): «تَنْظَّفُوا فَإِنَّ الْإِسْلَامَ نَظِيفٌ».

وصدف مرة أن رأى أحد أصحابه وعليه ثوب دون، فقال له: ألك مال؟ قال: نعم. قال: من أي المال؟ قال: من كل المال قد آتاني الله تعالى. فقال ﷺ: «فَإِذَا آتَاكَ اللَّهُ مَالًا فَلْيَرِ أَثَرَ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكَ وَكَرَامَتِهِ» (ن). أي إن الله يحب أن يرى نعمته على عبده.

هذا التوجيه واضح وضوح الشمس، أنت مطالب إذا كنت ذا نعمة ألا تكون بخيلاً على نفسك فضلاً عن أهلك وولدك، ولأجل هذا ندبنا المربي الأعظم أن يكون لأحدنا ثوبان: ثوب للعمل وثوب للصلاة فقال: «مَا عَلَى أَحَدِكُمْ أَنْ وَجَدَ سِعَةً أَنْ يَتَّخِذَ ثَوْبِي لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ غَيْرَ ثَوْبِي مِهْنَتِهِ» (د). هذا اعتناء من سيدنا رسول الله للإنسان، أن يعتني بمظهره أمام أهله ومجتمعه لا أن يبقى ثائر الرأس واللحية، ورائحة العرق تفوح منه ومن رجليه: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ» (الأعراف ٣٢).

وأذكر مرة أن رجلاً جاء إلى سيدنا النبي ﷺ وهو ثائر الرأس واللحية فرده عليه الصلاة والسلام، وأشار إليه أن يصلح شعر رأسه ولحيته، ففعل الرجل ثم رجع وقد سرح شعر رأسه ورجل من شعر لحيته فقال ﷺ: «أَلَيْسَ هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمْ ثَائِرُ الرَّأْسِ كَأَنَّهُ شَيْطَانٌ» (الموطأ). لذلك اعتبر الأئمة الأعلام أن اللحية سنة واجبة وأن حلقها حرام، لأن النبي الكريم أمر بها في الأحاديث الصحيحة الصريحة

كما في مدرسة الإمام مسلم حيث يقول: «جُزُّوا الشَّارِبَ وَأَرَّخُوا اللَّحْيَ وَخَالِفُوا الْمَجُوسَ»، ومن مدرسة الإمام أحمد: «اغْفُوا اللَّحْيَ وَجُزُّوا الشَّارِبَ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى». «ونهى عن الْقَرْع» وهو حلق بعض الشعر وترك بعضه، لأن فيه ظلماً للرأس وتشبهاً بالكافرين.

هذا بالنسبة لهيئة الرأس. أما بالنسبة للباس فسمح الإسلام للذكور بارتداء أي صنف إلا الحرير وسمح له أن يتزين بأي زينة إلا الذهب.

والمقصود بالحرير: الأصلي المستخرج من دودة القز لا الحرير الصناعي فإنه لا يحرم لبسه، والعلة في التحريم البعد عن التخنت الذي لا يليق بشهامة الرجال.

إخوة الإيمان: تذكروا أننا في حضرة نبينا الأعظم فإنني أراه بعين الإيمان يأخذ حريراً فيجعله في يمينه ويأخذ ذهباً فيجعل له في شماله ثم يقول: «إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي» (جه) زاد: «حُلٌّ لِأَتَائِهِمْ». ورواية الإمام (خ): «نَهَانَا النَّبِيُّ أَنْ نَشْرَبَ فِي آتِيَةِ الْفِضَّةِ (أي والذهب من باب أولى) وَأَنْ نَأْكُلَ فِيهَا، وَعَنْ لِبْسِ الْحَرِيرِ وَالذِّيْبَاجِ وَأَنْ نَجْلِسَ عَلَيْهِ».

وبناء على هذه القواعد الحديثية فإن المسلم بعيدٌ عن لبس الحرير بعيدٌ عن التختم بالذهب. يقول جدي سيدنا علي (م) رضي الله عنه «نَهَانِي رَسُولُ اللَّهِ عَنِ التَّخْتُمِ بِالذَّهَبِ». والنهي هنا يقتضي التحريم، وما دمنا ننزل زائرین على هذا النبي الحبيب فتعالوا معي أشهد معكم هذا المشهد البديع فإنني أرى المربي الأعظم في حلقة من نجوم الهدى من أصحابه الكرام فترضوا عنهم جميعاً.

هاهو شاب يراه النبي يضع خاتماً من ذهب في يده، فإذا بالنبي الكريم المشرع ينزع ذاك الخاتم من يد الشاب ويطرحه أرضاً ويقول: «يَعْمَدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ». فانظروا إلى شباب سيدنا محمد. قيل للشاب: خذ خاتمك الذي ألقاه رسول الله على الأرض وانتفع به (أعطيه لأختك أو لأمك...) فقال: «لا والله ما كنت لأخذ شيئاً ألقاه رسول الله على الأرض». لقد عرف رسول الله كيف يربي أصحابه، ترى لو كان رسول الله الآن بيننا وأخذ من الشباب الخواتم الذهب أو الأطواق الفضة أو الذهب، أو الأساور التي يضعها الشباب في أيديهم، لو أخذها رسول الله الآن منا هل كنا نطيعه كما أطاعه هذا الشاب؟ أناشد الله الشباب لكل من يضع طوقاً في عنقه أو أسوارة أو خاتماً من ذهب أن يلقيه الآن صدقة لفقراء المسلمين وطاعة لسيدنا رسول الله. قولوا جميعاً سمعاً وطاعة لرسول الله.

سيدنا رسول الله يريد رجالاً للمعركة القادمة، رجالاً يعتزّون بدينهم، كما يريد من ناحية أخرى ألا يكون الثوب الذي نلبسه ثوب شهرة واختيال حتى لا تنكسر

قلوب الفقراء الذين لا يجدون لقمة عيش تدخل بطونهم. إن الثوب الفخم الثمين بقصد المباهاة والتعظيم والافتخار تتأذى منه قلوب الفقراء، والله تعالى: ﴿لَا يَحِبُّ كُلُّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ لذلك اسمعوا ماذا يقول لنا السيد الأعظم يقول: «مَنْ لَبَسَ ثُوبَ شُهْرَةِ الْبَسَةِ اللَّهُ ثُوبَ مَذَلَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». فما هي حدود اللباس؟

هذا السؤال سئل لسيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ماذا ألبس من الثياب؟ فقال للسائل: مالا يزدريك فيه السفهاء (لتفاهته) ولا يعيبك به الحكماء. فتحصل لنا -معشر السادة- أن هيئة المسلم هيئة متميزة، قلنسوة تغطي رأسه وهي تاج الإيمان وشارب محفوف، ولحية متواضعة، وثوب فضفاض لا يزيد على كعبيه، والأفضل أن يكون أبيض، وأما ما طال عن الكعبيين فهو في النار كما أخبر به سيدنا رسول الله، لأن ما طال عن الكعبيين يورث الخيلاء والنبي يقول (حمق): «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وربما يتهاون البعض بقضية تطويل الثوب لكنني سأعرض على حضراتكم مشهداً تقشعرون منه الأبدان سببه طول الثوب.

كان رجل من ملوك غسان النصارى واسمه جبلة بن الأيهم قد أسلم في عهد الفاروق سيدنا عمر وجاء إلى مكة المكرمة ليطوف حول الكعبة المشرفة، وكان تطويل الثوب عن الكعبيين عادة عربية جاهلية. جبلة هذا لم يقصّر ثوبه فإذا به وهو يطوف يدوس على طرف ثوبه رجل من عامة الناس، فالتفت إليه جبلة ولطمه على وجهه، فانطلق الرجل يستعدي عليه أمير المؤمنين سيدنا عمر، فاستدعاه الخليفة وسمع منه مقالته وظهر أن الحق مع الرجل الذي هو من عامة الناس، فحكم سيدنا عمر على الملك الغساني أن يلطمه الرجل جزاء لطمته، فقال الملك: يلطمني وأنا ملك وهو سوقة، فقال عملاق الإسلام: إن الإسلام قد سوى بينكما. فاستأذنه إلى الغد، فأذن له. لكن الملك الغساني فرّ ليلاً إلى الشام، إلى هرقل، وارتد عن الإسلام وعاد إلى النصرانية لماذا؟ كي لا يلطمه ذلك الرجل جزاء لطمته. وقبل موته ندم الملك الغساني، ندم ولات ساعة مندم وقال أبياتاً تعبر عن ندمه منها:

تنصّرت الأشراف من عار لطمه	ما علي لو صبرت لها ضرر
تكفّني فيها لجاج وفسوة	وبدلت العين الصحيحة بالعمور
فليت أمي لم تلدني وليتني	رجعت إلى القول الذي قاله عمر

وهكذا - معشر الإخوة - الكرام كانت مخالفة السنة في الملبس والهيئة سبباً في ردة من خالفها فليتنق الله امرؤ صان دينه. فالعهد العهد - أيها الإخوة - الذي تركنا عليه رسول الله، هذه الهيئة التي حدثتكم عنها هي هيئة سيدنا رسول الله وعادته في اللباس والشكل، والقاعدة تقول: عادات السادات سادات العادات.

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدّي التحية إلى الحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله:

الصلاة والسلام عليك

الحمد لله الصبور الشكور العلي الكبير، شملت قدرته كلَّ مخلوق وجرت مشيئته في خلقه بتصارييف الأمور، قدَّر مقادير الخلائق وآجالهم، وكتب آثارهم وأعمالهم، وقسم بينهم معاشهم وأحوالهم، وخلق الموت والحياة ليبلوهم أيهم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. إله جلَّ عن الشبيه والنظير وتعالى عن الشريك والظهير، فليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وخيرته من بريته، وصفوته من خليقته، وأمينه على وحيه أعرف الخلق به، وأعلامه عنده منزلة وأوسعهم عنده شفاعة، بعثه إلى الإيمان منادياً وإلى الجنة داعياً وفي مرضاته ساعياً، وبالمعروف أمراً، وعن المنكر ناهياً.

جاءت إليه وافدة النساء (بز-طب) تذكر له ما للرجال من الأجر والغنيمة في الجهاد والعلم وحضور الجمعة والجماعة، بينما النساء ليس لهن من ذلك شيء، فقال لها سيدنا رسول الله: **«أَبْلَغِي مَنْ لَقِيَتْ مِنَ النِّسَاءِ أَنَّ طَاعَةَ الزَّوْجِ وَخِدْمَتَهُ حَسَنٌ تَبْعُكُنَّ لِزَوْاجِكُنَّ يَغْدُلُ ذَلِكَ كُلَّهُ».**

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام: حديثي اليوم إليكم عن القيادة، فكلَّ سفينة ربان، وكلَّ طائرة طيار، وكلَّ سيارة سائق وكلَّ قيادة قائد، ومن سعة حكمة الله تعالى أن جعل القيادة في البيت للرجل (الزوج) والتنازع على القيادة أمر يعود بالدمار على البيت دمار وخراب، لذلك وضع مولانا قاعدة هامة في كتابه، قاعدة لو خالفتها الأسرة لعجلت بدمارها، هذه القاعدة هي قوله تعالى:

«الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ».

القوام للزوج، والقيادة له، الكلمة الأولى له، لتسير سفينة الحياة الأسرية إلى شاطئ الأمان، هذه حقيقة يجب على الزوجة أن تعرفها وتعيها وعياً كاملاً، بغض النظر عن أية امتيازات خلقها الله تعالى بين الجنسين الذكر والأنثى، فالأوامر صدرت من رافع السماء بلا عمد، نزل بها الأمين جبريل على الأمين الصادق سيدنا محمد ﷺ، وعابها من وعابها فنجى،

وأنكرها من أنكرها فهدم حياته وخسر الدين والآخرة. فما هُدم بيت، ولا انتقضت دعائمه ووهت جدرانها إلا بنكران هذه الحقيقة، فكم مرة نسمع ونرى عن امرأة أسقطت من حسابها أنها تابعة للرجل، قد طُلقت من الشهر الأول لزوجها، وأنا اليوم أريد أن أهمس في أذن كل فتاة وأقول: إذا كنت لا تريدين أن تكوني تابعة لزوجك فلا تتزوجي في الأصل، بل ا بقي تابعة لوالديك، وفي كلا الحالتين أنت تابعة، وكون المرأة تابعة ليس فيها نقص أو مدّة للمرأة، وهل هناك من فرق بين وظيفة المدير العام أو نائب المدير العام، إنما العقل والدين يقول: إن سفينة الحياة تقتضي أن يكون لها ملاح واحد (ربان واحد)، هذا هو قدر الحياة، وبناء على هذه القواعد الكلية كان واجباً على التابع أن يطيع متبوعه في غير معصية الله تعالى.

إننا - معشر السادة - في أواخر ملف تربية الأولاد في الإسلام، ومع القضية الرابعة والسبعين من القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم.

إخوتي في الله: طاعة الزوج من أركان دين المرأة، كما أن متابعة الإمام في الصلاة من أركان صلاة المأموم صرح بذلك المربي الأعظم (بز-حم-طب) فقال: **«إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا وَصَامَتْ شَهْرَهَا وَحَفَظَتْ فَرْجَهَا وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا دَخَلَتْ الْجَنَّةَ».**

فانظروا كيف جعل طاعة الزوج مع أركان الإسلام، مع أركان دين المرأة الصلاة والصوم. ولم يسمح الإسلام للمرأة أن تخرج من بيتها إلا بإذن زوجها لتسلط إبليس عليها كلما خرجت من بيتها، وفي هذه القضية يقول ﷺ (ت-صحيح): **«الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ»** هذا إذا خرجت متسترة، فكيف بها إذا خرجت متبرجة. تكون من شر النساء يقول ﷺ (هق-البغوي): **«خَيْرُ نِسَائِكُمُ الْوَلُودُ الْوَلُودُ الْمُوَاسِيَةِ الْمُوَاتِيَةِ إِذَا اتَّقَيْنَ اللَّهَ، وَشَرُّ نِسَائِكُمُ الْمُتَبَرِّجَاتُ وَهُنَّ الْمُنَافِقَاتُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْهُنَّ إِلَّا مِثْلُ الْغَرَابِ الْأَعْصَمِ».**

فخروجها متبرجة حرام، وخروجها بدون إذن زوجها إثم آخر، فيحرم خروجها ولو إلى المسجد، لأن طاعة الزوج فرض وصلاتها في جماعة المسجد نافلة، والنبى يقول (حم-طب): **«خَيْرُ صَلَاةِ النِّسَاءِ فِي قَعْرِ بُيُوتِهِنَّ».** فطاعة الزوج مقدّمة على الصلاة في المسجد والدرس في الجامع، ومقدّمة على برّ الوالدين بعد الزواج، وقد سئل الهادي ﷺ مرة سؤالاً، ولكي أحضر مع حضراتكم هذا السؤال فعلياً جميعاً أن ننتقل إلى هنا إلى سيد السادات وقائد القادات، ها هو يُسأل سؤالاً اسمعوه:

أي الناس أعظم حقاً على المرأة؟ قال: «زوجها» (صحيح).

وحتى لا يلعب بالمرأة شيطانها، أو رفيقاتها أو شيخها يوهما أن حقه مقدّم على حق زوجها وأن طاعة الشيخ أولاً ثم الزوج ثانياً، وحتى لا تحرّض الأم ابنتها على زوجها لتعصيه، أو الأخ يوسوس لأخته المتزوجة أن تعصي زوجها فإن رسول الله ﷺ قطع الطريق على من يفعل ذلك وهدده بأن فعله ذلك خروج عن الشريعة فقال (د-ك): «لَيْسَ مِنَّا مَنْ حَبَّبَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا».

أيتها الأم، أيتها الرفيقة، أيتها الشريحة: عندما تفعلين ذلك فأنت تؤججين النار التي تحرق بيت الأسرة، وكان يجب عليك أن تحدثيها أن خروج المرأة بدون إذن زوجها سبب في لعنة الملائكة حتى تتوب أو ترجع كما قال ﷺ، قيل: وإن كان ظالماً قال: «وإن كان ظالماً» (هب-طيالسي)، فماذا لو خالفت المرأة زوجها وعصت وخرجت من البيت بغير إذنه، هذا سؤال أجاب عنه رسول الله، وبين أنها لا يحل لها أن تخلع حجابها عن رأسها، لتسمع الزوجات هذه القواعد الزوجية، هذه القواعد لم يضعها حمورابي في قانونه ولم يضعها الحقير بوش، إنما شرفها وكرّمها فوضعها لها سيدنا محمد، ومن رضي أن يكون سيدنا محمد له نبياً فعليه أن يقول: سمعاً وطاعة لرسول الله، نبينا يقول: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَزَعَتْ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِهَا خَرَقَ اللَّهُ عَنْهَا سِتْرَهُ» (حم-طب-هب-ن). وفي رواية (حم-الطيالسي): «مَا مِنْ امْرَأَةٍ تَخْلَعُ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِهَا إِلَّا هَتَكَتْ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ». فليس للمرأة أن ترفع نقابها أو حجاب وجهها إلا في بيت محرم لها أو زوجها.

إخوة الإيمان: ولم يأذن الإسلام للمرأة أن تصوم نفلاً مطلقاً أو قضاءً بشرطه إلا بإذن زوجها، ولا أن تدخل أحداً إلى داره إلا بإذنه، لأن المؤمن يغار، والله ورسوله أغير منه، ولذلك يقول ﷺ (خ-حم-د): «لَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، أَوْ تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ» ولأن حق الزوج على الفور وصيام النفل على التراخي.

هذه هي تعليمات سيدنا محمد وتربيته للمرأة الزوجة، وليس لأحد أن يزور أحداً فيفتح حديثاً مع زوجته على الباب دون إذن الزوج، وليس لك أيها الأخ المسلم إذا رفعت سماعة الهاتف أن تسأل عن صحة زوجة رفيقك أو أخيك: وإن شاء الله مبسوطه وهي تقول: (مبسوطه بسماع صوتك)، هذا كلام لا يجوز، وقد نص الشافعية على حرمة أن تبدأ المرأة الأجنبية بالسلام أو ترد عليه السلام منعاً للشبهات أن تدمر بيت الزوجية. من أين استمد الفقهاء هذا الحكم؟ استمدوه من سيدنا محمد ﷺ ففي الحديث الصحيح (طب): «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ أَنْ تُكَلِّمَ النِّسَاءُ إِلَّا بِإِذْنِ أَزْوَاجِهِنَّ».

هذا حق الزوج وليس لأحد أن يعتدي على حقه، كما أنه ليس لأحد أن يعتدي على حقوق الزوجة، وليس للزوجة أن تغضب من هذه الأحكام، لأن من كان عنده جوهرة حافظ عليها أشد المحافظة، ولعمري فإن المرأة الصالحة أغلى من أحلى جوهرة في العالم، فهو من باب الحفاظ على الأعراض، فليس لها أن تطلب الطلاق من زوجها لأنها ظنت أنها إذا تزوجت انطلقت من عقل الأدب التي كانت فيها عند والديها، فإذا بها تلقى غير أكبر عند الزوج المؤمن، الذي يغار على عرضه ويحب لزوجته أن تكون معه في الجنة، ليس للزوجة أن تغضب أو تتنمر على زوجها أو تطلب منه الطلاق لأجل هذه الأحكام وإلا حرم الله عليها الجنة. يقول الصادق المصدوق (حم-د-ت): «أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ فَحَرَامَ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ».

وإذا حاولت الزوجة التخلص من قيد الزواج فجعلت تؤذي زوجها بلسانها، فلتسمع ماذا يقول رسول الله: «لَا تُؤْذِي امْرَأَةً زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ: لَا تُؤْذِيهِ قَاتَلَكِ اللَّهُ فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكَ إِلَيْنَا» (حم-ت)، إن الزوجة المؤمنة لا ترضى أن تنام وزوجها ساخط عليها، وخاصة إذا كانت هي السبب في ذلك، ولأدلل على هذه القضية تذكروا أنكم تنزلون ضيوفاً على سيدنا رسول الله، هاهو يعدد لصحابته من هن نساء أهل الجنة (قط-طب) فيقول: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟: الْوُدُودُ الْوُلُودُ الْعَوُودُ الَّتِي إِذَا ظَلِمَتْ قَالَتْ (لزوجها) هَذِهِ يَدِي فِي يَدِكَ لَا أَذُوقُ غَمُضًا حَتَّى تَرْضَى». لا ترى عيني النوم حتى تسامحني.

إن قَدَّرَ الزوج عند الله عظيم، وحقه مصان، وهيبته محفوظة حتى قال عنه سيدنا رسول الله: «لَوْ تَعْلَمِ الْمَرْأَةُ حَقَّ الزَّوْجِ لَمْ تَقْعُدْ مَا حَضَرَ غَدَاؤُهُ وَعَشَاؤُهُ حَتَّى يَفْرَغَ مِنْهُ» (طب-بز).

فلا تعجبوا-أيها الإخوة- من هذا الاحترام، إن حق الزوج على زوجته عظيم حتى وصل التنبيه النبوي للزوجة على حق زوجها أن قال ﷺ: «حَقُّ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ أَنْ لَوْ كَانَتْ قَرْحَةً فَلَحَسَتْهَا مَا أَدَّتْ حَقَّهُ» (طب-قط-هق).

إنها دعوة من سيدنا محمد ﷺ للمرأة أن تعترف بحق زوجها عليها، وكفانا تخبطاً في حياتنا بدعوى تحرير المرأة من طاعتها لزوجها.

أيها الزوجة المؤمنة: لا تسمعي لمن يوجبك على زوجك المؤمن، وإن كان أباك وأمك، وإنما اسمعي كلام سيدنا محمد الذي يريد لك السعادة في الدنيا والآخرة (جه-ت-حم-حا): «لَوْ أَمَرْتُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لِأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا» وفي رواية (حم-جه-طب): «لَوْ كُنْتُ أَمْرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللَّهِ لِأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّي حَقَّ زَوْجِهَا كُلَّهُ، حَتَّى لَوْ سَأَلَهَا نَفْسُهَا عَلَى قَتَبٍ لَمْ تَمْنَعُهُ».

فيا أيتها الزوجة لا تستقبلي زوجك وأنت مقطبة الجبين، واسمعي كلام سيد المرسلين: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّي حَقَّ زَوْجِهَا كُلَّهُ».

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله:

الصلاة والسلام عليك

القضية الخامسة والسبعين

المرجعية الزوجية

الحمد لله الذي أرسل سيدنا محمداً رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، وجعله هادياً مهدياً وأرسله بشيراً ونذيراً، وكتب السعادة لمن كان من أتباعه واتبع هديه إلى يوم الدين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. أوحى الكتاب إلى نبيه وأمرنا بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب).

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله:

نبي أتانا بعد يأس وفترة من الرسل والأوثان في الأرض تعبدُ
فحدّثنا ناراً وبشّر جنّةً وعلمنا الإسلام فالله نحمد

وشقّ لمن اسمه ليجلّه فذو العرش محمود وهذا محمد
فنوره أنور، وبرهانه أظهر، وصورته أجمل، ودينه أكمل، ولسانه أفصح، ودعاؤه أنجح،
وعلمه أرفع ونداؤه أسمع، ونصره مؤيّد، واسمه مُجّد:

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف وانسب إلى قدره ما شئت من عِظَم
فإن فضل رسول الله ليس له حدّ فيعرب عنه ناطق بفم

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلّهم

صلى عليك الله يا علم الهدى
اللهم صلّ وسلّم وبارك وعظم على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه
وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا أمة الحبيب الأعظم: أختم اليوم معكم ملف تربية الأولاد في الإسلام بعد مضي عامين على افتتاحه، وقد رأيت من المناسب أن أختم هذه القضايا التربوية بقضية لا غنى للزوجين عنها، وهي ربط حياتهما بمثل أعلى يقتدي به الزوجان، ويرجعان إليه عند النوائب والشدائد، ومن لم يكن له كبير ليس له تدبير.

ذلك أن الإنسان مهما يكن استعداده للخير عظيماً، ومهما كانت فطرته نقية سليمة فإنه لا يستجيب لمبادئ الخير وأصول التربية الفاضلة ما لم ير المربي في ذروة الأخلاق وقمة القيم، ولذلك كان سيدنا رسول الله المبعوث من مولانا عز وجل

متصفاً بأعلى الكمالات النفسية والخلقية والعقلية حتى يقتدي به العباد وينهجوا نهجه في المكارم والفضائل.

إننا - معشر السادة - مع الحلقة الخامسة والسبعين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم. وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة الأحزاب (٤٥-٤٦): ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً، وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾.

إخوتي في الله: لا بدّ للزوجين من مرجعية متكاملة في حياتهما يكون هو الحكم بينهما في حالتي الرضا والغضب، وقد ذكرت لكم منهج حياة المسلم خلال عامين ضمن قضايا مستمدة من الكتاب والسنة، منهج رباني لم تأت تعاليمه من الكتاب الأخضر والأحمر، أو من البيت الأبيض أو المحترق، بل هو منهج: فيه قال الله وقال رسول الله.

إنني أدعو الزوجين اليوم أن يتمسكا بهذا المنهج المبارك واتخاذهم أسوة وقودة، فالعالم اليوم يتيه في ظلمات المادية الطاغية، ويتخبط في أحوال الانحلال والإباحية، ويرسف في قيود القيم الإنسانية ورسالات الأنبياء، وتشن هجوماً لاستعباد الإنسان وطرده من أرضه وابتزاز خيراته، فما الذي يقي العالم من هذه الويلات والكوارث؟ ما الذي يحمي الأمنين؟ ما هي سفينة الإنقاذ؟ وما هو صمام الأمان؟ إنه الإسلام، إنه سيدنا محمد ﷺ، يقول الفيلسوف الإنكليزي ((لقد كان دين محمد موضع تقدير سام لما ينطوي عليه من حيوية مدهشة، وإنه الدين الوحيد الذي له ملكة الهضم لأطوار الحياة المختلفة وأرى واجباً أن يدعى محمد مُنقِّذَ الإنسانية، وإن رجلاً على شاكلته إذا تولى زعامة العالم الحديث لنجح في حلِّ مشكلاته وهو يتناول فنجاناً من القهوة)).

فيا أيها الزوج، ويا أيها الزوجة، ويا أيها الأولاد، يا شباب سيدنا محمد: جواب أسئلتكم عند شخص واحد هو قدوتكم، حل مشكلاتكم عند شخص واحد هو سيدنا محمد ﷺ الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾.

أنتم مطالبون أن يكون قدوتكم سيد الرسل والأنبياء الكرام، أنتم أمام قدوة وقمة شامخة من اتبع منهاجها نال سعادة الدارين.

فمن الطبيعي أن تتجذب القلوب له، وأن تتأسى النفوس به، وأن يجد الناس في شخصية النبي القدوة الكاملة والمثل الأعلى في كل ما يرتبط بحياتهم، ذلك أنه الإنسان الكامل الذي يستحق أن يُقتدى به.

إخوة الإيمان: أجد لزماً عليّ لأدلل على هذا الكلام أن أطرق مع حضراتكم باب هذا النبي الحبيب، وأرى مكتوباً على حجرات بيته ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾. هانحن عند أول حجرة (استأذنوا على سيدنا رسول الله وأنتم تصلّون عليه) هاهو يقوم الليل حتى تتورّم قدماه (ق) وجعلت قرّة عينه في الصلاة، وكان إذا حان وقت الصلاة يقول لسيدنا بلال: أرحنا بها يا بلال. قال له ربه: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾.

وإذا دخلنا الحجرة الثانية وجدنا قدوتنا: يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، كان أجود بالخير من الريح المرسلة، ما سئل شيئاً قط وقال: لا.

هو البحر من أيّ الجهات أتيته فلجّته المعروف والجود ساحله

فإذا انتقلنا إلى الحجرة الثالثة (حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها) رأينا النبي القدوة يعلم الأجيال الزهد والتعاون والبذل والإيثار، زهد ذاتي، ليس زهداً اضطرارياً، هاهو يتكئ على حصير وقد أثر في جنبه الشريف فيقول له أصحابه الكرام: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً تجعله بينك وبين الحصير يقيك منه. فيقول: مالي وللدنيا ما أنا إلا كراكب استظلّ تحت شجرة ثم راح وتركها. تقول عنه السيدة عائشة ^{١٠} «مَا شَبَعَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مُّتَوَالِيَةٍ وَلَوْ شِئْنَا شَبَعْنَا، وَلَكِنَّهُ يُؤَثِّرُ عَلَى نَفْسِهِ». قَدَمَتْ إِلَيْهِ سَيِّدَتُنَا فَاطِمَةُ كَسَرَتْ مِنْ خَبْزِ الشَّعِيرِ (يوماً) فَقَالَ لَهَا ﷺ (أحمد): «هَذَا أَوَّلُ طَعَامٍ أَكَلَهُ أَبُوكَ مُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ».

معشر الإخوة: فإذا ما دخلنا الحجرة الرابعة على سيدنا رسول الله رأينا الكمال الإنساني في التعامل مع الغير قد بلغ علاه.

بلغ العلا بكماله كشف الدجى بجماله
عظمت جميع خصاله صلوا عليه وآله

ما اجتمع مع أصحابه إلا بدأهم بالسلام وأقبل على جلسائه، يذهب إلى السوق ويحمل أغراضه ويقول: أنا أولى بحملها. يجيب دعوة العبد والأمة والحر والمرأة،

^{١٠} (هب)

يقضي حاجة الضعيف والبنائس ويأكل مع الخادم ويجلس على الأرض. خاطبه ربه عز وجل فقال له: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (الحجر ٨٥)، ما رأيي حليم قط مثل سيدنا محمد ﷺ، أسرف قومُه في إيدائه وتأمروا على قتله، فقاد جيشاً لم تر جزيرة العرب مثله اكتسح مكة ووطنها بخيله فأظفره الله بأعدائه الذين يستحق كل منهم قطع رأسه، فجمعهم وأمنهم وقال لهم: «ما ترون أني فاعل بكم»، قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

أيها الأحبة والصحب: وما دمنا قد غادرنا الحجرات الشريفة إلى الفضاء الرحب فسرى القائد الأعلى للأمة يعطي لأصحاب العزائم المتينة المثل في البأس ومضاء العزم والقوة الجسدية. صارع ركابة بطل مكة ثلاث مرات وغلبه، وتصدى لأبي بن خلف في معركة أحد بحربة سددها على صدره فسقط عن الفرس وهو يغالب الألم ويقول: لو بصق علي محمد لقتلني، حتى بلغ من شجاعته وقوته أن وقف على بغلته يوم حنين وقد فر عنه الناس وبقي مع ثلة من أصحابه وهو يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

فما رأي أحد يومئذ كان أثبت منه ولا أقرب للعدو.

كان ثابتاً على المبدأ ولو اجتمع عليه من بأقطارها، ومهما بلغت الإغراءات، دعته قريش لتجعله ملكاً عليها، وتعطيه لتجعله أغنى واحد فيها، والسيد المطاع فيهم على أن يترك الدعوة إلى الله فأبى وقال لعمه: «وَاللَّهِ يَا عَمَّ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ أَهْلَكَ دُونَهُ». أو كما قال ﷺ.

ولهذا ناداه ربه جل جلاله فقال له: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَلُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾.

فهل يستطيع أحد أن يحصي فضائل هذا النبي الكريم؟

كانت سياسته الحكيمة من مكانته وخلق العظيم، نرى ذلك لما أعطى النبي بعد حنين قريشاً وقبائل العرب ولم يعط الأنصار شيئاً، وكثر من الأنصار الكلام حتى قال بعضهم: لقي والله الرسول قومه (أي ونسبنا).

فجمعهم سيدنا النبي ثم قال لهم: يا معشر الأنصار ما قالة بلغتني وجدة وجدتموها علي في أنفسكم ألم آتكم ضللاً فهداكم الله، وعالة فقراء فأغناكم الله، وأعداء فآلف بين قلوبكم. قالوا: بلى الله ورسوله أمّن وأفضل، ثم قال: ألا تجيبون

يا معشر الأنصار. فقالوا: بماذا نجيب الله ورسوله المنّ والفضل. قال: أما والله لو شئتم لقلتم فلصدّقتم وصدّقتم: أتيتنا مكذباً فصدّقناك ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فأويناك وعائلاً فأسيناك، أو جدّتم- يا معشر الأنصار- من لعاعة (بقية) من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم، فوالذي نفسي بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً وسلك الأنصار شعباً لسلك شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار. فبكى القوم حتى أخلوا لحاهم (بالدموع) وقالوا: (رضينا برسول الله قسماً وحظاً).

فيا معشر المسلمين: من منكم اليوم سيعود برسول الله إلى بيته، من منكم ستنتاله دعوة الرسول، اللهم ارحمه هو وأولاده وأحفاده، من هو الذي سيرضى أن يكون رسول الله حظه وقسمه وأسوته وقدوته.

أيها الزوج-أيّتها الزوجة- أيها الأولاد: ليس لكم بديل عن رسول الله.

يا هذه الدنيا أصيخي واشهدي أأنا بغير محمد لا نفتدي
هنا مدرسة سيدنا محمد الجالس فيها عليه أن يرفع التحية إلى المربي الأعظم،
وتحيّتنا إليك يا رسول الله:

الصلاة والسلام عليك

القضية السادسة والسبعين

الرد على من يمنع التعدد

الحمد لله الذي احتجب بقدرته عن خلقه فلا تراه العيون، العزيز الذي انفرد بالعزة والكبرياء وتحير في وصف حقيقته الواصفون، الكريم الذي لا يتوكل على عفوه ورحمته إلا الراجون المخلصون، ولا يخشى سوء غضبه وسطوته إلا الخائفون العالمون، وعرفهم أنه لا يخفى عليه شيء فيما يسرون أو يعلنون، وحذرهم أن يعصوه ويخالفوا أمره فيأخذهم بغتة وهم لا يشعرون. أحمدته سبحانه وأشكره فلا يبلغ مدحته القائلون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. استدرج عباده من حيث لا يعلمون، وسلط عليهم الشهوات وأمرهم بترك ما يشتهون، وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون، وحققهم بالمكاره واللذات واختبرهم لينظر كيف يعملون.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي بشرت برسالاته النبيون والمرسلون، وأنزل عليه كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا يمسه إلا المطهرون.

اللهم صلّ وسلّم وبارك وعظم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعترته وأنصاره ما اهتدى بشريعته المهتدون، وسلم تسليمًا.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

كنت أظن أن ملف تربية الأولاد قد انتهى، ولكنني فوجئت ببعض الإخوة الكرام يتساءلون عن قضية تعدد الزوجات وأثرها على تربية الأولاد. وهل الأفضل التعدد أم لا؟ ما هي الأحكام المترتبة على التعدد؟ وهل صحيح أن التعدد حرام عند عدم العدل بين الزوجات؟

هذه الأسئلة الكثيرة تواردت عليّ بعد أن صرّحت بأن ملف تربية الأولاد قد انتهى، ورأيت قبل أن أدخل في الملف الجديد أن أتحدث عن هذه القضية.

فنحن اليوم مع قضية جديدة، قضية ترد على الذين يتعاملون على الله الذي خلقهم ويدعون لأنفسهم بصراً بحياة الإنسان وفطرته ومصلحته فوق بصر خالقهم سبحانه، ويفتون في قضية تعدد الزوجات بالهوى والشهوة وبالجهالة والعمى، وكأنهم أدركوا شيئاً لم يكن في تقدير الله ولا حسابه يوم شرّع للناس الشرائع.

أردّ اليوم على من يمنع تعدد الزوجات، هذه الدعوى التي فيها من الجهالة والعمى بقدر ما فيها من التبجح وسوء الأدب، بقدر ما فيها من الكفر والضلالة ولكنها تقال، بل أكثر، إذ أنّ بعضهم يدّعي أنّ هناك تشريعاً جديداً سيفرض عقوبة مالية على من يتزوج الثانية والثالثة والرابعة؟ لماذا؟ قال لأنّ تعدّد الزوجات جريمة اجتماعية تقع على الأسرة والأمة فيجب الحدّ منه بقدر المستطاع.

جهالة وتبجح وقح على شريعة الله، وتطاول على جلال الله ووقاحة على منهج الله، يفعلون ذلك وهم سالمون آمنون بل مأجورون من الجهات التي يهتمها أن تكيد لهذا الدّين.

أيها المؤمنون: الإسلام عندما يقرر قضية التعدّد في كتابه لا يكون مبتكراً لشيء لم يكن من قبل. إنّ تعدد الزوجات قضية معروفة في الحقب الماضية، وكان له في كثير من الشرائع السماوية وجود واسع وامتداد، كما يحدثنا التاريخ عن الأنبياء كسيدنا إبراهيم وداود وسليمان وغيرهم، وكما يحدثنا عن العرب وغيرهم في أكثر بلاد المعمورة حتى عند أهل أوربا، فقد كان مباحاً عندهم إلى عهد شرلمان الذي كان متزوجاً بأكثر من واحدة، ثم أشار القساوسة في ذلك الوقت على المتزوجين بأكثر من واحدة أن يختاروا لهم واحدة من بينهن يطلق عليها زوجة، ويطلق على غيرها اسم خدن (عشيقة- خليعة)، ومن ذلك الوقت أخذ التعدد في أوربا لوناً بغيضاً يقزّز النفس ويحرج الصدر، بل كان العرب إلى صدر الإسلام يتزوجون ما شاؤوا.

إننا- **معشر السادة**- مع الحلقة السادسة والسبعين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي العظم.

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على الموجات العاملة من سورة النساء (٣): ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾.

إخوتي في الله: أمر مولانا عز وجل إذا كان في حجر أحدهم يتيمة ورغب في الزواج بها وخاف ألا يعطيها مهر مثلها أن يعدل إلى ما سواها من النساء فلم يضيق الله عليه، وأباح له أن يتزوج اثنتين وثلاثاً إلى أربع، فإذا خشي عدم العدل فعليه أن يقتصر على واحدة.

هذا هو المعنى الصحيح من الآية، فأنت تقول لمجموعة من الناس اصطفوا مثنى مثنى أو اثنين اثنين أو ثلاث أو رباع. وكذا تقول لمن أعطيتهم مالا: اقتسموا هذا المال مثنين مثنين وثلاثمئة ثلاثمئة وأربعمئة أربعمئة ولو قلت اقتسموه مئة مئة لم يكن لكلامك معنى، فمعناه كل واحد يأخذ مثنين فقط.

فهذه الآية تدل دلالة واضحة على حرمة الزيادة على أربع، وقد أجمع العلماء والفقهاء على ذلك (كما نقله العلامة القرطبي في تفسيره).

لكن بعضهم زعموا غير ذلك قالوا إن هذا العدد (مثنى وثلاث ورباع) يدل على إباحة تسع زوجات فجعلوا الواو جامعة ($2+3+4=9$) وقالوا والدليل عليه أنه ﷺ نكح تسعاً وجمع بينهن في عصمته. وهذا الزعم باطل، لأنه لم يسمع عن أحد من الصحابة والتابعين أنه جمع في عصمته أكثر من أربع، وإليك الأدلة بعد أن تصلوا على صاحبها، فمن مدرسة البخاري أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وتحتة عشر نسوة فقال له النبي ﷺ: **اختر منهن أربعاً**. ومن مدرسة (أبي داود) أن عميرة الأسدي قال: أسلمت وعندي ثماني نسوة فذكرت ذلك للنبي فقال: **اختر منهن أربعاً**.

ومن مدرسة الإمام الشافعي عن نوفل بن معاوية الديلمي قال: أسلمت وعندي خمس نسوة فقال لي رسول الله: **اختر أربعاً أيتهن شئت وفارق الأخرى**.

لهذه الأحاديث والآية قبلها أجمع العلماء على حرمة الزيادة على أربع، ولا عبرة بقول الجهلة.

فمن أخذ العلوم بغير شيخ يضل عن الصراط المستقيم

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

فما هو العدل المطلوب في الآية؟ في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾

العدل المطلوب من الزوج عند تعدد الزوجات هو العدل في المعاملة والنفقة والكسوة والمعاشرة فلو لم يفعل وقع في وعيد ما ورد في الحديث: «مَنْ لَمْ يَعْدِلْ بَيْنَ زَوْجَتَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَجُرُّ أَحَدَ شَقِيهِ سَاقِطاً أَوْ مَائِلاً» مفلوج فلج نصفني لأنه لم يعدل بينهما.

أما العدل في مشاعر القلوب وأحاسيس النفوس فلا يطالب به أحد من بني الإنسان، لأنه خارج عن إرادة الإنسان، وهو العدل الذي قال الله عنه في هذه السورة (آية ١٢٩): ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوا كَالْمَعْطَةِ﴾ (لا متزوجة ولا مطلقة)

هذه الآية يحاول بعض الناس أن يتخذوا منها دليلاً على تحريم التعدد، يقولون: يباح التعدد بشرط العدل، والعدل غير مستطاع، فلا إباحة للتعدد.

وهذا عبث بآيات الله وتحريف لها عن مواضعها، لأن شريعة الله ليست هازلة حتى تشرّع الأمر في آية بهذه الصورة التي تعطي باليمين وتسلب بالشمال.

فكيف يمكننا الجمع بين الآيتين؟

سؤال حير بعض العقول في العصر الحديث حتى جعلهم يحرّمون التعدد.

إخوة الإيمان: العدل المطلوب يكون في النفقة والمبيت عند كلّ واحدة بالتساوي لا العدل في الحب القلبي، العدل المطلوب إنما هو ألا تميلوا إلى إحداهن كل الميل فتذروا الزوجة الأخرى كالمعلقة بحيث لا يؤثر الزوج الزوجة الجديدة وينسى القديمة، على نحو ما كان يفعل المربي الأعظم، وهو أرفع إنسان عرفته البشرية، في الوقت الذي لم يكن أحد يجهل من حوله ولا من نسائه أنه يحب السيدة عائشة ويؤثرها بعاطفة قلبية خاصة لا يشاركها فيها غيرها، فالقلوب ليست ملكاً لأصحابها إنما هي بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، وقد كان ﷺ يعرف دينه ويعرف قلبه فكان يقول: «اللَّهُمَّ هَذَا قَسَمِي فِيمَا أَمْلُكُ فَلَا تَلْمَنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلُكُ». صلوا عليه.

وبهذا يتضح جلياً-أيها السادة- أن الآية الثانية تتعاون مع الآية الأخرى مع تقرير مبدأ التعدد بما يزيل التحرج منه، وفي ضوء هذا المبدأ عدّد النبي زوجاته وعدّد الأصحاب والتابعون زوجاتهم ودرج المسلمون في جميع عصورهم وبجميع طبقاتهم يعدّدون الزوجات متى شاؤوا، ونصّت على ذلك سنّة المسلمين أربعة عشر قرناً من الزمان، ثم خلف من بعدهم خلف دبروا المؤامرات ضد القرآن والسنة، ضد الإسلام ليمنعوا ما أحلّ الله تعالى.

فهل التعدد حاجة أم ضرورة؟ أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى، وأعود بكم من هناك إلى هنا، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله:

الصلاة والسلام عليك

القضية السابعة والسبعين
هل التعدد ضرورة أم حاجة

الحمد لله الذي أتم علينا نعمته بدين الإسلام المبرراً من العوج، ويسّره لنا سبحانه ولم يجعل علينا فيه من حرج.

أحمدته سبحانه وتعالى ألهم القلوب ما شاء من صواب وأخطاء، وبعث الهمم لما كتب لها وعليها من ضلال واهتداء.

أشكره أجزل العطاء وأسبل الغطاء ولم يكلف عباده إلا بالمستطاع.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. أنزل القرآن عظيماً وذكرأً حكيماً، فيه معجزات باهرة وآيات ظاهرة وحجج صادقة، ودلالات ناطقة دحض به حجج المبطلين، وردّ به كيد الكائدين وأيد به الإسلام والدين.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، لمع منهاجه وثقب سراجُه وشملت بركته ولمعت حكمته رفع الله به أعلام الحق وأحيا به معالم الصدق، حتى مهّد الدين وأبطل شبه الملحدين.

سيدي أبا القاسم يا رسول الله.

يا داعياً للواحد الديان يا هازماً للبغي والطغيان

يا رافعاً صوت العدالة عالياً ومؤذناً في الناس بالقرآن
صلى عليك الله يا علم الهدى

اللهم أنزل أكمل صلواتك وأتم تسليماتك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه الهداة الثقة وأدم ذلك بمدد لا يدرك منتهاه، وسلم تسليمًا.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

تحاول جماعة ممن أضلها الله في عصرنا تقييد مبدأ تعدد الزوجات، أو محاولة إلغائه بحجة الضرر بالزوجة الأولى وأولادها، وأن التعدد مضيعة للأسرة مفسدة للنسل، وأنه يحمل الحكومات أعباء ثقيلة بكثرة المتشردين ومن لا عائل لهم، ويقطع أواصر الرحم والقرباة، وأنه لو لم يكن في إطلاقه سوى أنه دافع إلى إهمال تربية الأولاد من الزوجة القديمة لكان ذلك داعياً إلى وضع نظام يقطع التعدد.

هذه الدعوى تقلب الحقائق رأساً على عقب وتخلط شرّ التعدد بخيره، وكان يجب عليهم أن يقبلوا جوانب القضية من جميع أبوابها ليعلموا أن الخير في تعدد الزوجات أعظم بكثير من الشرّ القليل الذي فيه، وأن الشر الذي فيه ما هو إلا لسوء استخدام القواعد الشرعية.

على هؤلاء الأفاكين أن يعلموا أن ما ترجّح خيره على شرّه وجب المصير إليه، وأن الشرّ القليل بجانب الخير الكثير لا يعبأ به في مقام التشريع، وأن الشرّ الذي يمارسه بعضهم في التعدد ما هو إلا حالات شاذة إنما يقوم به من لا إسلام عنده من لا احترام لأحكام الإسلام عنده، وأكبر شاهد على أن تعدد الزوجات مفخرة من مفاخر الإسلام مرور أربعة عشر قرناً من الزمان على صلاحية تشريعه.

وأنا أسأل: أليس التعدد خيراً من السفاح والزنا، اللذين فتكا بالأمم الغربية التي حرمت التعدد ولم تجد علاجاً في دينها وتشريعها، فراحت تلتمس ما وضعه الإسلام من علاج وتشريع، تُرى أفيجد الغرب الكافر ملاذاً لحل مشكلاته في تشريع الإسلام ثم نترك نحن المسلمين إسلامنا لنقلد الغرب الكافر في منع التعدد (إن هذا لشيء عجاب) (مالكم كيف تحكمون)؟!

إننا معشر السادة ضمن الرد على قضية منع التعدد وهل التعدد ضرورة أم حاجة؟، ومع الحلقة السابعة والسبعين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا تحيتكم إلى المربي الأعظم.

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا على الموجات العاملة من سورة النساء (٣): ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ، فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ (ألا تفتقروا).

إخوة الإيمان: هذا هو النص الذي أمر الله تعالى به أمراً غير جازم بتعدد الزوجات، فكلمة فانكحوا: فعل أمر. فهل يريد الله منا أن نعدّد الزوجات أمراً لازماً واجباً على كل منا؟

والجواب: نعم لولا أن تمام الآية صرفت هذا الأمر عن الوجوب، وهو قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ فلو لم يأت مولانا بهذه التتمة لكان تعدد الزوجات واجباً، فلما قالها عز وجل صار طلب تعدد الزوجات مستحباً ومندوباً وسنة تماماً كحكم التزوج بواحدة.

لكن قد يكون تعدد الزوجات واجباً، متى؟ إذا كان الرجل عنده زوجة لا تعفّه وكان يخشى العنت (أي استبداد الشهوة به أو الوقوع في الزنا) وكان قادراً على الزواج بأخرى (القدرة على مطالب الزواج) وكان يستطيع العدل مع زوجته الأولى (أي بين زوجاته).

أما إذا كان الزوج غير قادر على نفقات الزواج ومطالبه وجمع بين زوجتين كان حراماً وصحيحاً، وقد يوسع الله تعالى عليه في الرزق لأن الله تعالى لما ندبنا إلى النكاح قال: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

والآية واضحة أشد الوضوح: ﴿وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾.

انظروا يا سادة: إن ربّ العزّة أولاً قيد عدد الزوجات فجعلها من تعدد بلا حدود إلى أربع. هذا أولاً، وثانياً: لم يُطلق الحكم أو يترك التعدّد لهوى الرجل، ولكن قيده بالعدل وإلا انقلب التعدد من رخصة إلى حرام.

إن أحداً يدرك روح الإسلام واتجاهه لا يقول إن التعدد مطلوب لذاته، مستحب بلا مبرر من ضرورة فطرية أو اجتماعية، وبلا دافع إلا التلذذ الحيواني، وإلا التنقل بين الزوجات كما ينتقل الخليل بين الخليلات، إنما هو ضرورة تواجه ضرورة، وحل يواجه مشكلة كما سيمر معنا في الجمعة القادمة، هو باختصار ليس متروكاً للهوى بلا قيد ولا حد في النظام الإسلامي، إن أناساً اتخذوا رخصة التعدد مسرّحاً للذة الحيوانية فقط وتركوا بقية أحكامه الأخرى، فأمسوا ينتقلون بين الزوجات كما ينتقل الخليل بين الخليلات والعشيق بين العشيقات ليسوا ممثلين للإسلام، إن أناساً أنشؤوا الحريم على هذه الصورة المريبة إنما انحدروا إلى هذا الدرك لأنهم بعدوا عن الإسلام وروحه النظيفة، فمن هو المسؤول عن هذه الصورة المريبة؟ المسؤول عن هذا الانحراف هو المجتمع المعادي للإسلام، هم أعداء الإسلام الذين يكيدون لنا.

على كل مخلص للإسلام أن يعلم اليوم: أن الخطأ ليس في الإسلام، ولكن الخطأ في المطبّقين الذين لم يحسنوا استخدام هذه الرخصة، فهم الذين أفسدوا الحكم المنهجي لله، فأخذوا في إباحة الله ثم لم يعدلوا، هم الذين تركوا أبناءهم من الزوجة الأولى مُهمّلين مشردين، فأخذ أعداء الإسلام من ذلك حجة على الإسلام.

إخوتي في الله: إن السبب وللأسف هم المسلمون وليس الإسلام، فالمسلم هو الذي يهيج دينه ولذلك يعلمنا المربي الأعظم مهمة كل واحد منا فقد ورد عنه: «إِنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ عَلَى ثَغْرَةٍ مِنْ ثَغَرَاتِ دِينِ اللَّهِ» إن كل مسلم بحركته وتصرفه يقف على ثغرة من منهج الله، ولا تظنوا أن الثغرة فقط هي الشيء الذي يدخل منه أعداء الله

إلى الأرض الإسلامية كالثغور على الحدود، لا، إن الثغرة هي الفجوة حتى في القيم، يدخل منها خصم الإسلام ليهزم الإسلام.

فيا أخي المسلم إذا ما تصرّفت تصرّفاً مخالفاً للإسلام فاعلم أنك تحدث ثغرة لخصوم الله، إنّ عليك واجباً هاماً، هو أن لا يؤتى الإسلام من قبلك.

أيها الزوج المسلم: عليك وأن تريد أن تعدد بين الزوجات أن لا تأخذ فقط جواز حكم التعدد، بل يجب عليك أيضاً أن تأخذ حكم العدل بين الزوجات فإن لم تفعل كان حراماً، ونشأ عنه الآثار المنفرة والبغيضة، وسوف يستغل خصوم الإسلام ما فعلت، فانظر - حماك الله - كيف أعنت خصوم الإسلام على الإسلام وكيف شوّهت شريعة شريفة ناصعة البياض.

ما هو موقفك أمام رسول الله؟ أستاذك وقودتك وحبيبك.

أخي: أبقِ راية الإسلام مرفوعة، إياك أن تُنكس من قبلك. أبقِ هنا راية رسول الله مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة مؤمنين بررة. وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ، الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله:

الصلاة والسلام عليك

القضية الثامنة والسبعين

أسباب تشريع تعدد الزوجات

الحمد لله الملك الحق المبين، الذي أقام الكون بالعدل والقسطاس المستقيم، خلق من النفس البشرية زوجها، وأتم لها أمرها وهو القائل جلّ وعلا: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾. وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم به الخلائق عند اختلافها، لقد جاءت رسل ربنا بالحق تعالى الله الملك الحق.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له دعوة الحق.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله جاء بالحق وصدق المرسلين، وأنزل عليه ربنا جل جلاله. ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس فيما أراك الله﴾

وكل من لم يسلم بحكم رسول الله وكان في قلبه حرج من حكمه نفينا عنه الإيمان بنص القرآن، ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك في شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت وسلموا تسليما﴾.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك وعظم على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وأصحابه وسلِّم تسليما.
أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

لماذا؟ ومتى؟

لماذا شرع الإسلام تعدد الزوجات؟ ومتى يمكن تنفيذ هذا التشريع؟

سؤالان أسألهما وأستمد العون من مولانا عز وجل في الإجابة عنهما لنقف اليوم معاً على الحقيقة، الحقيقة التي ينبغي على كل منا أن يعلمها، ألا وهي أن تشريع تعدد الزوجات الإلهي مفخرة من مفاخر الإسلام، لأنه استطاع أن يحل مشكلة عويصة من أعقد المشاكل التي تعانيها الأمم والمجتمعات اليوم فلا تجد لها حلاً إلا بالرجوع إلى حكم الإسلام، والأخذ بنظام الإسلام، الإسلام الذي كرم المرأة ورفعها بعد أن كانت لا قيمة لها في المجتمعات الجاهلية فجعلها زوجة ذات مكانة وأماً تكون الجنة تحت أقدامها، وجعلها واحدة من أربع بعد أن كانت واحدة من سبعين امرأة يتزوجها الرجل كما أخبرنا التاريخ عن المغيرة بن شعبة أنه كان له سبعون امرأة (مجمع الأمثال للميداني ج ٣٥/١) وأخبرنا أنه عند ظهور الإسلام كان في ثقيف رجال عند كل منهم عشر نسوة.

إننا - معشر السادة - مع أسباب تشريع التعدد ومع الحلقة الثامنة والسبعين من سلسلة القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا التحية إلى المربي الأعظم.

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله
إخوتي في الله: إن في الزواج المتعدد مجاهدة النفس والقيام بحقوق الزوجات، والصبر على طباعهن، واحتمال الأذى منهن، والسعي في إصلاحهن وإرشادهن إلى طريق الدين والاجتهاد في كسب الحلال لأجلهن والقيام بتربية الأولاد، وإذا كثرت أولاد الرجل في تعهده لهم بالتربية كثر الناطقون بشهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولذلك قال لنا: «تَنَاقَحُوا تَكْثُرُوا فَإِنِّي مُبَاهٍ بِكُمْ الْأُمَمَ». «وإذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له».

إن الإسلام يحرص على مصلحة المرأة تماماً كحرصه على مصلحة الرجل، وربما كانت المرأة الثانية والثالثة والرابعة لا تجد لقمة تسدّ بها رمقها، فأتى الإسلام لها بزواج عفيف نظيف يثاب فيه على كل لقمة يضعها في فم زوجاته، إن في تشريع الزوجة الواحدة إعفاف لزوجات واحدة، وإن في تشريع الأربع إعفاف لأربع، فالحل الإسلامي أشمل وأوسع من الحل الاجتماعي.
تصوروا-أيها السادة- أن تكون الزوجة عقيماً والزواج يريد أن يكون له أولاد، ماذا سيكون موقف الزوج:

- ١- أيبقى مع زوجته العقيم بدون أولاد؟
- ٢- أم يطلق الأولى ليتزوج بأخرى تلد له؟
- ٣- أم تبقى زوجته العقيم معه تتمتع بكامل الحقوق الزوجية، ويُسمح له بالتزوج بأخرى لتحقيق غريزته البشرية في حب الأولاد: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ (آل عمران).

دون أن يلحقه ضرر أو يحجب بحق زوجته الأخرى. أليس هذا الحل أمثل؟

تصوروا-يا إخوتي- أن تصاب الزوجة بمرض مزمن أو معد أو منقرّ بحيث لا يستطيع معه الزوج أن يعاشرها معاشرة الأزواج، تُرى أ يطلقها وليس في هذا شيء من الوفاء ولا من المروءة ولا من الأخلاق، أو يتزوج بأخرى ويبقى الأولى في عصمته مكرّمة لها حقوقها كزوجة. أليس هذا الحل أمثل؟

ما رأيكم أن يكون لأحدكم امرأة مقطوعة الأسرة وهو يقدّم لها ما تحتاجه على مدار السنة ويتصدّق عليها، ترى أيهما أكرم أن يتصدّق عليها أم يكفلها ويجعلها في عصمته كامرأته الأولى يعطف عليها ويحميها من غدرات الزمان.

ما رأيكم يا سادة يا كرام-أن يكون رجل مسؤولاً عن يتامى يتولى رعايتهم وهم يعيشون في أحضان أمهم الشابة، وربما إذا تزوجها أجنبي عن الأولاد تعرّضوا للضياع، وأمهم الشابة تخاف الفتنة والإغراءات النفسية، أليس من الشرف والمروءة أن يدخل على هذه الأم بالحلال فيرعاها مع أولادها بشرف وعفة، ويمنع عنها وعنهن السنة الفاسقين.

ثم ما رأي السادة الحضور حين يشتدّ كره الزوج لزوجته بحيث لم ينفع معه علاج التحكيم، أيهما أفضل وأكرم أن يطلقها ويتزوج غيرها أو أن يبقيها عنده لها حقوقها المشروعة كزوجة ويتزوج عليها.

أيهما أكرم وأعظم شرفاً إذا شاخت زوجة الرجل وأعرضت عن مثل الشهوة العارمة التي في الزوج أن يتخذ عشيقه له أو زوجة عفيفة شريفة؟ أيهما خير للمرأة أن تكون حليمة أم خليلة؟

ثم ما رأيكم أن يكون الرجل كثير الأسفار ويقيم في بلاد الدنيا أسابيع ومن الصعوبة بمكان أن ينقل معه زوجته وأولاده، هل هو خير أن يتخذ في كل بلد عشيقه أو زوجة عفيفة، هل خير له أن يأتي بأولاد شرعيين أم أولاد بالحرام كما في دول أوربا ٦٠% بينما في مصر ١% .

وبهذا يتبين لنا **معشر الإخوة** أن الإسلام حريص على مصلحة المرأة. إن الزوجة التي تمنع زوجها من تعدد الزوجات تكون قد أضرت بأخواتها من النساء، لأن فعلها ذاك يؤدي إلى زيادة الفائض من النساء غير المتزوجات، فتزداد أزمة الزواج حدة، كما يؤدي إلى كثرة الزواج العرفي وكثرة الطلاق. إن هذا الفائض من الإناث سيعمل على إغراء الذكور في أن يجعلن الرجال يخونوا زوجاتهم أو انتزاعهم من أحضان زوجاتهم، وتنتشر الرذيلة ويفسد المجتمع ويكثر الأولاد غير الشرعيين، هذا ما يريده منا الذين يمنعون تعدد الزوجات.

واسمحوا لي أن أستفيض في هذه النقطة بالذات، إن المجتمع في نظر الإسلام كالميزان يجب أن تتعادل كفتاه، ومن أجل المحافظة على التوازن يجب أن يكون عدد الرجال بقدر عدد النساء، فإذا ما ازداد عدد الرجال على النساء أو بالعكس فهل يمكن أن تقولوا لي كيف ستحلّون المشكلة، إذا قضى الله تعالى على عدد الرجال بمآزق الحياة المرهقة بين الحديد والنار، وقاع البحار وقطع الأحجار والماكينات

مما لا يؤمن معه السلامة من الموت والهلاك فقل عدد الرجال، إذا قضى الله على الرجال بذلك فماذا سيصنع الحكماء منا حين يختلّ التوازن ويصبح عدد النساء أضعاف عدد الرجال؟ أنحرم المرأة من نعمة الزوجية ونعمة الأمومة ونتركها تسلك طريق الفاحشة والرزيلة كما حصل في أوربا من جراء تزايد عدد النساء بعد الحرب العالمية الثانية؟ أم نحل هذه المشكلة بطرق شريفة فاضلة نصون فيها كرامة المرأة وطهارة الأسرة وسلامة المجتمع؟ أيهما أكرم وأفضل لدى العاقل:

آ- أن ترتبط المرأة برباط مقدّس تنضم فيه مع امرأة أخرى تحت حماية رجل بطريق شرعي شريف.

ب- أم نجعلها عشيقة لذلك الرجل وتكون العلاقة بينهما علاقة إثم وإجرام وإنجاب بالحرام.

أيهما أفضل الحل الأول أم الثاني؟ الأول: لأنه الدين والفطرة. ولذلك اسمعوا ماذا اختارت ألمانيا المسيحية بعد أن كانت تحرّم التعدد؟ لقد اختارت ما اختاره الإسلام فأباحت تعدد الزوجات رغبة في حماية المرأة من احترام البغاء. تقول إحدى الألمانيات وهي أستاذة في الجامعة:

(إن حلّ مشكلة المرأة الألمانية هو في إباحة تعدّد الزوجات، إنني أفضل أن أكون زوجة مع عشر نساء لرجل ناجح على أن أكون الزوجة الوحيدة لرجل فاشل تافه، إن هذا ليس رأيي وحدي بل هو رأي نساء كل ألمانيا. ثم بيّنت أن هناك في ألمانيا توجد ثلاث فتيات مقابل كل شاب، وهي حالة اختلال اجتماعي).

بالله عليكم أيها الإخوة: كيف يواجه المشرّع مثل هذه الحالة؟ إن هناك حلاً من حلول ثلاثة:

الأول: أن يتزوج كل رجل امرأة وتبقى اثنتان لا تعرفان في حياتهما رجلاً ولا بيتاً ولا طفلاً ولا أسرة.

أو وهو الحل الثاني: أن يتزوج كل رجل امرأة فيعاشرها معاشرة زوجية وأن يتردد إلى الآخرين دون أن تعرف كل منهما بيتاً أو طفلاً فإذا ما عرفته فعن طريق العار والجريمة.

أما الحل الثالث: فهو أن يتزوج الرجل أكثر من امرأة فيرفعها إلى شرف الزوجية وأمان البيت وضمان الأسرة، ويرفع ضميره عن لوثة الفوضى والعار واللقطاء.

فإذا كان الاحتمال الأول ضد الفطرة وضد مطالب الجسد والغريزة ومطالب السكن والأنس العشرة، وإذا كان الاحتمال الثاني ضد اتجاه الإسلام النظيف وضد المجتمع العفيف وضد كرامة المرأة الإنسانية وضد الأخلاق.

فليس أمامنا إلا الاحتمال الثالث وهو الحل الإسلامي الأمثل. هو دين الطهر والعفة والشرف دين الواقعية والفطرة.

فهل يعرف الأقاكون الذين يدعون العلم والمعرفة ويحاربون التعدد، هل يعرف هؤلاء أنهم لا يدافعون عن المرأة بل يستهزئون بها ويخدعونها، لتسير إلى هاوية الرذيلة والبغاء.

إن الإسلام هو الذي يدافع عن المرأة لا هؤلاء، إن الحل الإسلامي هو الطبيعي عند ظهور ظاهرة عدم التوازن بين الجنسين، وقد حدثنا رسول الله فقال: «إن من اشراط الساعة أن تكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد» (ق). فهل بعد هذا البيان من بيان؟

فهل بعد هذا الهدى من هدى؟

فماذا بعد الحق إلا الضلال؟

هنا مدرسة سيدنا محمد ﷺ الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إليه، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله:

الصلاة والسلام عليك

القضية التاسعة والسبعين

تتمة أسباب تشريع تعدد الزوجات

الحمد لله الذي خلق الخليقة وأعمالها، وردها بنور الهداية عن الغواية وأمالها، وأمدّها بالعناية الربانية فقصر آمالها. أحمده سبحانه وتعالى حمد من احتسى من النعم زلالها واكتسى سربالها.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. شهادة تثبت الأقدام إذا زلزلت الأرض زلزالها.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسله والجاهلية تشرع ضلالها فلم يزل نبينا يكثر جدالها ويضيق مجالها ويعرف خيلها ورجالها، حتى عرفت مرامها وعافت الدنيا إذ عرفت زوالها.

اللهم صلّ وسلّم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، ما خالفت ريح الجنوب في الهبوب شمالها. وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا معشر الإخوة الكرام:

أستعرض مع حضراتكم اليوم الكلمة الأخيرة للإسلام في قضية تعدد الزوجات والتي مضى الكلام فيها منذ ثلاث حلقات هذه رابعتها، ولكي أصل الكلام بسابقه علينا أن نعلم أن الإسلام جاء ليرفع من شأن المرأة والرجل معاً، وشرع تعدد الزوجات لمقاصد كثيرة أهمها:

أن يفتح باب الرحمة أمام ملايين النساء غير المتزوجات حتى لا يعيشن راهبات أو ضائعات، أما أن نجعل من تعدد الزوجات مشكلة اجتماعية يتعين علاجها، وأنّ بعض الناس يستغلّ ما أحله الله تحت راية الإسلام فيمارسه بما يشوّه صورة المجتمع الإسلامي، فذاك السلوك من بعض الأزواج لا يعني تحريم التعدد أو تقييده وإنما يقتضي توعية الأزواج والزوجات بأحكام التعدد، وأنه يشترط فيه القدرة على النفقة والعدل وتلك مهمة أجهزة الدعوة الإسلامية.

وما دام قد ورد نص قطعي الثبوت بجواز التعدد (مثنى وثلاث ورباع) فليس لأحد مهما علت مرتبة اجتهاده أن يجتهد فيمنع أو يقيد ما أجازّه الله، أو يغيّر ما في القرآن والسنة افتراءً وكذباً على الله تعالى ومولانا يقول: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النحل ١١٦-١١٧).

إن جميع المشكلات - أيها السادة - التي تنشأ بين الزوجات والأولاد يمكن الحد منها عن طريق التربية الدينية الصحيحة، وإنني لأعجب أشد العجب كيف يشجع الناس الزوجة الأولى على طلب الطلاق من زوجها لأجل شيء أحله الله لمجرد ممارسة حلال آخر: ﴿مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

إننا - معشر الإخوة - مع القضية الأخيرة من القضايا التربوية من جامع الدرويشية، ومع القضية التاسعة والسبعين أدعوكم جميعاً لترفعوا تحتكم إلى المربي الأعظم.

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله

إخوتي في الله: طالما أن الزوج يقوم بواجباته وعدله فلا يحتج عليه بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُوا﴾.

كما لا يحتج عليه بقاعدة: «لا ضرر ولا ضرار». لأن الزوج استعمل حقاً جائزاً له شرعاً، ومن استعمل حقاً استعملاً مشروعاً لا يسأل عما يصيب غيره من ضرر نفسي أو غير نفسي، ولأن الضرر الذي يجيز التفريق بين الزوجين ويستوجب دفع المهر والنفقة ليس هو كل ضرر، وإنما هو إلحاق مفسدة بالزوجة بغير حق، أو سلوك من الزوج مخالف للشرع، والضرار كذلك وهو أن يدخل الشخص الضرر بغير حق على من أضره.

نعم قد تشعر الزوجة القديمة بالألم النفسي عندما يجمع زوجها معها أخرى، وهذا الشعور حقيقي وصادق، وهو من طبيعة تعدد الزوجات وبه سميت كل زوجة ضرةً للأخرى، لكن هذا الشعور لا يجيز لها شرعاً أن تطلب الطلاق من زوجها طالما هو يعدل بين زوجاته.

أيها الناس! أيها المنصفون!

هذا الألم النفسي شيء عادي موجود في كثير من حالات الزواج الفردي، فقد تتألم الزوجة لشعورها بأن زوجها يفضل عليها أمه أو أخته، وقد تتألم الزوجة الوحيدة أيضاً لشعورها بأن زوجة أخ زوجها لها حظ من الدنيا أوفر من حظها.

فهل في هذه الحالات وأمثالها يُقضى للزوجة بالتطليق بسبب هذا الألم؟!!

أيتها الزوجة: لا تكوني أنانية فتقدمي مصلحتك الخاصة بالاحتفاظ بزواجك لك وحدك، بل كوني عادلة فتقدمي مصلحة أمثالك من النساء، فالمصلحة العامة مقدّمة في الشرع على المصلحة الخاصة.

يا معشر النساء: اعلمن أن تعدد الزوجات ليس أمراً يمسّ بكرامة المرأة، ولو كان كذلك لما صنعه الأنبياء والمرسلون، ولو كان فيه احتقار أو مساس بكرامة المرأة لحرّمه رافع السماء بلا عمد، فهو الحكيم العليم قال في كتابه ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الرعد).

ولا شك أن المرأة من بني آدم، وإذا زعمت امرأة ما، أن كرامتها لا تسمح بأن يكون لزوجها زوجة أخرى حلال له، فهل تسمح كرامتها بأن تتزوج هي وتظل أختها أو ابنتها مستقبلاً بغير زواج؟ وهل تسمح كرامة مجموعة النساء بأن تظل ملايين منهن بغير زواج، أم نفتح باب الرحمة أمامهن كي لا يعشن راهبات أو ضائعات أو معقدات أو فاجرات والعياذ بالله.

لا شك أن الزواج عزّ المرأة وكرامتها، وبغيره لا تُعرف للحياة معنى، ولا تذوق لها طعماً، وإذا لم تتزوج تكون قد خسرت أداء وظيفتها الأساسية وهي كونها أمّاً وربة أسرة، فهو حقها الأول، إن لم تظفر به فلا يقال: إنها نالت حقوقها.

لكن السؤال الهام الذي يرد في هذا المقام هو: إذا شعرت الزوجة الأولى من جراء الزواج الثاني بسوء عشرة الزوج، وسلك معها الزوج مسلكاً مخالفاً للشرع لا لمجرد شعورها بالآلام نفسية في زواجه عليها، هل تستطيع أن تختار الانفصال عن زوجها، هل يسمح لها الإسلام بذلك؟ والجواب نعم، فالإسلام لم يضيق عليها، بل أعطاه الحق في طلب ما يسمّى بالخلع، أي أنها تدفع لزوجها تعويضاً مالياً تقتدي به نفسها منه.

وتطبيقاً لهذه القاعدة الفقهية اسمحوا لي أن أنقل لكم هذا المشهد من عصر النبوة، تعالوا بنا ندخل زائرين على حبيب رب العالمين، ولسنا وحدنا في هذه الزيارة، بل إن بني هشام بن المغيرة استأذنوا في الدخول أيضاً، ولهم هدف من هذه الزيارة، وهو أنهم يريدون أن يزوجوا ابنتهم لسيدنا علي بن أبي طالب، وأحيطكم علماً أن سيدنا علياً متزوج الآن من سيدتنا فاطمة رضي الله عنها، وأنتم تعرفون أن عمرو بن هشام الملقب بأبي جهل كان عدو رسول الله في مكة، فسيدنا علي أو بالأحرى بني هشام بن المغيرة عندهم مشروع تزويج ابنة عدو الله ورسوله لصهر سيدنا محمد، ودخلوا يستأذنون سيدنا النبي ليفعلوا ذلك، فماذا كان جواب سيد الخلق وحبيب الحق. ماذا سيعطينا رسول الله في الدرس الأخير اليوم، إنني أرى بعين الإيمان واليقين أشرف خلق الله يصعد المنبر ويخطب في الناس ويشرح لهم هذه القضية تماماً ثم يعلن فيقول:

«إني لا آذن ثم لا آذن، إلا أن يريد علي بن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فإنما هي بضعة مني يربيني ما أرابها ويؤذيها ما آذاها». وساد صمت رهيب استنبط فيه الإمام البخاري حكيمين:
الأول: أن للزوجة التي تتأذى من مجرد زواج زوجها عليها أن تطلب الطلاق على مال، أي الخلع الذي ذكرناه فتعوضه عن فراقها له.

الحكم الثاني: أنه يجوز للأب ألا يأذن بزواج صهره على ابنته من باب صلة الرحم والغيرة. لما روى (الحاكم سنده) أن سيدنا علياً خطب بنت أبي جهل، فقال له: «أهلها لا تزوجك على فاطمة، فكان ذلك سبب استنذاهم رسول الله».

وروى (ابن حبان) أن ذلك بلغ السيدة فاطمة فقالت لسيدنا رسول الله:
-إن الناس يزعمون أنك لا تغضب لبناتك وهذا علي ناكح بنت أبي جهل (فتح البصري ٢٤١/١١). ولم يرد عن رسول الله أنه اختص السيدة فاطمة بأحكام خاصة، بل الثابت عنه أنه كان يعاملها كما يعامل سائر المسلمين. وقد قال: والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها (شرح النووي ١٨٧/١١).

وحاشا لرسول الله ﷺ أن يحيد عن العدل مع المسلمين في معاملته فلا يبيح الزواج على ابنته بينما يبيح الزواج على بنات غيره، يؤكد هذا المعنى ما ورد في رواية عنه (فتح الباري ٢٤١/١١) قوله: «وإني لست أحرّم حلالاً ولا أكل حراماً ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل أبداً»

فماذا كان موقف سيدنا علي رضي الله عنه: إن سيدنا علياً لما رأى هذين الموقفين. موقف رسول الله وموقف بنت رسول الله قال: «لا آتي شيئاً تكرهه فاطمة».

وهكذا معشر الإخوة الكرام : بقيت مع حضراتكم تسعاً وسبعين قضية استمدت كلها من عيون الشريعة.

كنت معكم مدّة عامين هنا يضيفنا رسول الله على عينه، كنا هنا معاً قضية إثر قضية، وما أدراك ما هنا، هنا مدرسة سيدنا محمد الجالس فيها عليه أن يؤدي التحية إلى الحبيب الأعظم، وتحيتنا إليك يا سيدي يا رسول الله:

صلاة والسلام عليك

